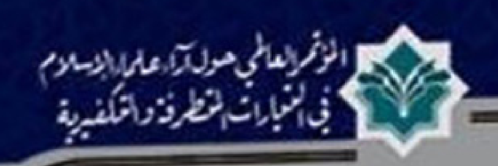
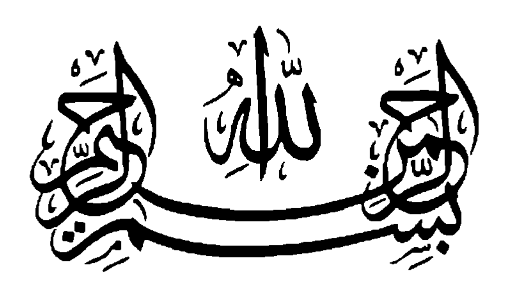


الوهابية المتطرفة

موسوعة نقدية


بسم الله الرحمن الرحيم



المجلد
الخامس

سرشناسه: فرمانیان، مهدی، ۱۳۵۲ - ، گردآورنده
عنوان و پدیدآور: الوهابية المتطرفة: موسوعة نقدية/ تأليف جمعٌ من المؤلفين؛ باهتمام مهدی فرمانیان؛ بطلب من المؤتمر العالمي «آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرفة والتكفيرية»
مشخصات نشر: قم: دارالإعلام لمدرسة اهل البيت (ع)، ۱۳۹۳ -
مشخصات ظاهری: ج.
شابک (ج.۵): 978-600-7667-02-6 (V.5)
شابک (دوره): 978-600-94845-8-4 (V.SET)
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا
یادداشت: عربی
یادداشت: فهرست‌نویسی بر اساس جلد پنجم: ۱۳۹۳
یادداشت: این مجموعه ۵ جلدی است و شامل چندین کتاب در نقد وهابیت افراطی است که توسط علمای اهل سنت تألیف شده است.
یادداشت: کتابنامه
موضوع: وهابیه - عقاید - نقد و تفسیر
موضوع: سلفیه - عقاید - نقد و تفسیر
موضوع: تکفیر - نقد و تفسیر
موضوع: وهابیه - عقاید - نظر اهل سنت
موضوع: سلفیه - عقاید - نظر اهل سنت
شناسه افزوده: کنگره جهانی جریان های افراطی و تکفیری از دیدگاه علمای اسلام (نخستین: ۱۳۹۳: قم)
رده بندی کنگره: ۱۳۹۳ ۹و۲ف/ BP۲۳۸/۵
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۱۶۴
شماره کتابشناسی: ۹۳۲۹۷۴۱۶

المؤتمر العالمي «آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرفة والتكفيرية»

قم، شارع الشهداء، ناصية زقاق ۲۲، رقم البناية ۶۱۸
هاتف: ۰۲۵-۳۷۸٤۲۱٤۱
البريد الالكتروني: info@makhateraltakfir.com
الموقع الالكتروني: www.makhateraltakfir.com



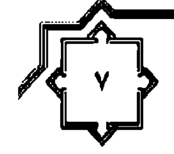
الوهابية المتطرفة: موسوعة نقدية- المجلد الخامس

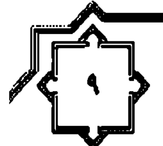
بطلب من: المؤتمر العالمي "آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرفة والتكفيرية"
باهتمام: الدكتور مهدي فرمانيان
الناشر: دارالإعلام لمدرسة اهل البيت عليهم السلام
الإخراج الفني: سالم فيض الله
تصميع الغلاف: محمد مهدى اسعدی
المشرف على الطباعة: سيد محمد موسوی
الطبعة: الأولى، ۱۴۳۵هـ
الكمية: ۵۰۰ نسخة
طبع و تجليد: سليمان‌زاده
سعر الدورة: ۱۵۰/۰۰۰ تومان
ردمك الدورة: ۹۷۸-۶۰۰-۹۴۸۴۵-۸-۴

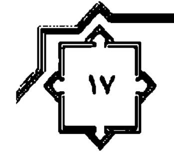
قم، شارع الشهيد فاطمي، زقاق ۲، الفرع الأول، رقم البناية ۳۱
هاتف: ۳۷۷۴۰۷۲۹ _ ۰۲۵
البريد الألكتروني: info@darolelam.ir
عنوان الموقع: darolelam.ir

الفهرس

إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين


٧






١٨

كلمة هادئة في التوسل

كلمة هادئة في الاستغاثة

النور الجلي في جواز التوسل بالنبي والولي

خلاصة الكلام في الاحتفال بمولد خير الأنام

إقناع المؤمنين
بتبرك الصالحين

تأليف:

فضيلة الشيخ عثمان بن الشيخ عمر
بن الشيخ داود الشافعي الصومالي العَيل طيري

راجعه و صححه: الشيخ عبد الناصر على حسين

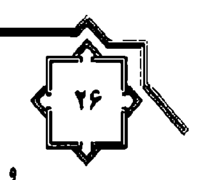
بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة مؤلف الكتاب

اسمه: هو الشيخ عثمان بن الشيخ عمر بن الشيخ داود المشهور بـ(حِدِغ) الأشعرى الشافعى العَيل طَيرىُّ ثم المقدشى.

نشأته

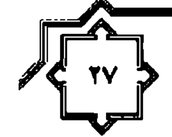
ولد الشيخ فى منطقة قريبة من مدينة (عَيل طَير) بإقليم جلجدود وسط الصومال سنة ١٩٤٢م و نشأ فى بيت علم حيث كان جده الشيخ داود بن علسو بن عبيد داعية إسلاميا كبيرا أحيى تعاليم الإسلام فى أقطار كثيرة، فحفظ الشيخ عثمان القرآن الكريم فى العاشرة من عمره و التحق و عمره (١١) عاما بدروس عمه القاضى الشيخ عبد الله بن الشيخ داود فى مسجد (عيل طير) و درس عنده العلوم الشرعية و اللغوية ثم رحل إلى العاصمة مقديشو عام ١٩٦٠ م و درس عند أعيان علماء العصر و من أجلهم عميد القضاة الشيخ أبوبكر بن الشيخ محيى الدين و فقيه الديار الصومالية الشيخ حسين محمد محمود (عطا) و العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد و الشيخ عبد الرحمن طوب و الشيخ أحمد بيروت الهررى و غيرهم من كبار المشايخ و أجازه فى الحديث العلامة الشيخ محمد أحمد محمود الشهير بـ (أبا) و الشيخ محمد نور بن الشيخ إبراهيم بن معلم سراج حفظهما الله.



و قد أتقن الشيخ العلوم الإسلامية فقها و أصولا و حديثا و تفسيرا و لغة، و بعد أن ضرب بنصيب وافر في المعارف الشرعية و اللغوية جنح إلى التصوف و أخذ إجازة الطريقة الإدريسية عن عمه الشيخ أحمد بن الشيخ داود عن الشيخ محمد بن الشيخ على ميه عن أبيه الشيخ على ميه المركى عن الشيخ حسن بن معلم مؤمن البصرى عن الشيخ عبدالرحمن بن محمود عن السيد أحمد بن إدريس، وله أسانيد أخرى في هذه الطريقة و قد أذِنَ له بالتسليك و إرشاد المريدين.

أنشطته و آثاره العلمية

عاد الشيخ في نهاية سبعينيات القرن الماضى إلى بلدته (عين طير) و أسس فيها مركزا دينيا وفد إليه طلبة العلم من الأقطار و تخرّج على يديه كثير من أهل العلم و قد قام إلى جانب تدريسه للعلوم بتأليف كتب منها (التوضيح في شرح أذكار التسبيح) و (المنتخب في شرح رسالة مرحب) و (البرهان في جواز الذكر بلفظ هو للملك الديان) و (إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين) و هو الذى بين أيدينا و (ترجمة شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمى) و منظومة في التصوف تسمى (المنظومة البهية في معاتبة النفس الأبية و التضرع إلى رب البرية) و (المنح الوهبية في ذم العصبية و القبلية) و (أنيس الجليس في ترجمة سيدى أحمد بن إدريس) و (التبيين في أدلة التلقين) و (اللآلى السنية في مشروعية مولد خير البرية) و (النصائح المرسله إلى طلاب العلم لله و الآخرة) و قد طبعت هذه الكتب، و له أيضا (ترجمة الإمام الشيخ دواد بن علسو) لم تطبع و كتاب (تاريخ الصوفية) لم يكمل بعد، و قد تولّى الشيخ عند قيام المحكمة الشرعية في شرقى مقديشو منصب نائب رئيس المجلس الأعلى لتطبيق الشريعة الإسلامية و كان



المسؤول عن قسم العدالة و هو رئيس لجنة الإفتاء و البحوث العلمية في المجلس الأعلى لعلماء أهل السنة و الجماعة.

و ما يزال الشيخ ـ حفظه الله ـ يقوم بنشر العلم و إرشاد العباد و بذل النفس و النفيس في إحقاق الحق و إزهاق الباطل أيده الله و وفقه لما فيه سعادة الدارين آمين.

بقلم تلميذ المؤلف

عبد الحكيم علي حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

الحمد لله بديع الأرض و السموات، الذى عمت بركاته الكائنات، وشملت رحمته أصناف المخلوقات، و أشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، أنزل كتابه مباركا و هدى للعالمين، و أشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله، وصفيه و خليله، شرع لأمته بفعله و مقاله التبرك به و بسائر عباد الله الصالحين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد بركة الوجود، و صاحب المقام المحمود، و الحوض المورود، و اللواء المعقود، الذى من لاذ به نال البغية و المقصود، و من التجأ إلى الله بجاهه صار مقبولا غير مردود، و على آله و أصحابه مصابيح الوجود، و التابعين لهم بإحسان إلى اليوم الموعود.

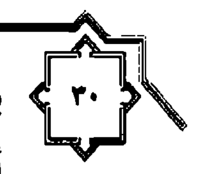
أما بعد: فإننا فى زمان صار فيه الحق غريبا، و المتمسك به طريدا، ليس له أنيس و لا صديق حميم، فتكتنفه الوحشة و هموم الوحدة، فينشد بلسان حاله بما قاله الإمام أبو سليمان الخطابى البستى:

و ما غربة الإنسان فى شقة النوى ... و لكنها و الله فى عدم الشكل

و إنى غريب بين بستٍ و أهلها ... و إن كان فيها أسرتى و بها أهلى

و يتسلى بقول بعض الفضلاء:

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل ... وخفض لذي عز فقالت خذِ العذرا



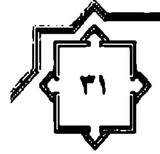
بنـو الجهـل أبنـائي لهـذا رفعـتهم و أهل التقى أبناء ضرتـي الأخـرى
أأتـرك أولادي يموتـون ضـيعة و أرضـع أولادا لـضرتي الأخـرى

و قد كثرت فيه أصحاب الدعاوى و الفتن، ترى أحدهم يدعى بلـوغ رتبـة الاجتهاد و هو لا يعرف أركان الصلاة و شروطها و هيئاتها، و ترى من يـسمونه مفتيا و هو لم يتعلم كيفية إزالة النجاسة و شروط الغسل و نحوها، فيفتـي برأيـه فى عويص المسائل و دقائقها، و يرشد الناس بزعمه و هو فى ضلال مبين.

و هؤلاء طوائف و أحزاب (و كل حزب بما لديهم فرحـون) اخترعـت كـل فرقة منهم أسماء لنفسها، فمـنهم طائفـة أنكـرت التـبرك بالأنبيـاء و الـصالحين الأحياء منهم و الأموات، و منعت التوسل بجاههم إلـى الله تعـالى و مـا يـشبه ذلك، مما ثبت بالتواتر عن السلف و الخلف.

و مما شاع و انتـشر فـى عـصرنا ازدراء العلـم و العلماء، و متابعـة البـدع و الأهواء، و استحسان المنكر و إنكار المعروف، حتى افتخر كثير ممن يدعى العلـم بمخالفة أئمة الهدى أصـحاب المـذاهب الأربعـة و أهـل الـسنة و الجماعـة مـن الأشاعرة و الماتريدية.

فرأيت أن السكوت فى مثل هذه الحالة غير جائز، و أنه لا بد من التنبيه على هذا الخطر الهائل، و أن يُبرِز كل متدين بما لديه لحل هذه المشاكل، و أن يبـذل مـا فى وسعه من النصيحة لهؤلاء الطوائف المنحرفة عن جادة سـلف هـذه الأمـة و خلفها، و إقناعهم بكـل مـا يقتنـع بـه المـؤمن المنـصف، المتحـرر عـن العنـاد و التعسف، و عزمت أن أجمع كتابا يشمل أنواعا تعم بها الحاجات كـالتبرك بـسيد الخلق ﷺ و غيره و كالتوسل بجاهه العظيم و بغيره مـن الأنبيـاء و الأوليـاء و الصالحين.



و قسمته إلى مقاصد أربعة و مقدمة و خاتمة، المقصد الأول في التبرك برسول الله ﷺ و بما له تعلق به، و المقصد الثاني في التبرك بالصالحين و ما يلحق بذلك و المقصد الثالث في التبرك بقبور الصالحين، و المقصد الرابع في التوسل و الاستغاثة بالأنبياء و الصالحين، و سميته (إقناع المؤمنين بتبرك الصالحين).

و لا يخفى عليّ ما في التصنيف من الهيبة و الصعوبة و انفتاح باب الانتقاد و الاعتراض، فقد قال الأصمعي: إن الإنسان في سلامة من ألسنة الناس ما لم يضع كتابا أو يقل شعرا، و قال الهلال ابن العلاء: يستدل على عقل المرء بعد موته بتصنيفه أو شعره أو رسالته. و قال الإمام الخطيب البغدادي: من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس اهـ....

و كذا جعل علمه و عِرضه عُرضة لألسنة الطاعنين. و غَرضا لأقلام الباحثين، و هدفا لسهامهم، كما قيل: من ألف استهدف، فإن صاحب كل فن يناضل عن فنه و يراعي نظامه، و يدفع من يرتكب ما يخالف قوانينه، فالفقيه يرى أنه المتكلم الوحيد بلسان الشريعة و أحكامها، فيحاكم من زاغ عن سبيلها، و المحدث يلوم على من يميل عن صناعة علم الحديث دراية و رواية، و أهل العربية من علماء النحو و الصرف يراقبون الحركات و السكنات، و موازين الكلمات و اشتقاقها و هم من أشد الناس محاسبة و أقلهم هيبة، و هم أهل التعمق و التدقيق فلا يسامحون نقيرا و لا قطميرا من الغلط و اللحن، روى البيهقي في (مناقب الشافعي) بسنده عن حرملة بن يحيى أن الإمام الشافعي رحمه الله قال: أصحاب العربية جن الإنس يبصرون ما لا يبصر غيرهم اهـ... و البيانيون يتأملون الكلام من جانب الفصاحة و حسن التركيب و تناسب بعضه لبعض، و من جانب الحقيقة و المجاز و المحسنات البديعية، و هكذا أهل كل فن من الفنون، فمن يناقشه أصحاب الفنون كلها فلا بد أن يعاني

و يحمل العبء الثقيل، و إني معترف بأني لست من فرسان هذا الميدان، و لا من أرباب الفصاحة و البيان، لقلة معرفتي و فتور همتي و ضعف فطنتي، هذا و لم يكن عندي من التسهيلات ما يشجعني على اقتحام هذه العقبات، و صعود الشواهق العاليات، بل أحدقتني من كل الجوانب العلائق و العوائق من الشواغل و الأمراض و المصائب العامة، كالفوضى و عدم الأمن و الاستقرار، و من قلة الكتب و المراجع، بل لم يكن عندي كتاب واحد ألف في التبرك بالصالحين عدا كتابا صغير الحجم جدا يسمى (تبرك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ) لكن حملني على ذلك حب الدفاع عن حمى الشريعة المطهرة، و درء المفاسد المنتشرة، و إقناع المنهمكين الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا، مع أنهم في بحر الضلال خائضون، و في واد التيه يهيمون، و في أباطيلهم يعمهون، كأنهم عن قيامهم أمام ربهم غافلون، فعسى أن ينفع الله به أقواما فيزدادوا به إيمانا و اطمئنانا، و يهدي به آخرين فيقتنعوا به و يرجعوا إلى الصواب و السداد.

وقد بذلت جهدي في جمع كتب عديدة، فالتقطت منها ما وجدت في بطونها من درر غالية، و نفائس سامية، و اقتنصت كل شاردة، و قيدت كل نادرة، و دمت على ذلك سنين عديدة، فانكشفت لي ـ و لله الحمد ـ مخدرات الأدلة القاطعة، و البراهين الساطعة، و الحجج الدامغة، مزاعم كل من يقصد إلى تحريف الملة و تضليل الأمة.

و أرجو ممن رأى فيه الخطأ و الخلل الصفح و ستر الزلل، و إصلاح ذلك بعد التثبت و التأمل، و أطلب من الله ذي الفضل العظيم، و الإحسان العميم، أن يمن عليّ بالقبول، و أن ينقذني به يوما تحار فيه العقول و تشيب فيه الولدان، و تحيط الهموم و الكروب، و تدهش فيه القلوب، بجاه من تفزع إليه الخلائق عند الشدائد و الخطوب، و على الله الكريم اعتمادي، و إليه أفوض أمري و به ثقتي و هو حسبي و نعم الوكيل، و لا حول و لا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

المقدمة

اعلم أن البركة فى اللغة العربية تأتى على معان، ففى (النهاية) لابن الأثير (برك) البعير إذا أناخ فى موضع فلزمه، و تطلق البركة أيضا على الزيادة، و الأصل الأول، و بارك على محمد ﷺ أى أثبت له و أدِم ما أعطيته من التشريف و الكرامة، و فى الحديث: فحنكه و برك عليه أى دعا له بالبركة، و البرك الصدر، و مبارك الإبل الموضع الذى تبرك فيه اهـ...

و قال الراغب: البركة ثبوت الخير الإلهى فى الشىء. و قال النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات): حكى الأزهرى عن ثعلب أن البركة العلو و النماء، و قال الخليل بن أحمد: معنى تبارك تعظيم و تمجد اهـ...

و فى (القاموس) و شرحه (تاج العروس): البَرَكَة محركة النماء و الزيادة و السعادة و يقال: بارك الله لك و فيك و عليك و باركك، و بارك على محمد أدِم له ما أعطيته من التشريف و الكرامة، و تبارك الله تقدس و تنزه و تعالى و تعاظم، و سئل أبو العباس عن تفسير تبارك الله فقال: ارتفع، و قال ابن الأنبارى: تبارك الله أى يُتَبَرَّكُ باسمه فى كل أمر، و البرك صدر البعير هذا هو الأصل فيه و تبرك به أى تيمّن، نقله الجوهرى، يقال: يزار و يتبرك به اهـ...

و قال الشهاب الخفاجى فى (نسيم الرياض): البركة ثبوت الخير الإلهى فى الشىء، قال الله تعالى، لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض، و لما كان



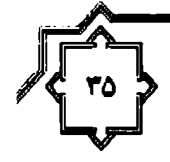
الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى و لا يحصر قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة: مبارك، و فيه بركة اهـ...

و قد ذكر الله سبحانه و تعالى البركة في مواضع كثيرة من القرآن، فقال جل شأنه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾، ﴿وَقُل رَبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً﴾، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ﴾، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً﴾، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾، ﴿رَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿تَبَارَكَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾، ﴿فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، فهذه سبعة عشر موضعا من كتاب الله تعالى ذكرت فيها البركة و نقتصر عليها.

و قال البخارى فى تفسير قوله تعالى، إن الله و ملائكته يصلون على النبى: قال ابن عباس: يصلون: يُبَرِّكُونَ. و قال الحافظ فى شرحه، فى تفسير قول ابن عباس، يبركون على النبى أي يدعون له بالبركة.

و قال الحافظ السخاورى: فى (القول البديع) قال ابن عطية فى قوله تعالى: هو الذى يصلى عليكم: صلاة الله على العبد هى رحمته عليه و بركته لديه.

و ذكرت البركة في موضعين من التشهد، و موضعين من الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد، و فى القنوت، و قد يزاد «و بركاته» فى السلام من الصلاة. و قال السخاوى فى (القول البديع): لم يصرح بوجوب قوله و بارك



على محمد فيما عثرنا عليه غير ابن حزم، ذكر ما يفهم وجوبها فى الجملة فقال: على المرء أن يبارك عليه و لو مرة فى العمر، و ظاهر كلام صاحب (المغنى) من الحنابلة وجوبها فى الصلاة، فإنه قال: وصفة الصلاة كما ذكرها الخرقى، و الخرقى إنما ذكر ما اشتمل عليه حديث كعب، ثم قال: و إلى هنا انتهى الوجوب اهـ.

و حديث كعب هو ما رواه عبدالرحمن بن أبى ليلى قال: لقينى كعب بن عُجرَة ﷺ فقال: ألا أهدى لك هدية سمعتُها من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى فاهدها لى، فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله علمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد و على آل محمد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد و على آل محمد كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. متفق عليه، و أخرجه أيضا الأربعة. و قال النبهانى فى (شواهد الحق) ص٥٩٩: رأت بنتى رسول الله ﷺ فى المنام، و قال لها رسول الله ﷺ: قولى لأبيك: بركتى ما هى سنة، بركتى فرض لكن فرض خفيف. قال النبهانى: فصرت بعد هذه الرؤيا أحرص على ذكر البركة فى الصلاة عليه ﷺ اهـ...

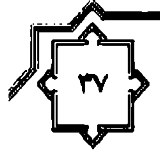
و يحسن شرعا طلب البركة من الله قبل الأكل و بعده، ففى (الإذكار) للنووى: كان ﷺ يقول فى الطعام إذا قرب إليه: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، و قنا عذاب النار، بسم الله. رواه ابن السنى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه، أطعمنا خيرا منه، و من سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه، قال الترمذى: حديث حسن. و قال ابن علان فى شرحه على (الإذكار) يحتمل أن تكون البركة بالتكثير الحسى كما وقع له ﷺ كثير من ذلك،

و يحتمل أن تكون بالتكثير المعنوى. تكرر ذكر البركة فى السنة المطهرة، ففى (صحيح مسلم) أن الضيف يدعو لصاحب الطعام، و يقول: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، و اغفر لهم و ارحمهم. و فى (الأذكار) أنه يقال فى تهنئة المولود له: بارك الله لك فى الموهوب لك، و شكرت الواهب، و بلغ أشده، و رُزقت بره، و يرد عليه المهنأ فيقول: بارك الله لك، و بارك عليك، و جزاك الله خيرا و رزقت مثله و أجزل ثوابك. و أخرج ابن السنى أنه يقال لمن قال لك بارك الله فيك: و فيك بارك الله.

و قد أخبر رسول الله ﷺ أن فى بعض الأشجار بركة، فروى البخارى فى كتاب الأطعمة من صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند النبى ﷺ جلوس إذ أوتى بجمار نخلة، فقال النبى ﷺ: إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم، فظننت أنه يعنى النخلة، فأردت أن أقول: هى النخلة يا رسول الله، ثم التفتُّ فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكتُّ، فقال رسول الله ﷺ: هى النخلة اهـ... فالزيتونة و النخلة شجرتان مباركتان، و كذلك تكون البركة فى بعض البقاع و المياه و الأيام و الليالى، و فى لحم الأضحية و الهدى، و فى صاع المدينة و مدها، فالبركة كما تكون فى البشر تكون فى غيره أيضا.

و كان ﷺ يدعو لأمته بالبركة كقوله ﷺ: اللهم بارك لأمتى فى بكورها، رواه أصحاب السنن الأربعة و غيرهم، و كقوله ﷺ: اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم الخمسين، رواه ابن ماجه.

وروى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك لنا فى ثمرنا، و بارك لنا فى مدينتنا، و بارك لنا فى صاعنا، و بارك لنا فى مدنا اهـ...



و دعا لكثير من أصحابه بالبركة، منهم أنس بن مالك، فقد قال له النبي ﷺ: اللهم أكثر ماله و ولده، و بارك له فيما آتيته، و دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة، فكان عبد الرحمن يقول: لو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا، و دعا لأبي قتادة فقال: اللهم بارك له في شعره و بشره، فمات و هو ابن سبعين سنة، و كأنه ابن خمس عشر سنة، و دعا لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالبركة في صفقة يمينه، فما اشترى شيئا إلا ربح فيه، وجيء إليه ﷺ بصبي يوم ولد فقال له النبي ﷺ: بارك الله فيك، فكان يسمى مبارك اليمامة، و حديثه يعرف بحديث شاصونة، و هو اسم راويه.

و عادة العلماء الدعاء بالبركة فيما بينهم و في أحبابهم و يكثر في مخاطباتهم و دعواتهم بارك الله فيكم.

و قد تبرك برسول الله ﷺ خلائق من أصحابه، و تبرك بآثاره الشريفة بعد وفاته السلف و الخلف، و كان ذلك منتهى آمالهم و مطمح أبصارهم، فشدوا الرحال لرؤية أثر من آثاره، و قطعوا المفاوز لاستنشاق الرياح الهابة من رحاب حرمه، و ضربوا أكباد المطايا للثم تراب مواطي أقدامه، و لشم عبير المسك الذي يفوح من مهبط وحيه.

و تبرك أيضا المتقدمون و المتأخرون بصلحاء أمته و أصفياء أتباعه في حياتهم و بعد مماتهم. بل ورد التبرك بماء المطر فإن فيه البركة كما نطق به القرآن الكريم، و ورد أيضا تبرك بعض الأنبياء بالجراد، و صرح العلماء بأنه يتبرك بلحم الأضحية و الهدي.

و ما زال الناس يتبركون بكل ما جعل الله فيه البركة من البقاع المشرفة و الأماكن المقدسة، و مقابر الأولياء و مجالس الأتقياء و نحوها، فعلم من كثرة ورود البركة في القرآن و السنة النبوية و ألسنة حملة الشريعة أنه ينبغي الاهتمام بها و الاعتناء بشأنها.

٣٨ ملاحظة في اغترار بعض الناس بالتبرك بغير من تأهل له

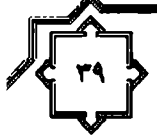
و اعلم أن البركة تكون حيث وضعها الله، و فيمن جعلها الله فيه و اختصه بها، و لا تنال بالتمنى و الطمع، و لا بالحيل و التصنع، و قد أجاد القائل:

انتبه يا راقد المقل ليس دين الله بالحيل

و لكنها تنال بتقوى الله عز و جل و طاعته مع الصدق و الإخلاص، و بامتثال أوامره و اجتناب نواهيه فى السر و العلانية، و فى السراء و الضراء، فما كل من يتبرك به الناس أهلا لذلك.

و قد كثر فى زماننا أقوام غرتهم أنفسهم و اتبعوا أهواءهم و أحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، و خدعوا الناس بأخذ لباس الصالحين و إظهار الخشوع و الخضوع كى يتبرك بهم الناس و يحترموهم، فيكونوا بذلك سادة أعزة وقادة أئمة، فهؤلاء باعوا دينهم بدنياهم، و أخراهم بأولاهم، و يزعمون أنهم ينتمون إلى الصوفية و ما صدقوا فى ذلك، بل هم باسمهم مرتزقون، و شرف هذه الطائفة مشوهون، و لا يخاون مقت ربهم و غضبه فانخدع بهم بعض من يحب الخير و لا يعرف أهله و ظنوا أنهم من عباد الله المخلصين، يحملهم على ذلك حسن الظن بالمسلمين و سلامة لصدر، و ما علموا أن معيار الصلاح الحقيقى هو التمسك بالشريعة و العمل بها، و إكثار الأوراد و الإذكار و طاعة الكبير المتعال.

فالناس فى التبرك أشتات متفرقة و طوائف مختلفة، فمن بين منكر جاحد من أصله و مغرور مغلوب على عقله يتبرك بكل من رأى عليه سيما الصالحين وزى العابدين، و متوسط يضع الشيء فى محله، و يسلك طريقا بين التفريط و الإفراط، و خير الأمور أوساطها.



فمن أنكر التبرك من أصله فقد خالف الكتاب و السنة و الإجماع، و هو من الخاسرين الهالكين، و من انخدع بترهات المبطلين و مزاعم الخائنين فتبرك بهم و هو لا يدرى أنه مخذول مغرور أفرط و أسرف فى التبرك، فخاب سعيه و لم يثمر كدّه فهو كمن طلب الماء من السراب، و صار سخرية للمفسدين المرائين، و من تبرك بأحباب الله و أصفيائه فقد أخذ وسط الأمور، و استمسك بالعروة الوثقى، واقتدى بالعلماء العارفين و سلك مسالك المقربين، فنال البغية و المرام و الفلاح و الهناء.

التمهيد

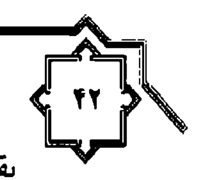
اعلم أن التبرك برسول الله ﷺ و بآثاره أمر معلوم لا يكاد يخفى على مسلم إلا أن يكون عاميا بعيدا عن أهل العلم أو قريب عهد بالإسلام، و لا ينكره إلا مبتدع معاند أو فاسق متهور.

و ما زال المسلمون يحرصون عليه خلفا و سلفا من عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى عصرنا، و قد نال الخليفتان أبوبكر و عمر رضي الله عنهما من بركته ﷺ ما لم ينله غيرهما، فقد منّ الله عليهما ببركة جواره ﷺ في ضريحه إلى يوم البعث و النشور، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهنيئا لهما.

و كان كثير من الصحابة يكثر التبرك به ﷺ و بكل ما له اتصال و تعلق به.

و كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما معروفا بالتبرك بآثاره ﷺ و تتبعها حتى ظن البعض أن به نوع خلل و خفة. ففي (سير أعلام النبلاء) ج٣ ص٢١٣ و (حلية الأولياء) لأبي نعيم أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يتبع أمر رسول الله ﷺ و آثاره و حاله و يهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك. و عن نافع قال: لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله ﷺ لقلت هذا مجنون. و قال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: لو تركنا هذا الباب للنساء، قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات.

و كان إذا رآه أحد ظن به شيئا مما يتبع آثار النبي ﷺ.



و عن نافع أن ابن عمر كان فی طريق مكـة يأخـذ بـرأس راحلتـه يثنيهـا، و يقول: لعل خفاً يقع على خف ـ يعنى خف راحلة النبى ﷺ انتهى ملخـصا. و سيأتى فی باب المحبة أنه كان يصب الماء فی أصل شجرة نزل تحتهـا النبـی ﷺ لئلا تيبس.

قلت: فلما كان ابن عمر يكثر من التبرك بآثاره ﷺ بارك الله له آثاره و جزاه جزاء من جنس صنيعه، و قد قيل: الجزاء من جـنس العمـل، فكـان مـن أولاده خمسة من فقهاء المدينة. روى الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بـابن البَيِّع فی (معرفة علوم الحديث) ص٤٤ بسنده عن على بن المدينى قال: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: فقهاء المدينة اثنا عـشر، سـعيد بـن المـسيب و أبـو سلمة بن عبدالرحمن و القاسم بن محمد و سالم بن عبد الله بـن عمـر و حمـزة بـن عبد الله بن عمر وزيد بن عبد الله بن عمر و عبيد الله بن عبد الله بن عمر و بـلال بن عبد الله بن عمر و أبان بن عثمان بن عفان و قبيصة بن ذؤيـب و خارجـة بـن زيد بن ثابت و اسمعيل بن زيد بن ثابت اهـ. توفى الحاكم سنة ٤٠٥هـ. و البيع بكسر الياء المشددة كما فی (الأنساب) و (اللباب) و هـذا مـن نعـم الله و جزيـل إحسانه على ابن عمر ﷺ، فإن نجابة الأولاد من أعظم العطايا الإلهيـة، و لله در القائل:

نعم الإله على العباد كثيرة　　　و أجلهـن نجابـة الأولاد

اهـ.

و المشهور أن فقهاء المدينة سبعة، و يأتى ذكرهم إن شاء الله فی التبرك بـذكر الصالحين.

و كان أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ يحرص أيضا علـى التـبرك بآثـار النبى ﷺ، فقد روى البخارى فی كتاب الأطعمة مـن صـحيحه عـن أنـس أن

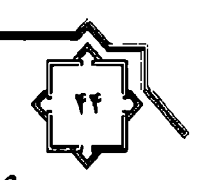


(خياطا) دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس: فذهبت مع رسول الله ﷺ فرأيته يتتبع الدباء من حوالى القصعة، قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ. و قال الحافظ ابن حجر فى (الفتح) ج٩ ص٥٢٦: فى هذا الحديث الحرص على التشبه بأهل الخير و الإقتداء بهم فى المطاعم و غيرها، و فيه فضيلة ظاهرة لأنس لاقتفائه أثر النبى ﷺ حتى فى الأشياء الجبلية، و كان يأخذ نفسه باتباعه فيها رضي الله عنه.

و يأتى إن شاء الله كثير من الصحابة كانوا يكثرون التبرك به ﷺ و بآثاره. و قد تبرك التابعون و من بعدهم بآثار رسول الله ﷺ، و سلكوا فى ذلك مسلك الصحابة و ساروا على نهجهم، و سنذكر إن شاء الله بعضا من أكابرهم كالتابعى الجليل محمد ابن سيرين و أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز و الإمام أحمد بن حنبل و البخارى و غيرهم.

و ما زال كثير من العلماء و الأمراء يدخرون أشياء من آثاره ﷺ و يحفظونها تعظيما له ﷺ و تبركاً بها.

و قال الحافظ ابن كثير فى (البداية و النهاية) ج٦ ص٧ ـ ٨: قد بلغنى أن بالديار المصرية مزارا فيه أشياء كثيرة من آثار النبى ﷺ اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين، فمن ذلك مكحلة، و قيل: و مشط، و غير ذلك، و قال أيضا: اشتهر فى حدود ستمائة سنة و ما بعدها عند رجل من التجار يقال له: ابن أبى الحدرد نعل مفردة، ذكر أنها نعل النبى ﷺ، فسامها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب منه بمال جزيل فأبى أن يبيعها، فاتفق موته بعد حين، فصارت إلى الملك الأشرف المذكور، فأخذها إليه و عظّمها، ثم لما بنى دار الحديث الأشرفية جعلها فى خزانة منها، و جعل لها خادما و قُرِّر له من المعلوم كل شهر أربعون درهما، و هى موجودة إلى الآن فى الدار المذكورة اهـ.



و قال الحافظ السيوطى فى (حسن المحاضرة فى تاريخ مصر و القاهرة) ج٢ ص٢٧٣: بالقرب من بركة الحبش رباط الآثار، عَمَّره الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين، و فى هذا الرباط قطعة خشب و حديد و أشياء أخر من آثار رسول الله ﷺ اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل (ينبع) ذكروا أنها لم تزل موروثة عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول الله ﷺ، و حملها إلى هذا الرباط و هى إلى اليوم يتبرك بها، و مات الصاحب تاج الدين في جمادى الآخرة سنة سبع و سبعمائة.

و للأديب جلال الدين بن خطيب داريا فى الآثار بيتان:

يا عين إن بعد الحبيب و داره — و نأت مرابعه و شط مزاره

فلقد ظفرت من الزمان بطائل — إن لم تَرَيه فهذه آثاره

و قال أبو الخرمى المدنى أيضا:

يا عين كم ذا تسفحين مدامعا — شوقا لحب المصطفى و دياره

إن كان صرف الدهر عاقك عنهما — فتمتعى يا عين فى آثاره

و قال الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردى فى كتابه (تبرك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ) ص٥٨ ـ ٦١: ذكر البتانونى فى كتابه (الرحلة الحجازية) أنه يوجد بعض شعراته ﷺ بالمسجد الأقصى بالخزانة الفضية التى بجوار الدّرابزين من الجهة الغربية للصخرة، و يوجد بعض الآثار فى الآستانة مقر الخلفاء سلاطين آل عثمان سابقا ﷺ، كالشعرة المباركة و البردة الشريفة، و بعض آثار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كما يوجد شىء من الآثار فى القاهرة بمسجد سيدنا الحسين بن على عليهما السلام.

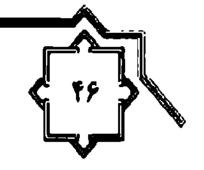
و سمعنا أنه توجد فى بلده (بوسنة)بتركيا فى جامع (خُسرُوبَك) قطعة من قميص النبى ﷺ و شعرة من شعراته الشريفة، و يعرض ذلك فى ليلة السابع و العشرين من شهر رمضان على الجمهور، توجد أيضا فى (طرابلس الغرب) فى جامع (طور غود باشا) فى بيت الصلاة شعرة من شعرات النبى ﷺ موضوعة فى زجاجة، و تعرض على الجمهور فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول، و فى اليوم السابع و العشرين من رجب، و فى منتصف شعبان، و فى اليوم السابع والعشرين من رمضان، و هذه الشعرة المباركة أرسلت من (الآستانة) إلى (طرابلس الغرب) و (طور غود باشا) هو قائد بحرى عثمانى عظيم. و قد توفى (طور غود باشا) رحمه الله شهيدا فى سنة ٩٧٣هـ. و هو يحاصر جزيرة (مالطة) فنقل إلى مدينة (طرابلس الغرب) و دفن بها بجوار مسجده المعروف باسمه حتى اليوم، و فى دمشق توجد شعرة من شعرات رسول الله ﷺ و يحتفل أهل دمشق بها احتفالا كبيرا و مما يوجد بالآستانة كتاب النبى ﷺ للمقوقس عظيم القبط.

هذا و لقد رأينا بعض الرسائل المطبوعة باللغة اللاتينية فى تركيا يذكر فيها جميع ما يوجد من الآثار النبوية بالآستانة بالغرفة الخاصة فى قصر (طوبقابو) ففى هذا الجناح توجد الآثار النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام و أشرف التحية.

فمن هذه الرسائل المطبوعة بالآستانة رسالة باللغة العربية اسمها (الأمانات المقدسة) و هى مطبوعة طبعة جميلة مع صور جميع الآثار الموجودة بالآستانة.

و إليك ملخص ما جاء فيها:

١ـ الخطاب الذى أرسله رسول الله ﷺ إلى المقوقس و هو فى صندوق من الذهب.



٢ـ سيفان لرسول الله ﷺ.

٣ـ قوس للنبی ﷺ.

٤ـ بردة النبی ﷺ و هی فی صندوق من الذهب المزخرف.

٥ـ علم رسول الله ﷺ أی رايته و هو فی داخل صندوق خاص جميل.

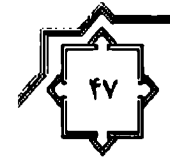
٦ـ شعرة لرسول الله ﷺ و هی فی صندوق خاص من الفضة هذا ما علمناه و الله تعالى أعلم بما يوجد فی البلاد الإسلامية من الآثار انتهى ما قاله الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر.

قلت: و أخبرنی جمع من الثقات أن فی (باكستان) آثارا منه ﷺ تقصد إليها الخلائق للتبرك بها من الأقاليم القريبة و البعيدة.

باب في محبته ﷺ

اعلم أن التبرك ينشأ عن المحبة فلا يتبرك المتبرك إلا بمن يحبه و يعتقد فيه الصلاح والمحاسن، و يرجو منه النفع إما عاجلا أو آجلا، فحينئذ يكون التبرك برسول الله ﷺ ناشئا عن محبته عليه الصلاة و السلام و فرعا عن مودته، و على قدر المحبة يكون التبرك، فمن أعطاه الله حظا وافرا و نصيبا كاملا من محبته ﷺ يكون تبركه به ﷺ على قدر ذلك الحب النبوی، و المحروم من ذلك الحب فقد لا يتبرك به ﷺ أصلا، لأن محبته عليه الصلاة و السلام هی المهيجة للسعی إلى التبرك بآثاره، و التعلق بأذياله، و التقرب إلى الله بوسيم وجهه، و قد كان عند الله وجيها فی الدنيا و فی الآخرة.

فرأيت أن أضم إلى التبرك به ﷺ بابا يتعلق بمحبته ﷺ.



تعريف المحبة

فى (المواهب اللدنية) للحافظ القسطلانى: قال بعض المحققين: حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التى لا تحد، و إنما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه، و قال القيم فى (مدارج السالكين) تبعا لغيره: و المحبة لا تحد بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء، فحدها وجودها، و لا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، و إنما يتكلم الناس فى أسبابها و موجباتها و علاماتها و شواهدها و ثمراتها و أحكامها، فتنوعت بهم العبارات و كثرت الإشارات بحسب الإدراك و المقام و الحال انتهى. و قال بعضهم: بل يمكن تعريفها، ثم اختلفوا فيه فقال القاضى عياض فى (الشفا بتعريف حقوق المصطفى): حقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان، و تكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه، كحب الصور الجميلة و الأصوات الحسنة و الأطعمة و الأشربة اللذيذة و أشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له، و إما لا ستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله معانى باطنة شريفة، كحب الصالحين و العلماء و أهل المعروف المأثور عنهم السير الجميلة و الأفعال الحسنة، و إما أن يكون حبه أياه لموافقته له من جهة إحسانه له و إنعامه عليه، فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، فإذا تقرر لك هذا نظرت لهذه الأسباب كلها فى حقه ﷺ فعلمت أنه ﷺ جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة، أما جمال الصورة و كمال الأخلاق فقد كان عليه الصلاة و السلام على غاية الكمال فيهما، و أما إحسانه و إنعامه على أمته فقد ذكر الله سبحانه أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، و رحمة للعالمين، و أنه كان مبشرا و نذيرا، و داعيا إلى الله بإذنه، و يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يهديهم إلى صراط مستقيم، فأى

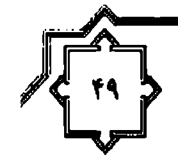
إحسان أجل قدرا و أعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين، إذ كان منقـذهم من العماية، و داعيهم إلى الفلاح و الكرامة، و وسيلتهم إلـى ربهـم و شـفيعهم، فقد استبان لك أنه ﷺ مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا و عادة و جبلة انتهـى ما نقلته من (الشفاء) باختصار و تصرف يسير، و ذكر بعض ذلـك النـووى فـى شرح مسلم.

و قال الجنيد: سمعت الحارث المحاسبى يقـول: المحبـة ميلـك إلـى الـشىء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك و روحك و مالـك، ثـم موافقتـك لـه سرا و جهر، ثم علمك بتقصيرك فى حبه. و مما قيل فيها: أن تمحو من القلب ما سـوى المحبوب، و كمال المحبة يقتضى ذلك، فإنه ما دامت فـى القلـب بقيـة لغـيره، و مسكن لغيره، فالمحبة مدخولة. و منها أن تهب كلك لمن أحببت فـلا يبقـى لـك منك شىء و هو لأبى عبد الله القرشى. و المراد: أن تهب إرادتـك و عزماتـك و أفعالك و نفسك و مالك و وقتك لمن تحبه، و منها استكثار القليل من محبوبـك، و استقلال الكثير من نفسك، و هو لأبى يزيد البسطامى.

و المحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله و لـو نالـه مـن محبوبه أيسر شىء لاستكثره و استعظمه و منهـا: موافقـة الحبيـب فـى المـشهد و المغيب.

و منها: أن تغار علـى المحبـوب أن يحبـه مثلـك، و هـو للـشبلى، و مـراده: احتقارك لنفسك و استصغارها أن يكون مثلك يحبه.

و فى (الشفاء) و شرحه للخفاجى أن الإمام سفيان قال: المحبة اتباع رسول الله ﷺ، كأنه التفت إلى قوله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى ـ الآيـة. و قال بعضهم: محبة الرسول ﷺ اعتقاد نصرته، و الذب عن سنته، و الانقياد لهـا و هيبة مخالفته. و قال بعضهم: المحبة دوام الذكر للمحبوب، و قال آخـر: إيثـار المحبوب، و قال بعضهم: المحبة الشوق إلى المحبوب اهـ...



نبذة من علامات محبته ﷺ

قال الحافظ فى (فتح البارى): و من علامات محبته نصر دينه بالقول و الفعل، و الذب عن شريعته، و التخلق بأخلاقه، و الله أعلم.

و فى (المواهب اللدنية): و من علامات محبته ﷺ أن يلتذ محبه بذكره الشريف، و يطرب عند سماع اسمه المنيف، و قد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه و روحه و سمعه و بصره، و سبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل، و سبب اللذة إدراك المحبوب عليه الصلاة و السلام، فإذا كانت المحبة قوية و إدراك المحبوب قويا، كانت اللذة بإدراكه تابعة لقوة هذين الأمرين. و قد يكون سبب السكر قوة الفرح بإدراك المحبوب، بحيث يختلط كلامه و تتغير أفعاله مثل شارب الخمر، و ربما قتله هذا الفرح. و من هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته فى المفازة بعد أن استشعر بالموت: اللهم أنت عبدى و أنا ربك، أخطأ من شدة الفرح، و سكرة الفرح فوق سكرة الشراب.

و فى (المواهب اللدنية) أيضا: قال القرطبى: كل من آمن بالنبى ﷺ إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شىء من المحبة الراجحة، غير انهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، و منهم من أخذ بالحظ الأدنى، كم كان مستغرقا بالشهوات محجوبا بالغفلات فى أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبى ﷺ اشتاق إلى رؤيته، بحيث يؤثرها على أهله و ماله و ولده، و يبذل نفسه فى الأمور الخطيرة، و قد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره، و رؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر، لما وقر فى قلوبهم من محبته ﷺ، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالى الغفلات انتهى كلام القرطبى ملخصا. فكل مسلم فى قلبه محبة الله ورسوله، إذ لا يدخل الإسلام إلا بها، و لكن الناس متفاوتون فى محبته ﷺ بحسب استحضار ما وصل إليهم من جهته

من وجوه النفع الشامل لخير الدارين و الغفلة عن ذلك و لا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم، لأن هذا ثمرة المعرفة و هم بها أعلم انتهى ما نقلته من (المواهب).

و مما يدل على مزيد محبته ﷺ كما في (الشفاء) الاقتداء به، و استعمال سنته، و اتباع أقواله و أفعاله، و امتثال أوامره، و اجتناب نواهيه، و التأدب بآدابه في عسره و يسره، و منشطه و مكرهه، و شاهد هذا قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ و إيثار ما شرعه و حض عليه على هوى نفسه و موافقة شهوته، فمن اتصف بهذه الصفات فهو كامل المحبة لله و رسوله، و من خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة، و لا يخرج عن اسمها و دليله قوله ﷺ للذي حده في الخمر و لعنه بعضهم: لا تلعنه فإنه يحب الله و رسوله. و في (الحاوي للفتاوي) أن السيوطي سئل هل يدخل أحد الجنة بمحبة النبي ﷺ و هو عاص، و تارك بعض الفرائض؟ فأجاب بقوله نعم.

و من علامات محبته ﷺ كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر ذكره. و منها كثرة شوقه إلى لقائه، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه، و في حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون: غدا نلقى الأحبة، محمدا و صحبه. و منها تعظيمه ﷺ و توقيره عند ذكره، و إظهار الخشوع و الانكسار مع سماع اسمه، قال إسحاق التجيبي: كان أصحاب النبي ﷺ بعده لا يذكرونه إلا خشعوا و اقشعرت جلودهم و بكوا و كذلك كثير من التابعين، منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه، و منهم من يفعله تهيبا و توقيرا. قلت: و كثيرا ما يحصل الاهتزاز و الرقص و التمايل و نحوها عند اشتعال نيران المحبة في قلوب العاشقين و هيجان الشوق فيها، قال الشيخ أبو مدين:

فقل للذي ينهى عن الوجد أهله ... إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
إذا اهتزت الأرواح شوقا إلى اللقا ... ترقصت الأشباح يا جاهل المعنى

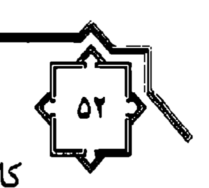


و فى (الفتاوى الحديثية) لابن حجر الهيتمى ص٢٥٥ أنه سئل عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له أصل؟ فأجاب بقوله، نعم له أصل، فقد روى فى الحديث أن جعفر بن أبى طالب ﷺ رقص بين يدى النبى ﷺ لما قال له: أشبهت خلقى و خلقى، و ذلك من لذة هذا الخطاب و لم ينكر عليه ﷺ، و قد صح القيام و الرقص عن جماعة من أكابر الأئمة، منهم عز الدين شيخ الإسلام بن عبد السلام اهـ... و روى الإمام أحمد فى مسنده ج٣ ص١٨٧ عن أنس قال: كانت الحبشة يزفنون بين يدى رسول الله ﷺ و يرقصون و يقولون: محمد عبد صالح، فقال رسول الله ﷺ: ما يقولون؟ قالوا: يقولون: محمد عبد صالح اهـ. و فى كتاب (حقيقة التوسل و الوسيلة) أن الحافظ المقدسى أخرج هذا الحديث أيضا و أن رجاله رجال الصحيح. و الزفن: الرقص كما فى (القاموس).

و منها: محبة أهل بيته و ذريته و أصحابه و كل من له علاقة و اتصال به ﷺ، حتى إن بعض الصحابة و غيرهم كانوا يسرون برؤية من له أدنى شبه بصورته الكريمة و يخشعون لذلك و يتذكرون بها صورته ﷺ، فتهيج بهم حينئذ لوعة الحب و الشوق إليه ﷺ، ففى (المواهب اللدنية) أن أبا بكر الصديق ﷺ حمل الحسن و هو يقول:

بأبى شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى

و على يضحك اهـ. و البيت من مجزو الكامل. يعنى هو مفدى بأبى، و شبيه خبر بعد خبر، و فى (المواهب اللدنية) أيضا و (الشفاء): بلغ معاوية أن كابس بن ربيعة يشبه النبى ﷺ فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره و قبل بين عينيه، و أقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله ﷺ اهـ. و المرغاب: بكسر فسكون و غين معجمة اسم أرض بمرو أو قرية بهراة.



و فى (المواهب) و شرحه ج٩ ص٢٦٩ أن أنس بن مالك كان إذا رأى كابسا بكى شوقا له ﷺ.

و كان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يحب كل ما يحبه رسول الله ﷺ، قال ابن حجر الهيتمى فى (شرح الشمائل) ص٢٢٢ فى شرح حديث أنس رأيت النبى ﷺ يتتبع الدباء حوالى القصعة، فلم أزل أحب الدباء من يومئذ. و فى الحديث فوائد، منها أنه تسن محبة الدباء لمحبة رسول الله ﷺ و كذا كل شىء يحبه ذكره النووى اهـ...

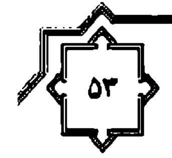
و منها محبته لمن أحب النبى ﷺ.

و منها: بغض من ابغض الله و رسوله و معاداة و مجانبة من خالف سنته و ابتدع فى دينه، و استثقاله كل من يخالف شريعته، هؤلاء أصحابه ﷺ قد قتلوا أحباءهم، و قاتلوا آباءهم و أبناءهم فى مرضاته ﷺ، و قال له عبد الله بن عبد الله بن أبى: لو شئت لأتيتك برأسه يعنى أباه.

و منها: محبة القرآن الذى أتى به ﷺ، و هدى به و اهتدى و تخلق به، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن، و حب القرآن تلاوته و العمل به، و الوقوف عند حدوده، قال سهل بن عبد الله التستري: علامة حب الله حب القرآن و علامة حب القرآن حب النبى ﷺ، و علامة حب النبى ﷺ حب السنة، و علامة حب السنة حب الآخرة، و علامة حب الآخرة بغض الدنيا، و علامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زادا و بلغة إلى الآخرة.

و منها: شفقته على أمته ﷺ و نصحه لهم و سعيه فى مصالحهم و رفع المضار عنهم، كما كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفا رحيما.

و منها: زهد مدعى المحبة فى الدنيا، و إيثاره الفقر.



حب الرسول ﷺ من الإيمان

روى البخارى فى باب حب الرسول ﷺ من الإيمان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده و ولده، و فى رواية أنس زيادة و الناس أجمعين اهـ.. ذكره البخارى فى كتاب الإيمان، و ذكره مسلم فى باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل و الناس أجمعين، و لفظه: عن أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده و والده و الناس أجمعين. قال النووى فى شرح هذا الحديث: قال الإمام أبو سليمان الخطابى: لم يرد به حب الطبع، بل أراد به حب الاختيار، لان حب الإنسان نفسه طبع، قال: فمعنى الحديث لا تصدق فى حبى حتى تفنى فى طاعتى نفسك، و تؤثر رضاى على هواك و إن كان فيه هلاكك، هذا كلام الخطابى. و قال ابن بطال والقاضى عياض و غيرهما: المحبة ثلاثة أقسام: إجلال و إعظام كمحبة الوالد، و محبة الشفقة و الرحمة كمحبة الولد، و محبة مشاكلة و استحسان كمحبة سائر الناس، فجيمع أصناف المحبة فى محبته ﷺ.

تنال حلاوة الإيمان بمحبة الله و محبة رسوله ﷺ

روى البخارى و مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، و حتى أن يقذف فى النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى، و حتى يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما. و قال الحافظ فى (الفتح): معنى هذا الحديث إن من استكمل الإيمان علم أن حق الله و رسوله ﷺ آكد فيه من حق أبيه و أمه و ولده و زوجه و الناس أجمعين، لأن الهدى من الضلال و الخلاص من النار إنما

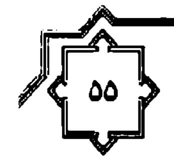
كان بالله على لسان رسوله، و قال أيضا فى شرح كتاب الإيمان: قوله ﷺ مما سواهما للإيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحد منهما، فإنها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى، فمن يدعى حب الله مثلا و لا يحب رسوله لا ينفعه ذلك.

و قال الإمام النووى فى شرح مسلم: قال العلماء ﷺ: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات، و تحمل المشقات فى رضا الله عز و جل و رسوله و ﷺ، و إيثار ذلك على عرض الدنيا، و محبة العبد ربه سبحانه و تعالى بفعل طاعته و ترك مخالفته، و كذلك محبة رسول الله ﷺ انتهى.

ثواب المحبة و ثمارها

و من فوائد محبته ﷺ و ثمارها إثابة المحب بمعيته ﷺ، فقد قال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب. فمن أحبه ﷺ فى الدنيا يكون فى القيامة معه، و روى حديث: المرء مع من أحب بألفاظ مختلفة، منها ما رواه البخارى فى باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبى ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: و ماذا أعددت لها؟ قال: لا شىء إلا أنى أحب الله و رسوله، فقال: أنت مع من أحببت، قال أنس: فما فرحنا بشىء فرحنا بقول النبى ﷺ أنت مع من احببت، قال أنس: فأنا أحب النبى ﷺ و أبا بكر و عمر، أرجو أن أكون معهم بحبى أياهم و إن لم أعمل بمثل أعمالهم. و ذكره البخارى أيضا فى (باب ما جاء فى قول الرجل ويلك) من كتاب الأدب.

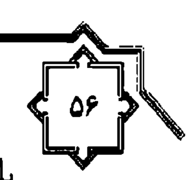
و روى القاضى عياض بسنده عن أنس أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة و لا صيام و لا صدقة، و لكنى أحب الله و رسوله، قال: أنت مع من أحببت. قال



على قاريء نقلا عن (الجامع الصغير) للسيوطى: روى حديث أنت مع من أحببت الشيخان و أبو داود و الترمذى و النسائى و أحمد، و فى رواية الترمذى: أنت مع من أحببت و له ما اكتسب اهـ. (الشفاء) و شرحه.

قال الحافظ فى (فتح البارى): قد جمع أبو نعيم طرق هذا الحديث فى جزء سماه (كتاب المحبين مع المحبوبين) و بلغ الصحابة فيه نحو عشرين، و قال الحافظ: أخرج أبو نعيم عن أنس: إنك مع من أحببت و لك ما احتسبت، و أخرج أيضا عن أنس: المرء مع من أحب، و له ما اكتسب، و أخرج أيضا عن عبد الله أنت مع من أحببت و عليك ما اكتسبت ـ الحديث.

و فى (الشفاء) للقاضى عياض و شرحه للشهاب الخفاجى: أن رجلا كان عند النبى ﷺ ينظر إليه لا يطرف، فقال له ﷺ: ما بالك؟ قال: بأبى أنت و أمى، أتمتع بالنظر إليك، فإذا كان يوم القيامة رفعك الله، فأنزل الله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً﴾. و قوله: لا يطرف أى لا يطبق أحد جفنيه على الآخر. و روى الطبرانى و ابن مردويه عن عائشة و ابن عباس رضي الله عنهم أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: لأنت أحب إلىّ من أهلى و مالى، و إنى لأذكرك فما أصبر عنك حتى أنظر إليك و إنى ذكرت موتى و موتك، فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، و إن دخلتها لا أراك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً﴾، فدعا به ﷺ فقرأها عليه. و فى تفسير القرطبى: أنه لما قرأها ﷺ دعا الله أن يعميه حتى لا يرى أحدا غيره فى الدنيا فعمى مكانه. و قوله: إنى لأذكرك، يعنى أتذكرك فى ذهنى و أتصورك، أو أذكر اسمك و صفاتك اهـ...

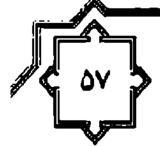


و فى (المواهب اللدنية): ذكر ابن ظفر فى (ينبوع الحياة) اسم ـ تفسيره ـ بلفظ: أن عامرا الشعبى قال: إن رجلا من الأنصار أتى إلى النبى ﷺ فقال: و الله لأنت يا رسول الله أحب إلى من نفسى و مالى و ولدى و أهلى، و لولا أنا آتيك فأراك لرأيت أن أموت، و بكى الأنصارى، فقال له النبى ﷺ: ما أبكاك؟ قال: بكيت أن ذكرت أنك تموت و نموت و ترفع مع النبيين، و نكون نحن إن دخلنا الجنة دونك، فلم يحر النبى ﷺ إليه أى لم يرجع إليه، فأنزل الله الآية. و حار إليه يحور رجع إليه، أى لم يرده النبى ﷺ بالجواب، و أنزل الله الآية.

قال ابن ظفر: و ذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا، و قال: هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصارى الذى رأى الأذان.

و من ثمار محبة الله تعالى و محبة رسوله ﷺ و فائدتها ارتفاع مشقة العبادات و ثقلها، و ذلك لأن المحب الصادق فى المحبة يستلذ بخدمة محبوبه، و يفرح بامتثال أوامره، فيجد لذة و راحة و طمأنينة فى صيام نهاره و قيام ليله، و فى جميع أوراده و أنواع عباداته و أذكاره، فيزول عند صفاء المحبة موانع الخدمة و عوائق السير إلى حضرة ذى الجلال و الإكرام، و تنبعث النفس على مباشرة أنواع الخيرات، و تكره المعاصى و متابعة الشهوات، و يكون ذلك طبعا لها فتسر بالطاعة و تستلذ بها و لا تصبر عنها و تزول عنها كلفة العبادات و الاستثقال لفعلها، و يكون بدلا عن ذلك كراهيتها لعمل المعاصى و المنكرات، حتى إن بعض الصالحين كان إذا رأى من يعصى ربه استنكرت ذلك نفسه و استقبحته و يتألم به فيبول بالدم، و بعضهم كان تأخذه القشعريرة و الانقباض عند رؤية المعاصى.

و فى (المواهب اللدنية) نقلا عن المحاسبى، علامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضاة الله، و التمسك بسنن رسول الله ﷺ فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان



و وجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه و لسانه، فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى و ما والاه، و أسرعت الجوارح إلى طاعة الله، فحينئذ يدخل حب الإيمان فى القلب كما يدخل حب الماء البارد فى اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش، فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها، بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه و سرورا له، و قرة عين فى حقه، و تنعما لروحه، يلتذبها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد فى أوراد العبادة كلفة اهـ...

و فى (الزرقانى) على (المواهب) ج٩ ص١٠٠: قال عتبة الغلام: كابدت الصلاة عشرين سنة، ثم استمتعت بها بقية عمري، و قال إبراهيم بن أدهم: و الله إنا لفى لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف. و قال الجنيد: أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم اهـ...

و قال السيد أحمد بن أدريس: أكبر غذاء لنفسى ذكر الله و لو أتركه ساعة لم أستطع.

و قيل فى تفسير قوله تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾: جنة مؤجلة فى دار الجزاء و الحساب، و جنة معجلة فى دار الدنيا و هى حلاوة الطاعة، فمن أذاقه الله حلاوة الطاعة و لذة محبة الله و محبة رسوله ﷺ تكون له العبادة كالنفس، لا كلفة فيها، بل يستلذ بها كما يستلذ العطشان بالماء البارد، و الجائع بالطعام.

باب ما روي عن الصحابة و السلف الصالح و الأئمة من محبتهم للنبي ﷺ و شوقهم إليه

روى البخارى فى كتاب المناقب و مسلم فى كتاب الفضائل فى باب فضل النظر إليه ﷺ عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: ليأتين على أحدكم

زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله و ماله. قال الحافظ في (الفتح): كل أحد يكون بعد الصحابة إلى زماننا هذا يتمنى لو كان رآه ﷺ و فقد مثل أهله و ماله، فكيف بالصحابة رضي الله عنهم مع عظيم منزلته عندهم و محبتهم فيه، و روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله و ماله.

و في (المواهب اللدنية) أخرج الأنصاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا بكر ليت أني لقيت إخواني، فقال أبوبكر: يا رسول الله نحن إخوانك، قال: لا، أنتم أصحابي، أخواني الذين لم يروني و صدقوني و أحبوني، حتى إني لأحب إلى أحدهم من ولده و والده، قالوا: يا رسول الله أما نحن إخوانك؟ قال: لا، أنتم أصحابي، ألا تحب يا أبا بكر قوما أحبوك بحبي إياك؟ قال: فأحبهم ما أحبوك بحبي إيّاك. قال الزرقاني: أمر يعني النبي ﷺ له بذلك صريحا بعد حثه عليه.

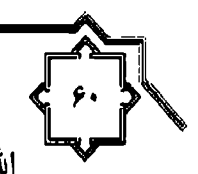
و في (فتح الباري) للحافظ العسقلاني ما حاصله: و في (دلائل النبوة) للبيهقي: أن أبا بكر ليلة انطلق مع رسول الله ﷺ إلى الغار كان يمشي بين يديه ساعة، و من خلفه ساعة، فسأله: فقال: إذكر الطلب فأمشي خلفك، و إذكر الرصد فأمشي أمامك، فقا: لو كان شيء أحببت أن تقتل دوني؟ فقال: إي و الذي بعثك بالحق، فلما انتهيا إلى الغار قال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرى لك الغاز فاستبرأه. ذكر نحوه أبو القاسم البغوي و ابن هشام اهـ. من (الفتح).

و روى البيهقي في (دلائل النبوة) ج٢ ص٤٧٧ بسنده عن ضبة بن محصن العنزي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة ذكرها قال: فقال عمر: و الله لليلة من أبي بكر و يوم خير من عُمر عمر، هل لك أن أحدثك ليلته و يومه؟ قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: أما ليلته فلما خرج رسول الله ﷺ من مكة



خرج ليلا فتبعه أبو بكر، فجعل يمشي مرة أمامه و مرة خلفه، و مرة عن يمينه، و مرة عن يساره، فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا يا ابابكر؟ ما أعرف هذا من فعلك قال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، و أذكر الطلب فأكون خلفك، و مرة عن يمينك و مرة عن يسارك لا آمن عليك، قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه، فلما رآه أبوبكر رضي الله عنه أنها قد حفيت حمله على كاهله، و جعل يشتد به حتى أتى به فم الغار فأنزله، ثم قال: و الذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله، فإن كان فيه شيءنزل بي قبلك فدخل فلم ير شيئا، فحمله فأدخله، و كان في الغار خرق فيه حيات و أفاعى، فخشى أبوبكر أن يخرج منهن شيء يؤذى رسول الله، فألقمه قدمه فجعلن يضربنه و يلسعنه الحيات و الأفاعى، و جعلت دموعه تنحدر و رسول الله ﷺ يقول له: يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته الإطمئنانية لأبى بكر فهذه ليلته، و أما يومه فلما توفى رسول الله ﷺ و ارتدت العرب فقال بعضهم: نصلى و لا نزكى، و قال بعضهم: لا نصلى و لا نزكى فأتيته و لا آلوه نصحا، قلت: يا خليفة رسول الله تألف الناس و ارفق بهم، فقال: جبار فى الجاهلية خوّار فى الإسلام، فبماذا أتألفهم؟ أبشعر مفتعل أو بشعر مفترى؟ قبض النبى و ارتفع الوحي، فوالله لو منعونى عقالا مما كانوا يعطون رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، قال: فقاتلنا معه فكان و الله رشيد الأمر، فهذا يومه اهـ. و الخوّار الضعيف، و فى رواية: أجبار ـ بهمزة الإستفهام.

و فى (البداية و النهاية) قال ابن إسحاق: عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أتانا رسول الله ﷺ ـ أى فى بيت أبيها ـ و قال: إن الله قد إذن لى فى الخروج و الهجرة، قالت فقال: أبوبكر الصحبة يا رسول الله، قال: الصحبة، قالت فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبابكر يومئذ يبكى اهـ. باختصار.



و فى (المواهى اللدنية) روى أن أبا بكر قال: نظرت إلى قدمي رسول الله ﷺ فى الغار و قد تقطرتا دما فبكيت و علمت أنه ﷺ لم يكن تعود الحفى و الجفوة أى لم يتعود جفوة قومه له قال الزرقاني: و إنما بكى أبوبكر لما علم من رقة قلبه و شدة حبه للمصطفى المقتضى لغلبة البكاء. و فى (المواهب اللدنية) أيضا: روى ابن رزين أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله ﷺ ليقيه بنفسه، و أنه رأى جحرا فيه فألقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذى رسول الله ﷺ، فجعلت الحيات و الأفاعى تضربنه و تلسعنه فجعل دموعه تنحدر، و فى رواية فدخل رسول الله ﷺ و وضع رأسه فى حجر أبى بكر و نام، فلدغ أبوبكر فى رجله من الجحر و لم يتحرك، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ، فقال: ما لك يا أبابكر؟ قال: لدغت فداك أبى و أمى، فتفل عليه رسول ﷺ فذهب ما يجده.

و روى الحافظ أبو نعيم فى (حلية الأولياء) بسنده عن أنس بن مالك قال: لما كان ليلة الغار قال أبوبكر: يا رسول الله دعنى أخل قبلك، فإن كانت حية أو شيء كانت لى قبلك، قال: ادخل، فدخل أبوبكر فجعل يلتمس بيده، فكلما رأى جحرا جاء بثوبه فشقة ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بجميع ثوبه أجمع، فبقى جحر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله ﷺ، قال: فلما أصبح قال له النبي ﷺ: فأين ثوبك يا أبابكر؟ فأخبره بالذى صنع، فرفع النبى ﷺ يديه و قال: اللهم اجعل أبابكر معى فى درجتى يوم القيامة، فأوحى الله تعالى إليه: إن الله تعالى قد استجاب لك. ذكره أيضا الحافظ ابن الجوزى فى (صفة الصفوة) اهـ..

و فى (المواهب اللدنية) و شرحه للزرقانى روى أنه عليه الصلاة و السلام لما قال: حبب إلى من دنياكم ثلاث: النساء، و الطيب، و جعلت قرة عينى فى الصلاة، قال أبو بكر الصديق: و أنا يا رسول الله حبب إلى من الدنيا النظر إلى



وجهك و جمع المال للإنفاق عليك، و التوسل بقرابتك، أى التوسل إليك بقرابتك كعلى و العباس و فاطمة. و قال عمر: و أنا حبب إلى من الدنيا ثلاث: الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر و القيام بأمر الله. و قال عثمان: و أنا يا رسول الله حبب إلىّ من الدنيا ثلاث: الصوم فى الصيف، و إقراء الضيف، و الضرب بين يديك بالسيف. قال الطبرى محب الدين رواه الجندى بفتحتين كذا قال و العهدة عليه اهـ..

و أخرج أبو داود فى كتاب الزكاة من سننه و الحافظ أبو نعيم فى (حلية الأولياء) عن زيد بن أرقم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب ﵁ يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق و وافق ذلك مالا عندى، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي، قال: فقال لى رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟

قلت: مثله و أتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله و رسوله، فقلت: لا أسابقك إلى شىء أبدا.

و فى (المواهب اللدنية) أن رسول الله ﷺ أمر ليلة خروجه إلى الغار على بن أبى طالب فنام مكانه و غطى ببرد له ﷺ، فكان أول من شرى نفسه فى الله، و وقى بها رسول الله ﷺ، و فى ذلك يقول على:

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإله من المكر

روى البيهقى فى (دلائل النبوة) ج٥ ص٣٢٧ بسنده عن هود بن عبد الله بن سعيد أنه سمع مزيدة العصرى قال: بينما النبى ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق، فقام عمر فتوجه نحوهم فلقى ثلاثة عشر راكبا، فقال: من القوم؟ قالوا: من بنى عبد القيس، قال: فما

أقدمكم هذه البلاد أتجارة؟ قالوا: لا قال: أما إن النبى ﷺ قد ذكركم آنفا فقال خيرا، ثم مشى معهم حتى أتو النبى ﷺ، فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذى تريدونه، فرمى القوم بأنفسهم من ركائبهم فمنهم من مشى إليه، و منهم من هرول، و منهم من سعى، حتى أتوا النبى ﷺ فأخذوا بيده فقبلوها، و تخلف الأشج فى الركاب حتى أناخها، و جمع متاع القوم ثم جاء يمشى حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها، فقال له النبى ﷺ: إن فيك خلتين يحبهما الله و رسوله ـ الحديث، و فى رواية أخرى للبيهقى عن زارع و كان فى وفد عبد القيس قال: فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ و رجله ـ الحديث قال الحافظ فى (فتح البارى) و أخرجه أيضا البخارى فى (الأدب المفرد) مطولا. و فى (البداية و النهاية): إن الإمام أحمد رحمه الله رواه بسنده عن هند بنت الوازع عن أبيها فذكر نحوه مع زيادة.

قلت: مزيدة رجل، و هو مزيدة بن مالك بن همام العبدى العصرى، و هو جد هود بن عبد الله العصرى لأمه، و هذا هو المعتمد، و وهم من جعله امرأة، قال البخارى: مزيدة العصرى له صحبة، ذكر ذلك كله الحافظ فى (الإصابة). و عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما كان أحد أحب إلى من رسول الله ﷺ. و عن عبدة بنت خالد بن معدان قالت: ما كان خالد يأوى إلى فراش إلا و هو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ، و إلى أصحابه من المهاجرين و الانصار، يسميهم و يقول: هم أصلى و فصلى، و إليهم يحن قلبى، طال شوقى إليهم فاجعل رب قبضى إليك حتى يغلبه النوم. و روى عن أبى بكر رضي الله عنه أنه قال للنبى ﷺ: و الذى بعثك بالحق لإسلام أبى طالب كان أقر بعينى من إسلامه ـ يعين أباه أبا قحافة ـ و ذلك إن إسلام أبى طالب كان أقر لعينك. و عن عمر بن الخطاب قال للعباس رضي الله عنه، أن تسلم أحب إلى من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله ﷺ.



و فی (کنز العمال) فی باب فضائل الصحابة من کتاب الفضائل / حرف المیم عن عمر قال: نظر رسول الله ﷺ إلی مصعب بن عمیر مقبلا علیه إهاب کبش قد تنطّق به فقال النبی ﷺ: انظروا إلی هذا الذی نوّر الله قلبه، لقد رأیته بین أبوین یغذونه أطیب الطعام و الشراب، لقد رأیت علیه حلّة اشتُرِیَت بمائتی درهم، فدعاه حب الله و حب رسوله إلی ما ترون. رواه الحسن بن سفیان و أبو عبدالرحمن السلمی فی الأربعین، و أبو نعیم فی الأربعین الصوفیة، و البیهقی و الدیلمی و الحاکم.

و عن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها و أخوها و زوجها یوم أحد مع رسول الله ﷺ، فقالت ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا خیرا، هو بحمد الله کما تحبین، قالت: أرنیه حتی أنظر إلیه فلما رأته قالت: کل مصیبة بعدك جلل.

و سئل علی بن أبی طالب رضی الله عنه کیف کان حبکم لرسول الله ﷺ؟ قال: کان و الله أحب إلینا من أموالنا و أولادنا و آبائنا و أمهاتنا، و من الماء البارد علی الظمأ.

و روی أن عبد الله بن عمر خدرت رجله، فقیل له: اذکر أحب الناس إلیك یزل عنك فصاح یا محمداه فانتشرت. و لما احتضر بلال رضی الله عنه نادت امرأته واحزناه، فقال وا طرباه غدا ألقی الأحبة محمدا و حزبه.

و یروی أن امرأة قالت لعائشة رضی الله عنها: اکشفی لی قبر رسول الله ﷺ فکشفته لها، فبکت حتی ماتت. لما أخرج أهل مکة زید بن الدثنه من الحرم لیقتلوه قال له أبو سفیان بن حرب: أنشدك الله یا زید، أتحب أن محمدا الآن عندنا مکانك یضرب عنقه و أنك فی أهلك؟ فقال زید: و الله ما أحب أن محمدا الآن فی مکانه الذی هو فیه تصیبه شوکة و إنی جالس فی أهلی، فقال أبو سفیان: ما رأیت من الناس أحدا یحب أحدا کحب أصحاب محمد محمدا اهـ. و

في كتاب (حياة الصحابة): أخرج الطبراني عن حصين بن وحوح الأنصاري أن طلحة بن البراء ﵁ لما لقي النبي ﷺ فجعل يلصق برسول الله ﷺ و يقبل قدميه، قال: يا رسول الله، مرني بما أحببت و لا أعصى لك أمرا، فعجب لذلك النبي ﷺ و هو غلام، فقال له عند ذلك: اذهب فاقتل أباك، فخرج موليا ليفعل، فدعاه فقال له: أقبل فإني لم أبعث بقطيعة رحم. ذكر ذلك أيضا الهيثمي في (مجمع الزوائد) في باب ما جاء في طلحة بن البراء ج٩ ص٣٦٥: وزاد فيه فمرض طلحة بعد ذلك فأتاه النبي ﷺ يعوده في الشتاء في غيم و برد، فلما انصرف قال: لا أرى طلحة إلا حدث به الموت، فآذنوني حتى أشهده و أصلي عليه و أعجل، فلم يبلغ النبي ﷺ بني صال بن عوف حتى توفي و جن عليه الليل، و كان فيما قال طلحة: ادفنوني و ألحقوني بربي تبارك و تعالى، و لا تدعو رسول الله ﷺ، فإنّي أخاف عليه اليهود فيصاب في سببي، فأخبر النبي ﷺ حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبره وصف الناس معه حتى قال: اللهم الق طلحة تضحك إليه و يضحك إليك. رواه الطبراني في الأوسط: و قد روى أبو داود بعض هذا الحديث و سكت عليه فهو حسن إن شاء الله. و في رواية أخرى عن طلحة بن مسكين أنه مرض فعاده النبي فوجده مغمى عليه، فقال النبي ﷺ: ما أظن طلحة إلا مقبوضا من ليلته، فإن أفاق فأرسلوا إليّ فأفاق طلحة في جوف الليل فقال ما عادني النبي ﷺ؟ قالوا: بلى فأخبروه بما قال، فقال: لا ترسلوا إليه في هذه الساعة فتلسعه دابة أو يصيبه شيء، و لكن إذا فقدت فأقرأوا مني السلام و قولوا له فليستغفر لي، فلما صلى النبي ﷺ الصبح سأل عنه فأخبروه بموته و بما قال، قال: فرفع رسول الله ﷺ يده و قال: اللهم القه يضحك إليك و أنت تضحك إليه.



و فى (صحيح مسلم) فى باب قضاء صلاة الفائتة قال أبو قتادة: بينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابهار الليل أنا إلى جنبه قال: فنعس رسول الله ﷺ فمال عن راحلته فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته، قال: ثم سار حتى تَهَوَّر الليل مال عن راحلته، قال: فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته قال: ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هى أشد من الميلتين الأوليين حتى كاد ينجفل فأتيته فدعمته فرع رأسه فقال: من هذا؟ قلت: أبو قتادة، قال: متى كان هذا مسيرك منى؟ قلت؟ مازال هذا مسيرى منذ الليلة، قال: حفظك الله بما حفظت به نبيه اهـ... قوله (ابهار الليل) أى انتصف، و قوله (فدعمته) أى أقمت ميله من النوم و صرت تحته كالدعامة للبناء فوقها، و قوله (تهور الليل) أى ذهب أكثره مأخوذ من تهور البناء و هو انهدامه، و قوله (ينجفل) أى يسقط.

و فى (المواهب اللدنية) للحافظ القسطلانى: كان السختيانى إذا ذكر النبى صلى الله عنده بكى حتى نرحمه، و كان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم، و إذا ذكر عنده النبى ﷺ اصفر لونه، و كان عبدالرحمن بن قاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق إذا ذكر النبى ﷺ ينظر إلى لونه كأنه قد نزف منه الدم و قد جف لسانه فى فمه هيبة لرسول الله ﷺ. و (نزف) بضم النون و كسر الزاى أى سال عنه الدم و لم يبق منه شىء، و كان عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبى ﷺ بكى حتى لا يبقى فى عينه دموع، و كان الزهرى محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبد الله بن شهام من أهنأ الناس و أقربهم ـ أى فى المودة ـ فإذا ذكر عنده النبى ﷺ فكأنك ما عرفته و لا عرفك. و كان صفوان بن سليم ـ بضم السين ـ من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذكر عنده النبى ﷺ بكى، فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس عنه و يتركوه. و كان قتادة إذا سمع الحديث يقرأ عنده أخذه العويل

و البكاء. يحكى أنه رؤيت امرأة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها: ما فعل الله بك قالت: غفر لى، قيل: بماذا؟ قالت: بمحبتى لرسول الله ﷺ و شهوتى النظر إليه، فنوديت من اشتهى النظر إلى حبيبنا نستحيى أن نذله بعتابنا، بل نجمع بينه و بين من يحبه اهـ..

و فى (الشفاء) للقاضى عياض: قال مصعب بن عبد الله: كان الإمام مالك إذا ذكر النبى ﷺ يتغير لونه و ينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوما فى ذلك: فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علىّ ما ترون، و لقد كنت أرى محمد بن المنكدر و كان سيد القراء لا تكاد تسئله عن حديث أبدا إلا يبكى حتى نرحمه.

و لقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير، فإذا ذكر عنده النبى ﷺ بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموعه و لم كثر على مالك الناس قيل له: لو جلعت مستمليا يسمعهم، فقال: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، و حرمته حيا و ميتا سواء. و كان عبدالرحمن بن مهدى إذا قرأ حديث النبى ﷺ أمرهم بالسكوت و قال: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى. و يتأول أنه يجب له ﷺ من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله، و كان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبى ﷺ خشع، و عن عمرو بن ميمون قال: اختلفت إلى ابن مسعود سنة، فما سمعته يقول: قال رسول الله ﷺ إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله ﷺ، ثم علاه كرب حتى رأيت العرق ينحدر عن جبهته، ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما هو قريب من ذا، و فى رواية فتربد وجهه، و فى رواية و قد تغرغرت عيناه و انتفخت أوداجه.



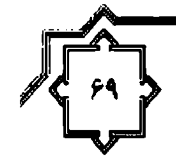
و قال مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله ﷺ توضأو تهيأ و لبس ثيابه ثم يحدّث، قال مصعب: فسئل عن ذلك فقال: إنه حديث رسول الله ﷺ. قال ابن أبي أويس: قال مالك: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ، و لا أحدّث به إلا على طهارة. و كان مالك أيضا إذا أتى إليه الناس يريدون الحديث دخل مغسله فاغتسل و تطيب، و لبس ثيابا جددا و لبس طيلسانه و تعمم، و وضع على رأسه رداءه، و تلقى له منصة أى شيء عال كالكرسى و نحوه، فيخرج و يجلس عليها و عليه الخشوع، و لا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ. و قال عبد الله بن المبارك: كنت عند مالك و هو يحدثنا فلدغه عقرب ستة عشر مرة و هو يتغير لونه و يصفر و لا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فلما فرغ من المجلس و تفرق عنه الناس قلت له: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا، قال: نعم، إنما صبرت أجلالا لحديث رسول الله ﷺ. قال ضرار بن مرة: كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء. و قال عبد الله بن صالح: كان مالك و الليث لا يكتبان الحديث إلا و هما طاهران. و كان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث النبى إلا على وضوء و لا يحدث إلا على طهارة. و كان الأعمش إذا اراد أن يحدث و هوعلى غير وضوء تيمم. و فى (فتح البارى) ج٧، ص٣٧ أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ بعد كلام: و لا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعتك.

و فى (سير أعلام النبلاء) ج٢ ص٥٠٩ و (مجموع الزوائد) ج٩ ص٣٨١ أن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: ما مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت بها و رسول الله ﷺ. و فى (الإصابة) للحافظ العسقلانى ج١ ص٥٨ ـ ٥٩: روى الطبرانى عن الأسلع بن شريك قال: كنت أرحل ناقة النبى ﷺ فأصابتنى جنابة فى ليلة باردة، و أراد رسول الله ﷺ الرحلة، فكرهت أن أرحل ناقته و أنا جنب و

خشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض، فأمرت رجلا من الأنصار فرحلها، و وضعت أحجارا فأسخنت بها ماء فاغتسلت، ثم لحقت رسول ﷺ و أصحابه، فقال: يا أسلع ما لى أراك رحلتك تغيرت؟ فقلت يا رسول الله لم أرحلها رحلها رجل من الأنصار، قال: و لم؟ فقلت: إنى أصابتنى جنابة فخشيت القر على نفسي، فأمرته فرحلها، و وضعت أحجارا فأسخنت ماء فاغتسلت به، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾ إلى قوله ﴿عَفُوّاً غَفُوراً﴾. و روى البخارى عن أنس قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله ﷺ، قال: يشرف النبى ﷺ ينظر الى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبى أنت و أمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحرى دون نحرك يعنى أفديك بنفسي. و يصيبك بالرفع أى لا تشرف فإنه يصيبك سهامهم، و فى رواية يصبك بسكون الموحدة على أنه جواب النهى، قال ذلك كله فى (الفتح).

و فى (المواهب اللدنية) أن «عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصارى الذى رأى الأذان كان يعمل فى جنة له، فأتاه ابنه، فأخبره أن النبى ﷺ توفى، فقال: اللهم أذهب بصرى حتى لا أرى بعد حبيبى محمد ﷺ أحدا فكف بصره. و كان الإمام مالك كما فى (الشفاء) لا يركب بالمدينة دابة، و كان يقول: أستحيى من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة.

و فى (الشفاء) و شرحه (نسيم الرياض) ج٣ ص٤٣٥؛ و عن أحمد بن فضلويه بفتح الفاء و سكون الضاد الزاهد و كان من الرماة الغزاة أنه قال ما مسست القوس بيدى إلا على طهارة منذ بلغنى أن النبى ﷺ أخذ القوس بيده، و إنما فعل ذلك ﵀ احتراما وتشريفا للقسى كلها، و إنما خصها بذلك دون السيف و نحوها لأن السهام كانت فى عصره ﷺ أعظم آلات الحرب و

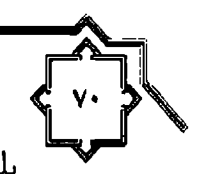


أنفعها، و كانت العرب تـسميها رسـل المنايـا، و فـسر النبـى ﷺ قولـه تعـالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ـ بـالرمي ـ و قـال: ألا إن القـوة الرمـى و كررها ثلاثا اهـ..

و فى (تهذيب تاريخ دمشق) للحافظ ابن عساكر ج٦ ص٨٩: أخرج الحافظ عن سعد أنه أتى النبى ﷺ بصحفة أو جفنة مملـوءة مخـا فقـال: مـا هـذا يـا أبـا ثابت؟ فقال: و الذى بعثك بـالحق لقـد نحـرت أو ذبحـت أربعـين ذات كبـد، فأحببت أن أشبعك من المخ، قال: فأكل و دعا له النبى ﷺ بخير، قال إبـراهيم بن حبيب أحد رواة هذا الحديث: سمعت أن الخيـزران حُـدثت بهـذا الحـديث، فقسمت قسماً من مالها على ولد سعد بن عبادة فقالت: أكافى به ولد سـعد عـن فعله برسول الله ﷺ و كان سعد رضي الله عنه يبعث إلى رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة كل يوم جفنة فيها ثريد بلحم أو بلبن أو بخل أو بزيت أو بسمن، فكانـت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ فى بيوت أزواجه.

و قال الواقدى: جاء سعد و ابنه قيس بزاملة تحمـل زادا يـوم ضـلت زاملـة النبى ﷺ فى حجة الوداع، حتى وجدا رسول الله ﷺ واقفا عند باب داره، قد أتى الله بزاملته، فقال سعد: يا رسول الله بلغنا أن زاملتـك ضـلت العـام و هـذه زاملة مكانها، فقال رسول الله ﷺ: قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بـزاملتكما بـارك الله عليكما، أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا فى ضـيافتك منـذ نزلنـا المدينـة؟ فقال سعد: يا رسول الله المنة لله و لرسوله، و الله يا رسول الله للـذى تأخـذ مـن أموالنا أحب إلينا مما تدع، قال: صدقتم يا أبا ثابت، أبشر فقد أفلحـت اهــ... ملخصا.

و خيزران ام أمير المؤمنين هارون الرشيد. و الزاملة الدابة التى يحمل عليهـا طعام الرجل ومتاعه فى سفره من الإبل و غيرها كما فى (القاموس) و شرحه.



و فى (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبى: أن عبد الوهاب المدنى قال: بلغنى أن رجلا دخل على معاوية، فقال مررت بالمدينة فإذا أبو هريرة جالس فى المسجد حوله حلقة يحدثهم، فقال: حدثنى خليلى أبو القاسم ﷺ ثم استعبر فبكى، ثم عاد فقال: حدثنى خليلى ﷺ نبى الله أبوالقاسم ثم استعبر فبكى ثمقام.

و فى (البداية و النهاية) ج٩ ص٥ و (أسد الغابة) ج٣ ص٢٢٧ و (سير أعلام النبلاء) ج٣ ص٢١٣ كان ابن عمر رضي الله عنه يتعاهد شجرة نزل تحتها النبى ﷺ فيصب فى أصلها الماء لكيلا تيبس اهـ..

و فى (الإصابة فى تمييز الصحابة) و فى (الزهد) للبيهقى بسند صحيح عن عمر بن محمد ابن زيد بن عبد الله بن عمر سمعت أبى يقول: ما ذكر ابن عمر رسول الله ﷺ إلا بكى، و لا مر على ربعهم إلا غمض عينيه، و قال فى (مجمع الزوائد) بعد ذكره هذا: رواه الطبرانى فى (الأوسط).

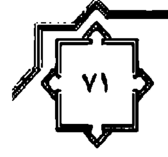
و بالجملة كان الصالحون من السلف و الخلف معروفين بمحبته ﷺ، و كان للصحابة رضي الله عنهم الحظ الأوفر و النصيب الكامل منها، فقد ملأ حبه ﷺ قلوبهم و لم يترك فيها فراغا و كانوا كما قال القائل:

تملك بعض حبك كل قلبى ... فإن ترد الزيادة هات قلبا

و قد أدركت رجالا منحهم الله تعالى حظا و افرا من محبة حبيبه ﷺ، منهم شيخنا العارف بالله أبو على بن الشيخ محمد المركى، فقد كان عظيم المحبة و الشوق إلى رسول الله ﷺ و أهل بيته و كان ينشد فى السحر كل ليلة:

متى عين قلبى ترى نور كم ... و أشهد منكم جمالا صفا

و منهم شيخنا عبد الرحمن بن عمر الورشيخى، كان مشهورا بمحبته ﷺ و ببغض المبتدعة المانعين للسفر إلى زيارته ﷺ و التوسل إلى الله بجاهه و نحو



ذلك، و ألف قصائد كثيرة جدا فى مدائحه ﷺ. و منهم والدى كان يكثر الصلاة على النبى ﷺ في السنوات الأخيرة من عمره، فكان اذا سمع اسمه الشريف ﷺ تأخذه رعدة و دهشة و انزعاج تكاد نفسه تزهق بها، و منهم رفيقى فى الله الشيخ على عنبر، فقد كان يكثر جدا من الصلاة عليه ﷺ، و كان يقول لإخوانه: صلوا على نبيكم فى اليوم و لو بعشرة آلاف مرة فقط.

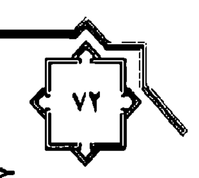
فائدة:

و ما قد يحصل لأهل المحبة من الهيمان و الانزعاج و الطرب و نحو ذلك دليل على الحب الصادق و الشوق الحقيقى، فقد قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٤، ص٤٨٤ بعد كلام فى زيار قبره ﷺ ما نصه: و الله ما يحصل الانزعاج لمسلم و الصياح و تقبيل الجدران و كثرة البكاء إلا وهو محب لله و لرسوله، فحبه المعيار و الفارق بين أهل الجنة و أهل النار اهـ.

و ستأتى إن شاء الله عبارة الذهبى بكمالها فى التبرك بزيارة قبره ﷺ.

و للمحبين له ﷺ أحوال متنوعة و أوصاف متباينة، و أذواق مختلفة، فمنهم من يفرح و يطرب إذا سمع اسمه ﷺ و فتحصل له خفة و طيش فيظن من لا يدرى حاله أنه ثمل بالشراب أو أن به خللا فى عقله، و قد يتكلم بكلام مختلط كالذى وجد راحلته التى أيس منها، فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى و أنا ربك. أخطأ من شدة الفرح. روى حديثه مسلم فى صحيحه، فهذا من سكر الفرح و مثله سكر المحبة.

و منهم من تملك المحبة شعوره و تختلط بشغاف قلبه فيزول احساس بدنه كصواحب يوسف عليه السلام اللاتى قطعن أيديهنّ و لم يشعرن بألمهن لفرط محبتهن له عليه و على نبينا الصلاة و السلام.



و منهم من يتصور أنه واقف بين يديه ﷺ فتأخذه الهيبة و الحياء فتسكن جوارحه و لا تتحرك أعضاؤه فكأنه عود يابس فهو كمن رأى الأسد بقربه بغتة ففزع و انتصب قائما لا حركة و لا كلام له، و على هذا كان وصف جلسائه ﷺ، فقد روى أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺ و أصحابه حوله كأن على رؤوسهم الطير.

و منهم من يغضب إذا سمع ذكر اسمه ﷺ من أهل الغفلة و الفساق و المبتدعة و نحوهم غَيرة من ذكر هؤلاء اسمه الطاهر الطيب بألسنتهم المتضمخة بأوساخ الذنوب و أدناس المعاصي، و صونا لاسمه من الابتذال، فيكون كعاشق فتاة بني عامر القائل:

و إياك و اسم العامرية إنني أغار عليها من فم المتكلم

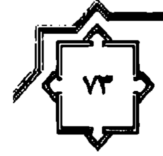
و منهم من يرتعد و يضطرب عند سماع اسمه الشريف و يهتز لذكره حبا و شوقا إليه على حد قول القائل: و إني لتعروني لذكراك هزة.

و هذا بعض أوصاف المحبين له ﷺ، و لهم في محبته أوصاف و أحوال أخرى فلا تستغرب ما رأيت فيهم من أفعال و أقوال و حركات غريبة، فإنه يقع كثيرا في العشق الشهواني و الحب الدنيوي أمثال ذلك كما هو معروف مشهور.

و اعلم أن المحبة و الشوق إلى رسول الله ﷺ لم يكن خاصا بالعقلاء، بل ما زالت البهائم و الجمادات ترى فيها آثار المحبة و أمارات الشوق إليه ﷺ.

فمن ذلك جبل أحد

روى البخاري في باب غزوة تبوك عن أبي حميد قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: هذه طابة، و هذا أحد، جبل يحبنا و نحبه، و رواه مسلم في آخر الحج في باب فضل المدينة عن أنس بن



مالك و في باب معجزات النبي ﷺ. قال النووي في شرح مسلم: «الصحيح المختار أن معنى هذا الحديث أن أحدا يحبنا حقيقة، جعل الله تعالى فيه تمييزا يحب به كما قال سبحانه و تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾، و كما حن الجذع اليابس، و كما سبح الحصى، و كما فر الحجر بثوب موسى عليه و على نبينا الصلاة و السلام إلى آخر ما قال.

و من ذلك الجذع الذي حن شوقا إليه ﷺ

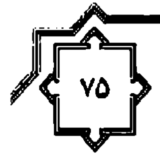
كان رسول الله ﷺ عليه و سلم يسند ظهره إلى جذع في المجسد إذا خطب الناس، فلما كثر الناس صنع له منبر وقعد عليه يخطب الناس يوم الجمعة، فلما فقده الجذع اشتاق إلى جواره ﷺ، و استماع خطبته، و مس جسده الشريف، فحن حينئذ حنين الناقة التي انتزع منها ولدها، و أنين الواله الغريق في بحار الحب حتى تصدع و انشق، و ارتج لصوته المسجد، فبكى من فيه من الصحابة ﷺ، فقد تحركت المحبة فيهم، و هيج ما رأوه و ما سمعوه من الجذع كمين الحب العميق في قلوبهم، و لم تنطفى شعلة الحب عن الجذع بل ازداد توقدها و التهابها، حتى نزل ﷺ إليه وضمه كما تضم الوالدة الرحيمة ولدها، و مسح عليه بيده الكريمة فسكن و اطمأن، ثم خيره ﷺ بين أن يغرسه في المكان الذي كان فيه قبل أن يصير جذعا، و بين أن يغرسه في الجنة فيأكل من ثماره أولياء الله تعالى، فاختار أن يغرسه ﷺ في الجنة، و سمع كلامه مع النبي من كان قريبا منه من الصحابة، قبل منه ﷺ ذلك، و أمر بعض الصحابة بدفنه فدفن تحت المنبر، ثم قال ﷺ اختار دار البقاء على دار الفناء. و قال بعض العلماء و إنما دفن و هو جامد لأنه صار في حكم المؤمن لحبه و حنينه، و دفنه تحت منبره ليكون الجذع قريبا من الذكر و ما يتبعه من الخير، ثم لما هدم المسجد

في زمن عثمان رضي الله عنه للتجديد و التوسيع للمسلمين أخذه أبي بن كعب رضي الله عنه تبركا به و كان عنده إلى أن أكلته الأرض و صار رفاتا.

روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ، فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه.

و في رواية له عن جابر أيضا أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها. قوله دفع إلى المنبر في رواية: رفع إلى المنبر بالراء، و قوله: قال كانت إلخ أي قال النبي ﷺ كما في الزرقاني على (المواهب) و في رواية للبخاري أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه.

و في (المواهب اللدنية) للحافظ القسطلاني: روى أبو يعلى الموصلي عن أنس بن مالك بلفظ: أن رسول الله ﷺ كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئا تقعد عليه كأنك قائم؟ فصنع منبرا له درجتان و يقعد على الثالثة، فلما قعد رسول الله ﷺ على المنبر جأر الجذع كجؤار الثور، و ارتج المسجد لجؤاره حزنا على رسول الله ﷺ، فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه و هو يخور، فلما التزمه سكت، ثم قال رسول الله ﷺ: و الذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله ﷺ، فأمره به ﷺ فدفن،

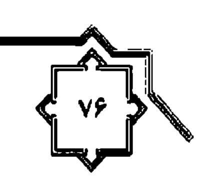


ورواه الترمذی و قال: صحيح غريب، و كذا رواه ابن ماجه و الإمام أحمد من طريق الحسن عن أنس كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة فلما كثر الناس قال: ابنوا لی منبرا، أراد أن يسمعهم فبنوا له عتبتين فتحول من الخشبة إلى المنبر، قال: أخبر أنس بن مالك أنه سمع الخشبة تحن كحنين الواله قال: فما زالت تحن حتى نزل النبی ﷺ، عن المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكتت.

و رواه أبو القاسم البغوی وزاد فيه: فكان الحسن البصری إذا حدث بهذا الحديث بكى، ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله شوقا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه. و فی تفسير ابن كثير فی آخر سورة الحشر مثل هذا، و قال الحافظ العسقلانی فی (فتح الباری): و فی حديث أبی زبير عن جابر عند النسائی اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج اهـ. و الخلوج بفتح الخاء المعجمة و ضم اللام الخفيفة و آخره جيم الناقة التی انتزع منها ولدها. و فی رواية عندالترمذی خار ذلك الجذع كخوار الثور.

و فی حديث أبی كعب عند أحمد و الدارمی و ابن ماجه: لما جاوزه خار الجذع حتى تصدع و انشق و فی حديث بريدة عند الدارمی أن النبی ﷺ، قال له، اختر أن أغرسك فی المكان الذی كنت فتكون كما كنت يعنی قبل أن تصير جذعا، و إن شئت أن أغرسك فی الجنة فتشرب من أنهارها فيحسن نبتك و تثمر فيأكل منك أولياء الله، فقال النبی ﷺ: اختار أن أغرسه فی الجنة اهـ... و حديث حنين الجذع متواتر كما قاله غير واحد من العلماء بالسنة كالقاضی عياض فی (الشفاء) و ابن السبكی فی شرحه لـ (مختصر ابن الحاجب) و القسطلانی و الزرقانی، و لله در القائل:

و ألقى حتى فی الجمادات حبه   فكانت لإهداء السلام له تهدَى



و فارق جذعا كان يخطب عنده / فإنّ أنين الأم اذ تجد الفقدا
يحن إليه الجذع يا قوم هكذا / أما نحن أولى أن نَحِنّ له وجدا
اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة / فليس وفاء أن نطيق له بعدا

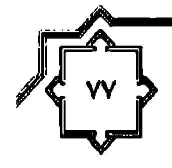
و قال الشيخ عبدالرحمن بن عبد الله المقدشى الشاشى المعروف بـ (الشيخ صوفى) فى قصيدته اللامية:

و الجذع حن له و أنَّ إذ ودعه / وصات صوت العشار صائحاً فلا
و ارتج مسجده لصوته و بكى / شوقا له كيف لا يشتاقه العقلا
و صار يُصبِرُهُ كى لا يدوم كذا / فوضع المصطفى يده فاحتملا
و اختار إذ أعرض الأمرين دار بقا / و كون ثمره للأبرار أى نُزُلا

قال رفيقنا الشيخ أحمد منير فى شرحه على هذه القصيدة: قوله «فلا» جمع فلاة حصى و حصاة. أى فى قوله «أى نزلا» زائدة لضروة الشعر اهـ...

أسباب محبة رسول الله ﷺ

قال الحافظ القسطلانى فى (المواهب اللدنية) من أقوى أسباب محبته ﷺ سماع الأصوات المطربة بالإنشادات بالصفات النبوية إذا صادفت محلا قابلا، فلا تسأل عن سكرة السامع، و هذا السكر يحصل عندها من جهتين: إحداهما أنها فى نفسها توجب لذة قوية ينغمر أى يتغطى منها العقل، الثانية أنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها و جهته، فيحصل بذلك الحركة و الشوق و الطلب مع التخيل للمحبوب و إحضاره فى النفس، و إدناء صورته إلى القلب و استيلائها على الفكرة لذة عظيمة تغمر العقل، فتجتمع لذة الألحان و لذة الأشجان، فتسكر الروح سكرا عجيبا أطيب و ألذ من سكر الشراب و تحصل به نشأة ألذ من نشأة الشراب. و قد ذكر الإمام أحمد و غيره أن الله تعالى يقول لداود: مجّدنى بذلك



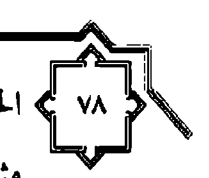
الصوت الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا، فيقول كيف و قد أذهبته؟ فيقول: أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش و يمجده، فإذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم أهل الجنة اهـ. أى شغلهم صوته عما هم فيه من النعيم.

قلت: و مما تنشأ عنه المحبة أيضا صحبة أهل المحبة و مخالطتهم، فإن الطباع تتأثر بالمخالطة و الاجتماع، و طبع الإنسان التأسى و الاقتداء برفيقه و صاحبه، فكل من انضم إلى جماعة و عاش معهم زمانا و اختلط بهم فى معاملاتهم فإنه يتصف غالبا بصفاتهم و يتخلق بأخلاقهم، و صدق من قال:

عن المرء لا تسل و سل عن قرينه   فإن القرين بالمقارن يقتدى

و قالوا: من جالس جانس، و قد ورد فى الحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل، فينبغى لمن يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بحب حبيبه ﷺ أن يجتنب مجالس قرناء السوء و أصحاب القلوب القاسية المحرومين من مودة أحباب الله تعالى و توقيرهم و احترامهم، كما ينبغى له أيضا أن يختار الرفيق الصالح الذى تزرع مرافقته فى القلب محبة من أحبه الله من الأنبياء و الصالحين، لا سيما محبة سيد الكونين، أفضل الخلائق أجمعين، ﷺ فى كل قت و حين، و أن يكثر الحضور فى مواضع اجتماع المحبين، محافل قراءتهم سيرة رسول الله ﷺ، و مراكز أناشيدهم بلذيذ صفاته كى تنطبع مرآة قلبه بما انطبعت به قلوبهم، فيصير من جملة المحبين الفائزين بمعيته ﷺ فى دار السلام.

و منها التفكر فى عظيم إحسانه صلى الله عليه و سلم و جزيل نواله، و كثرة منته التى على رقابنا، و تدقيق النظر فى أخلاقه المعنوية و أوصافه الباطنة، مثل رحمته و شفقته على أمته، بل و على الخلائق أجمعين، حتى قال فى شأن من يبول فى المسجد: لا تزرموه أى لا تقطعوا عليه البول، و مثل عفوه عند المقدرة و السيطرة على أعدائه الذين أخرجوه من أحب بلاد الله إليه، فقال لهم و هم بين



الخوف من الانتقام و أخذ الثأر، و بين الرجاء و العفو: اذهبوا فأنتم الطلقاء، و مثل حسن قيادته و سياسته و تنظيم الأمور كلها، فلا تفريط في تصرفاته و لا إفراط فيها، فيضع كل شيء في أنسب مواضعه و أحسن مواقعه، و هذا يدل على رجحان عقله و كمال ذكائه و فطانته، فإن حسن التدبير في قيادة العامة و الخاصة و انسجام الأمور و الأنظمة في الميادين كلها بحيث لا يرى فيها الخلل أصلا صعب جدا، و نادر عرفا، بل لم يتم هذا الكمال لغيره ﷺ قبله و لا بعده كما حققه أصحاب التواريخ المنصفون، أعداء كانوا له ﷺ أو أحبابا، و هذا يشهد أنه كان أعقل خلق الله كلهم. و في (الشفاء) للقاضي عياض: أن وهب ابن منبّهٍ قال: قرأت في أحد و سبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلا و أفضلهم رأيا.

و مثل شجاعته النادرة عند التقاء الصفوف و احمرار الأحداق، حتى كان تتوقى به ليوث الوغى لدى اشتعال نيران المعارك، ففي صحيح مسلم قال: كنا و الله إذا احمر البأس نتقي به و إن الشجاع للذي يحاذي به ﷺ، و قد كان في غزوة حنين من أمره ﷺ ما كان حين تناست الأحبة و اضطربت الأفئدة، و انهزم بعض الصحابة و غشيه المشركون، و قال و هو يركض ببغلته البيضاء قبل الكفار و العباس يكفها إرادة أن لا تسرع كما في صحيح مسلم كلمته المشهورة التي لم يقل بمثلها بشر في مثل ذلك الموقف: «أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب» لفت أبصارهم إليه و دلهم ما كانوا يقصدون إليه، فهاجت عندئذ أطماعهم و ظنوا أنهم ظفروا بمقصودهم و مأمولهم، فشدوا عليه و حملوا حملة رجل واحد، فوقف ﷺ موقفا لم تسمع أذن مثله، و حاربهم هو ﷺ و قليل من أصحابه، حتى رجع إليه المنهزمون و قاتلوا معه قتالا مكللا بالغلبة و النجاح، و هزموهم و غنموهم ثم لما تحقق المشركون أنهم فشلوا في ميدان



القتال صاروا يتفكرون فردَّ الله إليهم عقولهم، و حصل لهم الصحو بعد السكر، فانقادوا و أرسلوا إليه ﷺ وفدا و قد أسلموا و بايعوا و سألوا عنه كرمه ﷺ و إحسانه، كأنهم لم يكونوا قبل ذلك حريصين على قتله، و إطفاء نور دعوته، و محو رسالته، ثم تفضل عليهم ورد إليهم سباياهم.

و منها: تصور صورته الجسمية و جمالها، و تناسب أعضائه الشريفة و اعتدالها، و تلألؤ وجهه الكريم كالبدر فى ليلة كماله، و قد ورد أنه كان عند سروره يزداد صفاء وجهه و لمعانه، فيرى من خلاله الجدران كالمرآة الصقيلة.

و فى (القول البديع) للحافظ السخاوى، نقلا عن (شرف المصطفى) لأبى سعيد الواعظ أن عائشة رضي الله عنها كانت تخيط شيئاً، فضلت الإبرة و طفىء السراج، فدخل عليها النبى ﷺ فأضاء البيت بضوئه، ﷺ و وجدت الإبرة فقالت: ما أضوأ وجهك يا رسول الله!! قال: ويل لمن لا يرانى يوم القيامة، قالت: و من لا يراك؟ قال: البخيل، قالت: و من البخيل؟ قال: الذى لا يصلى علىّ إذا سمع باسمى. قد وصفه الله تعالى بأنه نور و سراج منير، فإذا كانت الشمس النور الحسى لهذا العالم الفانى فهو صلى الله النور المعنوى للعالم الدنيوى و الأخروى الذى لا يغيب و لا يزول بزوال الدنيا و فنائها، فهو سراج لا ينطفىء بموته، و نور لا ينمحى، بل هو ﷺ دائم الترقى فتزداد أنواره.

و لقد كان ﷺ أحسن خلق الله صورة، كما كان أفضلهم و أقربهم إلى الله درجة و رتبة، و لقد أجاد حسان بن ثابت حيث قال:

و أحسن منك لم تر قط عينى ... و أجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

فلا شك أن كل من لنفسه شعور، و لحواسه إحساس و أدراك و تمييز بين الحسن و ضده، إذا تفكر فى مكارم أخلاقه ﷺ و معالى صفاته، و أمعن النظر

فى ذلك و أكثر المطالعة فى سيره و شمائله ﷺ أنه يتأثر بها و يحبه، و يشتاق إلى اتصاله به و يتمنى لقاءه، و كذلك تصور محاسنه الظاهرة الجسمانية ينشأ عنه محبته ﷺ، و الشوق إلى التمتع برؤية جماله، فكم من محب لشىء لا يحبه إلا لجمال صورته الظاهرة فقط، و ليست محبة الألوان و الثياب الفاخرة و نحوها إلا من حسن صورها و أشكالها، فكيف لا تلتذ حينئذ نفوس المؤمنين بتذكر شمائله ﷺ و أوصافه المعنوية، و تصور محاسنه الظاهرة و استحضارها فى الذهن؟!!

و مما تنشأ عنه محبة رسول الله ﷺ متابعته فى أفعاله و أحواله كلها، و التسمك بسنته، و بذل المهجة فى خدمة ملته بالتعلم و العمل بها، ثم بتعليم الناس و دعوتهم إليها، و الذب عن حمى الشريعة و حراسة أصولها و فروعها، و قمع المبتدعة و إزالة شبهها و إدحاض أباطيلها، فمن أكرمه الله بمتابعة حبيبه ﷺ و اقتفاء آثاره أعطاه الله ببركتها محبته ﷺ، لأنه إذا تابع و اقتدى بى فى أموره تعلق به قلبه و يكثر تفكره فيه، و يكون بينه و بينه ﷺ علاقة التابع و المتبوع، و الخادم و المخدوم، و يدوم بينهما الاتصال الروحى و الارتباط القلبى، فيدرك حنيئذ محاسنه ﷺ و يستحضر فى ذهنه كمالاته الظاهرة و الباطنة، و ينطبع ذلك فى نفسه و يستقر فيها فيستحسن حينئذ أحواله ﷺ من أفعاله و أقواله و تصرفاته و أخلاقه، و رحمته وجوده و وقاره، وحيائه و حلمه و فصاحته و جوامع كلامه و غير ذلك من مزاياه العلية، و أوصافه السنية، و جمال صورته البهية، فيؤدى ذلك إلى محبته و تعظيمه، و التلذذ بذكر اسمه ﷺ و قد ذكرنا أن استحسان الشىء يقتضى حبه و ميل القلب إليه، فتحقق لك إن شاء الله أن متابعته ﷺ الصادقة تكون سببا قويا لمحبته عليه الصلاة و السلام، بل قد



تكون أقوى الأسباب و أعلاها و أنفعها، رزقنا الله من متابعته حظا وافرا و نصيبا كاملا و كما تكون المتابعة سببا للمحبة كذلك تكون المحبة الصادقة سببا للمتابعة و الطاعة غالبا، فإن المحب يستحيى طبعا عن مخالفة محبوبه فقد قيل:

تعصى الإله و أنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فالمحبة و المتابعة متلازمان، متى وجدت إحداهما ترتبت عنها الأخرى غالبا، فأيتهما سبقت عن أختها لحقتها الأخرى هذا ما ظهر و العلم عند الله سبحانه و تعالى.

محبة الله تعالى لعبده

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، و قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾.

اعلم أن محبة العبد لربه أيسر بكثير من محبة الله تعالى لعبده، و لا شك أن محبته تعالى لعبده أفضل و أجل من محبة العبد لمولاه جل جلاله.

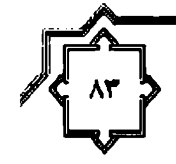
و فى (المواهب اللدنية) و شرحه للزرقانى: ليس الشأن أن تحب الله فقط، بل الشأن أن يحبك الله، و لا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ﷺ ظاهرا و باطنا، وصدقته و أطعت أمره و أجبت دعوته، و آثرت طاعته على كل شىء و إن لم تكن كذلك فلا تتعنّ، فلست على شىء، و تأمل قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ أى الشأن فى أن الله يحبكم لا فى أنكم تحبونه، و هذا لا ينالونه إلا باتباع الحبيب صل الله عليه و سلم انتهى باختصار. و قال العارف بالله أحمد بن عطاء الله السكندرى فى (تاج العروس): قد جمع الله الخير كله فى بيت و جعل مفتاحه

فى متابعته ﷺ، فمن فتح له باب المتابعة فذلك دليل على محبة الله له، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي﴾، و اذا طلبت الخير كله فقل: اللهم إنى أسألك المتابعة لرسولك ﷺ فى الأقوال و الأفعال، و قال الله تعالى حكاية عن الخليل عليه و على نبينا أفضل الصلاة و أتم السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾، فمفهوم هذا أن من لم يتبعه ليس منه، و قال تعالى حكاية عن نوح عليه و على نبينا المصطفى أزكى الصلاة و السلام: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ فأجابه سبحانه بقوله تعالى، ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع و إن كان أجنبيا، كسلمان الفارسى لقوله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**» و معلوم أن سلمان رضي الله عنه من أهل فارس، و لكن بالمتابعة قال عنه ﷺ ذلك تعليما، فكما أن المتابعة تثبت الاتصال، كذلك عدمها يثبت الانفصال اهـ..

و لقد أجاد الشيخ العلامة محمد بن عبد الله بن محمد السلمىّ ابن أبى الفضل المرسى حيث قال:

من كان يرغب فى النجاة فما له — غير اتّباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم و غيره — سُبُل الضلالة و الغواية و الرَّدى
فاتبع كتاب الله و السنن التى — صحت فذاك إذا اتّبعت هو الهدى
ودع السؤال بلم و كيف فإنه — باب يجر ذوى البصيرة للعمى
الدين ما قال النبى و صحبه — و التابعون و من مناهجم قفى

قال ابن السبكى فى (طبقات الشافعية الكبرى) ج٥ ص٢٩: كان الشيخ السلمى فقيها محدثا أصوليا نحويا أديبا زاهدا متعبدا، توفى سنة ٦٥٥ اهـ. و الله ولىّ التوفيق.



المقصد الأول في التبرك برسول الله ﷺ

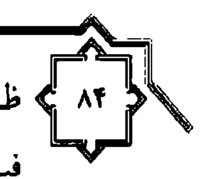
التبرك بموضع ولادته ﷺ و زمانها

قال النووى فى (مناسك الحج) ص٤٤٤: يستحب زيارة المواضع المشهورة بالفضل فى مكة و الحرم، و قد قيل: إنها ثمانية عشر موضعا، منها: البيت الذى ولد فيه رسول الله ﷺ، و هو اليوم مسجد فى زقاق يقال له: زقاق المولد، و منها بيت خديجة الذى كان يسكنه رسول الله ﷺ و خديجة رضي الله عنها، و فيه ولدت اولادها من رسول الله ﷺ، و منها الغار الذى بجبل حراء، كان النبى ﷺ يتعبد فيه، و الغار الذى بجبل ثور وهو المذكور فى القرآن، قال الله عزوجل: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ اهـ.. وفى القاموس: الزقاق كغراب السكة.

وعدّ ابن حجر الهيتمى فى (حاشية الإيضاح على مناسك الحج) من المزارات التى بمكة مولد على بن أبى طالب رضي الله عنه، قال: وهو اليوم مزار مشهور اه.

و قال العلامة الفقيه الشيخ عبد الله بين محمد باقشير الحضرمى الشافعى المتوفى سنة ٩٥٨ فى (قلائد الخرائد وفرائد الفوائد) ج١ ص٢٧٥: ينبغى أن تزار مواضع مشهورة فى الحرام و يتبرك بها منها: موضع مولده عليه الصلاة و السلام فى الشّعب، و دار خديجة، وفيها ولدت أولادها منه ﷺ و رضي الله عنهم و توفيت فيها، و كانت مسكنه حتى هاجر ﷺ. ودار الأرقم و تسمى دار الخيزران و هى التى اختفى فيها. ودار أبى بكر رضي الله عنه اهـ.

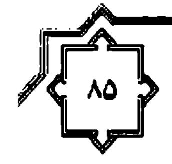
و فى الجامع اللطيف فى فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف للعلامة الحنفى جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبى بكر بن على بن



ظهيرة المخزومي ص٣٥٤: ذكر العلامة النقاش في منسكه مواضع يستحب فيها الدعاء، منها دار خديجة رضي الله عنها ليلة الجمعة، و في مولد النبي ﷺ يوم الاثنين عند الزوال اهـ.

و قال القسطلاني في (المواهب اللدنية): ولد النبي ﷺ بمكة في الدار التي لمحمد ابن يوسف أخي الحجاج بن يوسف الثقفي، و قال الزرقاني في شرحه على (المواهب اللدنية) ج١ ص٢٥٨: تزار و يتبرك بها ألى الآن اهـ... قلت: و رأيت أنا حجاج بيت الله يزورون و يتبركون بموضع قريب من الكعبة المشرفة، وهم يقولون: أنه المحل الذي ولد فيه ﷺ.

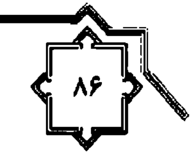
و في (السيرة الحلبية): ج١ص٩٣ أن ولادته ﷺ في ١٢ من ربيع الأول، و عليه العمل الآن في الأمصار خصوصا أهل مكة في زيارتهم موضع مولده ﷺ اهـ... و في موضع آخر من (السيرة الحلبية) ج٣ ص٤٩٦: اختلف في مكان ولادته ﷺ، فقيل: بمكة، و عليه قيل: بالدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج، و قيل: بالشعب ـ شعب بني هاشم ـ و ذلك المحل يزار الآن و قيل: بالردم، و قيل: ولد ﷺ بعسفان، و فيه أيضا: اختلف في زمان ولادته ﷺ، فقيل: ولد ليلا، و عليه عمل أهل مكة في زيارة موضع مولده الشريف. و قال القسطلاني في (المواهب اللدنية): فإن قلت: إذا قلنا بأنه عليه الصلاة و السلام ولد ليلا فأيما أفضل ليلة القدر من وجوه ثلاثة، أحدها: أن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ، و ليلة القدر معطاة له، و ما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه، و لا نزاع في ذلك، فكانت ليلة الولد أفضل من ليلة القدر. الثاني: أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، و ليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ، و من شرف به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى، فتكون ليلة المولد أفضل، الثالث:



أن ليلة القدر وقع فيها التفضل على أمة محمد ﷺ، و ليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذى بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعم نفعا فكانت أفضل اهـ...

و قال الزرقانى فى (شرحه على المواهب) ج١ ص٢٥٦: و هذا الذى ساقه المصنف و أقره متعقب، قال الشهاب الهيتمى: فيه احتمال و استدلال بما لا ينتج المدّعى، لأنه إن أريد أن تلك الليلة و مثلها من كل سنة إلى يوم القيامة أفضل من ليلة القدر فهذه الأدلة لا تنتج ذلك كما هو جلى، و إن أريد عين تلك الليلة فليلة القدر لم تكن موجودة إذ ذاك، و إنما أتى فضلها فى الاحاديث الصحيحة على سائر ليالى السنة بعد الولادة بمدة، فلم يمكن اجتماعهما حتى يتأتى بينهما التفضيل، و تلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم، و قد نص الشارع على أفضليتها، و لم يتعرض لليلة مولده و لا لأمثالها بالتفضيل أصلا، فوجب علينا أن نقتصر على ما جاء عنه، و لا نبتدع شيئا من عند نفوسنا القاصرة عن إدراكه إلا بتوقيف منه ﷺ، على أنا لو سلمنا أفضلية ليلة مولده لم يكن له فائدة فى تفضيل الأزمنة إلا بفضل العمل فيها، و أما تفضيل ذات الزمن الذى لا يكون العمل فيه فليس له كبير فائدة. إلى هنا كلامه و هو وجيه. ثم إذا قلنا بما قال المصنف و قلنا: إن الولادة نهارا فهل الأفضل يوم المولد أو يوم بعثه ﷺ؟ و الأقرب كما قال شيخنا: أن يوم المولد أفضل لمنّ الله به فيه على العالمين، و وجوده يترتب عليه بعثه، فالوجود أصل و البعثة طارئة عليه، و ذلك قد يقتضى تفضيل المولد لأصالته. اهـ...

و اعلم أن الهيتمى لم ينكر فضيلة ليلة المولد النبوى من أصلها، حاشاه عن ذلك، و إنما اعترض على أنها أشرف من ليلة القدر.



تنبيه:

لا يخفى أنشرف ليلة المولد لا يختص بعين تلك الليلة التى ولد فيها ﷺ، و أنه ما انقضى بانقضائها، فهى كيوم عاشوراء الذى ثبت أن فضيلته باقية و أنه مشرف يستحب صيامه كل سنة.

و معلوم أن أصل شرفه و سبب حرمته إنجاء الله تعالى نبيه موسى عليه الصلاة و السلام، و إغراق فرعون فيه كما فى حديث مسلم، فكما لم ينقض شرف عاشوراء بانقضاء إغراق فرعون و إنجاء موسى كذلك لا ينقضى شرف ليلة المولد النبوى، و لا يختص بعين ليلة ولادته ﷺ فقط، بل يعم نظائرها من كل عام، و نظير ذلك أيضا مائدة عيسى عليه الصلاة و السلام و أصحابه، فقد كانت عيدا لأولهم و آخرهم كما نطق به القرآن العزيز، و لم يختص بالحاضرين وقت النزول و لا بيوم النزول فقط، فما المانع أن تكون ليلة المولد عيدا لأولنا و آخرنا، فهذا إن شاء الله قياس ظاهر، و لله در العلامة الزيلعى حيث يقول فى قصيدته العينية المشهورة:

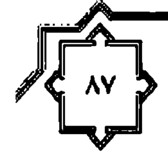
و ميلاده عيد لنا و هو ذخرنا   يجدد شوق الواله المتطلع

و أجاد العاشق القائل:

و لو أنا سعينا كل وقت   على الأحداق لا فوق النجائب

و لو أنا عملنا كل يوم   لأحمد مولدا قد كان واجب

و مما يدل على شرف موضع ولادته ﷺ و بركته: ما ورد فى حديث الإسراء من أن جبريل عليه السلام أمر النبى ﷺ بالصلاة ببيت لحم الذى ولد فيه عيسى عليه الصلاة و السلام، فكما تشرف بيت لحم بميلاد عيسى فيه حتى أمر أفضل الرسل عليهم الصلاة و السلام بالصلاة فيه تبركا به، كذلك يتشرف موضع ميلاد سيد البشر به ﷺ، و هذا قياس ظاهر جلى أولوى إن شاء الله.



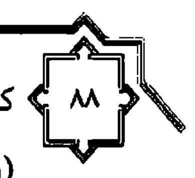
و فى (السيرة الحلبية) ج١ ص٥٩: قد أقسم الله بليلة مولده ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَالَّيْلِ﴾، و قيل: أراد بالليل ليلة الإسراء و لا مانع أن يكون الإقسام وقع بهما.

التبرك برؤيته ﷺ

اعلم أن أصحاب رسول الله ﷺ هم أفضل هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة و السلام، بل هم أشرف بنى آدم غير الأنبياء و المرسلين، بل قال كثير من العلماء: إن رؤساء الصحابة أفضل من بعض الملائكة المعصومين الذين يسبحون الليل و النهار لا يفترون، و ما نالوا تلك المراتب العلية و الدرجات الرفيعة إلا ببركة رؤية سيد الوجود، و إمام المقربين، أفضل خلق الله أجمعين.

و اختلفوا فى حد الصحابى، فقال النووى فى (التقريب): المعروف عن المحدثين أنه كل مسلم رأى رسول الله ﷺ، ثم ذكر قولين آخرين، و زاد السيوطى فى (تدريب الرواى) ثلاثة أخرى، فالأقوال فى حد الصحابى ستة، نقتصر على ذكر الراجح منها فقط، و هو ما قاله البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ من صحيحه: و لفظه: من صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه اهـ.

و قال الحافظ فى (الفتح) ج٧ ص٣ ـ ٥: و هذا الذى ذكره البخارى هو الراجح، و هو قول أحمد و الجمهور من المحدثين، و منهم على بن المدينى شيخ البخارى، و هذا فيمن رآه ﷺ و هو فى قيد الحياة الدنيوية، أما من رآه بعد موته و قبل دفنه فالراجح أنه ليس بصحابى، و إلا لعُدّ ـ أى من الصحابة ـ من اتفق أن يرى جسده المكرم و هو فى قبره المعظم و لو فى هذه الأعصار، و

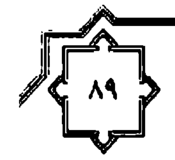


كذلك من كشف له عنه من الأولياء فرآه على طريق الكرامة اهـ. ملفقا و فى (المواهب اللدنية) ما معناه: و عبارة ابن المدينى كما قال شيخنا أى السخاوى: من صحب النبى ﷺ أو رآه و لو ساعة من نهار فهو من أصحابه اهـ.

و فى (الزرقانى) ج٩ ص٢٨٤ ـ ٢٨٥: قوله أو رآه الضمير المنصوب للنبى ﷺ أو للصاحب، فلهذا عدّ الحافظ فى (الإصابة) من الصحابة من حضر معه ﷺ حجة الوداع من أهل مكة و المدينة و الطائف و ما بينهما من الأعراب، و كانوا أربعين ألفا لحصول رؤيتهم له ﷺ و إن لم يرهم هو، بل و من كان مؤمنا به زمن الإسراء إن ثبت أنه ﷺ كشف له فى ليلته عن جميع من فى الارض فرآه و لم يلقه، لحصول الرؤية من جانبه ﷺ. و قال فى (الإيعاب): و يتجه أنه حيث وقع بصره ﷺ على مجنون محكوم بإسلامه أفاده ذلك الصحبة أخذا من هذا و من الصغير غير المميز، فإن حكمهما واحد عند الفقهاء، و بهذا يرد قول الدمامينى: ليس الضمير المستتر فى قول البخارى ـ أو رآه ـ يعود على النبى ﷺ لأنه يلزم عليه أن يكون من وقع عليه بصره ﷺ صحابيا و لا قائل به، و إن فى نفيه الخلاف نظرا كبيرا اهـ.

و فى (الإصابة) ج١ ص٧: أطلق جماعة أن من رأى النبى ﷺ فهو صحابى، و هو محمول على من بلغ سن التمييز إذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية إليه، نعم يصدق أن النبى ﷺ رآه فيكون صحابيا من هذه الحيثية.

و فى (الإصابة) أيضا ج١ ص٦: و أصح ما وقفت عليه فى ذلك أن الصحابى من لقى النبى ﷺ مؤمنا به و مات على الإسلام اهـ. و تبعه القسطلانى على ذلك فقال فى (المواهب): ينبغى أن يزاد فى تعريف الصحابى و مات على ذلك اهـ.

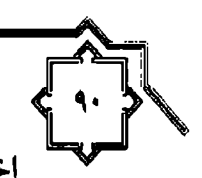


عدالة الصحابة و فضلهم

قال الحافظ أبوبكر احمد بن على المعروف بالخطيب البغدادى فى (الكفاية) ص٩٣ ـ ٩٧: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم و إخباره عن طهارتهم و اختياره لهم فى نص القرآن.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَّاسِ﴾، و قوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، و هذا اللفظ و إن كان عاما فالمراد به الخاص، و قيل هو وارد فى الصحابة دون غيرهم. و قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فى آيات يكثر إيراده و يطول تعدادها، ووصف رسول الله ﷺ الصحابة و أطنب فى تعظيمهم و أحسن الثناء عليهم، فمن الأخبار المستفيضة عنه فى هذا المعنى ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» ـ الحديث، و روى أبو سعيد أنه ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابى، فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مدّ أحدهم و لا نصيفه**». و (النصيف) النصف كما قال أهل اللغة. و عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدكم فى تركه، فإن لم يكن فى كتاب الله فسنة منى ماضية، فإن لم تكن سنة منى ماضية فما قال أصحابى، إن أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فأيها أخذتم به اهتديتم، و اختلاف أصحابى لكم رحمة**».

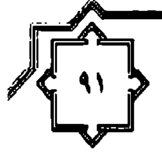
و عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سألت ربى فيما اختلف فيه أصحابى من بعيد، فأوحى الله إلىّ: يا محمد إن اصحابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشىء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى**».



و عن أنس بن مالك ﷺ قال: قـال رسـول الله ﷺ: «**إن الله اختـارنى و اختار أصحابى فجعلهم أصهارى و جعلهم أنصارى، و إنه سيجىء فـى آخـر الزمان قوم ينتقصونهم، ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تنكحوا إليهم، ألا فلا تـصلوا معهم، ألا فلا تصلوا عليهم، عليهم حلت اللعنة**».

و قال الإمام أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصـحاب رسـول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، و ذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، القرآن حق، و إنما أدى إلينا هـذا القـرآن و الـسنن أصـحاب رسـول الله ﷺ، و إنـما يريـدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب و السنة، و الجـرح بهـم أولـى و هـم زنادقـة، و الأخبار فى هذا المعنى تتسع، كلها مطابقة لما ورد فى نص القرآن، و جميـع ذلـك يقتضى طهارة الصحابة و القطع على تعديلهم و نزاهتهم، فلا يحتاج أحد مـنهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له، و لو لم يرد من الله عزّ و جلّ و رسوله فيهم شىء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة و الجهاد و النصرة، و بـذل المهـج و الأمـوال، و قتـل الآبـاء و الأولاد، و المناصحة فى الدين، و قوة الإيمان و اليقين القطع علـى عـدالتهم، و الاعتقاد لنزاهتهم، و أنهم أفضل من جميع المعدلين و المزكين الـذين يجيئـون مـن بعدهم أبد الآبدين. و هذا مذهب كافة العلماء و من يُعتـدّ بقولـه مـن الفقهـاء. انتهى ما نقلته من (الكفاية) باختصار.

و فى (الفتاوى الحديثية) لابن حجر الهيتمى ص٢٦١: و سـئل الإمـام عبـد الله بن المبارك ﷺ: أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: و الله للغبار الذى دخل أنف فـرس معاويـة مـع رسـول الله ﷺ خـير مـن مائـة مثـل ابـن عبدالعزيز، يريد بذلك أن شرف الصحبة و الرؤيـة لرسـول الله ﷺ، و حلـول نظره الكريم لا يعادله عمل و لا يوازنه شرف اهـ...



قلت: و ابن المبارك هو الإمام المشهور، و قد قال النووى فيه: كان مجمعا على إمامته و جلالته فى كل شىء الذى تستنزل الرحمة بذكره و ترجى المغفرة بحبه، توفى سنة ١٨١ و ستأتى نبذة من ترجمته فى التبرك بذكر الصالحين.

و فى (شرح مسلم) للنووى ﷺ ج١٦ ص٩٣: قال القاضى عياض: الجمهور على تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم، ثم قال النووى و فضيلة الصحبة و لو لحظة لا يوازيها عمل، و لا تنال درجتها بشىء، و الفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اهـ.. و قال الحافظ العسقلانى فى (فتح البارى) ج ص٧ فى شرح باب فضائل أصحاب النبى ﷺ: و الذى ذهب إليه الجمهور: أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ، لأنه ما من خصلة من خصال الخير إلا و للذى سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم اهـ... بمعناه.

و فى (الزرقانى على المواهب) ج٩ ص٢٨٤: و قد صرح غير واحد أنه ﷺ لو رآه مسلم أو رأى مسلما لحظة طبع قلبه على الاستقامة لأنه بإسلامه متهيىء للقبول، فإذا قابله النور المحمدى أشرق عليه فظهر أثره فى قلبه و ملأ جوارحه اهـ...

و روى الشيخان و اللفظ للبخارى عن البراء ﷺ قال: أتى النبى ﷺ رجل مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله أقاتل أو أسلم؟ قال: أسلم ثم قاتل فأسلم ثم قاتل، فقتل، فقال رسول الله ﷺ: عمل قليلا و أجر كثيرا.

قال الحافظ فى (فتح البارى) ج٦ ص٢٤ ـ ٢٥: لم أقف على اسم هذا الرجل. و قيل: اسمه عمرو بن ثابت، فقد أخرج بن إسحاق فى (المغازى) بإسناد صحيح عن أبى هريرة أنه كان يقول: أخبرونى عن رجل دخل الجنة و لم يصل صلاة؟ ثم يقول: هو عمرو بن ثابت. قوله: مقنع بفتح القاف و النون

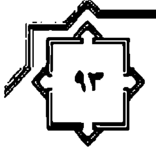
المشددة هو كناية عن تغطية وجهه بآلة الحرب و قوله أجر كثيرا: اى أجر أجرا كثيرا اهـ...

و قال النووى فى (شرح مسلم) ج١٦ ص٩٣: قال القاضى: و من أصحاب الحديث من يقول هذه الفضيلة مختصة بمن طالت صحبته و قاتل معه و أنفق و هاجر و نصر، لا لمن رآه مرة كوفود الأعراب أو صحبه آخرا بعد الفتح و بعد إعزاز الدين ممن لم يوجد له هجرة و لا أثر فى الدين و منفعة المسلمين، قال: و الصحيح هو الأول و عليه الأكثرون.

و قال ابن حجر الهيتمى فى (الفتاوى الحديثية): قال ابن عبدالبر: قد يوجد فى الخلق من هو أفضل من الصحابة لحديث أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره و أحاديث أخر قريبة منه و هو مقالة شاذة جدا، و للحافظ العسقلانى فى (فتح البارى) كلام يتعلق فى رأى ابن عبد البر و الجواب عنه.

و قال الحافظ فى (فتح البارى) ج٧ ص٦ فى شرح حديث خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم: اقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، و التابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد؟ محل بحث، و إلى الثانى نحا الجمهور، و هذا الحديث رواه الشيخان فى فضائل الصحابة بطرق متعددة، بل قال الحافظ فى (الإصابة): إنه متواتر.

و روى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ: «**يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم**». و اللفظ لمسلم، و الفئام بفاء مكسور ثم همزة الجماعة.



و فى راوية أخرى و لفظها لمسلم: عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: يأتى على الناس زمان يبعث منهم البعث، فيقولون: انظروا هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب النبى ﷺ؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به، ثم يبعث البعث الثانى فيقولون: هل فيهم من رأى أصحاب النبى ﷺ؟ فيفتح لهم به، ثم يبعث البعث الثالث، فيقال: انظروا هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب النبى ﷺ؟ ثم يكون البعث الرابع فيقال: انظروا هل ترون فيهم أحدا رأى من رأى أحدا رأى أصحاب النبى ﷺ؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به. قلت: و فى هذا الحديث دلالة ظاهرة بأن حضور الصحابة فى القتال سبب الانتصارات و الفتوحات، و ببركتهم تغلب البعوث الإسلامية وجيوشها على أعدائها، و ما نالو ذلك إلا ببركة رؤية من كان وجود شعرات منه فى صف القتال سببا للانتصارات و الفتوحات ﷺ، و سيأتى إن شاء الله انتصار خالد بن الوليد بشعره ﷺ، ثم لم تنقطع تلك البركات بانقطاعهم، بل احتظى بها من رآهم من التابعين، و من رأى من رآهم من أتباع التابعين، ثم من رأى أتباع التابعين. فلهذا كان الناس لا يؤمرون فى الغزوات إلا الصحابة رضوان الله عليهم ما وجدوا لذلك سبيلا طمعا للنصرة ببركتهم و استعجالا لهزيمة أعداء المسلمين، و هذا كله ما يرشد إليه قوله ﷺ: «**فيفتح لهم به، بل هو كالصريح فيه**».

و قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى (الإصابة) ج١ ص١٠ ـ ٩: أخرج ابن أبى شيبة أنهم كانوا لا يؤمرون فى المغازى إلا الصحابة، فمن تتبع الأخبار الواردة فى الردة و الفتوح وجد من ذلك شيئا كثيرا.

قلت: فكما ثبت أنهم كانوا قادة فى المغازى و الفتوحات ورد أن من مات منهم بأرض يكون قائدا لمن فيها و نورا لهم يوم القيامة، ففى (تهذيب تاريخ

دمشق) لا بن عساكر ج١ ص٢٦٥: روى عن أوس بن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعا: من مات من أصحابى بأرض فهو قائدهم يوم القيامة. و فى رواية: ما من أحد من أصحابى يموت بأرض إلا بعث قائدا و نورا لهم يوم القيامة. رواه الترمذى و قال: هذا حديث غريب اهـ..

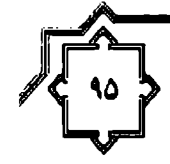
فهم ﷺ السادة و القادة فى الدنيا و يوم البعث.

استحقاقهم الجنة برؤيته ﷺ

روى الترمذى عن جابر ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**لا تمس النار مسلما رآنى أو رأى من رآنى**». و فى شرح التاج للشيخ منصور على ناصف: أن سند هذا الحديث حسن.

و فى (الإصابة) ج١ ص١١: قال أبو محمد بن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا. قال الله تعالى: ﴿**لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ**﴾، و قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾، فثبت أن الجميع من أهل الجنة و أنه لا يدخل أحد منهم النار، لأنهم مخاطبون بالآية السابقة.

و الجواب عما يتوهم من أن التقييد بالإنفاق و القتال فى هذه الآية، و كذلك التقييد بالإحسان فى قوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**﴾ يخرج من لم يتصف بذلك، هو أن التقييدات المذكورة خرجت مخرج الغالب و إلا فالمراد من اتصف بالإنفاق و القتال بالفعل أو القوة اهـ. من (الإصابة) بتصرف و اختصار.

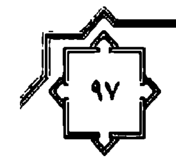


عظمة الصحابة و الهيبة منهم

قال في (الإصابة) أيضا ج١ ص١٢ ـ ١٣: و قد كان تعظيم الصحابة و لو كان اجتماعهم به ﷺ قليلا مقررا عندالخلفاء الراشدين و غيرهم، ثم ذكر ما رواه محمد بن قدامة المروزى بسنده إلى نبيح العنزى عن أبى سعيد الخدرى قال: كنا عنده ـ يعنى أبا سعيد ـ و هو متكي، فذكرنا عليا و معاوية فتناول رجل معاوية فاستوى أبو سعيد الخدرى جالسا، ثم قال: كنا ننزل رفاقا مع رسول ﷺ، و كنا فى رفقة فيها أبو بكر، فنزلنا على أهل أبيات و فيهم امرأة حبلى، و معنا رجل من أهل البادية، فقال للمرأة الحامل: ايسرك أن تلدى غلاما؟ قالت نعم، قال إن أعطيتنى شاة ولدت غلاما فأعطته فسجع لها أسجاعا، ثم عمد إلى الشاة فذبحها و طبخها و جلسنا نأكل منها، و معنا أبو بكر فلما علم بالقصة قام فتقيأ كل شى أكل، قال: ثم رأيت ذلك البدوى أتى به عمر بن الخطاب و قد هجا الأنصار، فقال لهم عمر: لولا أن له صحبة من رسول الله ﷺ ما أدرى ما نال فيها لكفيتموه، و لكن له صحبة من رسول الله ﷺ. و رجال هذا الحديث ثقات. و قد توقف عمر رضي الله عنه عن معاتبته فضلا عن معاقبته، لكونه علم أنه لقى النبى ﷺ، و فى ذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء كما ثبت فى الصحيح عن أبى سعيد من قوله ﷺ: «**و الذى نفسى بيده لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مدّ أحدهم و لا نصفيه**» اهـ..

وفى (الجامع الصغير): روى الطبرانى فى (المعجم الكبير) و الحاكم عن عبد الله بن بسر عن النبى ﷺ قال: «**طوبى لمن رآنى وآمن بى، و طوبى لمن رأى من رآنى، و لمن رأى من رأى من رآنى، طوبى لهم و حسن مآب**»، و عن أبى

سعيد الخدری إنه ﷺ قال: طوبى لمن رآني و آمن بی، ثم طوبى ثم طوبى و ثم طوبى لمن آمن بی و لم يرنی، رواه أحمد فی (المسند) و ابن حبان. روی أحمد فی مسنده أيضا و البخاری فی (التاريخ) و ابن حبان و الحاكم عن أبی أمامة أنه ﷺ قال: «**طوبى لمن رآنی و آمن بی مرة، و طوبى لمن لم يرنی و آمن بی سبع مرات، و فی رواية أخرى ثلاث مرات**» اهـ... قال المناوی فی (الفيض القدير) ج٤ ص٢٨٠: «قول طوبى لمن يرنی و آمن بی سبع مرات» لأن الصحابة رضوان الله عليهم كان إيمانهم غيبا و شهودا، فإنهم آمنوا بالله و باليوم الآخر غيبا و آمنوا بالنبی ﷺ شهودا، لأنهم رأوا الآيات و شاهدوا المعجزات، و رأوا بأعينهم ذاته الشريفة و كمال أخلاقه و محاسنها، و علموا من معاشرته و معاملته ما يحقق لهم أنه رسول الله ﷺ و أمين وحيه، فانسد بذلك عنهم طرق الشك و التردد، و صار علمهم برسالته ﷺ و بصدقه فيها يقينا راسخا فی قلوبهم، لا يطرقه الاحتمال أصلا و صار كالمحسوس الذی تراه بعينيك، و ما راء كمن سمع، و أما من بعد الصحابة فإن إيمانهم كله بالغيب، آمنوا بالله تعالى و باليوم تعالی و باليوم الآخر و بالنبی ﷺ غيبا، و لم يشاهدوا النبی ﷺ بأعينهم، و لا رأوا الخوارق و المعجزات التی أظهرها الله فی يديه، فصدقوا بما لم يروه ثقة بالخبر الذی وصل إليهم، و معلوم أن الخبر ليس كالمعاينة، فلهذا أثنی عليهم النبی ﷺ فقال: «**طوبى لمن لم يرنی و آمن بی سبع مرات**» اهـ. و قد أخذ بعض العلماء منهم ابن عبد البر من هذا الحديث و نحوه أنه يوجد فيمن يأتی بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة لكن قد علمت مما تقدم أن فضيلة الصحبة و رؤية وجهه الشريف و لو لحظة لا يعدلها عمل و لا تنال درجتها بشیء من الطاعات و العبادات.



خاتمة في صفتهم

و فى (صفة الصفوة) ج١ ص٣٣١: أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه صلى صلاة الفجر، فلما سلم انفتل عن يمينه، ثم مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قال و قلب يده: «لقد رأيت **أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى اليوم شيئا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتو لله سجدا و قياما، يتلون كتاب الله، فإذا أصبحوا فذكرو الله مادوا كما تميد الشجرة فى يوم الريح و هملت أعينهم حتى تبل ثيابهم**». و الركب جمع ركبة و المعزى بكسر الميم و سكون العين خلاف الضأن من الغنم كالمَعز كما فى (القاموس).

و بالجملة ينبغى لكل مؤمن بالله و رسوله و اليوم الآخر أن يعرف لهم حقهم علينا، إذ هم الواسطة بيننا و بين من أرسله الله إلى الكون ﷺ، و هم أنصاره و حماة الشريعة و حراس العقيدة، فكان له ﷺ فيهم الكفاية بعد الله كما تشهد له الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، و يكفيهم شرفا أن وصفهم الله تعالى: بأنهم كفاية رسول الله ﷺ و حسبه، و هم السبب فى انتشار هذه الملة الحنيفية فى آفاق الأرض، و هم المبلغون عنه ﷺ، فلولاهم لانقرض الدين ولم يعقب، فجزاهم الله عن الامة المحمدية خير الجزاء، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾، و رضي الله عنهم و عنا بهم.

التبرك باسمه الشريف ﷺ

و فى (الفتاوى الفقهية) للهيتمى ج٤ ص٢٥٩: سئل عن حديث «**من ولد له مولود فسماه محمدا حبا لى و تبركا كان هو و مولوده فى الجنة**»، من رواه؟

فأجاب بقوله رواه أحمد و غيره. و قال: الحافظ السيوطي: و سنده عندي على شرط الحسن اهـ..

و في (سعادة الدارين) للنبهاني ص٣٩٥ ـ ٣٩٩: أنه قد ألف في فضائل اسم أحمد و محمد أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير الحافظ كتابا ذكر فيه أحاديث كثيرة، منها هذا الحديث المذكور، فقد رواه بطريقين، لفظ أحدهما ما ذكرناه إلا أنه قال: و تبركا باسمي، و اللفظ الآخر: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا به كان هو و مولوده في الجنة»**، و روى أيضا بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من ولد له ثلاثة فلم يسم أحدهم محمدا فقد جهل»**. رواه بطرق كثيرة، و روى أيضا بطرق عن علي ابن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما اجتمع قوم في مشورة معهم رجل اسمه محمد فلم يدخلوه في مشورتهم إلا لم يبارك لهم»**. و روى أيضا بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إذا سميتموه محمدا فعظموه ووقروه و بجلوه، ولا تذلوه و لا تحقروه و لا تجبهوه تعظيما لمحمد صلى الله عليه وسلم»**. و في رواية أخرى: **«إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه، و أوسعوا له في المجلس، و لا تقبحوا له وجها»**. و رواه بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما أكل طعام قط من حلال عليه رجل اسمه اسمي إلا تضاعف لهم البركة في طعامهم»**. و رواه بسنده أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«ما من أهل بيت فيه من اسمه محمد إلا لم يزالوا يتعاهدهم الله عز و جل في كل يوم و ليلة»**، يعني بالبركة في كل يوم و ليلة و رواه أيضا بسنده عن علي أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما من مائدة وضعت و حضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس ذلك المنزل في كل يوم مرتين»** اهـ... و في هذه الأحاديث دلالة على أن بركة من



اسمه محمد تسرى إلى من يستشيره و إلى من سكن معه و إلى من أكل معه. و من بركات هذا الاسم الشريف أنه علاج و دواء لخدر الرجل ففى (الأذكار) للنووى ﷺ ص٢٧١: روى ابن السنى عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند ابن عمر ﷺ فخدرت رجله، فقال له رجل: إذكر أحب الناس إليك فقال: يا محمد، فكأنما نشط من عقال، و روى ابن السنى أيضا عن مجاهد قال: خدرت رجل رجل عند ابن عباس ﷺ فقال ابن عباس: اذكر أحب الناس اليك فقال: محمد ﷺ فذهب خدره اهـ. و الخدر بفتح الخاء و الدال الاسترخاء، و فى (المصباح): خدر العضو خدرا من باب تعب استرخى فلا يطيق الحركة. و فى (تاج العروس) أن ابن عمر خدرت رجله، فقيل له: ما لرجلك؟ قال: اجتمع عصبها، فقيل له: اذكر أحب الناس إليك، فقال: محمد، فبسطها اهـ..

و فى (البداية والنهاية) ج١٤ ص١٦٨ أن الشيخ الصالح العابد الناسك أمين الدين أيمن بن محمد كان يذكر أن اسمه محد بن محمد إلى سبعة عشر نفسا كل منهم يسمى محمدا، توفى الشيخ أيمن سنة ٧٣٤هـ. بالمدينة و دفن بالبقيع اهـ.. و أما من كان اسمه و اسم أبيه و جده محمدا فكثير جدا، منهم الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالى. و ذكر الحافظ السخاوى فى (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ج١٠ ص٣ ـ ١٨ نيفا و خمسين نفسا كل منهم محمد بن محمد بن محمد، و كلهم فى القرن التاسع، و ذكر أيضا أربعة كل منهم يسمى محمد بن محمد بن محمد بن محمد إلى أربعة أنفس.

التبرك بجسده الشريف ﷺ

و فى (المواهب اللدنية): أنه ﷺ كان يقول: «**زاهر باديتنا و نحن حاضرته**»، و كان ﷺ يحبه، فمشى ﷺ يوما إلى السوق فوجده قائما، فجاء من

قبل ظهره و ضمه بيده إلى صدره، فأحسّ زاهر بأنه رسول الله ﷺ، قال: فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء بركته. و روى الترمذي في (الشمائل) عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهرا، و كان يهدي إلى النبي ﷺ هدية من البادية، فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: «**إن زاهرا باديتنا و نحن حاضروه**»، و كان ﷺ يحبه، و كان رجلا دميما فأتاه النبي ﷺ يوما و هو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه و هو لا يبصره فقال: من هذا؟ أرسلني، فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألوا ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، فجعل النبي ﷺ يقول: «**من يشتري هذا العبد؟**» فقال: يا رسول الله إذا و الله تجدني كاسدا، فاقل النبي ﷺ: «**لكن عند الله لست بكاسد**»، أو قال: «**أنت عند الله غال**». ذكره الترمذي في باب مزاحه ﷺ. و في (المفاهيم) ص١٤٠ أخرج ابن إسحاق عن حبان ابن واسع عن أشياخ من قومه أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، و في يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية رضي الله عنه حليف بني عدي بن النجار و هو مستنصل من الصف ـ أي خارج ـ فطعنه في بطنه في القدح، و قال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله أوجعتني و قد بعثك الله بالحق و العدل فأقدني، فكشف رسول الله ﷺ عن بدنه فقال: «استقد» قال: فاعتنقه فقبّل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد، فقال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير و الحديث في (الإصابة) ج٣ـ٢١٨ أيضا.

و القدح بكسر القاف و سكون الدال السهم قبل أن يراش و ينصل، كما في (القاموس).



و فی (المفاهیم) أیضا ص١٣٨ ـ ١٤٠ عن عبدالرحمن بن أبی لیلی قال: كان أسید بن حضیر ﷺ رجلا صالحا ضاحكا ملیحا، فبینما هو عند رسول الله ﷺ یحدث القوم و یضحكهم فطعن رسول الله ﷺ فی خاصرته، فقال: أوجعتنی، قال: «اقتص»، قال: یا رسول الله إن علیك قمیصا و لم یكن علی قمیص، قال: فرفع رسول الله ﷺ قمیصه فاحتضنه ثم جعل یقبل كشحه فقال: بأبی أنت و أمی یا رسول الله أردت هذا.

قال الحاكم: هذا حدیث صحیح الإسناد و لم یخرجاه و وافقه الذهبی فقال: صحیح، قلت: و الحدیث عند أبی داود اهـ...

التبرك بعرقه ﷺ

روی البخاری فی صحیحه عن أنس أن أم سلیم كانت تبسط للنبی ﷺ نطعا فیقیل عندها علی ذلك النطع، قال: فإذا نام النبی ﷺ أخذت من عرقه و شعره، فجمعته فی قارورة ثم جمعته فی سك و هو نائم، قال أی الراوی عن أنس: فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصی أن یجعل فی حنوطه من ذلك السك قال: فجعل فی حنوطه اهـ...

و فی (فتح الباری) ج١١ ص٧١: و فی ذكر الشعر غرابة فی هذه القصة، ثم نقل من روایة محمد بن سعد ما یزیل اللبس، و حاصل ذلك أنها لما أخذت العرق وقت قیلولته أضافته إلی شعر منه ﷺ كان عندها و لیس المراد أنها أخذت من شعره ﷺ لما نام.

و روی الإمام مسلم فی باب طیب عرقه ﷺ و التبرك به من صحیحه عن أنس ابن مالك ﷺ قال: كان النبی ﷺ یدخل بیت أم سلیم فینام علی فراشها و لیست فیه، قال: فجاء ذات یوم فنام علی فراشها فأتیت، فقیل لها: هذا

النبی ﷺ نام فی بیتك علی فراشك، قال: فجاءت و قد عرق واستنقع عرقه علی قطعة أديم علی الفراش، ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فی قواريرها، ففزع النبی ﷺ فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت يا رسول الله: نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت.

قال فی (فتح الباری) ج٦ ص٥٧٣: و فی بعض طرق حيث أنس: و هو أطيب الطيب.

وفی (سير أعلام النبلاء) نقلا عن ابن سعد أنه لما قال النبی ﷺ لأم سليم: ما تصنعين؟ قالت له: آخذ هذه البركة التی تخرج منك.

قال النووی ؒ فی شرحه علی (صحيح مسلم) ج٥ ص٨٧: العتيدة كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها. و قال الحافظ فی (فتح الباری): العتيدة السلة، و النطع بكسر النون و فتحها و مع كل واحد فتح الطاء و سكونها بساط من الأديم، و السك بضم السين و تشديد الكاف طيب مركب، وقوله فزع: أی استيقظ من نومه، و استنقع بمعنی استجمع كما فی (النهاية).

و قال النووی ؒ فی شرحه علی مسلم فی باب فضائل أم سليم: كانت أم سليم و أختها محرمين له ﷺ، إما من الرضاع، و إما من النسب، فتحل له الخلوة بهما، و كان يدخل عليهما خاصة لا يدخل علی غيرهما من النساء إلا أزواجه اهـ..

و فی (فتح الباری) أن ابن الجوزی قال: كانت أم سليم أخت آمنة بنت و هب أم رسول الله ﷺ من الرضاعة، و ذكر أقوالا كثيرة غير هذا اهـ...

قلت: أخت أم سليمهی أم حرام بنت ملحان.

و فی (سير أعلام النبلاء) ج٢ ص٣٠٧: عن أيوب عن ابن سيرين عن أم سليم قالت: كان رسول الله ﷺ يقيل فی بيتی و كنت أبسط له نطعا فيقيل عليه



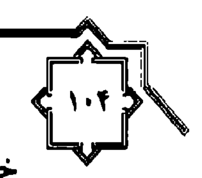
فيعرق و كنت آخذ سكا فأعجنه بعرقه، قال ابن سيرين فاستوهبت من أم سليم من ذلك السك فوهبت لى منه، قال أيوب: فاستوهبت من محمد بن سيرين من ذلك السك فوهب لى منه، فإنه عندى الآن، قال: و لما مات محمد حنط بذلك السك. وراه ابن سعد عن عبد الله بن جعفر الرقى عن عبيدالله بن عمرو عنه.

و فى (فتح البارى) ج٦ ص٥٧٣: أخرج أبو يعلى و الطبرانى من حديث أبى هريرة فى قصة الذى استعان به ﷺ على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شىء، فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه و قال له: مرها فلتطيب به، فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين. و سلت بمعنى أزال كما فى (المصباح) و فى (القاموس): سلت القصعة مسحها بأصبعه.

فائدة:

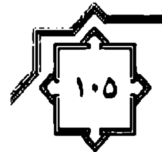
قال الحافظ الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) ج١٣ ص٢٥٢: أخبرنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوى بنيسابور أخبرنى على بن أحمد بن عبد العزيز الجرجانى، حدثنى داود ابن سليمان بن خزيمة البخارى حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت قاعدة أغزل و النبى ﷺ يخصف نعله فجعل جبينه يعرق، و جعل عرقه يتولد نورا فبهتُّ، فنظر إلىّ رسول الله ﷺ، فقال: **«ما لك يا عائشة بهت؟»** فقلت: جعل جبينك يعرق، و جعل عرقك يتولد نورا، و لو رآك أبو كبير الهذلى لعلم أنك أحق بشعره، قال: **«و ما يقول أبو كبير؟»** قالت: قلت يقول:

و مبرأ من كل غبر حيضة و فساد مرضعة وداء مغيل
فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل



قالت: فقام النبى ﷺ و قبل بين عينى و قال: «**جزاك الله يا عائشة عنى خيرا، ما سررت منى كسرورى منك**»، و رواه الخطيب أيضا بسند آخر، و قال: قال أبوذر: قال أبو على صالح بن محمد البغدادى ما معناه: و سند هذا الحديث عندى حسن اهـ باختصار.

وفى (نسيم الرياض شرح الشفاء) ج١ ص٣٢٦: روى عن عائشة رضي الله عنها أنها نظرت إلى النبى ﷺ و هو يخصف نعله، و قد عرق جبينه و جعل عرقه يتولد نورا فبهتت، فقال: «**ما لك تبهتين؟**» فقالت: نظرت لعرقك يتولد نورا، فلو رآك أبو كبير الهذلى لعلم أنك أحق بقوله: و مبرأ من كل غبر حيضة إلى البيتين المذكورين، فقام النبى ﷺ و قبل بين عينى، و قال: «**جزاك الله عنى خيرا ما سررت بشىء كسرورى بهذا**»، و غُبَّر حيضة: بضم الغين المعجمة و فتح الباء الموحدة المشددة بقاياه اهـ. باختصار. و ذكرت هذه القصة أيضا فى (تهذيب تاريخ ابن عساكر) ج١ ص٣٢٥ و ذكرها العمرانى فى باب الحيض من كتابه (البيان) ج١ ص٣٤٨ و زاد فيها فقال النبى ﷺ: و أنت مبرأة من أن تكون أمك حملت بك فى غبر الحيض. و الغبر البقية اهـ.. و فى (المشكاة) و شرحه (مرقاة المفاتيح) ج٦ ص٢٣٨: و عن جذامة بنت و هب قالت: حضرت رسول الله ﷺ فى أناس و هو يقول: لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت فى الروم و فارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئا، رواه مسلم و الغيلة: بكسر الغين المعجمة الإرضاع حال الحمل، و فى (النهاية): الغيلة: بفتح الغين أن يجامع الرجل زوجته و هى مرضعة و كذلك إذا حملت و هى مرضع، و الأطباء يقولون: إن ذلك اللبن داء، و العرب تكرهه و تتقيه، ذكره السيوطى، قال القاضى: كان العرب يحترزون عن الغيلة و يزعمون أنها تضر الولد و كان ذلك من المشهورات الذائعة عندهم. و قال الإمام النووى فى شرح هذا



الحديث: قال أهل اللغة: الغيلة هنا بكسر الغين و يقال لها الغيل بفتح الغين مع حذف الهاء، و اختلف العلماء فى المراد بالغيلة في هذا الحديث فقال مالك فى (الموطأ) و الاصمعى و غيرهما من أهل اللغة: هى أن يجامع امراته و هى مرضع، يقال فيه: أغال الرجل و أغيل إذا فعل ذلك، و قال ابن السّكّيت: هو أن ترضع المرأة و هى حامل، يقال فيه: غالت و أغليت. و فى الحديث جواز الغيلة فإنه ﷺ لم ينه عنها و بين سبب ترك النهى اهـ.. و أسرة الوجه خطوطه، و الأسارير جمع الجمع. و فى حديث عائشة ﵂ في صفته ﷺ: تبرق أسارير وجهه و هى الخطوط التى فى الجبهة، و هى أيضاً محاسن الوجه. و العارض: السحاب. و منه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾، و اسم أبى كبيرعامر بن حليس كما فى شرح (القاموس). و بالجملة كان وجهه ﷺ نورا يتوقد و عرقه نورا يتلألأ و قد قالوا: و كل أناء بالذى فيه يرشح، قال البوصيرى فى همزيتة:

فعله كله جميل و هل ينـ ـضح إلا بما حواه الإناء

بل كان كله ﷺ نورا ساطعا ظاهرا و باطنا حسا و معنى، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾، فالكتاب القرآن العظيم، النور هو نبينا الكريم الوسيم محمد ﷺ. و كما كان ﷺ نورا كذلك كان كله طيبا، ففى (فتح البارى) ج٦، ص٥٧٤: روى أبو يعلى و البزار بإسناد صحيح عن أنس: كان رسول الله ﷺ إذا مر فى طريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك فيقال: مر رسول الله ﷺ اهـ...

ملاحظة:

لقد حدث فى الإسلام من بعض الطوائف استنكار التبرك و كراهيته، بل و استقباحه و منعه بتاتا، فالذى ينبغى للمومن أن يأخذ حذره عن هذا الحادث

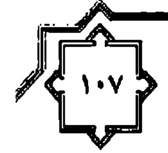
البغيض، و يقتنع بالسنن الثابتة عن سيدالكونين ﷺ، و ليطمئن قلبه بقوله ﷺ للتي ترجو بركة عرقه: أصبت، و ليستحي المسلم بعد هذا أن يقول لمن يتبرك به ﷺ أو بورثته: أخطأت.

التبرك بريقه الشريف ﷺ

روى مسلم رحمه الله عن أنس رضي الله عنه قال: لما ولدت أم سليم قالت لي: يا أنس انظر هذا الغلام فلا يصيبن شيئا حتى تغدو به إلى النبي صلى الله عليه و سلم يحنكه قال: فغدوت فإذا هو في الحائط و عليه خميصة جونية و هو يسم الظهر الذي قدم عليه في الفتح.

قال النووي في شرحه على (صحيح مسلم) في باب جواز وسم الحيوان غير الآدمي في غير الوجه ج١٤ ص٩٨ ـ ١٠٠: في هذا الحديث فوائد منها حمل المولود عنه ولادته إلى واحد من أهل الصلاح و الفضل يحنكه بتمرة ليكون أول ما يدخل في جوفه ريق الصالحين فيتبرك به. الخميصة كساء من صوف أو خز، و الجونية منسوبة إلى بني الجون قبيلة من الأزد اهـ... قول: يسم الظهر من وسم دابته بالميسم و سما. و الوسم أثر الكي، و السمة العلامة، و قوله: الظهر المراد به الإبل، سميت بذلك لأنها تحمل الأثقال على ظهرها.

و روى مسلم أيضا عن أنس رضي الله عنه قال: ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله ﷺ حين ولد، و رسول الله ﷺ في عباءة يهنأ بعيرا له فقال: «هل معك تمر؟» فقلت: نعم، فناولته تمرات فألقاهن في فيه فلاكهن، ثم فغر فا الصبي فمجه في فيه، فجعل الصبي يتلمظه، فقال رسول الله ﷺ: «حب الأنصار التمر» و سماه عبد الله اهـ. و قال النووي في (شرحه على مسلم) ج١٤ ص١٢٣: قوله: يهنأ أي يطليه بالقطران، و قوله: فلاكهن أي



مضغهن، و قوله فغر فا الصبى أى فتح فـم الـصبى، و قولـه يتلمظـه أى يحـرك لسانه لتتبع ما فى فمه من آثار التمر، و التلمظ فعل ذلك باللسان يقصد به فاعله تنقية الفم من بقايا الطعام، و كذلك ما على الشفتين، و أكثر ما يفعل ذلـك فـى شىء يستطيبه. و قوله: حب الأنصار روى بكسر الحاء بمعنى المحبوب كالـذبح بمعنى المذبوح، فالباء مرفوعة أى محبوب الأنصار التمر، و روى بـضم الحـاء و هومصدر، و على هذا فباء حب منصوبة فتقديره: انظروا حب الأنـصار التمـر، فالتمر منصوب أيضا و يجوز رفع الباء فهى مبتدأ حذف خبره أى حب الأنـصار التمر لازم أو نحوها اهـ...

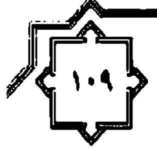
و روى الإمام مسلم أيضا عن أنس بن مالـك رضي الله عنه قـال: كـان ابـن لأبـى طلحة يشتكى، فخرج أبو طلحة فقبض الصبى، فلما رجع أبـو طلحـة قـال: مـا فعل ابنى؟ قالت أم سليم: هو أسكن مما كـان فقربـت إليـه العـشاء فتعشى ثـم أصاب منها، فلما فرغ قالت: و اروا الصبى، فلما أصبح أبـو طلحـة أتـى رسـول الله ﷺ فأخبره، فقال: «أعرستم الليلة؟» قـال: نعـم، قـال: **اللهـم بـارك لهـما**، فولدت غلاماً، فقال لي أبو طلحـة: احملـه حتـى تـأتي بـه النبـي ﷺ، فـأتى بـه النبي ﷺ، و بعثت معه بتمـرات، فأخـذه النبـى ﷺ، فقـال: «**أمعـه شـىء؟**» قالوا: نعم تمرات، فأخذها النبى ﷺ فمضغها، ثم أخذها من فيـه فجعلهـا فـى فى الصبى ثم حنكه و سماه عبد الله.

و روى الإمام مسلم فى صحيحه عن عروة بن الزبير و فاطمة بنت المنذر بن الزبير: أن أسماء بنت أبى بكر خرجت حين هاجرت و هى حبلـى بعبـد الله بـن الزبير، فقدمت قباء فنفست بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نفست إلـى رسـول الله ﷺ ليحنكه، فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه فى حجره، ثم دعـا بتمـرة قال: قالت عائشة: فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها، فمضغها ثم بصقها فى

فيه، فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسولالله ﷺ، ثم قالت أسماء: ثم مسحه و صلى عليه و سماه عبد الله، ثم جاء و هو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ و أمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلا إليه ثم بايعه. قال النووي في شرحه ج١٤ ص١٢٦ قوله: صلى عليه أي دعا له، و ذكر أيضا أن فيه استحباب مسح المولود للتبريك و فسر قوله ثم بايعه: بإنها بيعة تبريك و تشريف لا بيعة تكليف اهـ...

وروى الإمام مسلم في صحيحه: عن أسماء بنت أبي بكر أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت و أنا متم فأتيت المدينة، فنزلت بقباء ثم أتيت رسول الله ﷺ فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له و برك عليه، و كان أول مولود ولد في الإسلام. قال النووي في شرح هذا الحديث: يعني أول من ولد في المدينة بعد الهجرة من أولاد المهاجرين، و إلا فالنعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه ولد قبله بعهد الهجرة و قولها: و أنا متم أي قريبة الولادة.

و روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي موسى قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم و حنكه بتمرة. وروى الإمام مسلم في صحيحه: عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم و يحنكهم. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة في تمييز الصحابة) ج١، ص٤: يغلب على الظن أن من الصحابة كل من ولد في عهد النبي ﷺ لبعض الصحابة من النساء و الرجال، ممن مات النبي ﷺ و هو في دون سن التمييز، و إنما يلحق بالصحابة للظن الغالب على أنه ﷺ رآهم لتوفر دواعي أصحابه على إحضارهم أولادهم عنده ﷺ عند ولادتهم ليحنكهم و يسميهم و يبرك



عليهم، و الأخبار بذلك كثيرة شهيرة. و أخرج الحاكم في كتاب الفتن في (المستدرك) عن عبدالرحمن بن عوف ﷺ قال: ما كان يولد لأحد مولود إلا أتي به النبي ﷺ فدعا له ـ الحديث. و أخرج ابن شاهين في كتاب (الصحابة) في ترجمة محمد بن طلحة بن عبد الله أنه لما ولد محمد بن طلحة أتي به النبي ﷺ ليحنكه و يدعو له، و كذلك كان يفعل بالصبيان اهـ. باختصار.

و قال النووي: تحنيك المولود سنة بالإجماع. و قال الحافظ في (الإصابة) ج٤ ص١٤٣ أيضا: و في (معجم البغوية) أن ابن عمر ﷺ كان يقرب ابن عباس ﷺ و يقول: إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك فمسح رأسك و تفل في فيك، و قال: اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل، و قال أيضا: روى ابن خثيم عن ابن عباس نحوه.

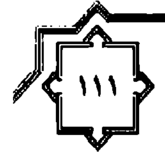
ورواه الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج١ ص١٧٤ بسنده عن ابن عمر ﷺ بلفظ قريب إلى رواية البغوي.

و روى البخاري عن جابر بن عبد الله ﷺ في إطعامه رسول الله ﷺ و أهل الخندق من صاع شعير و عناق أنه ﷺ بصق في العجين و البرمة و بارك، و قال جابر: أقسم بالله أكلوا حتى تركوه و انحرفوا و إن برمتنا لتغط كما هي، و إن عجيننا يخبز كما هو، و قد كان عددهم ألفا و هو حديث طويل.

و روى البخاري في غزوة خيبر أنه ﷺ قال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه**» فأتي فبصق رسول الله ﷺ في عينيه و دعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. وروى مسلم نحوه. و قال القسطلاني في (المواهب اللدنية): روى الطبراني من حديث علي قال: فما رمدت و لا صدعت منذ دفع إليّ رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر. و روى الحاكم من حديث علي قال: فوضع ﷺ رأسي في حجره ثم بصق في راحته

فدلك بها عيني. و في الطبراني: قال علي: فما اشتكيتهما حتى يومي هذا. والقر: بالضم البرد كما في (القاموس).

و عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي، فأتيت بهما رسول الله ﷺ فأعادهما مكانهما، و بصق فيهما فعادتا تبرقان. قلت: وروى قصة قتادة البيهقي في (الدلائل) ج٣ ص٢٥١، و الحافظ ابن حجر في (الإصابة) ج٥ ص٤١٧ و الدارقطني، و القاضي عياض في (الشفاء) و غيرهم. و في (نسيم الرياض) ج٣ ص١٠٥: و اختلف هل قلعت عينه أو عيناه؟ و المشهور الأول، و رجح ابن حجر الهيتمي في شرح الهمزية الثاني، و اختلف أيضا هل انفصلت أو لا؟ فقيل: إنها بقيت معلقة و قيل: سقطت فأتي بها أو بهما في كفه، فقال له رسول لله ﷺ: أن شئت فاصبر و لك الجنة و أن شئت رددتها، قال يا رسول الله: إني محب للنساء، و عندي امرأة أحبها فأخشى أن تقذرني فردها و ادع الله لي بالجنة، ففعل فكانت أقوى عينيه و أحسنهما. و في (المواهب) ج٢ ص٥٨٠ ـ ٥٨١ و (نسيم الرياض) ج٣ ص١٠٧: روى ابن أبي شيبة و البغوي و البيقهي و الطبراني أنه ﷺ نفث في عيني فديك و كانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا، و كان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الإبرة و إنه لابن ثمانين سنة، و إن عينيه لمبيضتان اهـ.. و روى البخاري أنه أصيب سلمة بن الأكوع يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها رسول الله ﷺ ثلاث نفثات فما اشتكاها قط. و في (الشفاء) أنه ﷺ بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد، قال: فما ضرب علي و لا قاح اهـ.. و في (نسيم الرياض) ج٣ ص١٠٥ قوله ما ضرب عليّ أي ما آلمني يقال: ضرب الدهر بمعنى آلم، و قوله: و لا قاح من القيح أي ما سال منه قيح و ذي قرد بفتح القاف و الراء و روى بضمهما و هو اسم ماء بينه و بين المدينة مسافة يوم و ليلتين اهـ.



و أخرج البيهقى أيضا فى (الدلائل) ج٣ ص٩٧ ـ ٩٨: أن خبيب بن عدى ضرب يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله ﷺ و لأمه ورده فانطبق. قوله: لأمه في (المقاييس) لابن فارس: لأمت الجرح و الصدع إذا سددت و إذا اتفق شيئان فقد التأما.

و أخرج البيهقى فى (الدلائل) ج٣ ص١٠٠: و الهيثمى فى (مجمع الزوائد): أن رفاعة ابن رافع بن مالك قال: لما كان يوم بدر تجمع الناس على أمية بن خلف، فأقبلت إليه فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه، قال: فأطعَنَه بالسيف فيها طعنة، و رُميَتُ بسهم يوم بدر ففقئت عينى، فبصق فيها رسول الله ﷺ و دعا لى، فما آذانى منها شىء.

و ذكر البيهقى فى (الدلائل) ج٦ ص٢٢٧ و العسقلانى فى (الإصابة) ج٦ ص٢٤٦: أن ثابت بن قيس بن شماس فارق جميلة بنت عبد الله بن أبى و هى حامل بمحمد، فلما ولدته حلفت أن لا تلبنه من لبنها، فدعا به رسول الله ﷺ فبصق فى فيه و حنكه بتمرة عجوة و سماه محمدا، و قال: اختَلِف به فإن الله رازقه، فأتيته اليوم الأول و الثانى و الثالث فإذا امرأة من العرب تسأل عن ثابت بن قيس، فقلت لها: ما تريدين منه؟ أنا ثابت، فقالت: رأيت فى منامى هذه الليلة كأنى أرضع ابنا له يقال له: محمد، فقال: فإنا ثابت و هذا ابنى محمد، قال: و إذا درعها ينعصر من لبنها اهـ. و اللفظ للبيهقى.

و فى (الإصابة) اذهب به بدل قوله: اختلف به وقوله: أن لا تلُبنه أى لا تسقيه بلبنها، يقال: لبنته إذا سقيته اللبن. و فى (القاموس) و شرحه لَبَنَه يلبنه من باب ضرب و نصر.

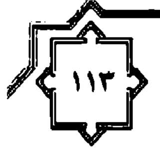
و أخرج البيهقى فى (دلائل) ج٦ ص٢٢٥: أن عامر بن كريز أتى بابنه النبى ﷺ و هو ابن خمس سنين أو ست سنين، فتفل النبى ﷺ فى فيه، فجعل

يزدرد ريق النبى ﷺ و يتلمظ، فقال النبى ﷺ: «**إن ابنك هذا مسقى**»، قال: فكان يقال: لو أن عبد الله قدح حجرا أماهه، يعنى يخرج من الحجر الماء من بركته. و فى شرح (القاموس): قدح الختام قدحا فضه. و القدوح الركى تغرف باليد. و فى (أساس البلاغة) للزمخشرى: بئر قدوح لا يوجد ماؤها إلا غَرفة غَرفة.

و أخرج البيهقى فى (دلائل النبوة) ج٦ ص٢٢٦: بسنده عن علية بنت الكميت العتكية عن أمها أميمة قالت: قلت لأمة الله بنت رزينة مولاة رسول الله ﷺ: يا أمة الله أسمعت أمك رزينة تذكر أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر صوم يوم عاشوراء قالت: نعم، كان يعظمه و يدعو برضعائه و رضعاء ابنته فاطمة، و يتفل فى أفواههم، و يقول للأمهات: لا ترضعنهن إلى الليل.

و روى ابن السنى فى (عمل اليوم و الليلة) ص٢٨٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه فى قصة زواج على بن أبى طالب و فاطمة بنت رسول الله ﷺ و رضي الله عنهما قال أنس: فقال النبى ﷺ: «**ائتونى بماء**»، قال على: «**فقمت فملأته القعب فأتيته به، فأخذه و مج فيه ثم قال لى: تقدم، فصبّ على رأسى و بين يدى، ثم قال: اللهم إنى أعيذه بك و ذريته من الشيطان الرجيم، ثم قال: أدبر فأدبرت فصب بين كتفى، ثم قال: اللهم أنى أعيذه بك و ذريته من الشيطان الرجيم، ثم قال: يا على ادخل باسم الله بأهلك على البركة**»اهـ... باختصار. و قوله: فملأت القعب فى (القاموس و شرحه) القعب القدح الضحم الغليظ و قيل: قدح من حشب.

و روى البيهقى فى (دلائل النبوة) ج٥ ص٤٤٤: عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه قالت: رأيت رسول الله ﷺ عند جمرة العقبة راكبا و وراءه رجل يستره من رمى الناس، فقال: «**يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضا، و من**



رمى جمرة العقبة فليرمها بمثل حصى الخذف»، قالت: و رأيت بين أصابعه حجرا، قالت: فرمى و رمى الناس، قالت، ثم انصرف، فجاءت امرأة و معها ابن لها به مس، قالت: يا نبى الله ابنى هذا، فأمرها النبى ﷺ فدخلت بعض الأخبية، فجاء بتور من حجارة فيه ماء فأخذ بيده فمج فيه و دعافيه و أعاد فيه، ثم أمرها فقال: «اسقيه و اغسليه فيه»، قال: فتبعتها، فقلت: هبنى لى من هذا الماء، فقالت: خذى منه فأخذت منه حفنة فسقيته ابنى عبد الله فعاش فكان من بره ما شاء الله أن يكون، قالت: و لقيت المرأة فزعمت أن ابنها برىء و أنه غلام لا غلام خير منه قوله: قال: فتبعتها. كذا فى نسخة (دلائل النبوة) و الظاهر ـ قالت ـ و الله أعلم. قوله بتور: التور إناء يشرب فيه، قوله: هبنى لى كذا فى نسختى و لعله هبى لى.

و أخرج البيهقى فى (الدلائيل) ج٦ ص١٧٤ ـ ١٧٥ بسنده: أن محمد بن حاطب قال: وقعت على يدى القدر فاحترقت، فانطلقت بى أمى إلى النبى ﷺ فجعل يتفل عليها و يقول: «أذهب الباس رب الناس»، و أحسبه قال: «و اشف أنت الشافي». و فى رواية أخرى: أن أم محمد بن حاطب قالت له: أقبلت بك من أرض الحبشة، حتى إذا كنت من المدينة بليلة أو ليلتين فطبخت لك طبيخا ففنى الحطب، فرحت لطلب الحطب فتناولت القدر فانكفت على ذراعك، فقدمت المدينة فأتيت بك النبى ﷺ، فقلت يا رسول الله هذا محمد بن حاطب، و هو أول من سمى بك، فمسح على رأسك و دعا بالبركة، ثم تفل فى فيك، و جعل يتفل على يديك، و هو يقول: «أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»، قالت: فما قمت من عنده حتى برئت يدك و ذكره أيضا القاضى عياض فى (الشفاء) و قال الشهاب الخفاجى فى (نسيم الرياض) ج٣ ص١١٢ و ملا على

 سلطان قاری فی شرحه علیه أیضا ج۳ ص۱۱۳: رواه النسائی و الطیالسی. قوله انکفت: الذی فی (الشفاء): انکفأت و هو الصواب إن شاء الله و معنا انقلبت.

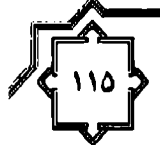
و أخرج البیهقی فی (الدلائل) ج٦ ص۱۷٦ عن شرحبیل الجعفی قال: أتیت رسول الله ﷺ و بکفی سلعة، فقلت: یا رسول الله هذه السلعة قد آذتنی تحول بینی و بین قائم السیف أن أقبض علیه عنان الدابة، فقال: **«ادن منی»**، فدنوت منه، فقال لی: **«افتح کفك»** ففتحتها، ثم قال: **«اقبضها»** فقبضتها ثم قال: **«ادن منی»** فدنوت منه فقال: **«افتحها»** ففتحتها، فنفث فی کفی و وضع کفه علی السلعة فما زال یطحنها بکفه حتی رفعها عنها و ما أدری أین أثرها. و قائم السیف مقبضها کما فی (تاج العروس) و یقال: قائمة السیف أیضا.

و ذکر حدیث شرحبیل القاضی عیاض فی (الشفاء) مختصرا.

و قال شارحه الشهاب الخفاجی ج۳ ص۱۱۳: رواه الطبرانی و البیهقی. شرحبیل بضم الشین و فتح الراء و سکون الحاء و موحدة مکسورة صحابی، و قوله: سلعة بکسر السین، و هی زیادة تحدث بین الجلد و اللحم کالغدة، و عنان الدابة ما یقاد به الفرس و نحوه.

و فی (الشفاء) للقاضی عیاض: أن کلثوم بن الحصین رُمی یوم أحد فی نحره فبصق رسول الله ﷺ فیه فبرأ، و حصین بضم الحاء و فتح الصاد، و کلثوم صحابی شهد أحدا و بایع تحت الشجرة.

و أخرج البیهقی فی (الدلائل) ج٦ ص۱۷۸: أن خبیب بن إساف قال: أتیت النبی ﷺ أنا و رجل من قومی فی بعض مغازیه فقلنا: إنا نشتهی معك مشهدا، قال: **«أسلمتم؟»** فقلنا: لا قال: **«فإنا لا نستعین بالمشرکین»**، قال: فأسلمت فشهدت مع رسول الله ﷺ فأصابتنی ضربة علی عاتقی، فأتیت



النبى ﷺ، فتفل فيها فألزقها فالتئمت و برئت، و قتلت الذى ضربنى، ثم تزوجت ابنة الذى ضربته فقتلته، و حدثتنى و كانت تقول: لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فأقول: لا عدمت رجلا عجل أباك إلى النار انتهى باختصار و ذكره العسقلانى فى (الإصابة) ج٢ ص٢٦٢ مختصرا. و ذكر هذا الحديث القاضي في (الشفاء)، و قال الشهاب الخفاجي في (نسيم الرياض) ج٣ ص١١١: قوله: خبيب بالتصغير أى بضم الخاء المعجمة و فتح الباء، و إساف بكسر الهمزة و يقال: يساف بكسر الياء أو بفتحها، و قوله: الوشاح بالضم و الكسر و هو أديم عريض يرصع بالجواهر فتشده المرأة بين عاتقيها و كشحيها كما فى (القاموس)، قال الخفاجى تعنى الضربة التى فى محل الوشاح.

و فى (الشفاء) أن أبا جهل قطع يوم بدر يد معوذ بن عفراء، فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله ﷺ و ألصقها فلصقت رواه ابن وهب. و قال الشهاب الخفاجي فى (نسيم الرياض) ج٣ ص١١١: أى فلصقت كما كانت فى مكانها ببركته ﷺ و بركة ريقه الشريف الذى تفله عليها، و روى أن معاذ بن عفراء قتل أبا جهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه و طرح يده و تعلقت بجلدة من جنبه و أجهضه القتال، فقاتل يومه و هو يسحب يده خلفه، فلما آذته وضع عليها قدمه فقطعها. ذكر هذه الرواية ابن سيد الناس و نقلها عن المصنف فى غير هذا الكتاب، فيحتمل أن أبا جهل قطع يد معوذ ثم استشهد، و قطع ابنه عكرمة يد معاذ و الله أعلم، و معوذ و معاذ أخوان و أمهما عفراء بنت عبيد، و لهما أخ آخر اسمه عوف شهدوا كلهم بدرا فاستشهد عوف و معوذ بها و بقى معاذ بن عفراء إلى زمان عثمان ابن عفان رضي الله عنه. و معوذ بن عفراء بضم الميم و فتح العين و تشديد الواو المكسورة و تفتح اهـ...



و فى (الشفاء) انه ﷺ نفث فى رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت، و قال الشهاب الخفاجى و ملا على بن سلطان قارىء فى شرحيهما على (الشفاء) ج٣ ص١٠٩: رواه عبد بن حميد فى تفسيره ثم قال على بن سلطان قارى: و رواه ابن إسحاق و الواقدى لكن قالا بدل زيد بن معاذ: الحارث بن أوس. ورواه البيهقى و ذكر بدلها عباد بن بشر و هو ممن حضر قتل كعب، و أما زيد بن معاذ فقال الحلبى: لا أعرف أنه ذكر فى هذه الواقعة بل و لا فى الصحابة أحد يقال له: زيد بن معاذ إلا أن يكون أحد نسب إلى جده أو جد له أعلى.

و فى (الشفاء) أنه ﷺ تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تُمِدّ، و أنيس بالتصغير هو ابن أسعد بن حرام و قوله: فلم تمد بضم المثناة الفوقية و كسر الميم و تشديد الدال المهملة المفتوحة أى لم يبق فيها مدة بكسر الميم و هى القيح.

قال الخفاجى فى شرحه ج٣ ص١٠٨: و روى هذا الحديث الطبرانى مسندا.

و فى (الشفاء) أيضا أنه ﷺ نفث على ساق على بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرىء مكانه و ما نزل عن فرسه، أى برأ فى مكانه.

و روى البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفا و أربعمائة أو أكثر، فنزلوا على بئر فنزحوها، فأتوا رسول الله ﷺ فأتى البئر و قعد على شفيرها ثم قال: «**ائتونى بدلو من مائها**» فأتى به، فبصق فدعا، ثم قال: دعوها ساعة، فأرووا أنفسهم و ركابهم حتى ارتحلوا. قال الحافظ فى (الفتح) ج٧ ص٤٤٢: و النّزح أخذ الماء شيئا بعد شىء إلى أن لا يبقى منه شىء.



و روى مسلم فى كتاب الجهاد و السير فى باب غزوة ذى قرد عن إياس بن سلمة بن الأكوع قال: حدثنى أبى قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية و نحن أربع عشرة مائة، و عليها خمسون شاة لا ترويها، قال: فقعد رسول الله ﷺ على جَبَا الركية فإما دعا و إما بصق فيها فجاشت فسقينا و استقينا.

و الركية البئر، و جباها ما حولها، و قوله: فجاشت أى ارتفعت و فاضت.

و فى رواية للبيهقى فى (الدلائل) ج٤ ص١١٢: أن عروة بن الزبير ذكر خروج النبى ﷺ قال: و خرجت قريش من مكة، فسبقوه إلى (بلدح) وإلى الماء فنزلوا عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ أنه قد سبق نزل إلى الحديبية، و ذلك فى حر شديد و ليس بها إلا بئر واحدة، فأشفق القوم من الظمأ و القوم كثير، فنزل فيها رجال يميحونها، و دعا رسول الله ﷺ بدلو من ماء فتوضأ فى الدلو ومضمض فاه ثم مج به و أمر أن يصب فى البئر، و نزع سهما من كنانته فألقاه فى البئر، و دعا الله تبارك و تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها و هم جلوس على شفتيها.

و روى عروة هذا الحديث عن مروان بن الحكم و المسور بن مخرمة كما يفهم من عبارة البيهقى و الله أعلم. و (بلدح) و اد قبل مكة أو جبل بطريق جدة. وفار الماء: هاج و نبع. و قوله: يميحونها من الميح و هو كما فى (القاموس) أن تدخل البئر فتملأ الدلو لقلة مائها.

و فى (الشفاء) و شرحه (نسيم الرياض) ج٣ ص١٠٦: روى أبو نعيم عن عروة أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبى ﷺ فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها، فأعطاها رسوله، فأخذها متعجبا يرى أن قد هزىء به، فأتاه به على شفا فشربها فشفاه الله. و قوله حثوة من حثا يحثو أى أخذ قبضة من التراب، و قوله شفا بفتح الشين المعجمة و الشفا مقصور أى قريب

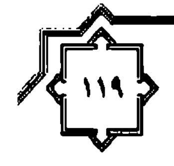
من الموت، و قوله: فشربها أى وضع الحشوة فى ماء و شربها فشفاه الله عليه ببركته ﷺ.

و فى (البخارى) فى باب متى يصح سماع الصبى عن محمود بن الربيع قال: عقلت من النبى ﷺ مجة مجها فى وجهى و أنا ابن خمس سنين من دلو، قال العينى فى شرحه عليه ج٢ ص٧١ ـ ٧٣: معنى عقلت عرفت أو حفظت، و المجة رمى الشراب من الفم و إنما مج فى وجهه لإفادته البركة.

و روى البخارى فى باب غزوة الطائف عن أبى موسى ؓ قال: كنت عند النبى ﷺ و هو نازل بالجعرانة بين مكة و المدينة، و معه بلال، فأتى النبى ﷺ أعرابى فقال: ألا تنجز ما وعدتنى؟ فقال له: «أبشر»، فقال: قد أكثرت على من أبشر فأقبل على أبى موسى و بلال كهيئة الغضبان، و قال: رد البشرى فاقبلا أنتما قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه و وجهه فيه، و مج فيه، ثم قال: اشربا منه و أفرغا على وجوهكما و نحوركما و أبشرا، فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة. و روى البخارى هذا الحديث مختصرا، فى باب استعمال فضل وضوء الناس و قال الحافظ العسقلانى فى شرحه فى هذا الباب ج١ ص٢٩٥: قوله: و مج فيه أى صب ما تناوله من الماء فى الإناء، و الغرض بذلك إيجاد البركة بريقه المبارك اهـ...

و اعلم أنه ذكر الفقهاء و علماء المناسك أنه ﷺ بصق فى آبار المدينة المنورة و أنه يسن الشرب من مائها و ذكر منها الهيتمى سبعة فى حاشيته على (مناسك الحج) للإمام النووى ؒ تعالى ص٥٠٨ ـ ٥١٠ و هى:

١ـ بئر غرس بمعجمة مضمومة أو مفتوحة، ورد أنه ﷺ اغتسل منها و كان يشرب منها، و أنه ﷺ قال: إنى رأيت الليلة أنى أصبحت على بئر من الجنة فأصبح على بئر غرس، فتوضأ منها و بزق فيها، و أهدى له عسل فصبه فيها.



٢ـ و بئر بضاعة بموحدة مضمومة ورد أنه ﷺ توضأ من دلو منها اورده إليها و بصق فيها. قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما كنا نغسل المرضى منها ثلاثة أيام فيعافون.

٣ـ و بئر أنس بن مالك رضي الله عنه، ورد أنه ﷺ بزق فيها فلم يكن بالمدينة أعذب منها.

٤ـ و بئر إهاب، ورد أنه ﷺ بزق فيها و لم يزل أهل المدينة يتبركون بها و ينقل إلى الآفاق من مائها كما ينقل من ماء زمزم، و سموها (بزمزم) لبركتها.

٥ـ و بئر القراضة، ورد أنه ﷺ بصق فيها.

٦ـ و بئر الفريضة، ورد أنه ﷺ توضأ منها و شرب و بصق فيها.

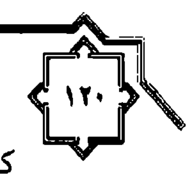
٧ـ و بئر اليسيرة ـ من اليسر ضد العسر ـ ورد أنه ﷺ سماها بذلك لما قيل له،: إن اسمها عسيرة و بصق فيها و برك.

فائدة:

و فى (مغنى المحتاج فى شرح المنهاج) للخطيب الشربينى: يسن أن يأتى بئر أريس فيشرب منها و يتوضأ و كذلك بقية الآبار السبعة و قد نظمها بعضهم فى بيت فقال:

أريس و غرس رومة و بضاعة　　　كذا بصّة قل بيرحاء مع العهن

فأما أريس بوزن جليس فسيأتى فى التبرك بخاتمه ﷺ، ورومة بضم الراء هى التى اشتراها عثمان رضي الله عنه لما قال ﷺ: من يشترى رومة فيتصدق بها، و بصة قال الهيتمى: بموحدة مضمومة فمهملة مخففة، و قيل: مشددة من و بص كوعد إذا بلغ أو أعطى، أو من بص الماء إذا رشح و بيرحاء ورد فى الصحيح أنه ﷺ كان يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب، و العهن بكسر فسكون قيل: إنها اليسيرة المذكورة.



قال النووی فی (الإیضاح) یستحب أن یأتی الزائر لقبره ﷺ الآبار التی کان رسول الله ﷺ یتوضأ منها و یغتسل، فیشرب و یتوضأ و هی سبع آبار اهـ...

و قال الهیتمی فی حاشیته: قیل: و تزید الآبار علی ذلك ثم ذکر تسعة عشر، و قال: حصر المصنف و غیره لها فی سبع کأنه للذی اشتهر معرفته اهـ..

و فی (مجمع الزوائد) ج٥ ص٨٣ فی باب المج فی الإناء رجاء البرکة: عن ابن عباس رضی الله عنه قال: جاءنا رسول الله ﷺ إلی منزلنا، فناولته دلوا فشرب ثم مج فی الدلو، رواه البزار و رجاله ثقات. و فی (فتح الباری) ج٦ ص٥٧٣: روی الإمام أحمد عن وائل بن حجر ما لفظه: أتی رسول الله ﷺ بدلو من ماء فشرب منه، ثم مج فی الدلو، ثم فی البئر، ففاح منه مثل ریح المسك.

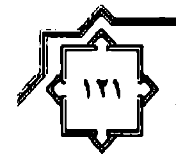
و فی (الشفاء) و شرحه (نسیم الریاض) ج٣ ص١٣٦: روی ابن ماجه أنه ﷺ أتی بدلو من ماء زمزم فمج فیه فصارت أطیب من المسك.

و فی (الشفاء) و شرحه (نسیم الریاض) أیضا ج٣ ص١٣٦: أنه ﷺ بزق فی بئر کانت فی دار أنس فلم یکن بالمدینة أعذب منها. رواه أبو نعیم فی (دلائله). و فیهما أیضا ج٣ ص١٤٨ أن رجلا به أدرة أتی النبی ﷺ فأمره أن ینضحها بماء من عین مج فیها ففعل فبریء، و الأدرة بضم الهمزة و سکون الدال انتفاخ فی الخصیتین.

خاتمة

لقد ذکرنا کثیرا ممناختارهم الله لبلع ریق حبیبه ﷺ فی حیاته، فنتبرك بذکر أفراد شرفهم الله بذلك أیضا بعد وفاته ﷺ.

فمنهم نافع بن أبی نعیم أحد القراء السبعة ففی (سیر أعلام النبلاء) للذهبی ج٧ ص٣٣٧: روی أن نافعا کان إذا تکلم توجد من فیه ریح مسك فسئل عنه



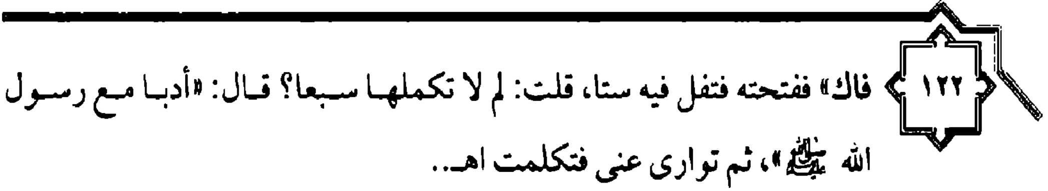
قال: رأيت النبى ﷺ فى النوم تفل فى فى. ولد نافع سنة بضع و سبعين، و توفى سنة تسع و ستين و مائة اهـ.

و قال الذهبى أيضا فى (معرفة القراء الكبار) ج١ ص١٠٨ ـ ١٠٩: قال أحمد بن هلال المصرى: قال لى الشيبانى: قال لى رجل ممن قرأ على نافع: إن نافعا كان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك، فقلت له: يا أبا عبد الله أو يا أبا رويم أتتطيب كلما قعدت تقرأ؟ قال: ما أمس طيبا، و لكنى رأيت النبى ﷺ و هو يقرأ فى فىّ فمن ذلك الوقت أشم من فىّ هذه الرائحة.

و منهم الإمام الشافعى رحمه الله: ففى (تهذيب الأسماء و اللغات) للإمام النووى ج١ ص٨٤ قال الربيع: سمعت الشافعى يقول: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام قبل حلمى، فقال لى: «**يا غلام**»، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**ممن أنت؟**» قلت: من رهطك، قال: «**ادن منى**»، فدنوت منه، ففتح فمى فأمرّ من ريقه على لسانى و فمى و شفتى و قال: «**امض بارك الله فيك**»، فما أذكر لحنت فى حديث بعد ذلك و لا شعر.

و منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني

قال ابن حجر الهيتمى فى (الفتاوى الحديثية) ص٢٥٦ ما نصه: حكى ابن الملقن فى (طبقات الأولياء) أن الشيخ عبد القادر الجيلى قال: رأيت النبى ﷺ قبل الظهر فقال لى: «**يا بنى لم لا تتكلم؟**» قلت يا أبتاه أنا رجل أعجمى كيف أتكلم على فصحاء بغداد، فقال لى: «**افتح فاك**» ففتحته فتفل فيه سبعا و قال: «**تكلم على الناس و ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة**»، فصليت الظهر و جلست وحضرنى خلق كثير فارتج علىّ فرأيت عليا قائما بإزائى فى المجلس فقال: «**يا بنى لم لا تتكلم؟**» فقلت يا أبتاه قد ارتج علىّ فقال: «افتح

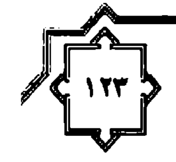


فاك» ففتحته فتفل فيه ستا، قلت: لم لا تكملها سبعا؟ قال: «أدبا مع رسول الله ﷺ»، ثم توارى عني فتكلمت اهـ..

و مثله في (قلائد الجواهر) للشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي ص١٣ اهـ..

و منهم الشيخ سعد الدين التفتازاني

ففي (شذرات الذهب) لابن عماد الحنبلي ج٦ ص٣٢١: حكى بعض الأفاضل أن الشيخ سعد الدين كان في ابتداء طلبه بعيد الفهم جدا و لم يكن في جماعة شيخه العضد أبلد منه، و مع ذلك كان كثير الاجتهاد، و لم ييئسه جمود فهمه من الطلب، فاتفق أن أتاه إلى خلوته رجل لا يعرفه فقال له: قم يا سعد الدين لتذهب إلى السير، فقال: ما للسير خلقت، أنا لا أفهم شيئا مع المطالعة فكيف إذا ذهبت إلى السير و لم أطالع؟ فذهب و عاد و قال له: قم بنا إلى السير فأجابه بالجواب الأول و لم يذهب معه، فذهب الرجل و عاد و قال له: مثل قال أولا، فقال: ما رأيت أبلد منك ألم أقل لك: ما للسير خلقت؟ فقال له: رسول الله ﷺ يدعوك، فقام منزعجا و لم ينتعل بل خرج حافيا حتى وصل إلى مكان خارج البلد به شجيرات، فرآى النبي ﷺ في نفر من أصحابه تحت تلك الشجيرات، فتبسم له و قال له: «**نرسل إليك المرة بعدالمرة و لم تأت؟**» فقال: يا رسول الله ما علمت أنك المرسل و أنت أعلم بما اعتذرت به من سوء فهمي و قلة حفظي و أشكو إليك ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «**افتح فمك**» و تفل له فيه و دعا له، ثم أمر بالعود إلى منزله و بشره بالفتح، فعاد و قد تضلع علما و نورا. توفي رحمه الله سنة أحد و تسعين و سبعمائة بسمرقند.



التبرك بمضمضته ﷺ

روى النسائي عن طلق بن علي ﷺ قال: خرجنا وفدا إلى رسول الله ﷺ فبايعناه و صلينا معه، و أخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا، فاستوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ و تمضمض ثم صبه لنا في إداوة و أمرنا فقال: «**اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم و انضحوا مكانها بهذا الماء و اتخذوها مسجدا**»، قلنا: إن البلد بعيد و الحر شديد و الماء ينشف، فقال: «**مدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيبا**».

قال الملا علي بن سلطان قاري في (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) ج٢ ص٢٠٤: و رواه ابن حبان في صحيحه مطولا فقال: عن طلق بن علي قال: خرجنا ستة وفدا إلى رسول الله ﷺ خمسة من بني حنيفة و سادس من ضبيعة بن ربيعة حتى قدمنا على رسول الله ﷺ، فبايعناه و صلينا معه و أخبرنا بأن بأرضنا بيعة لنا، و استوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ منه و تمضمض ثم صبه لنا في إداوة ثم قال: «**اذهبوا بهذا الماء فإذا قدمتم بلدكم فاكسروا بيعتكم ثم انضحوا مكانها من هذا الماء و اتخذوا مكانها مسجدا**»، قلنا: يا رسول الله البلد بعيد و الماء ينشف، قال: «**فأمدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيبا**»، فخرجنا فتشاححنا على حمل الإداوة أينا يحملها، فجعلها رسول الله ﷺ لكل رجل منا يوما و ليلا فخرجنا بها حتى قدمنا بلدنا فعملنا الذي أمرنا، و راهب ذلك القوم رجل من طيىء فنادينا بالصلاة، فقال الراهب: دعوة حق ثم هرب فلم ير بعد، نقله ميرك عن (التخريج) انتهى.

قلت: ورواه البيهقي في (دلائل النبوة) ج٢ ص٥٤٢ ـ ٥٤٣ قوله: بيعة بكسر الباء، و هي معبد النصارى، و قوله طهوره، بفتح الطاء هو ما يتطهربه، والاداوة ظرف صغير من جلد، و قوله ينشف. قال القاري: بالتخفيف على

صيغة المجهول يقال: نشف الثوب العرق و نشف الحوض الماء شربه اهـ... قال في (القاموس): نشف كسمع و نصر، و نشف الماء في الأرض ذهب اهـ. فهي تتعدى بنفسها إذا كانت بمعنى شرب و تتعدى بحرف إذا كانت بمعنى ذهب. و قوله مدوه: أي زيدوا عليه ماء آخر. قال في (المرقاة): قوله فإنه لا يزيده إلاطيبا أي لا يزيد الماء الوارد الماء المورود، و قال ابن حجر الهيتمي الأولى العكس، أي إن المورود لا يزيد الوارد إلا طيبا، لأن ما أصاب بدنه عليه الصلاة و السلام لا يطرقه تغير بل هو باق على غاية كماله الذي حصل له بواسطة ملامسته لتلك الأعضاء الشريفة، فكل ما مسه أكسبه طيبا، و قال الهيتمي: و فيه التبرك بفضلته ﷺ و نقله إلى البلاد، و نظيره ماء زمزم فإنه عليه الصلاة و السلام يستهديه من أمير مكة ليتبرك به أهل مدينة، و يؤخذ من ذلك أن فضلة وارثيه من العلماء و الصالحين كذلك اهـ...

و روى البخاري و البيهقي في (الدلائل) عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح ـ فتح مكة ـ و قد كان فتح مكة فتحا، و نحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، و الحديبية بئر فنزحنا، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض و دعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنا أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا.

قال الحافظ في (الفتح) ج٧ ص٤٤٢: و أصدرتنا أي رجعتنا، يعني أنهم رجعوا عنها و قد رووا.

التبرك بنخامته ﷺ

ذكر الإمام البخاري في صحيحه في باب الشروط في الجهاد و المصالحة مع أهل الحرب و كتابة الشروط حديثا طويلا قال فيه: ثم إن عروة يعني ابن مسعود



جعل يرمق أصحاب النبى ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه و جلده، و إذا أمرهم ابتدروا أمره، و إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه، و إذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده و ما يحدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أى قوم و الله لقد وفدت على الملوك، و وفدت على قيصر و كسرى و النجاشى، و الله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، و الله إن يتنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه و جلده، و إذا أمرهم ابتدروا أمره، و إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه و إذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده و ما يحدون إليه النظر تعظيما له.

قال الحافظ ابن حجر فى (الفتح) ج٥ ص٣٤١: فى هذا الحديث التبرك بفضلات الصالحين. قوله يرمق: بضم الميم أى يلحظ. و قوله و ما يحدون: بضم أوله و كسر المهملة أى يديمون اهـ... و فى (كتاب حياة الصحابة) ج٢ ص٣٢٥: أخرج البيهقى عن الزهرى قال: حدثنى من لا أتهم من الأنصار أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أو تنخم ابتدروا نخامته فمسحوا بها وجوههم و جلودهم، فقال رسول لله ﷺ: «**لم تفعلون هذا؟**» قالوا: نلتمس به البركة، فقال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يحبه الله و رسوله فليصدق الحديث و ليؤد الأمانة و لا يؤذ جاره**»، كذا فى (الكنز) ج٨ ص٢٢٨ اهـ..

التبرك بالماء المتفجر من بين أصابعه الكريمة ﷺ

أخرج البخارى فى باب شرب البركة و الماء المبارك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قد رأيتنى مع النبى ﷺ و قد حضرت العصر و ليس معنا ماء

غير فضلة، فجعل فى إناء فأتى النبى ﷺ به فأدخل يده فيه و فرج أصابعه ثم قال: «حى على أهل الوضوء، البركة من الله» فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه فتوضأ الناس و شربوا فجعلت لا آلو ما جعلت فى بطنى منه فعلمت أنه بركة، قال سالم بن أبى الجعد: قلت لجابر: كم كنتم يومئذ قال: ألفا و أربعمائة اهـ. قال الحافظ فى (الفتح) ج١٠ ص١٠٢: و قوله لا آلو ـ أى لا أقصر ـ والمراد أنه جعل يستكثر من شربه من ذلك الماء لأجل البركة و فى رواية حى على الوضوء بإسقاط لفظ أهل، و هى أصوب. قال ابن بطال: يؤخذ منه أنه لا سرف و لا شره فى الطعام أو الشراب الذى تظهر فيه البركة بالمعجزة بل يستحب الاستكثار منه اهـ...

التبرك بوضوئه ﷺ الوضوء بفتح الواء الماء الذي يتوضأ به

روى الإمام مسلم فى صحيحه ﷺ عن عون بن أبى جحيفة أن أباه رأى رسول الله ﷺ فى قبة حمراء من أدم، و رأيت بلالا أخرج وضوء فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء، فمن أصاب منه شيئا تمسح به، و من لم يصب منه أخذ من بلل يد صاحبه ثم رأيت بلالا أخرج عنزة فركزها، و خرج رسول الله ﷺ فى حلة حمراء مشمرا فصلى إلى العنزة بالناس ركعتين، و رأيت الناس و الدواب يمرون بين يدى العنزة. و روى مسلم أيضا بسند آخر عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ بمكة و هو بالأبطح فى قبة له حمراء من أدم قال: و خرج بلال بوضوئه فمن نائل و ناضح ـ الحديث، قال النووى فى شرحه ج٤ ص٢١٨ ـ ٢١٩: معناه: فمنهم من ينال منه شيئا و منهم من ينضح عليه غيره شيئا مما ناله و يرش عليه بللا مما حصل له.

و ذكرنا قريبا حديث و إذا توضأ ﷺ كادوا يقتتلون على وضوئه.



و روى البخارى و مسلم و النسائى عن جابر ؓ قال: جاء رسول الله ﷺ يعودنى و أنا مريض لا أعقل، فتوضأ و صب علىّ من وضوئه فعقلت، و فى رواية لمسلم أن جابرا قال: عادنى النبى ﷺ و أبو بكر فى بنى سلمة يمشيان فوجدنى لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ ثم رش علىّ منه فأفقت، قال النووى فى شرحه ج١١ ص٥٥ ـ ٥٦ فى هذا الحديث التبرك بآثار الصالحين، و فضل طعامهم و شرابهم و نحوهما، و هذا يحتمل أنه ﷺ صب من الماء الباقى فى الإناء أو من الماء الملاقى أعضاءه ﷺ فى الوضوء اهـ..

و روى النسائى فى (عمل اليوم و الليلة) ص٩٧ و ابن السنّى فى (عمل اليوم و الليلة) ص٢٨٦ فى قصة زواج على بن أبى طالب و فاطمة أنه ﷺ توضأ بماء ثم أفرغه على على بن أبى طالب، فقال: اللهم بارك فيهما و بارك عليهما و بارك لهما فى شبلهما. يعنى ولدهما لأن الشبل بكسر الشين ولد الأسد إذا أدرك الصيد.

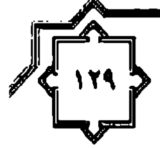
و روى البخارى فى باب الدعاء للصبيان بالبركة و مسح رؤوسهم و مسلم عن السائب بن يزيد ؓ، قال: ذهبت بى خالتى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختى وجع، فمسح رأسى و دعا لى بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة. و الزر بكسر الزاى و تشديد الراء الذى يوضع فى القميص و جمعه أزرار، و فى (فتح البارى) ج١ ص٢٩٦: الحجلة بفتح الحاء و الجيم واحدة الحجال و هى بيوت تزين بالثياب و الأسرة و الستور لها عرى و أزرار و قيل المراد بالحجلة الطير، يقال للأنثى منه حجلة، و على هذا فالمراد من زرها بيضتها، و فى حديث آخر مثل بيضة الحمامة. قلت: رواه البخارى فى مواضع من صحيحه باختلاف يسير فى بعض الألفاظ اهـ..

التبرك بغمس يده ﷺ في مياههم ومسحهم بها في وجوههم وصدورهم و ما يشبه ذلك

روى الإمام مسلم رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها، فربما جاؤوه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها. قال النووى رحمه الله فى (شرحه على صحيح مسلم) ج١٥ ص٨٢: فى هذا الحديث صبره ﷺ على المشقة فى نفسه لمصلحة المسلمين، و إجابته من سأله حاجة أو تبريكا بمس يده و إدخالها فى الماء كما ذكروا، و فيه التبرك بآثار الصالحين، و بيان ما كانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره ﷺ و تبركهم بإدخال يده الكريمة فى الآنية.

و فى (الترغيب و الترهيب) ج٣ ص٥٨٩ روى الطبرانى عن عبدالرحمن بن الحرث عن أبى قراد السلمى رضي الله عنه: قال كنا عند النبى ﷺ فدعا بطهور فغمس يده فتوضأ فتتبعناه فحسوناه، فقال النبى ﷺ: ما حملكم على ما فعلتم؟ قلنا: حب الله و رسوله، قال: فإن أحببتم أن يحبكم الله و رسوله فأدوا إذا ائتمنتم، و اصدقوا إذا حدثتم و أحسنوا جوار من جاوركم اهـ.. و قال مصطفى محمد عماره فى تعليقه على (الترغيب و الترهيب) أى دعاهم إلى ذلك حب التبرك و التقرب لمحبة الله و رسوله. فانظر رعاك الله إلى تيمن الصحابة و تناولهم شيئا من طهوره رجاء القبول انتهى بالمعنى.

وقال العلامة الشوكاين فى (نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار): روى عن يزيد بن الأسود رضي الله عنه قال: حججنا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع قال: فصلى بنا صلاة الصبح ثم انحرف جالسا فاستقبل الناس بوجهه، و ذكر قصة الرجلين اللذين لم يصليا قال: و نهض الناس إلى رسول الله ﷺ و نهضت معهم و أنا يومئذ أشب الرجال و أجلدهم، قال: فما زلت أزحم الناس حتى

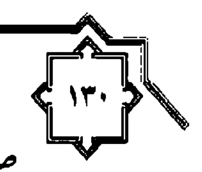


وصلت إلى رسول الله ﷺ، فأخذت بيده فوضعتها إما على وجهى أو صدرى قال: فما وجدت شيئا أطيب و لا أبرد من يد رسول ﷺ، قال: و هو يومئذ فى مسجد الخيف. أخرجه أبو داود و أحمد و النسائى و الترمذى، و قال: حسن صحيح. و قال الشوكانى: فى هذا الحديث مشروعية التبرك بملامسة أهل الفضل لتقرير النبى ﷺ له على ذلك و كذلك قوله فى رواية أخرى ثم ثار الناس بيده يمسحون بها وجوههم.

قلت: روى هذا الحديث الإمام أحمد فى (مسنده) ج٤ ص١٩٩ ـ ٢٠٠ بطرق، وروى الإمام أحمد فى (المسند) أيضا ج٤ ص٤٢ عن الوليد بن عقبة قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤوسهم و يدعولهم.

التبرك والاستشفاء بغسالة جبته ﷺ بعد وفاته

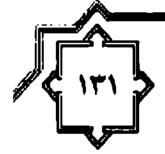
روى الإمام مسلم عن عبد الله مولى أسماء بنت أبى بكر أنه قال: أرسلتنى أسماء إلى عبد الله بن عمر فقالت: بلغنى أنك تحرم أشياء ثلاثة: العلم فى الثوب، و مئثرة الأرجوان، وصوم رجب كله، فقال لى عبد الله: أما ما ذكرت من رجب فكيف بمن يصوم الأبد، و أما ما ذكرت من العلم فى الثوب فإنى سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما يلبس الحرير من لاخلاق له فخفت أن يكون العلم منه، و أما مثرة الأرجوان فهذه مثرة عبد الله، فإذا هى أرجوان. فرجعت إلى أسماء فخبرتها فقالت: هذه جبة رسول الله ﷺ فأخرجت إلىّ جبة طيالسة كسروانية، لها لبنة ديباج و فرجيها مكفوفين بالديباج قالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها، و كان النبى ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها.



و قوله مئثرة الأرجوان قال النووى فى شرحه على (صحيح مسلم) ج١٤ ص٣٣ و ٤٢ ـ ٤٤: الميثرة بكسر الميم وطاء كانت النساء يضعنه لأزواجهن على السروج، و يكون من الحرير، و يكون من الصوف و غيره و المئثرة مهموزة و هى مفعلة بكسر الميم من الوثارة يقال: وثر بضم الثاء و تارة بفتح الواو فهو وثير أى وطيء لين، و أصلها مؤثرة فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها كما فى ميعاد و ميقات و ميزان فإن أصلها موعاد و موقات و موزان، و الأرجوان بضم الهمزة و الجيم و هو صبغ أحمر شديد الحمرة، و قوله جبة طيالسة بإضافة جبة إلى طيالسة، و هى جمع طيلسان بفتح اللام، و قوله كسروانية: نسبة إلى كسرى ملك الفرس، و قوله لها لبنة بكسر اللام و إسكان الباء و هى رقعة فى جيب القميص، قوله و فرجيها مكفوفين: أى و رأيت فرجيها مكفوفين، و معنى الحديث أن ابن عمر رضي الله عنهما أنكر تحريمه بصوم رجب و أخبر أنه يصوم رجب كله و أنه يصوم الأبد أى الدهر و أما العلم فلم يعترف بأنه كان يحرمه بل أخبر أنه تورع منه خوفا من دخوله فى عموم النهى عن الحرير، و أما الميثرة فأنكر ما بلغها عنه فيها، و قال: هذه مئثرتى و هى أرجوان. و فى الحديث استحباب التبرك بآثار الصالحين و ثيابهم اهـ. قوله و فرجيها بضم الفاء أى شقيها شق من خلف و شق من قدام، و فى كثير من النسخ فتح فاء فرجيها، و قوله مكفوفين أى مخيطين بالديباج اهـ. من هامش على صحيح مسلم.

التبرك بما شرب منه صلى الله عليه وآله من القربة و القدح و القصعة فى حياته و بعد وفاته

و فى (مجمع الزوائد) ج٥ ص٧٩ فى باب الشرب قائما: و عن أم سليم أن النبى صلى الله عليه وآله دخل عليها و فى بيتها قربة معلقة، قال: فشرب من القربة قائما، قالت: فعمدت إلى القربة فقطعتها. رواه أحمد و الطبرانى، و فيه البراء بن زيد و لم يضعفه أحد و بقية رجاله رجال الصحيح اهـ..



قلت: و لفظ أحمد فى مسنده ج٦ ص٤٠٧ عن أنس قال: حدثتنى أمى أن رسول الله ﷺ دخل عليها و فى بيتها قربة معلقة، قالت: فشرب من القربة قائما، قالت: فعمدت إلى فم القربة فقطعتها اهـ. وفى (سير أعلام النبلا) ج٢ ص٣٠٨: عن أنس أن النبى ﷺ دخل على أم سليم و قربة معلقة فشرب من القربة قائما فقامت إلى فى السقاء فقطعته. رواه عبيد الله بن عمرو وزاد: و أمسكته عندها.

و روى الترمذى عن أم ثابت كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنهما قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ فشرب من فى قربة معلقة قائما، فقمت إلى فيها فقطعته، و قال: حديث حسن صحيح.

و قال الأمام النووى فى (رياض الصالحين) ص٢١٨: إنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ وتتبرك به و تصونه عن الابتذال. و روى البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة من صحيحه عن أبى بردة قال: قدمت المدينة، فلقينى عبد الله بن سلام فقال لى: انطلق إلى المنزل فأسقيك فى قدح شرب فيه رسول الله ﷺ، وتصلى فى مسجد صلى فيه النبى ﷺ، فانطلقت معه فأسقانى سويقا و أطعمنى تمرا وصليت فى مسجده اهـ.. و أبو بردة تابعى، توفى سنة ١٠٤.

و روى مسلم عن أبى حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه قال: جلس رسول الله ﷺ فى سقيفة بنى ساعدة هو و أصحابه، ثم قال: «**أسقنا يا سهل**»، قال: فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه، قال أبو حازم: فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا فيه، قال: ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز فوهبه له. ذكره مسلم فى باب إباحة النبيذ الذى لم يصر مسكرا. و قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم ج١٣ ص١٧٨ ـ ١٧٩: فى هذا الحديث التبرك بآثار النبى ﷺ و ما مسه

أو لبسه أو كان منه فيه سبب، و هـذا نحـو مـا أجمعـوا عليهـو أطبـق الـسلف و الخلف عليه من التبرك بالصلاة في مصلى رسول الله ﷺ في الروضة الكريمة، و دخول الغار الذي دخله ﷺ و غير ذلك، و من هذا إعطاؤه ﷺ أبـا طلحـة شعره ليقسمه بين الناس، و إعطاؤه ﷺ حقوه لتكفن فيه بنتـه ﵂، و جعلـه الجريدتين على القبرين و جمعت بنت ملحان عرقه ﷺ، و تمسحوا بوضـوئه، و دلكوا وجوههم بنخامته ﷺ، و أشباه هذه كثيرة مشهورة في الصحيح، و كـل ذلك واضح لا شك فيه اهـ. و إنـما نقلـت عبارتـه كلهـا لمـا فيهـا مـن فوائـد لا يستغنى عنها و تنبيهات مهمة. و روى أيضا حديث سهل ﵁ البخـاري فـي باب الشرب من قدح النبي ﷺ من كتاب الأشربة.

و في (مجمع الزوائد) للهيثمي ج٤ ص٥٠ ـ ٥١: و عن شهر بن حوشب أن أسماء بنت يزيد بن السكن إحدى نـساء بنـي عبـد الأشـهل دخـل عليهـا يومـا فقربت إليه طعاما، فقال: لا أشتهيه، فقالت: إني قينت عائـشة لرسـول الله ﷺ ثم جئته فدعوته لجلوتها فجاء فجلس إلى جنبهـا، فـأتي بعـس لـبن فـشرب ثـم ناولها، فخفضت رأسها و استحيت، قالت أسماء: فانتهرتها و قلت لها: خذي من يد رسول الله ﷺ، قالت: فأخذت فشربت شيئا، ثم قال لها النبي ﷺ: «**أعطي تربك**»، قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله بل خذه فاشرب منـه ثـم ناولنيـه مـن يدك، فأخذه فشرب منه ثم ناولنيه، قالت: فجلست ثم وضعته على ركبتي، ثـم طفقت أديره و أتبعه بشفتي لأصيب منـه مـشرب النبـي ﷺ، ثـم قـال لنـسوة عندي: «**ناوليهن**»، فقلن: لا نشتهيه فقال النبي ﷺ: «**لا تجمعن جوعا و كـذبا**» رواه أحمد و الطبراني في (الكبير) بنحوه، و شهر فيه كلام و حديثه حسن اهـ..

قلت: رواه أحمد في (مسنده) ج٦ ص٤٨٠ ـ ٤٨١: و قولها قينت أي زينتهـا للزفاف، ففي (القاموس) و شرحه قانت المرأة زينتها، و التقيين التـزيين، و منـه

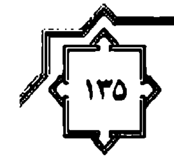


الحديث أنا قينت عائشة أى زينتها اهـ..، و قولها لجلوتها: أى لعرضها عليه، قال فى (القاموس): جلا العرس على بعلها جلاء عرضـها عليـه، و العـس بالـضم القدح. و أعطى (تِربَكِ) أى صاحبتك، ففى (أساس البلاغة) للزمخشرى تربـت الجارية الجارية خادنتها اهـ. يقال خادنته أى صاحبته.

و فى مسلم عن أنس ﷺ قال: لقد سقيت رسـول الله ﷺ بقـدحى هـذا الشراب كله العسل و النبيذ و الماء و اللبن، و رواه الترمذى فى (الـشمائل) عـن ثابت عن أنس. قال الباجورى فى (المواهب اللدنية حاشية الـشمائل المحمديـة) ص١٠٠: اشترى هذا القدح من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألـف درهـم. و عن البخارى أنه رآه بالبصرة و شرب منه، هكذا فى شرح المناوى، و الـذى فـى شرح القارى أن الذى اشترى من ميراث النضر و شرب منـه البخـارى. و قـال الحافظ القـسطلانى فـى (المواهـب اللدنيـة) ج٢ ص٤١٦: ذكـر القرطبـى فـى (مختصر البخارى) أنه رأى فى بعض النسخ القديمة من البخارى، قال أبو عبـد الله البخارى: رأيت هذا القدح بالبصرة و شربت فيه و كان اشترى مـن مـيراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف.

و فى (الصحيح البخارى) فى كتاب فرض الخمس فى باب ما ذُكر من درع النبى ﷺ و عصاه و سيفه و قدحه و خاتمه و ما استعمل الخلفاء بعده من ذلـك مما لم يذكر قسمته، و من شعره و نعله و آنيته مما تبرك أصحابه غيرهم بعد وفاته ـ أن عاصما قال: رأيت القدح و شربت فيه: أى تبركا به عليه الصلاة و السلام كما قال الحافظ القسطلانى فى (إرشاد الـسارى): ج٧ ص٢٣. و قـال الحـافظ فـى (الفتح) ج٦ ص٢١٤: و عاصم هو الأحـول الـراوى. و قـال أيـضا فـى ج١٠ ص١٠٠: و أخرج أبو نعيم أن على بن الحسن قال: و أنا رأيت القدح و شربت منه اهـ..

قلت: و فيما ذكره البخارى فى الترجمة من أن الصحابة و غيرَهم كانوا يتبركون بدرعه و قدحه و غيرهما بعد وفاته ﷺ دليل ظاهر على أن التبرك بما ذُكِرَ لم يكن خاصا بحياته ﷺ بل هو عام فى حياته و بعد مماته ﷺ، و بهذا يقتنع ـ إن شاء الله ـ الزاعم بأن التبرك به ﷺ و بما يتعلق به خاص فى حياته. و فى (الشفاء) و شرحه (نسيم الرياض) ج٣ ص١٣٤: قال الشيخ أبو القاسم بن مأمون: كانت عندنا قصعة من قصاع النبى ﷺ، فكنا نجعل فيها الماء للمريض فيستشفون بها. قال الخفاجى: فيحصل لهم الشفاء بشربهم بما وضع فيه لبركة آثاره و فى (سير أعلام النبلاء) للذهبى ج١١ ص٢١٢: أن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: رأيت أبى أخذ قصعة النبى ﷺ فغسلها فى حب الماء ثم شرب فيها، و تأتى عبارته بكمالها فى باب التبرك بشعره ﷺ. و قال ابن كثير فى (البداية و النهاية) ج٦ ص٧ فى مبحث صفة قدح النبى ﷺ: قال الإمام أحمد: حدثنا روح بن عبادة حدثنا حجاج بن حسان قال: كنا عند أنس بن مالك، فدعا بإناء فيه ثلاث ضبات حديد و حلقة من حديد، و أمر أنس فجعل لنا فيه ماء فأتينا به فشربنا و صببنا على رؤوسنا و وجوهنا وصلينا على النبى ﷺ، انفرد به أحمد انتهى باختصار. و فى (البداية و النهاية) أيضا ج٦ ص٧ و (شرح الشمائل) للهيتمى ص٢٧٥ قال ابن سيرين كان فى قدح رسول الله ﷺ حلقة من حديد فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة، فقال أبو طلحة: لا تغيرنّ شيئا صنعه رسول الله ﷺ فتركه. فالحاصل أن المذكور فى هذا الباب من المتبركين بآثاره ﷺ بعد وفاته أبو بردة و أبو حازم و البخارى و عاصم الأحول و أبو القاسم بن مأمون و الإمام أحمد بن حنبل و حجاج بن حسان.



التبرك بما مسته يده الكريمة ﷺ

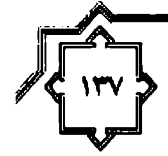
و في (المفاهيم) ص١٤٩ ـ ١٥٠: عن محمد بن عبدالملك بن أبي محذورة عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله علمني سنة الأذان، قال: فمسح مقدم رأسي، قال: تقول: الله أكبر، الله أكبر، الحديث و في رواية و كان أبو محذورة لا يجز ناصيته و لا يفرقها لأن النبي ﷺ مسح عليها. أخرجه البيهقي و الدارقطني و أحمد و النسائي و ابن حبان بمعناه.

و في (مجمع الزوائد) ج٥ ص١٦٥ و عن صفية بنت مجزأة أن أبا محذورة كانت له قصة في مقدم رأسه إذا قعد أرسلها فتبلغ الأرض فقالوا له: ألا تحلقها؟ فقال: إن رسول الله ﷺ مسح عليها بيده فلم أكن لأحلقه حتى أموت. رواه الطبراين اهـ... و نحوه في (الشفاء) للقاضي عياض ذكره في فصل من إعظامه ﷺ إعظام جميع أسبابه و إكرام مشاهده و أمكنته من مكة و المدينة و ما لمسه. و في (نسيم الرياض) أن صفية بنت نجدة هي زوجة أبي محذورة الصحابي المتوفى سنة ٥٩ أو غيرها، و أنه كان مؤذن رسول الله ﷺ بمكة، و كان لما قدم رسول الله ﷺ مكة و أذن له بها و هو مع فتية من قريش سمعوا الإذان فاستهزأوا به، و جعل أبو محذورة يحاكي الأذان استهزاء، فسمعه رسول الله ﷺ فأمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه ظن أنه مقتول، فمسح رسول الله ﷺ ناصيته و صدره بيده، قال: فامتلأ قلبي يقينا و إيمانا، و علمت أنه رسول الله ﷺ و علّمه رسول الله ﷺ الأذان و أمره أن يؤذن لأهل مكة و هو ابن ستة عشر سنة، فكان مؤذنهم حتى مات، و إنما لم يحلق قصته و أبقاها تبركا بما مسه ﷺ. والقصة بضم القاف شعر الناصية. نجدة فتح النون سكون الجيم و دال مهملة وهاء، و يقال: إن اسمه نجداه، و قيل: نجراة، و قيل: بحرة اهـ..

التبرك بيد من مس رسول الله ﷺ

فی (تهذیب ابن عساکر) ج۳ ص١٤٧ ما نصه: قال ثابت البنانی لأنس: أحب أن أقبل منك ما رأيت به رسول الله ﷺ فأمكنه من عينيه، و قال له: هل مسست رسول الله ﷺ بيدك؟ قال: نعم قال: فأعطنيها حتى أقبلها اهـ. و فی (مجمع الزوائد) ج۹ ص۳۲٥: عن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنسا يخبر بمكانی فأدخل عليه فآخذ بيديه فأقبلهما، و أقول: بأبی هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله ﷺ، و أقبل عينيه و أقول: بأبی هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلی اللله عليه و سلم. قال الهيتمی: رواه أبو يعلی ور جاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أبی بكر المقدمی و هو ثقة.

و قوله يخبر بمكاني أی يخبره الناس بحضوری، وفی (تهذيب بن عساكر) ج۳ ص١٤٧: أن ثابتا البنانی قال: دخلت علی أنس بن مالك قلت: رأت عيناك رسول الله ﷺ؟ قال: نعم فقبلتهما، ثم قلت: أفصببت الماء بيديك علی رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فقبلتهما، و أخرج البخاری فی (الأدب المفرد) ص۲۸۷: فی باب تقبيل اليد: عن عبدالرحمن بن رزين قال: مررنا بالربذة فقيل لنا: ههنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فاتيته فسلمنا عليه، فأخرج يديه فقال: بايعت بهاتين نبی الله ﷺ فأخرج كفا له ضخمة كأنها كف بعير فقمنا إليها فقبلناها. و أخرج البخاری أيضا فی (الأدب) ص۲۸۸ عن ابن جدعان قال ثابت لأنس رضي الله عنه، أمسست النبی ﷺ بيديك؟ قال: نعم فقبلها. عند أبی نعيم فی (الحلية) ج۹ ص۳۰٦ عن يونس بن ميسرة قال: دخلنا على يزيد بن الأسود عائدين، فدخل عليه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه فلما نظر إليه مد يده فأخذ يده فمسح بها وجهه و صدره لأنه بايع رسول الله ﷺ فقال له: يا يزيد كيف ظنك بربك؟ فقال: حسن، فقال: فأبشر فإنی سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالی يقول: أنا عند ظن عبدی بی إن خيرا فخير و إن شر فشر**».



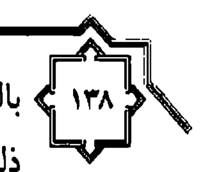
و فى (مجمع الزوائد) ج٨ ص٤٢ عن يحيى بن الحارث الذمارى قال: لقيت واثلة بن الأسقع فقلت: بايعت بيدك هذه رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، قلت: أعطني يدك أقبلها، فأعطانيها فقبلتها. رواه الطبراني، و فيه عبد الملك القارى و لم أعرفه و بقية رجاله ثقات.

التبرك بما مسته يد مست رسول الله ﷺ

و فى (تهذيب تاريخ دمشق) لابن عساكر ج٣ ص١٤٧: أن أنس بن مالك رضي الله عنه دفع إلى أبى العالية تفاحة، فجعلها فى كفه، و جعل يشمها و يقبلها و يمسحها بوجهه، ثم قال: تفاحة مستها كف مست رسول الله ﷺ اهـ. و اسم أبى العالية رفيع بن مهران الرياحى، تابعى جليل، أدرك زمان النبى ﷺ، و أسلم فى خلافة أبى بكر الصديق و قد قيل فيه: ليس بعد الصحابة أحد أعلم بالقرآن منه توفى سنة ٩٠ أو ٩٣.

التبرك بشعره ﷺ

روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ و الحلاق يحلقه و أطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل. و روى مسلم أيضا عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى و نحر و قال للحلاق: خذ، و أشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس، و قال النووى فى شرح مسلم: و مما يؤخذ من هذا الحديث التبرك بشعره ﷺ و جواز اقتنائه للتبرك. و روى الترمذى من حديث أنس أيضا قال: لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة نحر نسكه، ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه فأعطاه أبا طلحة، ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه فقال: اقسم بين الناس. و قد جاء فى رواية عند مسلم ما لفظه: فبدأ



بالشق الأيمن فوزعه الشعرة و الشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر فصنع مثل ذلك. و في رواية أحمد في (المسند): أن أنسا قال: لما حلق رسول الله ﷺ رأسه بمنى أخذ شق رأسه الأيمن بيده، فلما فرغ ناولني، فقال: يا أنس انطلق بهذا إلى أم سليم، قال: فلما رأى الناس ما خصنا به تنافسوا في الشق الآخر، هذا يأخذ الشيء و هذا يأخذ الشيء.

و قد جمع المحب الطبري رحمه الل ما قد يبدو بين هذه الروايات من التعارض بقوله: و الصحيح أن الذي وزعه على الناس الشق الأيمن و أعطى الأيسر أبا طلحة و أم سليم و لا تضاد بين الروايتين، لأن أم سليم امرأة طلحة فأعطاه لهما ﷺ. فنسب العطية تارة إليه و تارة إليها.

قال الشيخ محمد علوي المالكي في كتابه (المفاهيم) و في هذه الروايات التبرك بشعره ﷺ بأبي و أمي و نفسي هو. وقد روى أحمد في (مسنده): إلى ابن سيرين أنه قال: فحدثينه يعني ـ هذا الحديث ـ عبيدة السلماني فقال: لأن يكون عندي شعرة منه ﷺ أحب إلي من كل بيضاء و صفراء على وجه الأرض و في بطنها انتهى ما في (المفاهيم).

و روى البخاري في كتاب الوضوء عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس، قال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليّ من الدنيا و ما فيها اهـ. قال العسقلاني في (الفتح) ج١ ص٢٧٤: و فيه التبرك بشعره ﷺ و جواز اقتنائه اهـ..

و في (سير أعلام النبلاء) اللذهبي ج٤ ص٤٢: أن عبيدة السلماني قال: لأن تكون عندي منه شعرة أحب إليّ من كل صفراء و بيضاء على ظهر الأرض، ثم قال الحافظ الذهبي: قلت: هذا القول من عبيدة هو معيار كمال الحب، و هو أن يؤثر شعرة نبوية على كل ذهب و فضة بأيدي الناس. و مثل هذا يقوله هذا

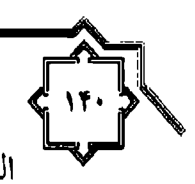


الإمام بعد النبى ﷺ بخمسين سنة، فما الذى نقوله نحن فى وقتنا لو وجدنا بعض شعرة بإسناد ثابت، أو شسع نعل كان له، أو قلامة ظفر، أو شقفة من إناء شرب فيه. فلو بذل الغنى معظم أمواله فى تحصيل شىء من ذلك عنده أكنت تعده مبذرا أو سفيها؟ كلا، فابذل مالك فى زورة المسجد الذى بني فيه بيده، و السلام عليه عند حجرته فى بلده و التذّ بالنظر إلى أُحُدِهِ و أحبه، فقد كان نبيك ﷺ يحبه، و تملأ بالحلول فى روضته و مقعده، فلن تكون مؤمنا حتى يكون هذا السيد أحب إليك من نفسك و ولدك و أموالك و الناس كلهم، و قبّل حجرا مكرما نزل من الجنة، وضع فمك لاثمامكانا قبّله سيدالبشر بيقين، فهنأك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخر، و لو ظفرنا بالمحجن الذى أشار به الرسول إليالحجر ثم قبل المحجن لحق لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل و التبجيل، و نحن ندرى بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع و أفضل من تقبيل محجنه و نعله انتهت عبارة الحافظ الذهبى.

و الشقف: الخزف المكسر كما فى تعليق على (تاج العروس شرح القاموس)، و المحجن بميم مكسورة و حاء مهملة ساكنة ثم جيم مفتوحة ثم نون، و هى عصا معقفة الرأس كما فى (تهذيب الأسماء و اللغات)، و فى (المصباح المنير) عقفه من باب ضرب عقفا فانعقف عطفه فانعطف. و فيه أيضا: المحجن خشبة فى طرفها اعوجاج. قوله ـ تملأ ـ الظاهر أن الصواب تملّ بتشديد اللام من التملى و فى (القاموس): تملّى عمره أى استمتع منه.

و فى (الأساس): ملاك الله حبيبك طوّل لك الإمتاع به.

و قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج١٣ ص٥٤٦ و قد ثبت أنه ﷺ لما حلق رأسه فرق شعره المطهر على أصحابه إكراما لهم بذلك، فوا لهفى على تقبيل شعرة منها اهـ.

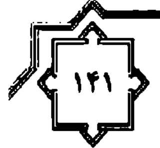


قلت: و عبيدة بفتح العين كما قاله النووى، و السلمانى بفتح السين و سكون اللام نسبة إلى سلمان بن يشكر، حيّ من مراد، أسلم عبيدة قبل وفاة النبى ﷺ بسنتين و لم يلقه مات سنة ثنتين أو ثلاث و سبعين.

و قال البخارى فى صحيحه: حدثنا مالك بن إسمعيل حدثنا إسرائيل عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: أرسلنى أهلى إلى أم سلمة بقدح من ماء، و قبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة فيها شعر من شعر النبى ﷺ، و كان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة، فاطلعت فى الجلجل فرأيت شعرات حمرا.

قال فى (الفتح) ج١٠ ص٣٥٢ ـ ٣٥٣: قوله من قصة: يظهر أن من سببية، أى أرسلونى بقدح من ماء بسبب قصة فيها شعر، و قوله قبض إسرائيل ثلاث أصابع إشارة إلى صغر القدح، و القصة بالضم شعر الناصية كما فى (القاموس)، و الجلجل بجيمين مضمومتين هو شبه الجرس، و المخضبة بكسر فسكون هو من جملة الآنية. و المراد أنه كان من اشتكى أرسل إلى أم سلمة فتجعل فيه تلك الشعرات و تغسلها فيه و تعيده فيشربه صاحب الإناء أو يغتسل به استشفاء، فتحصل له بركتها. و لفظ الحميدى فى (الجمع بين الصحيحين): أرسلنى أهلى إلى أم سلمة بقدح من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر إلخ.

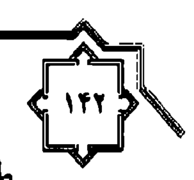
و فى (سير أعلام النبلاء) ج٣ ص١٥٨ ـ ١٦٠ عن ابن عباس قال: لما احتضر معاوية قال: إنى كنت مع رسول الله ﷺ على الصفا، و أنى دعوت بمشقص فأخذت من شعره، و هو فى موضع كذا و كذا فإذا أنا مت فخذوا ذلك الشعر فاحشوا به فمى و منخرى. و فيه أيضا أن معاوية قال ليزيد: شهدت رسول الله ﷺ يوما قلم أظفاره و أخذ من شعره و جمعت ذلك، فإذا أنا مت



فاحش به فمي و أنفي. و فيه أيضا أن معاوية أوصى و قال: كنت أوضىء رسول الله فنزع قميصه و كسانيه فرفعته و خبأت قلامة أظفاره، فإذا أنا متّ فألبسوني القميص على جلدي و اجعلوا القلامة مسحوقة بين عيني فعسى الله أن يرحمني ببركتها. و المشقص كمنبر نصف عريض من نصال السهام، و قيل: النصل الطويل و ليس بعريض. كذا في (القاموس) و شرحه.

و أخرج البيهقي في (دلائل النبوة) ج٦ ص٢٤٩ في باب ما جاء في قلنسوة خالد و استنصاره بما جعل فيها من شعره ﷺ: أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها فلم يجدوها، ثم طلبوها فوجدوها، فإذا قلنسوة خلقة، و قال خالد: اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالا و هي معي إلا رزقت النصر. و ذكره الحافظ العسقلاني في (الفتح) أيضا في مناقب خالد و قال: أخرجه سعيد بن منصور، و ذكر كثير ممن ترجم لخالد ابن الوليد هذه القصة، منهم ابن كثير في (البداية و النهاية) ج٧ ص١١٣ و عبارة (الشفاء) للقاضي عياض: و كانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعر النبي ﷺ فسقطت قلنسوته في بعض حروبه، فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي ﷺ كثرة من قتل فيها، فقال: لم أفعلها بسبب القلنسوة بل بما تضمنته من شعره ﷺ، لئلا أسلب بركتها و تقع في أيدي المشركين. و قوله كثرة: مفعول به لأنكر، أو هو مفعول لأجله، و قال الخفاجي في شرحه على (الشفاء): روى هذا الحديث أبو يعلى.

و في (أسد الغابة) لابن الأثير ج٢ ص٩٥ كان في قلنسوة خالد بن الوليد التي يقاتل فيها شعر من شعر رسول الله ﷺ يستنصر به و ببركته، فلا يزال منصورا اهـ..



و فى (الإصابة فى تمييز الصحابة) ج١ ص١٢٧: و روى ابنالسكن من طريق صفوان بن هبيرة عن أبيه قال: قال لى ثابت البنانى: قال أنس بن مالك: هذه الشعرة من شعر رسول الله ﷺ فضعها تحت لسانى، قال: فوضعتها تحت لسانه فدفن و هى تحت لسانه.

و فى (تهذيب الأسماء و اللغات) ج٢ ص٣٤١: أن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز أوصى أن يدفن معه شىء كان عنده من شعر النبى ﷺ و أظفاره، ففعلوا ذلك. و سيأتى ذلك إن شاء الله فى تبرك قبر عمر بن عبد العزيز.

و قال ابن كثير فى (البداية و النهاية) ج١٠ ص٣٣٤ و كان مع الإمام أحمد بن حنبل شعرات من رسول الله صى الله عليه و سلم و كانت مصرورة أى مشدودة فى ثوبه فى أيام محنته بمسألة خلق القرآن. و فى (سير أعلام النبلاء) ج١١ ص٢١٢ للإمام الذهبى و (حلية الأولياء) لأبى نعيم ج٩ ص١٨٣ - ١٨٤: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: رأيت أبى يأخذ شعرة من شعر النبى ﷺ فيضعها على فيه يقبلها، و أحسب أنى رأيته يضعها على عينيه و يغمسها فى الماء و يشربه يستشفى به، و رأيته أخذ قصعة النبى ﷺ، فغسلها فى حب الماء، ثم شرب فيها، و رأيته يشرب من ماء زمزم يستشفى به، و يمسح به يديه و وجهه. ثم قال الذهبى: أين المتنطع المنكر على أحمد؟ و قد ثبت أن عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبى ﷺ و يمس الحجرة النبوية، فقال لا أرى بذلك بأسا أعاذنا الله و إياكم من رأى الخوارج ومن البدع اهـ.. قوله حب الماء: بضم الحاء يعنى الجرة قال فى (القاموس): الحب الجرة أو الضخمة منها. و فى (صفة الصفوة) للحافظ ابن الجوزى ج٢ ص٣٥٧ و (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبى ج١١ ص٣٣٧: عن حنبل قال: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا



عبد الله أحمد بن حنبل و هو في الحبس ثلاث شعرات، فقال: هذا من شعر النبي ﷺ فأوصى الإمام أحمد عند موته أن يجعل على كل عين شعرة و شعرة على لسانه ففعل ذلك به بعد موته. و قال الحافظ العسقلاني في مقدمة (الفتح) ص٤٨١: كان مع الإمام البخاري شيء من شعر النبي ﷺ فجعله في ملبوسه.. و قال القسطلاني في (المواهب اللدنية) ج٢ ص٣٠١: رأيت بمكة المشرفة في ذي القعدة سنة ٨٩٧ شعرة عند الشيخ أبي حامد المرشدي المكي المقرىء كانت عنده شعرة مضافة للنبي ﷺ، تلقاها عن أبيه المتلقي لها عن شيخ ببيت المقدس، كانت عنده ست شعرات، ففرقها عند موته بالسوية على ثلاثة أنفس هو أحدهم، فضاعت شعرة منها، ثم قال السخاوي في (الضوء اللامع) ج٦ ص١٣٨: و قد تبركت بها عنده في سنة ٨٥٦ و توفي الشيخ عمر بن محمد سنة ٨٦٢هـ..

التبرك بقلامة أضفاره ﷺ

ذكرنا بترك معاوية رضي الله عنه بقلامة اظفاره ﷺ، و في (المواهب اللدنية) للحافظ القسطلاني ج٤ ص٤٥٠ أن الإمام أحمد روى من حديث محمد بن زيد أن أباه حدثه أنه شهد النبي ﷺ عند المنحر و رجل من قريش، و هو ﷺ يقسم أضاحي، فلم يصبه شيء و لا صاحبه، فحلق رسول الله ﷺ رأسه في ثوبه فأعطاه شعره فقسم منه على رجال، و قلم أظفاره فأعطاه صاحبه.

و روى الإمام أحمد أيضا إنه ﷺ قلم أظفاره و قسمها بين الناس اهـ... و قال الزرقاني في شرح (المواهب) ج١١ ص٤٣٨: إنما قسمها النبي ﷺ بين الناس للتبرك.

التبرك بغار ثور

و مما يترك به غار ثور و هو على قدر فرسخ من مكة شرفها الله تعالى على طريق اليمن، و فيه الغار الذى آوى رسول الله ﷺ إليه حين خروجه مهاجرا من مكة و معه الصديق رضي الله عنه، و ذكرنا فى التبرك بموضع ولادته ﷺ أن الإمام النووى قال فى كتابه (مناسك الحج): يستحب زيارة المواضع المشهورة بالفضل فى مكة و الحرم، منها: البيت الذى ولد فيه رسول الله ﷺ.

و قال ابن بطوطة فى رحلته ص١٤٠: إن الناس يقصدون زيارة هذا الغار المبارك، فيرومون دخوله من الباب الذى دخل منه النبى ﷺ تبركا بذلك اهـ..

و قال فى (قلائد الخرائد و فرائد الفوائد) ج١ ص٢٧٦: ينبغى التبرك بغار جبل ثور الذى اختفى ﷺ فيه عند هجرته هو و أبوبكر، و هو المذكور فى القرآن اهـ..

التبرك بغار حراء موضع خلوته ﷺ

ذكرنا أن النووى قال: يستحب زيارة الغار الذى بجبل حراء الذى كان النبى ﷺ يتعبد فيه الليالى ذوات العدد.

فصار حراء بذلك موضع خلوته و مكان عبادته، فاكتسب بمجيئه ﷺ و مجاورته شرفا كبيرا و مجدا رفيعا حتى إنهم قالوا: يستجاب الدعاء فيه، و فى (المواهب اللدنية) قال المرجانى فى فضائل حراء و ما اختص به أبياتا منها:

تأمل حراء فى جمال محياه ... فكم من أناس من حلى حسنه تاهو

فما حوى من جالعلياه زائرا ... يفرج عنه الهم فى حال مرقاه

قال الزرقانى فى شرحه ج١ ص٤١٥: أى من جاءه زائرا للتبرك بحلول المصطفى و جبريل فيه، كما نزل ﷺ فى أماكن حل بها أنبياء ليلة الإسراء و



منها:

به خلوة الهادى الشفيع محمد   و فيه له غـار لـه كـان يرقـاه

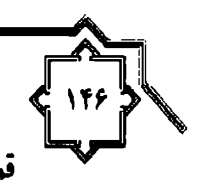
و منها:

و يقبل فيه ساعة الظهر من دعـا   بـه و ينـادى مـن دعانـا اجبنـاه

أى يقبل فى غار حراء من دعا فيه. قال الزرقانى: و المرجانى هو عبد الله بن محمد القرشى الإمام القدوة الـواعظ المفسر أحـد الأعـلام، قتـل بتـونس سـنة ٦٠٩هـ. سيأتى فى باب التبرك بما شرب منه ﷺ أن الإمام النـووى رحمه الله صرح بأن مما يتبرك به دخول الغار الذى دخله ﷺ، و الغار الذى دخله ﷺ يـصدق بغار حراء و بغار ثور. و قال فى (قلائد الخرائد و فرائد الفوائد) للشيخ عبـد الله باقشير ج١ ص٢٧٦: و ينبغى أن يُزَار و يُتَبَرَكَ بغار حراءٍ و هو الجبل الـذى أولُ نُزولِ الوحى فيه.

التبرك بما يفضله ﷺ من الطعام

روى الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله ﷺ أتى بـشراب فشرب منه و عن يمينه غلام و عن يساره أشـياخ، فقـال للغـلام: أتـأذن لـى أن أعطى هؤلاء؟ فقال الغلام: لا، و الله لا أوثر بنـصيبى منـك أحـدا، قـال: فتلـه رسول الله ﷺ فى يده. و الغلام هو ان عباس رضي الله عنهما قولـه فتلـه أى وضـعه. و لفظ رواية الترمذى فى (الـشمائل) عـن ابـن عبـاس قـال: دخلـت مـع رسـول الله ﷺ أنا و خالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء من لبن فـشرب رسـول الله ﷺ و أنا على يمينه و خالد عن شماله، فقال لى: الـشربة لـك، فـإن شـئت آثرت بها خالدا، فقلت: ما كنت لأوثر على سؤرك أحدا.



و قال ابن حجر الهيتمى فى (شرح الشمائل) ص٢٨٦: قد يشكل على قوله ﷺ لابن عباس: فإن شئت آثرت بها خالدا قول أئمتنا: يكره الإيثار بالقرب، و قد يجاب بأن محل الكراهة حيث آثر من ليس أولى منه بذلك، و إلا فلا كراهة كما هنا، كتقديم غير الأفقه مثلا على الأفقه فى الإمامة اهـ.

و روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبى أيوب أن النبى ﷺ نزل عليه، نزل النبى ﷺ فى السفل و أبو أيوب فى العلو، قال: فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشى فوق رأس رسول الله ﷺ، فتنحوا فباتوا فى جانب ثم قال للنبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: السفل أرفق، فقال لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول النبى ﷺ في العلو و أبو أيوب فى السفل، فكان يصنع للنبى ﷺ طعاما، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه فتتبع موضع أصابعه، فصنع له طعاما فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبى ﷺ، فقيل له: لم يأكل، ففزع و صعد إليه فقال: أحرام هو؟ فقال النبى ﷺ: لا و لكنى أكرهه، قال: فإنى أكره ما تكره أو ما كرهت، قال: و كان النبى ﷺ يؤتى، قال النووى: أى تأتيه الملائكة و الوحى كما جاء فى الحديث الآخر إنى أناجى من لا تناجى، و إن الملائكة تتأذى مما يتأذى به بنو آدم، و فى رواية لمسلم عن أبى أيوب أنه ﷺ كان إذا أتى بطعام أكل منه و بعث بفضله ـ الحديث و فى هذا الحديث كما قاله النووى فى شرح (مسلم) ج١٤ ص٩ ـ ١٠: أنه يستحب للآكل و الشارب أن يفضل مما يأكل و يشرب فضلة ليواسى بها من بعده، لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته، و كذا إذا كان فى الطعام قلة و لهم إليه حاجة، و يتأكد هذا فى حق الضيف، لا سيما إن كانت عادة أهل الطعام أن يخرجوا كل ما عندهم، و تنتظر عيالهم الفضلة كما يفعله كثير من الناس، و نقلوا أن السلف كانو يستحبون إفضال هذه الفضلة المذكورة و فى هذا الحديث أصل ذلك كله، و فيه التبرك



بآثار أهل الخير فى الطعام و غيره، و فيه إجلال أهل الفضل و المبالغة فى الأدب معهم، و فيه أن من أوصاف المحب الصادق أن يحب ما يحب محبوبه و يكره ما يكره انتهى ما قاله النووى. و نقلت عبارته بطولها لعظيم فائدتها. قوله العلو و السفل بكسر أولها و ضمه لغتان. و ذكر الإمام مسلم ﷺ هذا الحديث فى باب إباحة أكل الثوم و أنه ينبغى لمن أراد خطاب الكبار تركه و كذا ما فى معناه. و فى (المدخل) لابن الحاج ج١ ص٢٣١ ينبغى للأضياف أن يتركوا فضلة من الطعام و إن قلّ امتثالا للسنة، فقد تكون لأهل البيت نية صالحة فى بقية السؤر.

و قال القاضى عياض فى (الشفاء): و فى حديث حنش بن عقيل سقانى رسول الله ﷺ شربة من سويق شرب أولها و شربت آخرها، فما برحت أجد شبعها إذا جعت، و ريها إذا عطشت، و بردها إذا ظمئت اهـ..

و قال الشهاب فى شرحه على (الشفاء) ج٣ ص١٤٠: روى هذا الحديث قاسم بن ثابت فى (الدلائل) عن المسور بن مخرمة، و المعنى أن النبى ﷺ شرب منها أولا لتحصل البركة فيها، ثم ناوله الإناء فشرب بقيته، فلم يزل بعد ما شرب سؤره يجد شبعها إذا جاع، ور يها إذا عطش و ظمىء. و العطش هو الظمأ، فغاير بينهما فى العبارة تفننا أى لم يفارقه الشبع و الرى بعد شربها لبركة سؤره ﷺ اهـ..

التبرك بخاتم النبوة

روى البخارى فى كتاب الأدب من صحيحه فى باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به عن خالد بن سعيد عن أبيه عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبى و علىّ قميص أصفر، قال رسول ﷺ: «سنه سنه»، قال عبد الله يعنى ابن المبارك: و هى بالحبشية حسنة قالت: فذهبت

ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي، قال رسول الله ﷺ: دعها، ثم قال رسول الله ﷺ: «أبلى و أخلقى ثم أبلي و أخلقي ثم أبلي و أخلقي».

قال ملا علي سلطان قاري في (المرقاة شرح مشكاة المصابيح) ج١١ ص٧٤ في شرح هذا الحديث: قوله ﷺ لأبيها: دعها أي لتتبرك بالخاتم أيضا كما تبركت بإلباس الخلعة الشريفة، و هذا يدل على كمال حلمه و كرمه و حسن عشرته مع صحابته، و قد أشار الشيخ الصمداني شهاب الدين السهروردي قدس الله سره في عوارفه إلى أن استناد مشايخ الصوفية في لبس الخرقة بهذا الحديث، أقول: ولعله أراد إلباس خرقة التبرك دون إلباس خرقة الإجازة اهـ...

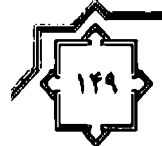
قلت: سيأتي حديث إلباسه ﷺ أم خالد الخميصة في باب التبرك بثيابه ﷺ.

و في (تهذيب الأسماء و اللغات) أن سلمان الفارسي قال في قصة إسلامه لما رأيت خاتم النبوة قبلته و بكيت.

التبرك بخاتمه ﷺ

روى البخاري في باب نقش الخاتم من كتاب اللباس و مسلم رحمهما الله تعالى في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من ورق، فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع منه في بئر أريس، نقشه محمد رسول الله.

قال النووي في شرحه على مسلم ج١٤ ص٦٧: في هذا الحديث التبرك بآثار الصالحين و لبس لباسهم، و جواز لبس الخاتم و أن النبي ﷺ لم يورث، اذ لو ورث لدفع الخاتم إلى ورثته، بل كان الخاتم و القدح و السلاح ونحوها من آثاره الضرورية صدقة للمسلمين، يصرفها والى الأمر حيث رأى من المصالح،



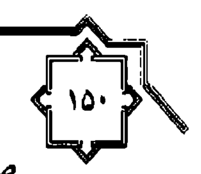
فجعل القدح عند أنس إكراما له لخدمته، ومن أراد التبرك به لم يمنعه، و جعل باقى الأثاث عند ناس معروفين و اتخذ الخاتم عنده للحاجة التى اتخذه النبى ﷺ لها، فإنها موجودة فى الخليفة بعده، ثم الخليفة بعده، ثم الخليفة الثانى ثم الثالث و هذا الحديث أخرجه أيضا الترمذى فى (الشمائل).

و روى البخارى عن أنس رضي الله عنه قال: كان خاتم النبى ﷺ فى يده، و فى يد أبى بكر بعده، و فى يد عمر بعد أبى بكر، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس، قال: فأخرج الخاتم فجعل يبعث به فسقط، قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فننزح البئر فلم نجده اهـ.. قال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى فى (فتح البارى) ج١٠ ص٣٢٩ فى شرح هذا الحديث: الذى يظهر أنه إنما بالغ فى التفتيش عليه لكونه أثر النبى ﷺ قد لبسه و استعمله و ختم به، و إلا لو كان غير خاتم النبى ﷺ لاكتفى بطلبه بدون ذلك. و قال الحافظ أيضا: فى هذا الحديث استعمال آثار الصالحين و لبس ملابسهم على جهة التبرك و التيمن بها اهـ..

و قال الهيتمى فى (شرح الشمائل) ص١٥٢ يحتمل أن أبابكر و من بعده كانوا يختمون به، و يحتمل أنه كان عندهم تبركا، و أما ختم كل فبخاتم فيه نقشه، ثم رأيت فى (النسائى) ما يصرح بالأول اهـ..

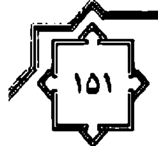
فائدة:

قال الحافظ فى (الفتح) ج١٠ ص٣٢٩: قال بعض العلماء كان فى خاتمه ﷺ من السر شىء مما كان فى خاتم سليمان عليه السلام، لأن سليمان لما فقد خاتمه ذهب ملكه، و عثمان لما فقد خاتم النبى ﷺ انتقض عليه الأمر، وخرج عليه الخارجون، و كان مبدأ الفتنة التى أفضت إلى قتله و اتصلت إلى آخر الزمان.



قلت: الأمر كما قاله هؤلاء العلماء فقد أخرج البيهقى فى (دلائل النبوة) ج٦ ص٥٥ عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارج الأنصارى، ثم من بنى حارث بن الخزرج توفى زمن عثمان ابن عفان فسجى فى ثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة فى صدره، ثم تكلم ثم قال: أحمد أحمد فى الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق، الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله فى الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القوى الأمين فى الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم، مضت أربع و بقى اثنتان، أتت الفتن، و أكل الشديد الضعيف، و قامت الساعة، و سيأتيكم عن جيشكم خبر بئر أريس، و ما بئر أريس؟ قال سعيد يعنى ابن المسيب: ثم هلك رجل من خطمة فسجى بثوبه، فسمع جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال: إن أخا بنى حارث بن الخزرج صدق صدق. ثم رواه البيهقى بسند آخر و قال: هذا إسناد صحيح و له شواهد. مثله فى (البداية و النهاية) ج٦ ص١٥٦ و (شرح الصدور) ص٢١٩.

و فى (شرح الصدور) للحافظ السيوطى روى الطبرانى عن النعمان بن بشير: مات رجل منا يقال له خارجة بن زيد، فسجيناه بثوب، و قمت أصلى إذ سمعت صوتا فانصرفت إليه، فإذا أنا به يتحرك، فقال: أجلد القوم و أوسطهم عبد الله، عمر أمير المؤمنين القوى فى جسمه القوى فى أمر الله، عثمان أمير المؤمنين العفيف المتعفف الذى يعفو عن ذنوب كثيرة، خلت ليلتان و بقيت أربع، و اختلف الناس فلا نظام لهم يا أيها الناس أقبلوا على إمامكم و اسمعوا له و أطيعوا. و أخرج البيهقى (فى الدلائل) عن إسماعيل بن أبى خالد، أن ذلك كان على تمام سنتين خلتا من إمارة عثمان، فهما الليلتان قال: فلم أزل أحفظ العدة للأربع البواقى، و أتوقع ما هو كائن فيهن، فكان فيهن انتزاء أهل العراق و خلافهم و إرجاف المرجفين و طعنهم على أميرهم الوليد ابن عقبة. قال



البيهقى و هذا أيضا إسناد صحيح. و الانتزاء التحريش و الإفساد. روى ذلك أيضا بسند آخر عن النعمان بن بشير و ذكر فيه بئر أريس، و الأمر فيها أن النبى ﷺ اتخذ خاتما فكان فى يده ثم كان فى يد أبى بكر من بعده، ثم كان فى يد عمر، ثم كان فى يد عثمان حتى وقع فى بئر أريس بعد ما مضى من خلافته ست سنين، فعند ذلك تغيرت عماله، و ظهرت أسباب الفتن، كما قيل على لسان زيد بن خارجة اهـ..

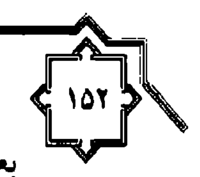
و قال الحافظ ابن كثير في (البداية و النهاية): قلت و هى أى الست سنين المراد من قوله: مضت اثنتان و بقيت أربع، أو مضت أربع و بقيت اثنتان، على اختلاف الراوية و الله أعلم اهـ..

و روى قصة زيد بن خارجة أيضا ابن عساكر عن أنس و غيره، و يقال: إن الذى تكلم بعد الموت خارجة بن زيد كما فى رواية الطبرانى المذكورة. و فى (الإصابة فى تمييز الصحابة) ما لفظه: خارجة بن زيد جاء أنه تكلم بعد الموت.

قال الزرقانى فى شرح (المواهب اللدنية) ج٧ ص٦٤: و هذا وهم لأن خارجة بن زيد شهد أحدا فقتل هو و ابنه سعد فيه و زيد توفى فى خلافة عثمان. فالمشهور الراجح إن شاء الله أن الذى تكلم بعد الموت هو زيد بن خارجة فقد قال البخارى فى كتاب (التاريخ): زيد بن خارجة الأنصارى شهد بدرا توفى فى زمن عثمان، و هو الذى تكلم بعد الموت، و نقل البيهقى فى (الدلائل) ج٦ ص٥٧ ذلك عن البخارى فى تاريخه و سكت عليه.

و هو كما فى (الإصابة) ج٢ ص٦٠٣ زيد بن خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس تزوج أبوبكر أخته فولدت له أم كلثوم بعد وفاته.

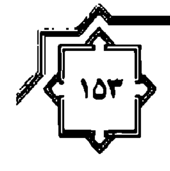
و قال البيهقى فى (الدلائل): روى فى التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة اهـ. و ذكر كثيرا من ذلك السيوطى فى (شرح الصدور).



فثبت أن ظهور الفتن و الفساد و اختلاف الناس و ظلم بعضهم بعضا كان بعد وقوع خاتمه ﷺ في بئر أريس، و أما قبل ذلك فكان الاستقرار و النظام و الأمن التام ببركة الخاتم النبوي، و قال ابنحجر الهيتمي في (شرح الشمائل) ص١٥٣ كان سقوط خاتمه ﷺ في بئر أريس مبدأ الفتنة و الاختلاف و قد بالغ عثمان رضي الله عنه في التفتيش عليه بنزح البئر ثلاثة أيام فلم يرَ، إشارة إلى أن انتظام أمر الخلافة كان منوطا بذلك الخاتم، و من ثمة انحل الأمر بضياعه انحلالا بينا اهـ..

و قال ابن علان في شرحه على (الأذكار) ج٥ ص٢١٧: و مذ عدم خاتمه ﷺ اختلفت الكلمة و زال الاتفاق في جميع بلاد الإسلام من أقصى خراسان إلى أقصى بلاد المغرب اهـ. فصلى الله و سلم على من تشرف به هذا الخاتم الذي ذهب بفقد بركته خير كثير من الدنيا و أهلها، فسبحان من أودع فيه سرا عظيما من أسراره، و جعله حرزا حصينا و حجابا منيعا لأمة حبيبه ﷺ.

و في (طبقات الشافعية الكبرى) لابن السبكي ج٢ ص٨١ أن الإمام الجليل أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد بن عبد الرحمن أبا بكر النيسابوري الصبغي قال: رأيت في المنام كأني خارج من منزل شخص و استقبلني النبي ﷺ و معه أبو بكر و عمر و عثمان أو علي رضي الله عنهم أحدهما فإني شككتُ و لم أشكّ في أنهم كانوا أربعة فتقدمتُ فسلمتُ على رسول الله ﷺ فرد عليّ السلام، ثم تقدمت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقبل بين عينيّ و قال: جزاك الله عن نبيه خيرا و عنا خيرا، قال أبوبكر، فأخرجت خاتمي هذا من أصبعي و جعلته في أصبع رسول الله ﷺ، ثم نزعته فجعلته في أصبع أبي بكر، ثم إلى آخر الأربعة، ثم قلت: يا رسول الله قد عظمت بركة هذا الخاتم معه. ثم قال ابن السبكي: و هذا منه فيه استحسان لما يفعل من دفن المرء معه ما يتبرك به، أو دفنه فيما يتبرك به. انتهى باختصار.



قلت: و كان الشيخ أحمد بن إسحاق من الأئمة الجامعين بين الفقه و الحديث، روى عن كثير من المشايخ، وروى عنه خلائق، منهم أبو أحمد الحاكم و أبو عبد الله الحاكم ولد سنة ٢٥٨ و توفي سنة ٣٤٢هـ.

التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ

روى البخاري في باب المساجد في البيوت من كتاب الصلاة عن محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك و هو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرا من الأنصار أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله قد أنكرت بصري و أنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني و بينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، و وددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى، قال: فقال له رسول الله ﷺ : سأفعل إن شاء الله، قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ و أبوبكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ قال: فأشرت له الى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا فصففنا، فصلى ركعتين ثم سلم. قال: و حبسناه على خزيرة صنعناها له، قال: فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذوو عدد فاجتمعوا الى آخر الحديث، قال الحافظ في (فتح الباري) ج١ ص٥٢٢ في شرح هذا الحديث فيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ أو وطئها، و يستفاد منه: أن من دعي من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أمن الفتنة، و فيه اجتماع أهل المحلة على الإمام أو العالم إذا ورد منزل بعضهم ليستفيدوا منه و يتبركوا به، قوله أصلي لقومي: أي لأجلهم و المراد أنه يؤمهم، و قوله على خزيرة: بخاء معجمة مفتوحة بعدها زاي مكسورة ثم ياء تحتانية ثم راء ثم هاء نوع من الأطعمة، قيل: هو حساء من

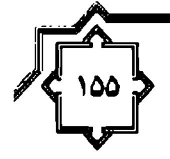
دقيق فيه دسم، و قيل غير ذلك. و روى مسلم في باب سترة المصلي عن سلمة و هو ابن الأكوع أنه كان يتحرى موضع مكان المصحف يسبح فيه، و ذكر أن رسول الله ﷺ كان يتحرى ذلك المكان و في رواية أخرى لمسلم عن يزيد يعني ابن أبي عبيد قال: كان سلمة يتحرى الصلاة عند الأسطوانة التي عند المصحف. فقلت له؟ يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال: رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها. قوله يسبح فيه؟ أي يصلي، و قوله مكان المصحف هو المكان الذي وضع فيه صندوق المصحف في المسجد الشريف النبوي، و ذلك المصحف هو الذي سمي إماما من عهد عثمان رضي الله عنه اهـ... كذا بهامش صحيح مسلم.

التبرك بموضع قدميه ﷺ

و في (المفاهيم) روى النسائي عن أبي مجلز أن أبا موسى رضي الله عنه، كان بين مكة و المدينة فصلى العشاء ركعتين ثم قام فصلى ركعة أوتر بها فقرأ فيها بمائة آية من النساء ثم قال: ما آلوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله ﷺ قدميه، و أنا أقرأ بما قرأ به رسول الله ﷺ.

التبرك بمنبره ﷺ

و في بعض نسخ (الشفاء) للقاضي عياض: رؤى ابن عمر رضي الله عنهما واضعا يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه. و قال علي قاريء في شرحه على هذه النسخة ج٣ ص٥١٨: رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القاري، و عن أبي قسيط و العتبي كان أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامينهم ثم يستقبلون القبة يدعون. قال الملا



على قارى جسوا بفتح الجيم و تشديد السين المهملة، أى حسوا و مسوا و رمانة المنبر العدة المشابهة للرمانة و المعنى تمسحوا بإيمانهم طلبا لليمن و البركة.

و فى (المفاهيم) ص١٥١ نقلا عن (اقتضاء الصراط المستقيم) ص٣٦٧: روى ذلك ابن تيمية أيضا عن الإمام أحمد، و أنه رخص فى التمسح بالمنبر و الرمانة، و ذكر أن ابن عمر و سعيد ابن المسيب و يحيى بن سعد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك اهـ..

و فى (شواهدالحق) للنبهانى ص١١٧: قال السيد السمهودى فى (خلاصة الوفا): و فى كتاب (العلل و السؤالات) لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل سألت أبى عن الرجل يمس منبر النبى ﷺ يتبرك بمسه و تقبيله و يفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى، فقال: لا بأس به.

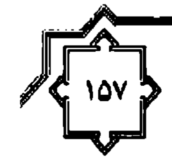
و قال الحافظ الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج١١ ص٢١٢: قد ثبت أن عبد الله بن أحمد سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبى ﷺ و يمس الحجرة النبوية، فقال: لا أرى بذلك بأسا. قال الذهبى: أين المتنطع المنكر على أحمد؟ أعاذنا الله من رأى الخوارج و من البدع. و فى (نسيم الرياض شرح الشفاء) ج٣ ص٦١: كان لمنبره ﷺ ثلاث درج فزيد عليه فى أيام معاوية رضي الله عنه ست درجات فصارت تسعا، ثم لما جددوه اتخذ بعض بنى العباس من أعواده القديمة أمشاطا يتبرك بها اهـ.. و قال ملا على قارى فى (شرح الشفاء) ج٣ ص٦١: إن المنبر احترق أول ليلة من رمضان سنة ٦٥٤، و كان ذلك على الناس من أعظم المصيبة اهـ..

التبرك بثيابه ﷺ

روى البخاري في كتاب الأدب في باب حسن الخلق و السخاء و في اللباس و في الجنائز في باب من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ فلم ينكر عليه عن

سهل رضي الله عنه أن امرأة جاءت النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها: أتدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة، قال: نعم قالت: نسجتها بيدي فجئت لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها فخرج إلينا و إنها إزاره، فحسنها فلان فقال: اكسنيها ما أحسنها، قال القوم: ما أحسنت، لبسها النبي محتاجاً إليها ثم سألته و علمت أنه لا يرد، قال: إني و الله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني. قال سهل: فكانت كفنه. هذا لفظه في كتاب الجنائز و قوله أتدرون: هو مقول سهل بن سعد كما أخرجه المصنف في الأدب و لفظه: فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ و الصحابي الذي سأل البردة ليكفن فيها تبركاً بها هو عبد الرحمن بن عوف كما أفاده الحافظ ابن حجر في مقدمة (الفتح) و قيل: سعد بن أبي وقاص. و في البخاري في كتاب الأدب أنّ هذا الصحابي قال في جواب أصحابه لما لاموه بسؤال النبي ﷺ: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ، لعلي أكفن فيها. قال الحافظ في (فتح الباري) ج٣ ص١٤٤: و في هذا الحديث التبرك بآثار الصالحين. قال ابن بطال و فيه جواز إعداد الشيء قبل وقت الحاجة إليه، قال: و قد حفر جماعة من الصالحين قبورهم قبل الموت. و قال بعض الشافعية: ينبغي لمن استعد شيئاً من ذلك أن يجتهد في تحصيله من جهة يثق بحلها أو من أثر من يعتقد فيه الصلاح و البركة اهـ. و عقدالإمام النووي باباً لهذا فقل في (خلاصة الأحكام) ج٢ ص٩٥٥: باب استحباب ادّخار الكفن إذا كان مما يتبرك به. و استدل بحديث سهل السابق.

و قد تبرك سعد بن أبي وقاص أيضاً بجبة لقي فيها المشركين، ففي (أسد الغابة) ج٢ ص٢٩٣ لما حضرت وفاة سعد بن أبي وقاص دعا بخلق جبة له من صوف، فقال: اكفنوني فيها، فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر و هي عليّ، و إنما كنت أخبأها لهذا.



لطيفة:

قال الحافظ العسقلاني في (المواهب اللدنية): استنبط من هذا الحديث السادة الصوفية جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركاً بهم و بلباسهم، كما استدلوا لإلباس الشيخ للمريد بحديث أنه ﷺ ألبس أم خالد خميصة سوداء ذات علم. و روى البخاري في كتاب الجنائز في باب كيف الإشعار للميت؟ أن ابن سيرين قال: جاءت أم عطية ﵂ ـ امرأة من الأنصار من اللاتي بايعن ـ قدمت البصرة تبادر ابناً لها فلم تدركه، فحدثتنا قالت: دخل علينا النبي ﷺ و نحن نغسل ابنته و قال: اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء و سدر و اجعلن في الآخرة كافورا، فإذا فرغتن فآذنني، قالت: فلما فرغنا ألقى إلينا حقوه فقال: أشعرنها إياه و لم يزد على ذلك. و قال الحافظ في (الفتح) قوله تبادر ابنا لها فلم تدركه هذا الابن ما عرفت اسمه، و كأنه كان غازياً فقدم البصرة فبلغ أم عطية و هي بالمدينة قدومه و هو مريض، فرحلت إليه فمات قبل أن تلقاه. و قوله أشعرنها إياه: أي اجعلنه شعارها أي الثوب الذي يلي جسدها. وقوله حقوه: بفتح المهملة و يجوز كسرها بعدها قاف ساكنة و المراد به هنا الإزار. و الحقو في الأصل معقد الإزار، و أطلق على الإزار مجازاً. و هذا الحديث أصل في التبرك بآثار الصالحين. و قال الحافظ في (الفتح) ج٣ ص١٢٩: قيل: و الحكمة في تأخير الازار معه إلى أن يفرغن من الغسل و لم يناولهن إياه أولا ليكون قريب العهد من جسده الكريم حتى لا يكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل اهـ. ملخصاً.

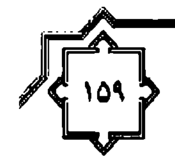
و روى هذا الحديث مسلم بطرق في باب غسل الميت.

قال النووي في (شرح مسلم) ج٧ ص١٥٣: أن أنس بن مالك كانت عنده

عصابة لرسول الله ﷺ، فلما مات دفنت معه بين جبينيه و بين قميصه اهـ. و العصابة بكسر العين العمامة كما في (القاموس).

و في (البداية و النهاية) ج٨ ص١٤٣ و قد ورد من غير وجه أن معاوية رضي الله عنه أوصى إلى ابنه يزيد أن يكفن في ثوب رسول الله ﷺ الذي كساه إياه، و كان مدخراً عنده لهذا اليوم، و أن يجعل ما عنده من شعره و قلامة أظفاره في فمه و أنفه و عينيه و أذنيه. و روى البخاري في كتاب اللباس عن سعيد بن العاص عن أم خالد بن خالد قالت: أتي النبي بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: من ترون أن نكسو هذه؟ فسكت القوم، قال: ائتوني بأم خالد فأتي بها تحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها و قال: أبلي و أخلقي، و كان فيها علم أخضر و أصفر، فقال: يا أم خالد هذا سناه، و سنها بالحبشية. و في (فتح الباري): و في بعض الروايات: سناه سناه، قال الحميدي يعني حسنا حسنا. قال الزرقاني: الخميصة بفتح الخاء المعجمة و كسر الميم ثوب من حرير أو ثوب معلم أو كساء رقيق من أي لون كان اهـ. و قيل: لا تسمى خميصة حتى تكون سوداء معلمة. و قد ذكرنا عن القسطلاني و ملا علي بن سلطان قاري أن بعضهم استدلوا بحديث أم خالد لإلباس خرقة الصوفية، و سيأتي إن شاء الله الكلام عن خرقة الصوفية مبسوطاً في التبرك بثياب الصالحين.

و في شرح الزرقاني على (المواهب اللدنية) ج٧ ص٨٣ ـ ٨٤: روى أبو نعيم عن عباد بن عبد الصمد: أتينا أنس بن مالك، فقال: يا جارية هلمي المائدة نتغدى، فأتت بها، ثم قال: هلمي المنديل، فأتت بمنديل وسخ، فقال: اسجري التنور، فأوقدته فأمر بالمنديل فطرح فيه، فخرج أبيض كأنه اللبن، فقلنا: ما هذا؟ قال: هذا منديل كان ﷺ يمسح به وجهه، فإذا اتسخ صنعنا به هكذا، لأن النار لا تأكل شيئاً مر على وجوه الأنبياء اهـ.



التبرك بنقده ﷺ

روى مسلم رحمه الله في صحيحه عن جابر رضي الله عنهما قال: أقبلنا من مكة إلى المدينة مع رسول الله ﷺ فاعتل جملي، و ساق الحديث بقصته، و فيه ثم قال لي: بعني جملك هذا قال: قلت: لا بل هو لك، قال: لا، بل بعنيه، قال: قلت: لا بل هو لك يا رسول الله، قال: لا، بل بعنيه، قال: قلت: فإن لرجل علي أوقيه ذهب فهو لك بها، قال: قد أخذته فتبلغ عليه إلى المدينة، قال: فلما قدمت إلى المدينة قال رسول الله ﷺ لبلال: أعطه أوقية من ذهب و زده، قال: فأعطاني أوقية من ذهب و زادني قيراطاً، قال: فقلت: لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ، قال: فكان في كيس لي فأخذه أهل الشام يوم الحرة. قال النووي في شرحه لهذا الحديث ج١١ ص٣٦: فيه التبرك بآثار الصالحين لقوله: لا تفارقه زيادة رسول الله ﷺ.

التبرك بعنزته ﷺ

العنزة بفتح العين و النون عصا عليه زج، والزج بضم الزاي الحديدة التي في أسفل الرمح. روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء فأحمل أنا و غلام إداوة من ماء و عنزة يستنجي بالماء. قال العيني في شرح هذا الحديث ج٢ ص٢٩٦: توارث هذه العنزة بعده ﷺ الخلفاء رضي الله عنهم و عبارته: قال الزبير بن العوام: رأيت سعيد بن العاص و في يدي عنزة فأطعن بها في عينه حتى أخرجتها متفقأة، فأخذها رسول الله ﷺ فكانت تحمل بين يديه و بعده بين يدي أبي بكر و عمر و عثمان و علي رضي الله عنهم، ثم طلبها ابن الزبير رضي الله عنهما فكانت عنده حتى قتل. و في (مفاتيح العلوم) لأبي عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي: هذه الحربة و تسمى العنزة كان النجاشي أهداها للنبي ﷺ، فكانت تقام بين يديه إذا خرج إلى المصلى، و توارثها من بعده

الخلفاء ﷺ، و في (الطبقات) أهدى النجاشي إلى النبي ﷺ ثلاث عنزات، فأمسك واحدة لنفسه، و أعطى علياً واحدة، و أعطى عمر واحد.

التبرك بسيفه ﷺ

و في (الزرقاني شرح المواهب اللدنية) ج٥ ص٨٦: روي عن الأصمعي أنه أحضر الرشيد يوماً ذا الفقار فأذن لي في تقبيله فقبلته، و اختلفت أنا و من حضر في عدة فقاره هل هي سبع عشرة أو ثماني عشرة، و قال الأصمعي أيضاً: دخلت على الرشيد فقال: أريكم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار؟ قلنا: نعم، فجاء به فما رأيت سيفاً قط أحسن منه، إذا نصب لم ير فيه شيء، و إذا بطح عد فيه سبع فقر، و إذا صفيحة ثمانية يحار الطرف فيه من حسنه، و كان ﷺ أخذه من غنيمة بدر كما أخرجه أحمد و الترمذي و قال: حسن غريب، و الحاكم و صححه، و روى الحسن بن عرفة أن ملكاً نادى في السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف إلا ذو الفقار، و لا فتى إلا علي اهـ..

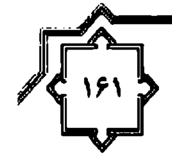
و قال في (المواهب اللدنية): كان في وسط هذا السيف مثل فقرات الظهر، و يجوز في فائه الكسر و الفتح.

وكان لا يفارقه ﷺ يكون معه في كل حرب يشهدها.

فائدة:

قال الهيتمي في (شرح الشمائل) ص١٦٣: جاء أنه ﷺ كان عنده ثمانية سيوف كل له اسم خاص.

و في (المواهب اللدنية) أن له ﷺ تسعة أسياف و هي مأثور، و هو أول سيف ملكه، و العضب بفتح العين و سكون المعجمة و ذو الفقار، و القلعي بضم القاف أو فتحها و فتح اللام، و البتّار بفتح الموحدة و تشديد الفوقية، و المخذم بكسر الميم و إسكان الخاء و فتح الذال المعجمة، و الرسوب بفتح الراء،



و الحتف، و القضيب اهـ. و في (الزرقاني) زاد اليعمري و غيره الصمصامة بفتح فسكون، و اللحيف، فهذه إحدى عشرة أو عشرة إن حذف منها القضيب فإن فيه خلافاً اه..

التبرك بسريره ﷺ

و في (المواهب اللدنية) و شرحه للزرقاني ج٥ ص٩٦: كان له ﷺ سرير قوائمه من ساج أهداه إليه أسعد بن زرارة فكان ينام عليه، ثم وضع عليه لما مات، ثم الصديق، ثم الفاروق، ثم صار الناس يحملون عليه موتاهم تبركاً به، ثم بيع في زمن بني أمية فاشترى ألواحه عبد الله بن اسحاق بأربعة آلاف درهم، ذكره ابن العماد و في (الروض) أنه كان خشبات مشدودة بالليف اهـ..

و روى الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء) بسنده ج٥ ص٣٢٦ ــ ٣٢٧ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ كان عنده سرير النبي ﷺ و عصاه و قدح و جفنة و وسادة حشوها ليف و قطيفة و رداء، فكان إذا دخل عليه النفر من قريش قال: هذا ميراث من أكرمكم الله به و أعزكم به و فعل و فعل اهـ..

التبرك بسواكه ﷺ

روى أبو داوود عن عائشة ﷺ قالت: كان نبي الله ﷺ يستاك فيعطيني السواك لأغسله، فأبدأ به فأستاك ثم أغسله و أدفعه إليه. و المعنى كما في (بذل المجهود شرح سنن أبي داوود) ج١ ص١٢٧: يعطيني ﷺ السواك لأغسله للتنظيف، قال ابن حجر يؤخذ منه أن غسل السواك في أثناء التسوك و بعده قبل وضعه سنة، وقولها: فأبدأ به أي باستعماله قبل الغسل لنيل البركة، و لا أرضى أن يذهب بالماء ما صحبه السواك من ماء أسنانه، و أستاك به تبركاً ثم أغسله تأدباً اهـ..

التبرك بنعله الكريمة المباركة صلوات الله و سلامه عليه

اعلم أنه أفرد بعض العلماء بالتأليف في نعله ﷺ كأبي اسحاق إبراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج الأندلسي، و أبي اليمن بن عساكر، فإن كلا منهما ألف في تمثالها جزءاً مفرداً. و مما قال فيها الحافظ العراقي:

و نعله الكريمة المصونة　　　طوبى لمن مس بها جبينه

إلى آخر الأبيات.

قال القسطلاني في (المواهب) ج٢ ص٤٦٧: و من بعض ما ذكر من فضلها و جرب من نفعها و بركتها ما ذكره أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد و كان شيخاً صالحاً قال: حذوت مثال نعله ﷺ لبعض الطلبة، فجاءني يوماً فقال لي رأيت البارحة من بركة هذا النعل عجباً، أصاب زوجي وجع شديد كاد يهلكها، فجعلت النعل على موضع الوجع و قلت: اللهم أرني بركة صاحب هذا النعل فشفاها الله للحين. و قال أبو اسحاق: قال أبو القاسم بن محمد: و مما جرب من بركته أن من أمسكه عنده متبركاً به كان له أماناً من بغي البغاة و غلبة العداة، و حرزاً من كل شيطان مارد و عين كل حاسد، و إن أمسكته المرأة الحامل بيمينها و قد اشتد عليها الطلق تيسر أمرها بحول الله و قوته.

و كان عبد الله بن مسعود بن غافل رضي الله عنه صاحب نعليه ﷺ، ففي (صفة الصفوة) ج١ ص٣٩٧ للحافظ ابن الجوزي: روي عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عبد الله يلبس رسول الله ﷺ نعليه ثم يمشي أمامه بالعصا، حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا، فإذا أراد رسول الله ﷺ أن يقوم ألبسه نعليه ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله ﷺ.



و عن عبد الله بن شداد بن الهاد: أن عبد الله كان صاحب الوساد و السواك و النعلين.

وفي (الإصابة في تمييز الصحابة) ج٤ ص٢٣٤: أن ابن مسعود ﵁ كان يلزم رسول الله ﷺ و يحمل نعليه، و قال علقمة: قال لي أبو الدرداء: أليس فيكم صاحب النعلين و السواك و الوساد؟ يعني عبد الله اهـ.

و في (البداية و النهاية) ج١٠ ص١٥٣: أن المهدي بن المنصور أمير المؤمنين دخل عليه رجل يوماً و معه نعل فقال: هذا نعل رسول الله ﷺ قد أهديته لك، فقال: هاتها، فناوله إياها فقبلها و وضعها على عينيه، و أمر له بعشرة آلاف درهم، فلما انصرف الرجل قال المهدي: و الله إني لأعلم أن رسول الله ﷺ لم ير هذه النعل فضلاً عن أن يلبسها، و لكن لو رددته لذهب يقول للناس: أهديت إليه نعل رسول الله ﷺ فردها علي، فتصدقه الناس، لأن العامة تميل إلى أمثالها، و من شأنهم نصر الضعيف على القوي و إن كان ظالماً، فاشترينا لسانه بعشرة آلاف درهم، و رأينا هذا أرجح و أصلح.

و في (تهذيب تاريخ ابن عساكر) ج٦ ص٢٩٠: أن نعلي رسول الله ﷺ كانتا عند شداد بن أوس الصحابي ﵁، فانتقلتا إلى ابنه محمد فطلبت منه أخته إحدى النعلين، و قالت له: إن هذه مكرمة من رسول الله ﷺ، فأحب أن تشرك فيها ولديّ فأخذت منه واحدة، فمكثت النعل عندها حتى أدرك أولادها، فلما أن صار المهدي إلى بيت المقدس أتاه ولداها و عرفوه نسب بنت شداد، فعرف ذلك وقَبِلَ النعل منهما و أجاز كل واحد بألف دينار، و أمر لكل واحد منهما بضيعة، ثم بعث إلى محمد بن شداد فأتي به محمولاً على أيدي الرجال لزمانته، فسأله عن خبر النعل فصدق مقال الرجلين فيها، فقال له المهدي: ائتني بالأخرى، فبكى و استرحمه و ناشده بقرابته من رسول الله ﷺ، و قال: إن الأمر

قد قرب مني فلا تفجعني بها ولا تسلبني مكرمة اختصنا بها ابن عمك رسول الله ﷺ نبي الرحمة، فرق المهدي للشيخ و أقرها على حالها.

قال محمد بن عبد الوهاب: أخبرني من أدركت من مشايخ الأنصار من ولد شداد و غيره أن الرجلين يعني اللذين زهدا في النعل هلكا و هلك ما كان لهما و لم يعقبا انتهى باختصار.

و ذكر هذه القصة الذهبي مختصرة في (سيرة أعلام النبلاء) ج٢ ص٤٦٣.

و ألف الشيخ العلامة الشهاب أحمد المقريّ صاحب كتاب (نفح الطيب) المتوفى سنة ١٠٤١ كتاب (فتح المتعال في مدح النعال الشريفة النبوية) و اختصره العلامة النبهاني بمختصر سماه (بلوغ الآمال من فتح المتعال) كما ذكره في (جواهر البحار) له ج٣ ص١٤٦.

و في (الضوء اللامع) للحافظ السخاوي ج١٠ ص٨٠: أن مجد الدين محمد بن يعقوب الفيزوآبادي صاحب (القاموس) قرأ صحيح مسلم على ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن جهبل بدمشق تجاه نعل النبي ﷺ في ثلاثة أيام اهـ. و مثله في (شذرات الذهب) ج٧ ص١٣٠ و قال: و تبجح بذلك مجد الدين و قال:

قرأت بحمد الله جامع مسلم — بجوف دمشق الشام جوف الإسلام
على ناصر الدين الإمام ابن جهبل — بحضرة حفاظ مشاهير أعلام
و تم بتوفيق الإله و فضله — قراءة ضبط في ثلاثة أيام

فسبحان المانح الذي يؤتي فضله من يشاء اهـ..

قلت: الظاهر أن الشيخ مجد الدين تبرك بالنعل الشريفة و أن الله أعاد عليه من بركاتها ما تبهر له العقول و تسر به القلوب، فلله الحمد الذي أراه من بركاتها ما تقر به عينه، و يعتبر به ذوو القلوب الصافية، و أصحاب المحبة للآثار النبوية، ﷺ على من تشرفت هي به و الله أعلم.



و في (المواهب اللدنية): قال أبو بكر أحمد بن الإمام أبي محمد عبد الله بن الحسين القرطبي:

و نعل خضعنا هيبة لبهائها — و إنا متى نخضع لها أبدا نعلو

فضعها على أعلى المفارق إنها — حقيقتها تاج و صورتها نعل

و في شرح الزرقاني ج٦ ص٣٥٨: كان أبو بكر أحمد بن أبي محمد القرطبي فقيها محدثا مقرئا مجودا صادق الورع معرضا عن الدنيا لا يضحك إلا تبسما نادرا، وفي سنة ٦٥٢هـ..

و قال ابن كثير في (البداية و النهاية) ج٦ ص٧: اشتهر في حدود سنة ستمائة و ما بعدها عند رجل من التجار يقال له: ابن أبي الحدرد نعل مفردة ذكر أنها نعل النبي ﷺ، فسامها الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب منه بمال جزيل فأبى أن يبيعها، فاتفق موته بعد حين، فصارت إلى الملك الأشرف المذكور، فأخذها إليه و عظمها، ثم لما بنى دار الحديث الأشرفية جعلها في خزانة منها، و جعل لها خادماً، و قرر له من المعلوم كل شهر أربعين درهماً، و هي موجودة إلى الآن في الدار المذكورة اهـ..

التبرك بحنوطه ﷺ

و في (تهذيب الأسماء و اللغات) ج١ ص٣٢٠: قيل: كان عند علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فضل من حنوط رسول الله ﷺ أوصى أن يحنط به.

التبرك بزيارة قبر رسول الله ﷺ

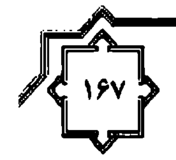
تمهيد:

اعلم أن موضع قبر رسول الله ﷺ أفضل البقاع كلها، و أجمعت الأمة على ذلك كما صرح به القاضي عياض، فقال في كتابه (الشفا بتعريف حقوق

المصطفى): لا خلاف أن موضع قبره أفضل من بقاع الأرض، وقال الشهاب الخفاجي في كتابه (نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض) ج٣ ص٥٣١: وافق القاضي عياضا على هذا الإمام السبكي فقال: الإجماع على أن قبره ﷺ أفضل البقاع. و قال القرافي (في القواعد) للتفضيل أسباب، منها المجاورة كتفضيل جلد المصحف، و منها الحلول كتفضيل قبره ﷺ على البقاع. و قال ابن عبد السلام: التفضيل يكون لأمور غير العمل، فقبره ﷺ أفضل الأمكنة لتجلي الله له بما ينزل عليه من الرحمة و الرضوان و الملائكة اهـ.. و في (المواهب اللدنية) ج٤ ص٦٠٢ـ٦٠٣ للحافظ القسطلاني: و أجمعوا على أن الموضع الذي ضمّ أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر و الباجي و القاضي عياض، بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي في (فضائل المدينة) عن ابن عقيل الحنبلي أنها أفضل من العرش، و صرح الفاكهاني بتفضيلها على السموات. و قد روى أبو يعلى عن أبي بكر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه، و لا شك أن أحبها إليه أحبها إلى ربه تعالى، لأن حبه ﷺ تابع لحب ربه جل و علا، و ما كان أحب إلى الله و رسوله كيف لا يكون أفضل؟ اهـ.. و قال ابن الحاج في كتابه (المدخل) ج١ ص٢٥٧: وقع الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله و سلامه عليه.

و نقل الإمام النووي في (شرح مسلم) ج٩ ص١٦٣ الإجماع على ذلك عن القاضي عياض و سكت عليه. و جرى على ذلك ابن حجر الهيتمي.

و في (المرقاة) لملا علي بن سلطان قاري ج٦ ص١٠: أن البقعة التي ضمت أعضاءه ﷺ هي أفضل من مكة بل من الكعبة بل من العرش إجماعاً.



و في (السيرة الحلبية) ج٣ ص٤٩٥: إن الإجماع قام على أن هذا الموضع الذي ضم أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة، قال بعضهم: و أفضل من بقاع السماء أيضاً حتى من العرش.

و في الجامع اللطيف للعلامة الحنفي جمال الدين محمد جار الله بن محمد ص١٥٥: إن القاضي عياض نقل أن محل قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة، و لقد أحسن و أبدع من قال:

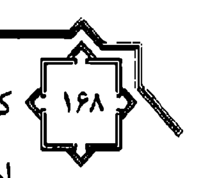
جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات المصطفى وحواها

و نعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكا مأواها

فإذا كان حال هذا المكان الشريف كما ذكرناه و مزيته كما وصفناه فلا شك أنه ينبغي لنا معشر المؤمنين به ﷺ الاهتمام بزيارته، و التبرك بموضع إقامته، و شد الرحال إلى وصول جنابه، و استمداد البركات من بحار عطائه و جزيل نواله، و استنشاق مسكه و عبير ضريحه و بارد نسيمه، و التسلي بقصد مثواه إن غاب عنا بدر كماله.

و ما زال الناس سلفاً و خلفاً يقصدون إلى زيارته ﷺ في المدينة المنورة للتبرك بتلك الآثار النبوية فقد نقل القاضي عياض في (الشفاء) ج٢ ص٨٥ و ابن الحاج في (المدخل) ج١ ص٢٦١: أن الشيخ إسحاق بن إبراهيم الفقيه قال: و مما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة و القصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ و التبرك برؤية روضته و منبره و قبره و مجلسه و ملامس يده و مواطئ قدميه، و العمود الذي كان يستند إليه، و ينزل جبريل بالوحي فيه عليه، و بمن عمّره و قصده من الصحابة و أئمة المسلمين و الاعتبار بذلك كله انتهى لفظه.

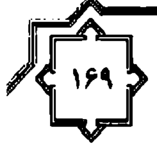
فزيارته ﷺ سنة مؤكدة مهمة جداً و قد ورد بذلك أحاديث كثيرة، و صنف فيها العلماء كالإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، صنف فيه



كتاباً نفيساً جداً سماه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) و ألف ابن حجر الهيتمي فيها كتاباً اسمه (الجوهر المنظم) و هو جزء لطيف مفيد، و انعقد إجماع الأمة على مشروعية الزيارة، فمن أنكرها فقد خرق إجماع هذه الأمة المعصومة، و ممن نقل الإجماع عليها القاضي فقال في (الشفاء): زيارة قبره عليه الصلاة و السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها اهـ. و قال الملا علي بن سلطان قاري في شرحه على (الشفاء) ج٣ ص٥١١: و ممن ادعى الإجماع عليها النووي و ابن الهمام، بل قيل: إنها واجبة اهـ. و قال الحافظ القسطلاني (في المواهب اللدنية) ج٤ ص٥٧٢: أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي و أوجبتها الظاهرية.

و في (المدخل) لابن الحاج ج١ ص٢٥٦: أن ابن هبيرة نقل في كتاب (اتفاق الأئمة) الاتفاق على ذلك فقال: اتفق مالك و الشافعي و أبو حنيفة و أحمد بن حنبل ﷺ على أن زيارة النبي ﷺ مستحبة. و نقل عبد الحق في (تهذيب الطالب) عن أبي عمران الفاسي: أن زيارة النبي ﷺ واجبة، و قال عبد الحق: يريد وجوب السنن المؤكدة. و في (المدخل) أيضاً: أن الغزالي ﵀ قال: كل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته. و قال ابن حجر الهيتمي في (الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم) ص٦ ـ ٧: نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار و المعول في نقل الخلاف الإجماع على مشروعية زيارة قبر نبينا ﷺ. فهي مطلوبة بالكتاب و السنة و الإجماع و القياس، ثم ذكر تفصيل ذلك تفصيلاً واضحاً جلياً.

و قال الهيتمي أيضاً في (حاشية الإيضاح) للنووي ص٤٨٩: نقل المحققون الإجماع على سنّ زيارة رسول الله ﷺ.



فإذا تحققت أن زيارة قبره ﷺ مطلوبة شرعاً، و أن الإجماع انعقد على ذلك، تحققت أن منكر ذلك مغرور مخدوع استهوته الشياطين و استحوذت عليه، و غلبت عليه التخيلات و الوساوس و قادته نفسه و اتبع هواه، و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله؟! فما أعظم خسرانه و مصيبته!! أعاذنا الله من الوقوع في حبيبه و الحرمان من بركاته، قال الحافظ القسطلاني في (المواهب اللدنية) ج٤ ص٥٧٠: اعلم ان زيارة قبره ﷺ من أعظم القربات، و أرجى الطاعات و من اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، و خالف الله و رسوله و جماعة العلماء الأعلام اهـ..

و قد أجاد من قال:

هنيئاً لمن زار خير الورى	و حط عن النفس أوزارها
فإن السعادة مضمونة	لمن حلّ طيبة أو زارها

و قال ابن بطوطة في (رحلته) ص١٢١: لما وصلنا إلى المدينة المنورة ذكر لي علي بن حجر الأموي أنه رأى تلك الليلة في النوم قائلاً يقول له: اسمع مني و احفظ عني

هنيئاً لكم يا زائرين ضريحه	أمنتم به يوم المعاد من الرجس
وصلتم إلى قبر الحبيب بطيبة	فطوبى لمن يضحى بطيبة أو يمسي

و قال ابن الحاج في (المدخل) ج١ ص٢٥٨ ــ ٢٦٤ في فصل عقده لزيارة سيد الأولين و الآخرين: لا يخيب من قصده، و لا من نزل بساحته، و من توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد، لما شهدت المعاينة و الآثار، فإن التوسل به عليه الصلاة و السلام هو محل حط الأوزار، و أثقال الذنوب و الخطايا، لأن بركة شفاعته ﷺ و عظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب إذ إنها أعظم من الجميع، و من اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله عز و جلّ:

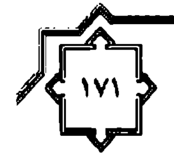
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ فمن جاءه و وقف ببابه و توسل به وجد الله تواباً رحيماً، لأن الله عز و جلّ منزه عن خلف الميعاد، و قد وعد سبحانه و تعالى بالتوبة لمن جاءه و وقف ببابه و سأله و استغفر ربه، فهذا لا يشك فيه و لا يرتاب إلا جاحد للدين، معاند لله و لرسوله ﷺ، نعوذ بالله من الحرمان اهـ..

ثم قال بعد ذلك: و قد لا يحتاج الزائر في طلب حوائجه و مغفرة ذنوبه أن يذكرها بلسانه، بل يحضر ذلك في قلبه و هو حاضر بين يديه ﷺ، لأنه عليه الصلاة و السلام أعلم منه بحوائجه و مصالحه، و أرحم به منه لنفسه، وأشفق عليه من أقاربه، و قد قال ﷺ: إنما مثلي و مثلكم كمثل الفراش، تقعون في النار و أنا آخذ بحجزكم عنها أو كما قال، و هذا في حقه ﷺ في كل وقت و أوان، أعني في التوسل به و طلب الحوائج بجاهه عند ربه عز و جل، و من لم يقدر له زيارته ﷺ بجسمه فلينوها كل وقت بقلبه، و ليحضر قلبه أنه حاضر بين يديه ﷺ مستشفعاً به إلى من منّ به عليه. اللهم لا تحرمنا شفاعته و لا عنايته في الدنيا و الآخرة، و أدخلنا بفضلك في زمرة المتبعين له بإحسان إلى يوم الدين بجاهه عندك، فإنّ جاهه عندك عظيم اهـ..

و قال الحافظ السخاوي في (القول البديع) ص٢٠٣: و ليملأ الزائر قلبه من هيبته و ليتحقق أنه ﷺ يسمع سلامه و في الشدائد يساعده.

تنبيه في بيان تفاوت شرف الأشياء التي تشرفت به ﷺ

قال ابن الحاج في (المدخل) ج١ ص٢٥٦ ــ ٢٥٧: سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول: مضت حكمة المولى تبارك و تعالى على أنه عليه الصلاة و السلام تتشرف الأشياء به، و لا يتشرف هو بها، فلو بقي عليه الصلاة و السلام



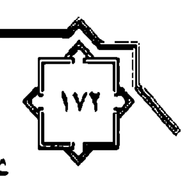
في مكة إلى انتقاله إلى ربه تعالى لكان يتوهم أنه قد تشرف بمكة، فانظر إلى الأشياء التي باشرها عليه الصلاة و السلام تجدها أبداً تتشرف حسب مباشرته لها، و بقدر ذلك يكون التشريف، ألا ترى أنه عليه الصلاة و السلام قال في المدينة: ترابها شفاء، و ما ذاك إلا لتردده بتلك الخطا الكريمة في أرجائها لعيادة مريض أو إغاثة ملهوف أو غير ذلك، و لما كان مشيه عليه الصلاة و السلام في مسجده بالمدينة أكثر من تردده في غيره من المدينة عظم شرفه بذلك، فكانت الصلاة فيه بألف صلاة، و لما كان تردده عليه الصلاة و السلام بين بيته و منبره أكثر من تردده في المسجد كانت تلك البقعة الشريفة بنفسها روضة من رياض الجنة. قال عليه الصلاة و السلام: ما بين بيتي و منبري روضة من رياض الجنة اهـ..

و لما كان قبره الشريف مثواه ﷺ الذي ضم جسده إلى أن تقوم القيامة كان جديرا بأن ينال بجواره ﷺ مرتبة سنية لا تطمع فيها بقعة من بقاع الأرض و السموات، فلهذا أجمعت الأمة المحمدية على تفضيل هذا القبر المبارك على جميع الأماكن و البقاع كلها.

باب في ذكر أمور تتعلق بزيارته ﷺ

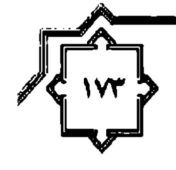
اعلم أن الفضائل الواردة و البركات المذكورة في زيارته ﷺ إنما تنال باتباع الشرع و امتثال أوامره في كيفية الزيارة لا بمتابعة الأهواء، و الانقياد للشيطان، فإن أساس الخير و الاقتداء و الاتباع، و أساس الشر الاختراع و الابتداع، و لقد حدث في هذه الأزمنة أمور و أحوال عظام لم يتساءل فاعلوها هل هي موافقة للشريعة أم هي مخالفة لها؟ سلكوا فيها مسالك التفريط و الإفراط في زيارتهم.

لهذا رأيت أنه لا بد أن أذكر قليلاً مما له تعلق بالزيارة الشرعية نصيحة لزائري ضريحه الشريف ﷺ و زائري قبور الصالحين.



و لزيارة رسول الله ﷺ آداب و أمور يفعل بها الناس، منها ما هو محظور يجب الاحتراز عنه، و منها مكروه و منها مندوب إليه ينبغي الاعتناء و الاهتمام به لينال الزائر ثواب زيارته بكماله، فمن الآداب أن يغتسل الزائر و يلبس أنظف ثيابه، و أن يستحضر في قلبه شرف المدينة، و أنها أفضل الدنيا بعد مكة عند بعض العلماء، و أن الذي شُرّفت به هو خير الخلائق أجمعين، و ليكن مستشعراً لتعظيمه ﷺ، ممتلئ القلب من هيبته كأنه يراه، و أن يكثر من الصلاة و التسليم عليه في طريقه، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة و حرمها زاد من الصلاة و التسليم عليه، و يسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته و أن يتقبلها منه، و إذا أتى القبر الشريف استدبر القبلة و يستقبل القبر، و يبعد من رأس القبر نحو أربعة أذرع، و يقف ناظراً إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر غاض الطرف في مقام الهيبة و الإجلال، فارغ القلب من علائق الدنيا، مستحضرا في قلبه جلالة موقفه و منزلة من هو بحضرته، ثم يسلم و لا يرفع صوته، فيقول: السلام عليك يا رسول الله، و يدعو لنفسه بما أهمه و ما أحبه و لوالديه و لمن شاء من أقاربه و أشياخه و إخوانه و سائر المسلمين، ثم يأتي الروضة فيكثر فيها الدعاء، و يستحب أن يصوم بالمدينة ما أمكنه. هذا ما لخصته من (الإيضاح في مناسك الحج) للإمام النووي. و آداب زيارة قبره ﷺ كثيرة نقتصر منها هنا على ما ذكرناه و سيأتي طرف منها قريباً إن شاء الله تعالى.

و من المحظور الطواف، بلغني أن بعض زائري القبور يطوفون بها، و هو حرام شرعاً، فقد قال الإمام النووي محرر المذهب الشافعي في (المجموع) ج٨ ص٢٧٥ و (الإيضاح في مناسك الحج) ٥٠١: لا يجوز أن يطاف بقبر النبي ﷺ. و تبعه على ذلك ابن حجر الهيتمي فقال في (الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم) ص٦٣ ما نصه: لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ كما نقله



النووي رحمه الله عن إطباق العلماء، و يوجه بأنهم كما أجمعوا على تحريم الصلاة لقبره إعظاماً له كذلك أجمعوا على حرمة الطواف بقبره، لأن الطواف بمنزلة الصلاة كما في الحديث الصحيح إلا في مسائل ليست هذه منها اهـ..

و ذكر ابن الحاج في (المدخل) ج١ ص٢٦٣ بدعاً محدثة في زيارة قبره ﷺ، و قال فيه: ترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام، و ذلك من البدع اهـ..

و في (النهاية) ج٣ ص٣٢٠ للشمس الرملي: و ليحذر من الطواف بقبره عليه الصلاة و السلام و من الصلاة داخل الحجرة الشريفة بقصد تعظيمه.

قلت: لم أر مخالفا لهؤلاء الأئمة في تحريم الطواف بقبره ﷺ، و قد علمت أن النووي رحمه الله نقل إطباق العلماء في التحريم. و على فرض وجود مخالف لهم فالذي ينبغي ترك الطواف أيضا خروجا من الخلاف.

و قد كان كثير من الناس يمسحون قبره الشريف ﷺ باليد و يقبلونه تبركاً.

و اختلف في ذلك العلماء رحمهم الله، فقال بعضهم: بكراهته و بعضهم بإباحته و استحبابه، فمن القائلين بإباحته الإمام أحمد بن حنبل و السبكي و ابن أبي الصيف اليمني و المحب الطبري، و الرملي و والده و غيرهم.

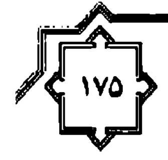
و من القائلين بالكراهة النووي والهيتمي و الغزالي و الزعفراني و أحمد بن حنبل في رواية، و عبد الله بن عمر بن الخطاب و أنس بن مالك رضي الله عنهم و ابن مرزوق و القليوبي و ابن الحاج.

قال النووي رحمه الله في (المجموع) ج٨ ص٢٧٥ و (الإيضاح) ص٥٠١ ـ ٥٠٢: و يكره إلصاق الظهر و البطن بجدار القبر الشريف قاله الحليمي و غيره. و قالوا: و يكره مسحه باليد و تقبيله، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره في حياته ﷺ، هذا هو الصواب الذي قاله العلماء و أطبقوا عليه، و لا

يغتر بمخالفة كثيرين من العوام و فعلهم ذلك، فإن الاقتداء و العمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة و أقوال العلماء، و لا يلتفت إلى محدثات العوام و جهالاتهم، و قد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد و في رواية لمسلم: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد. و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تجعلوا قبري عيدا و صلو عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم رواه أبو داود بإسناد صحيح، و قال الفضيل بن عياض رحمه الله ما معناه: اتبع طرق الهدى و لا يضرك قلة السالكين، و إياك و طرق الضلالة و لا تغتر بكثرة الهالكين، و من خطر بباله أن المسح باليد و نحوه أبلغ بالبركة فهو من جهالته و غفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع و أقوال العلماء، و كيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب انتهى ملخصاً منهما.

و قال الغزالي في (الإحياء) ج١ ص٢٦٠ و ٢٧٢: في مبحث زيارة المدينة المنورة و آدابها: ليس من السنة أن يمس الجدار و لا أن يقبّله فإن المس و التقبيل للمشاهد عادة النصارى و اليهود، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام انتهى.

و قال الهيتمي أيضا في حاشية (الإيضاح) و (الجوهر المنظم): روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى رجلاً وضع يده على القبر المكرم فنهاه و قال: ما كنا نعرف هذا أي الدنوّ منه إلى هذا الحد و في (مغني الحنابلة) أنه لا يستحب التمسح بحائط القبر المكرم و لا تقبيله، و قال أحمد: ما أعرف هذا، و ظاهر كلام الأثرم و هو من أجل أصحابه أن ميل أحمد إلى المنع، فإنه قال: رأيت أهل العلم بالمدينة الشريفة لا يمسون القبر المكرم، قال أحمد: و هكذا كان يفعل ابن عمر رضي الله عنهما. و قال الزعفراني: وضع اليد على القبر و مسه و تقبيله من البدع التي تنكر شرعاً، انتهى باختصار، و قال الهيتمي في (الجوهر المنظم) ص٦٤:



قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: لا بأس بتقبيل القبر الشريف، و روى بعضهم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، و قال المحب الطبري و ابن أبي الصيف: يجوز تقبيل القبر الشريف و مسه و عليه عمل العلماء الصالحين، و قال السبكي: إن عدم التمسح للقبر الشريف ليس مما قام الإجماع عليه، ثم ذكر حديث إقبال مروان و هو أن مروان أقبل، فرأى الرجل ملتزم القبر الشريف فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدري ماذا تصنع؟ فأقبل عليه فقال: نعم، إني لم آت الحجر و لا اللبن إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، و لكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله. و هذا الرجل الملتزم القبر هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، و هذا الحديث أخرجه أحمد و الطبراني و النسائي بسند فيه من ضعفه النسائي و وثقه آخرون انتهى ما في (الجوهر المنظم). ثم أجاب الهيتمي عن أقوال العلماء المبيحين فقال: قول أحمد بن حنبل لا بأس به يحتمل نفي الحرمة و نفي الكراهة أي و المتبادر منه الأول كما حقق في كتب الفقه، و مرّ أيضاً أن الإمام أحمد قال: ما أعرف هذا، و أن ظاهر كلام الأثرم رحمه الله أن ميل أحمد إلى المنع فإنه قال: رأيت أهل العلم بالمدينة الشريفة لا يمسون القبر المكرم، قال أحمد: و هكذا كان ابن عمر يفعل رضي الله عنه، فتعارض الروايتان عن أحمد رحمه الله تعالى و بهذا يعارض رواية بعضهم عن ابن عمر أنه كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف أي إلا أن يحمل على أنه كان في بعض الأوقات يمسه لغلبة وجد أو حال. و قول الطبري و غيره: و عليه عمل العلماء إلخ يحتمل رجوع الضمير فيه إلى الجواز المأخوذ من يجوز و إلى نفس المس و التقبيل و الأول أقرب. و معنى ما قال السبكي: إن عدم التمسح ليس مما قام عليه الإجماع أي ابتداء فما قاله النووي أي من إطباق العلماء على ذلك صحيح لا مطعن فيه. و حديث أبي أيوب الأنصاري ضعيف، و بتسليم صحته فيجوز أن

يكون السلف أجمعوا على ذلك بعد انقراض الصحابة رضي الله عنهم أي لمصلحة فَطْمِ الناس عن ذلك المؤدي التمكين منه إلى مفاسد من العوام لا تنحصر كما هو ظاهر، على أن ما مر عن أبي أيوب مذهب صحابي و ليس إجماعاً سكوتياً كما هو ظاهر، أي لأن شرطه انتشار الواقعة حتى تبلغ علماء العصر و يسكتوا عليها، و لم يوجد ذلك هنا. و على ما وجهنا به ما مر عن ابن عمر رضي الله عنهما أي من أنه كان في بعض الأوقات يمس القبر لغلبة وجد أو حال يحمل ما جاء عن غيره أيضاً، كما جاء بسند جيد أن بلالا رضي الله عنه لما زار النبي ﷺ من الشام جعل يبكي و يمرغ وجهه على القبر، و جاء عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أنه ﷺ لما قبض أخذت قبضة من تراب قبره الشريف، و جعلته على عينها و بكت و قالت منشدة بيتين:

ماذا على من شم تربة أحمدا — أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنها — صبت على الأيام عدن لياليا

و رأيت الخطيب بن الجملة ذكر ما قلته، فإنه لما ذكر عن ابن عمر و بلال رضي الله عنهما ما قلته مما مر قال: لا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك، و المقصود من ذلك كله الاحترام و التعظيم، و الناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته ﷺ، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه، و أناس فيهم أناة يتأخرون، والكل على خير انتهى ما نقلته من (الجوهر المنظم) للهيتمي فتأمل ذلك فإنه مهم جداً، و هو في غاية التحقيق و التدقيق، و نقل الهيتمي أكثره أو كله من كتاب (خلاصة الوفا) للسيد السمهودي كما في (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) للنبهاني ص١١٩. و في (المواهب اللدنية) للحافظ القسطلاني: أن العلامة ابن مرزوق و غيره قال في شرح قول البوصيري:

لا طيب يعدفل ترباً ضم أعظمه — طوبى لمنتشق منه و ملتثم



ليس المراد به تقبيل القبر الشريف فإنه مكروه.

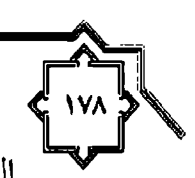
و قال الهيتمي في (حاشية الإيضاح) و (الجوهر المنظم): و علم مما تقرر كراهة مس مشاهد الأولياء و تقبيلها، نعم إن غلبه وجد أو حال فلا كراهة، و في (نسيم الرياض شرح الشفاء) للقاضي عياض للشهاب الخفاجي: أن تقبيل القبور بدعة.

و في (المدخل) لابن الحاج: قال الإمام مالك في رواية اابن وهب: إذا سلم الزائر النبي ﷺ يقف، و وجهه إلى القبر لا إلى القبلة و يدنو و يسلم عليه، و لا يمس القبر بيده، و قال ابن الحاج في موضع آخر منه: ترى من لا علم عنده يتمسح بالقبر الشريف و يقبله، و يلقون عليه مناديلهم و ثيابهم، يقصدون به التبرك و ذلك كله من البدع لأن البركة إنما تكون بالاتباع له عليه الصلاة و السلام.

و قال الرملي (نهاية المحتاج بشرح المنهاج): و يكره تقبيل التابوت الذي يجعل فوق القبر كما يكره تقبيل القبر و استلامه، و تقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء، نعم إن قصد بتقبيل أضرحتهم التبرك لم يكره كما أفتي به الوالد رحمه الله، و قد صرحوا بأنه إذا عجز عن استلام الحجر يسن له أن يشير بعصا و أن يقبّلها، و قالوا: أي أجزاء البيت قبّل فحسن اهــ.. و في حاشية الرشيدي على (النهاية) ج٣ ص٣٤ قوله التبرك هذا هو الواقع في تقبيل أضرحتهم و أعتابهم فإن أحدا لا يقبّلها إلا لهذا القصد كما هو ظاهر اهـ..

و في (بشرى الكريم) ج٢ ص٢٩: و في تقبيل ضرائح الأولياء خلاف، فعند ابن حجر مكروه، و عند الرملي سنة اهـ..

و قد ذكرنا في التبرك بمنبره ﷺ أن الذهبي و السيد السمهودي قالا: سأل عبد الله ابن أحمد أباه عن الرجل يتبرك بمس منبر النبي ﷺ و تقبيله و يفعل بالقبر مثل ذلك؟ فقال: لا بأس به.

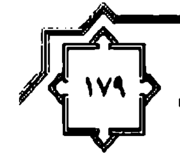


فالحاصل أن غالب الخلاف المذكور يدور بين الكراهة و الإباحة المستوية الطرفين، و ذكرنا أن صاحب (بشرى الكريم) نقل عن الرملي سنيّة التقبيل، و لا يخفى أن الطرفين متفقان على أنه لا يترتب عن التمسح و نحوه العقاب، و أنه لا يجب الندم و التوبة عنه، إذ لا يعصي مرتكب الكراهة و لا إثم عليه، فلا يهوّلنّك بعض العبارات المشدّدة المذكورة التي يُقصد منها الزجر و التنفير، لا التحريم و التأثيم، و لا شك أن في ارتكاب المكروه شرعاً في هذا الموقف العظيم سوء أدب و قلة حياء و عدم احترام للحضرة النبوية، فالتغليظ في التنفير عن ذلك هنا صواب مناسب، و رعاية المناسبات مطلوبة مستحسنة، فكل مقام له مقال.

مهمة:

من آداب الزيارة التي يتساهلها كثير من زوار ضريحه الشريف ﷺ الاستغاثة و التوسل به و الاستشفاع به إلى المعبود بحق جل و علا، و صرح بذلك كثيرون من أئمة المذاهب الأربعة و لم نعلم مخالفا لهم يعتد بخلافه.

ففي (المواهب اللدنية) للحافظ القسطلاني و شرحه للزرقاني ج١٢ ص٢١٩: ينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء و التضرع و الاستغاثة و التشفع و التوسل به ﷺ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه. و قال في موضع آخر منه: و يجدد الزائر التوبة في حضرته الكريمة، و يسأل الله تعالى بجاهه أن يجعلها توبة نصوحة. و قال ابن حجر الهيتمي في (الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم) ص٥١: يسن للزائر أن يتوسل به في حق نفسه و يستشفع به ﷺ إلى ربه سبحانه و تعالى، قال أُصحابنا و غيرهم من أهل المناسك من جميع المذاهب: و من أحسن ما يقول ما جاء عن محمد العتبي رحمه الله قال: كنت جالسا عند قبر رسول الله ﷺ، فجاءه أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا



اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾، وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك يا رسول الله إلى ربي عز و جل، ثم بكى و أنشأ:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع و الأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

قال العتبي: ثم استغفر و انصرف، فحملتني عيناي، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبي ألحق الإعرابي فبشره أن الله تعالى قد غفر له، فخرجت خلفه فلم أجده. و روى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روي عن علي كرم الله وجهه أنه بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى نفسه على القبر الشريف، على ساكنه الصلاة و السلام، وحثا من ترابه على رأسه و قال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، و وعيت عن الله سبحانه و تعالى و وعينا عنك، و كان فيما أنزل الله عليك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾، وقد ظلمت نفسي و جئتك تستغفر لي إلى ربي، فنودي من القبر الشريف أنه قد غفر لك. و جاء ذلك عن علي أيضا من طرق أخرى، و يؤخذ من ذلك تجديد التوبة في ذلك الموقف الشريف.

و ذكر قصة علي كرم الله وجهه الإمام القرطبي في تفسيره ج٥ ص١٧٥ اهـ.

و قال ابن حجر الهيتمي في (الجوهر المنظم): جاء عن الأصمعي أنه رأى أعرابياً وقف على القبر الشريف و قال: إن هذا حبيبك و أنا عبدك و الشيطان عدوك، فإن غفرت لي سرّ حبيبك و فاز عبدك و غضب عدوك، و إن لم تغفر لي غضب حبيبك و رضي عدوك و هلك عبدك، و أنت يا رب أكرم من أن تغضب حبيبك و ترضي عدوك و تهلك عبدك، اللهم إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره، و إن هذا سيد العالمين اعتقني على قبره يا أرحم الراحمين، قال

الأصمعي: فقلت له: يا أخا العرب إن الله تعالى قد غفر لـك و أعتقـك بحـسن هذا السؤال.

و قال الإمام النووي في (الإيضاح في مناسك الحج): و يتوسل به ﷺ الزائر في حق نفسه و يتشفع به إلى ربه سبحانه و تعالى، و من أحسن ما يقول: ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له اهـــ. و نـذكر إن شـاء الله عبارتـه بكمالهـا في مبحث التوسل.

و قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرح (المنهج): و يتوسـل بـه ﷺ الزائر في حق نفسه و يستشفع به إلى ربه، و مثله في (النهاية) للـشمس الـرملي، و ذكر المحقق الحلي في شرح (منهاج الطالبين) في كتاب الحـج مثـل عبـارة شـيخ الإسلام زكريا الأنصاري، و مثله في (المغني) للخطيب الشربيني ج١ ص٥١٢.

وقال الشهاب الخفـاجي في (نـسيم الريـاض شرح الـشفاء) ج٣ ص٥١٧: يستحب لمن زاره ﷺ أن يدعو و يستشفع به و يتضرع. و قد ذكرت آنفا عن ابن الحاج قوله: من جاءه ﷺ و وقف ببابه و توسل به وجد الله تواباً رحيما، و قـال في موضع آخر: من توسل به ﷺ أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يـرد، و من اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، و قد ذكرت عبارته بكمالها.

فهؤلاء بعض من صرح بسنيّة التوسل و الاستغاثة به ﷺ عند زيارة ضريحه الشريف، و سيأتي إن شاء الله بسط هذه المسألة في مبحث التوسل و الاستغاثة.

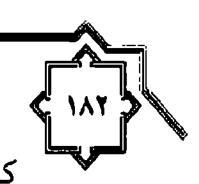
باب في مسائل في زيارة قبره ﷺ و ما يتبع ذلك

الأولى منها:

أنه ليس لزيارته ﷺ وقت معين، بل هي في الأوقـات كلهـا مطلوبـة، و إن كانت في بعضها أشد استحبابا مثل عقيب أداء الحج، و ليس لها وقـت هـي فيـه



ممنوعة أو مكروهة، فللزائر الاتيان بها في أي وقت شاء، وإن عين لها وقتا من الأسبوع فله ذلك، فقد كان ﷺ يأتي قباء كل سبت كما رواه البخاري و مسلم، و في رواية يزور راكباً و ماشياً ـ بدل يأتي ـ فإذا جاز تحديد وقت من كل أسبوع لزيارة قباء تكون كذلك زيارة ضريحه الشريف ﷺ، فيجوز تعيين وقت لها من كل أسبوع أو غيره، إذ لا فرق بين زيارتيهما بل قبره ﷺ أفضل من قباء و غيرهما من المواضع كلها، فما جاز في زيارة قباء من التوقيت يجوز في زيارة قبره ﷺ كما لا يخفى، و من التزم زيارته في رأس كل سنة فقد اهتدى بهديه ﷺ و تمسك بسنته، و لا يضر تعيين ذلك الوقت و تحديده، فللإنسان تخصيص العبادات المطلقة في بعض الأزمان، و له توزيعها على الأوقات إذا لم يمنع من ذلك مانع شرعي، و لا مانع هنا أصلاً، بل ورد ذلك عن رسول الله ﷺ، ففي تفسير ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى في سورة الرعد ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ما لفظه: حدثني المثنى قال: ثنا سويد قال: أخبرنا ابن المبارك عن ابراهيم بن محمد عن سهل بن أبي صالح عن محدم بن إبراهيم قال: كان النبي ﷺ يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول، فيقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، و أبو بكر و عمر و عثمان. و في تفسير ابن كثير في تفسير هذه الآية أيضاً ما لفظه: و قد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول، و يقول لهم: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وكذلك أبو بكر و عمر و عثمان اهـ.. و قال ابن كثير أيضاً في كتابه (البداية و النهاية) ج٤ ص٤٥ بعد ذكره رواية البيهقي الآتية ما لفظه: قال الواقدي: كان النبي ﷺ يزورهم أي الشهداء كل حول، فإذا بلغ نقرة الشعب يقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول، ثم عمر ثم عثمان اهـ..

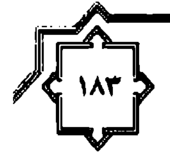


و روى البيهقي في (دلائل النبوة) ج٣ ص٣٠٦ بسنده عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يأتي الشهداء، فإذا أتى فرضة الشعب يقول: السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، ثم كان أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ يفعله، و كان عمر رضي الله عنه بعد أبي بكر يفعله، و كان عثمان رضي الله عنه بعد عمر يفعله اهـ..

و كالزيارة في هذا جميع الطاعات المطلقة التي لم تقيد بوقت، كقراءة القرآن و التسبيح و التهليل و الصلاة على رسول الله ﷺ، و كالصدقة و الاعتكاف و غيرهما من العبادات التي ليس لها أوقات معينة، فمن عين وقتاً من الأوقات لقراءة حزب من القرآن مثلاً فله ذلك و لا حرج عليه في تحديده و تعيينه، و مثل ذلك زيارته ﷺ و سائر الزيارات المشروعة، و هذا من الواضحات جدا، لكني ذكرته و بسطت القول فيه تنبيها على بطلان تقوّل القائلين: إن تعيين الأوقات و تحديدها للزيارات ممنوع و بدعة مذمومة، بل يتجاوزون الحد في ذلك و يزعمون أنه شرك و عبادة للأوقات المحدودة للزيارات، و زعموا أن تقييد فعل الطاعات المطلقة في أوقات معينة تشريع، و التشريع من الشركيات. و هذا من الترهات و السقطات التي لا تصدر عن لبيب عاقل فضلاً عن فاضل عالم، لكني ذكرت هذا نصيحة لهؤلاء المتنطعين و إقناعاً لهم، و دفاعا عن شريعتنا السمحاء التي نفى الحرج عنها منزلها جل جلاله بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ و لولا ذلك ما كان ينبغي التعرض لهذه المسألة لأنها من البديهيات الجليات.

الثانية: النذر بزيارة قبر رسول الله ﷺ و الوصية لعمارته

قال الإمام النووي رحمه الله في (المجموع): قال ابن كج: إذا نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء وجهاً واحداً اهـ.. و عبارة النووي في (الروضة) ج٣



ص٣٢٨ قال القاضي ابن كج: إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً، و لو نذر أن يزور قبر غيره فوجهان اهـ.. و في (شفاء السقام) للسبكي ص٩٢ فإن قلت: ما قولكم فيمن نذر زيارة قبر النبي ﷺ هل ينعقد نذره و يلزمه ذلك أم لا فإن مقتضى قولكم باستحباب الزيارة أن تلزم بالنذر؟ قلت: نعم، نقول بانعقاد نذره و لزوم الزيارة به، و به صرح القاضي ابن كج من أصحابنا، و لم نر لغيره من الأصحاب خلافه. و قد قدمنا عن العبدي المالكي لزوم النذر بزيارة قبر النبي ﷺ اهـ..

و قال ابن حجر الهيتمي في (حاشية الإيضاح) ص٥١٩ و (الجوهر المنظم) ص٧٨: ولو نذر زيارة قبره ﷺ لزم الوفاء به لما علمت أنها من القرب المؤكدة، و كذا زيارة قبر غيره ﷺ مما تسن زيارته لأنه قربة مقصودة فلزمت بالنذر اهـ..

و قال الزركشي في (الساجد في أحكام المساجد) ص٢٧١ بعد نقله عبارة ابن كج: أقره الرافعي و غيره اهـ..

فثبت أن من نذر زيارة قبره ﷺ لزمه الوفاء باتفاق الشيخين و غيرهما، بل لم يخالفهم في ذلك أحد من الأصحاب كما قاله الإمام السبكي، و أما الوصية لعمارة ضريحه الشريف فهي جائزة أيضا فقد قال النووي في (الروضة) ج٦ ص٩٨: يجوز للمسلم و الذمي الوصية لعمارة المسجد الأقصى و غيره من المساجد، ولعمارة قبور الأنبياء و العلماء و الصالحين لما فيها من إحياء الزيارة و التبرك بها اهـ..

و قال النووي في (المنهاج): و إذا أوصى لجهة عامة فالشرط أن لا تكون معصية كعمارة كنيسة. و قال الخطيب الشربيني في شرحه ج٣ ص٤٠: فإذا انتفت المعصية فلا فرق بين أن يكون قربة كالفقراء و بناء المساجد و عمارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، و ألحق الشيخ أبو محمد بها قبور العلماء و

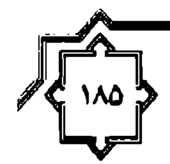
الصالحين لما فيها من إحياء الزيارة و التبرك بها، أو مباحة لا تظهر فيها القربة كالوصية للأغنياء اهـ..

و ابن كج هو الإمام أبو القاسم يوسف بن أحمد بن يوسف بن كج الدينوري الشافعي من أصحاب الوجوه، توفي سنة ٤٠٥. قال ابن كثير في (البداية و النهاية) ج١١ ص٣٥٥: كان أحد أئمة المذهب الشافعي و له في المذهب وجوه غريبة. و قال في (شذرات الذهب): انتهت إليه الرياسة ببلده في المذهب، و في طبقات ابن شهبة أنه أحد الأئمة المشهورين، و حفاظ المذهب المصنفين، و أصحاب الوجوه المتقنين، و من تصانيفه (التجريد) و هو مطول، و قد وقف عليه الرافعي اهـ. و في (طبقات الشافعية) لابن السبكي: هو الإمام أحد أركان المذهب، و أطنبوا في وصفه بحيث يفضله بعضهم على الشيخ أبي حامد.

وفي (وفيات الأعيان) أنه جمع بين رئاسة العلم و الدنيا، و له وجه في المذهب الشافعي، و صنف كتبا كثيرة انتفع بها الفقهاء. و كج بفتح الكاف و تشديد الجيم اهـ.. و هو في اللغة اسم للجص الذي يبيّض به الحيطان.

الثالثة النية و القصد إلى زيارة مسجده ﷺ أيضا

قال الإمام النووي في (الإيضاح) ص٤٨٩: يستحب للزائر أن ينوي مع زيارته ﷺ التقرب إلى الله تعالى بالمسافرة إلى مسجده ﷺ والصلاة فيه اهـ. و قال الحافظ القسطلاني في كتابه (المواهب اللدنية) في باب زيارة قبره الشريف ﷺ: ينبغي لمن نوى زيارة قبره ﷺ أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف و الصلة فيه، لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها اهـ.. و قال ابن حجر الهيتمي في كتابه (الجوهر المنظم) ص٣٣: قال العلماء من الشافعية و غيرهم: يستحب للزائر أن ينوي مع زيارته ﷺ التقرّب بشدّ الرحل و السفر إلى مسجده ﷺ و الصلاة و الاعتكاف فيه اهـ..



الرابعة زيارة المشاهد و المزارات التي بالمدينة المنورة

قال الحافظ القسطلانى فى (المواهب اللدنية): و ينبغى أيضا بعد زيارته ﷺ أن يقصد المزارات التى بالمدينة الشريفة، و الآثار المباركة، و المساجد التى صلى فيها ﷺ التماسا لبركتها اهـ..

قال الشيخ ابن حجر الهيتمى فى (الجوهر المنظم فى زيارة قبر النبى المعظم) ص٧٤: يسن للزائر أن يأتى متطهرا قبور الشهداء بأُحُد، و يبدأ بسيد الشهداء حمزة ﷺ، و الأفضل أن يكون ذلك يوم الخميس، لأن الموتى يعلمون أى يزيد علمهم للأدلة على دوام علمهم بزوارهم يوم الجمعة، و يوما قبله و يوما بعده كما نقله فى (الإحياء) عن محمد بن واسع و يستحب استحبابا متأكدا أن يأتى متطهرا مسجد قباء، ناويا التقرب بزيارته و الصلاة فيه للحديث الصحيح: صلاة فى مسجد قباء كعمرة، و الأولى أن يكون ذلك يوم السبت، و يسن أن يأتى الآبار التى بالمدينة و هى مشهورة لأهلها و ذكرت منها فى الحاشية ١٩ و يسن له أيضا أن يأتى المساجد التى بالمدينة و هى نحو ثلاثين موضعا انتهى ملخصا.

الخامسة: الاستئجار على إبلاغ السلام له ﷺ والدعاء عند قبره الشريف

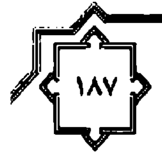
قال ابن حجر الهيتمى فى (حاشية الإيضاح) ص٥١٩: و يصح الاستئجار على الدعاء عند القبر الشريف، لأنه مما يقبل النيابة و لا يضر الجهل به، و كذا على إبلاغ السلام له ﷺ، لا على نفس الوقوف عند القبر لأنه لا يقبل النيابة إذ فائدته لا تتعدى إلى المستأجر بخلاف الدعاء، و الجعالة كالإجارة فى جميع ذلك اهـ..

السادسة أخذ التراب من قبره ﷺ و سائر قبور الصالحين للتبرك

اعلم أن كثيرا من الناس يأخذون التراب من قبور الصالحين للتبرك و التداوى، و من العلماء الذين أدركناهم من يستحسن ذلك، و منهم من يكرهه، و منهم من يحرمه، كشيخنا العلامة الورع الزاهد، الشيخ حسين بن محمد المعروف بعطا، فقد كان يمنع أخذ التراب من قبور الصالحين و قد أخبرنى من أثق به و هو محمد بن حسين الزاهد أن الشيخ سئل عن ذلك، فأجاب بأنه ممنوع حرام، و أخبرنى أيضا تلميذه الشيخ هلوله تِفَوْ يوم الجمعة ١/ ١/ ١٤٢٣هـ. أنه سأل بنفسه الشيخ حسينا عن هذه المسئلة، فأجابه بأن ذلك ممنوع، و قال الشيخ هلوله: و كنا حينئذ فى زيارة الشيخ عثمان بين الشيخ حسن معلم، و كان طلب منى شخص من المحبين له أن آخذ له التراب من قبره، فلما سألت الشيخ و أجابنى بمنعه امتنعت. و أخبرنى أيضا تلميذه الشيخ محمد غيد أنه سمع الشيخ حسينا يقول: إن أخذ التراب من القبور حرام.

و ممن ذهب إلى جواز ذلك الإمام الطنبداوى، ففى (النور السافر) ص٢٢٩ ـ ٢٣٠: أن العلامة الطنبداوى كان يضع تراب بعض قبور الأولياء فى أناء فيه ماء ثم يشرب، و عبارته: حكى العلامة الحافظ جمال الدين محمد بن المعروف ألح محدث الديار اليمنية قال: كنت أيام قراءتى على الطنبداوى أخرج معه فى الأسبوع يوما نزور السبعة المشهورين المسمين بـ (الأعلية) جمع على غير قياس، لأنهم يريدون جمع علىّ، فكلما وصل إلى قبر واحد منهم قرأ ماشاء الله تعالى و أهدى ذلك إلى روح صاحب القبر، ثم يأمرنى أن آتيه بإناء من ماء، فيضع من تراب القبر فيه و يشرب، ثم يأمرنى أن أفعل مثله، و يقول لى: هو ترياق مجرب.

و الطنبداوى هو الشيخ أحمد بن الطيب بن شمس الدين البكرى الصديقى الشافعى، شهاب الدين شيخ الإسلام الحبر الإمام العارف بالله القانت الأواه،



بلغ غاية من العلم ما ارتقى إليها أهل ذلك الزمن، كان مع أهل عصره بمنزلة الشمس مع النجوم، و كان شديد التصلب و الصدع بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم، و انتهت إليه رئاسة الفتوى و التدريس بمدينة زبيد. و له فتاوى مشهورة عليها الاعتماد بزبيد، و شرح (التنبيه) في ٤ مجلدات، و له على (العباب) حاشية، قال الشيخ صالح النهاري: و من عجيب ما سمعته منه أنه قال: طالعت جميع (الإيضاح شرح الحاوى) للقاضي الطيب الناشري في ليلة واحدة، و هو مجلدان ضخمان، قال: و علقت من كل باب فائدة و هذا خرق عادة. و قال الخولاني: سمعته يقول: كانت الفوائد التي كتبتها تلك الليلة ثلاثة كراريس، و كان مولد الطنبداوي بعد السبعين و ثمانمائة تقريبا، و توفي ﷺ سنة ثمان و أربعين و تسعمائة ٩٤٨ اهـ..

و ممن أباح ذلك بل و أَكْلَ القليل منه البرهان بن جمعان و غيره، فقد قال الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن حسن الأهدل في كتابه (عمدة المفتي و المستفتي) ج١ ص١٧٥: يحرم أكل تراب المقبرة المنبوشة الذي قد خالط صديد الموتى يقينا، أما عند الشك فالأصل الطهارة. قال البرهان بن جمعان و غيره: يجوز أكل القليل من قبول الأولياء للتبرك، و قد جرب للتبرك و نفع. قلت: و يستأنس له بحديث تربة أرضنا بريق بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا. رواه مسلم من حديث عائشة مرفوعا، فإنه يفيد أن للتربة مدخلا في الشفاء في الجملة، و إذا انضم إلى ذلك أخذه من قبر ولي توفرت البركة اهـ..

قلت: و مما يدل على جواز أخذ تراب قبر سعد بن معاذ ﷺ، ففي (سير أعلام النبلاء) ج١ ص٢٨٩ و (السيرة النبوية) ص٥٢٢ كلاهما للحافظ الذهبي، و (حجة الله على العالمين) للنبهاني ج٢ ص٤٩٩: أخرج ابن سعد و أبو نعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال: قبض إنسان بيده من تراب سعد بن معاذ، فذهب بها ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي

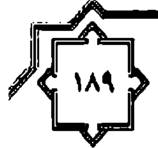
مسك، فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه، فقال الحمد لله لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجامنها سعد، ضم ضمة ثم فرج الله عنه اهـ. و اللفظ للنبهاني. ففي هذاتقرير منه ﷺ على ذلك و هو لا يقر على غير مباح.

و مما يستدل به على الجواز ما ذكره غير واحد من أن سيدتنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ أخذت قبضة من تراب قبره ﷺ لما مات و دفنوه، و ممن ذكر ذلك ابن قدامة الحنبلي في (المغني) ج٢ ص٥٤٧ و الحافظ ابن الجوزي في (الوفا بأحوال المصطفى) و عبارته: و عن علي كرم الله وجهه لما مات رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها، فأخذت قبضة من تراب القبر فوضعته على عينيها فبكت، و أنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمدا أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

و قد يعترض على استدلال حديثها بأن الذهبي تكلم فيه، فقد قال في (سير أعلام النبلاء) ج٢ ص١٣٤: و مما ينسب إلى سيدتنا فاطمة و لا يصح: ماذا على من شم تربة أحمدا إلى البيتين اهـ. و بفرض صلاحيته للاستدلال فلا يخفى أن الحالة حينئذ كانت حالة دهشة و حيرة و استغراق في مصيبة وفاته ﷺ، حتى قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيها ما قال مع قوة يقينه و كمال أيمانه، و قد ذكرنا آنفا أن الهيتمي حمل ما وقع عن السيدة فاطمة على غلبة وجدٍ و حالٍ، و أيضا فلا ندري قصدها من أخذها، أكان للتبرك فنستدل به على جواز الأخذ، أم كان لأمر آخر كالتسلي مثلا، كما يفعله بعضهم من أخذ ثياب من مات منهم أو عصاه أو نحو ذلك مما له اتصال بميتهم للتصبر عنه، و كالتذكار كما يأخذ بعضهم صورته ليتذكروا بها فقيدهم الراحل فلا ينسوه، أو غير ذلك.



و مما يستأنس للجواز ما كان يفعله بعض السلف ﷺ من أخذ التراب من بعض قبور الصالحين ففى (حلية الأولياء) للحافظ أبى نعيم ج٢ ص٢٥٨ ما حاصله: أن عبد الله بن غالب قتل شهيدا، فلما دفن كان الناس يأخذون من تراب قبره، كأنه مسك يصرونه فى ثيابهم. و قال مالك بن دينار: كان يوجد من قبر عبد الله بن غالب ريح المسك اهـ.. و مثله فى (صفة الصفوة) للحافظ ابن الجوزى ج٣ ص٣٣٤.

و فى (لطائف المعارف) لابن رجب الحنبلى ص٨٦: لما دفن عبد الله بن الغالب كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك، فرؤى فى المنام، فسئل عن تلك الرائحة التى توجد من قبره، فقال: تلك رائحة التلاوة و الظمأ اهـ.

و كذلك أخذُ الناس تربة قبر الإمام البخارى ﷺ، ذكر ذلك الحافظ العسقلانى فى مقدمة (الفتح) ص٤٩٣. و الإمام القسطلانى، و عبارته فى (إرشاد السارى شرح صحيح البخارى) ج١ ص١٣٩: و لما صُلِى على الإمام البخارى و وضع فى حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، و دامت أياما، و جعل الناس يختلفون إلى قبره مدة يأخذون منه اهـ.. و ذكر مثل ذلك ملا على بن سلطان القارى فى (المرقاة شرح المشكاة) ج١ ص١٦ ـ ١٥.

قلت: و بالجملة فالذى يميل إليه القلب و هو المتجة إن شاء الله جواز أخذ التراب للتبرك من قبور الصالحين إذا لم يكن ثمّ مانع، مثل كونها ملك محجور عليه لا يعتبر رضاه أو كونها من حرم مكة المشرفة، فإن ترابه لا يجوز إخراجه من الحرم أو نحو ذلك مما يقتضى الحرمة، و أما إذا كان تراب القبر ملكا للآخذ المتبرك فلا يظهر وجه يقتضى منعه من تصرفه بملكه، إذ لم يرد دليل بنهى ذلك، و الأصل إباحة التصرف بملكه، و كذلك إذا أذن له المالك الذى يعتبر شرعا إذنه، أو كانت المقبرة فى موات لا يملكها أحد. و يدل على الجواز قياسا ما

ذكره الذهبي و ابن السبكي و ابن العماد الحنبلي، فقد قالوا: كان الناس يأخذون تراب نعلي الإمام أبي إسحاق الشيرازي للتبرك و هو ينظر إليهم فلا ينهاهم عن ذلك فإذا كان تراب نعلي الصالحين يتبرك به لمجاورته و اتصاله بأقدامهم فكذلك يتبرك بالتراب الذي يضم أجساد الصالحين، فإنه إذا جاز التبرك بتراب الأقدام فقط فالتبرك بالتراب الذي تشرف بمجاورة الجسد كله أولى و أجدر. و قد ذكرنا أن ضريحه ﷺ أفضل البقاع إجماعا و معلوم أن فضيلة تربته الطيبة و بركتها لم تكن إلا من جوارها لسيد الخلق و أفضلهم ﷺ، فلا مانع حينئذ من تشرّف التربة المجاورة لورثته ﷺ بهم و أن تكون فيها البركة.

و سنذكر إن شاء الله أن كثيرا من المفسرين و المحدثين و الفقهاء و غيرهم ذكروا قبورا يتبرك بها و يستسقى بها و يستجاب الدعاء عندها، فمن أخذ تربة مباركة لينال ما جعل الله فيها من البركة لم يأت بسوء و لا بأس بها فعله كما لا يخفى.

و مما يؤيد ذلك ما رأيناه من بعض مشايخنا و من العلماء العاملين الذين أدركناهم، فقد كان أكثرهم لا يمنعون أحدا عن أخذ التراب تبركا من قبور الصالحين. ويقوى الجواز أيضا القياس على تمسّح القبور للتبرك، فقد صرح كثيرون بمشروعيته كما ذكرناه فإذا جاز التمسّح بالقبور للتبرك فكذلك يجوز أخذ التراب منها للتبرك أيضا إذ لا فرق بينهما كما يظهر.

و مما يدل على الجواز أيضا أن العلماء الناقلين أَخْذَ التراب من القبور ذكروا ذلك في معرض المدح لمن يترجمون عنهم، و لا يخفى أن المدح لا يكون إلا بما يستحسنه المادح ممن يمدحه، فمدحوهم على بلوغهم رتبة التبرك بترابهم و أهليّتهم لذلك، فلولا أنهم يستحسنون ذلك لم يذكروه، و إن ذكروه لم يسكتوا عليه، بل نقدوا و اعترضوا عليه. و قد صرح العلماء بأن من نقل شيئاً و هو

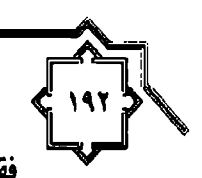


يستحسنه فهو قائل به، فعلى هذا يصح أن نقول: إن من القائلين بجواز أخذ التراب من قبور الصالحين الحفاظ أبو نعيم و ابن الجوزى و القسطلانى و غيرهم ممن نقل على وجه الاستحسان أخْذ تراب القبور. هذا ما ظهر و العلم عند الله تعالى.

و أما إفتاء شيخنا الشيخ حسين بالمنع فهو مجمل غير مفصل، فيحتمل أن يحمل بما إذا كان التراب ملكا للغير و لم يأذن فى أخذه أو نحو ذلك مما يقتضى الحرمة بسبب آخر و الله أعلم.

لطيفة:

قد يؤخذ التراب من قبور الصالحين أيضا للاستشفاء، ففى كتاب (الأنوار السنية فى الوظيفة الزورقية) ص٣٣٩: فى (النوازل) يعنى نوازل السهيلى من فتاوى المتأخرين جواز أخذ التراب من قبور الصالحين للاستشفاء به، كما يفعله أهل هذه البلدة يعنى (فاس) بتراب سيدى أبى غالب و غيره، قال: و دليله فعل السلف ذلك فى قبر حمزة رضي الله عنه اهـ.. قلت: أخذ التراب من قبر حمزة لم أرمن ذكره. ذكر الهيتمى فى (حاشية الإيضاح) ص٤٥١: أن تراب حمزة الذى يؤخذ من مسيل عنده دواء للصداع، و فى (تنقيح روضة الإزهار و منية السادات الأبرار فى مناقب سيدى عبد السلام الأسمر) للشيخ محمد بن محمد بن عمر مخلوف ص٢٣٣: قال يعنى مؤلف (روضة الأزهار): تراب الشيخ عبد الحميد الصغير شفاء من العلل العظام. و قال كمال البرمونى: قد جئت زائرا و بعينى رمد، فجعلت فيهما شيئا يعنى من التراب فبرئتا بالقرب، و شاهدت غيرى جعل التراب على عينه فبرىء فى يومه، و الحاصل أن ذلك مما جرب فصح و لذا يعرف عند الناس بأبى تربة اهـ..



و اشتهر أن تراب قبر سيدى الشيخ على بن ميه المركى دواء لأمراض كثيرة، فقد أخبرنى الشيخ محمد نور بن الشيخ أبى على بن الشيخ محمد بن الشيخ على ميه أنه جرب ذلك و صح، و قال لى: إن تراب هذا القبر دواء للصرع و الجنون، قال: و قد عالجت بها بعض المرضى فنفعهم الله بها و حصل لهم الشفاء.

و أعلم أن الله تعالى جعل فى بعض الأتربة خواصا، ففى (الجوهر المنظم) للهيتمى ص٨٠ أن فى المدينة حفرة معروفه قد جربها العلماء و غيرهم للشفاء من الحمى شربا و غسلا، لكن الشرب هو الوارد عند ابن النجار، لما أصابت الحمى بنى الحرث قال لهم النبى ﷺ: أين أنتم من صهيب؟ قالوا: و ما نصنع به؟ قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه فى ماء ثم يتفل عليه أحدكم و يقول: بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا، ففعلوا ذلك فتركهم الحمى، و لأجل وروده أعنى الشرب حلّ و إلا فأكل التراب و شربه حرام لأنه مضر اهـ. و قد جعل الله فى تراب آثار فرس جبريل عليه السلام خاصية كما ذكره كثير من المفسرين، فقالوا: إن السامرى صاغ لأتباعه من حلى بنى إسرائيل عجلا، ثم ألقى عليه قبضة من أثر فرس جبريل و هو معنى قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ ثم أحياه الله وصار حيوانا له خوار كخوار العجل، و ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ﴾ قالوا: و ما ألقاه السامرى هو قبضة من أثر فرس جبريل عليه السلام، و قد علم السامرى أن ما ألقى عليه شيء من أثر فرسه أحياه الله فيصير حيوانا، فسبحان من جعل بركات الصالحين تسرى إلى من قاربهم ورزق بجوارهم و الاتصال بهم، فأحيا الجماد بتراب موطىء دابة لركوب ملك الوحى عليها. و ما قد يتخيله بعض المتعسفين فى عصرنا من أن أخذ التراب للتبرك من قبور الصالحين يؤدى إلى الشرك و عبادة القبور هو مما لا يتصوره عقل سليم و لا



يقتضيه رأى سديد، بل هو من الأوهام التى لا أصل لها كما هو ظاهر لكل منصف، وزعموا أن أخْذ التراب احترام للقبور و تعظيم لها، و ذلك يكون عبادة لها!! و هذا تحكم و تهور عجيب، و ظاهر ظهور الشمس في رابعة النهار أن ذلك لا يكون شركا بل و لا علاقة له به.

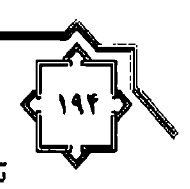
و قد مر بنا أن تقبيل القبور جائز مطلوب أو مكروه، فكيف يكون أخذ التراب شركا مع أنهما في الاحترام على حد سواء بل الطواف بها ـ مع أنه من أركان الحج و العمرة، و كالصلاة كما ورد في الحديث إلا في أشياء استثنى بها لايكون شركا كما ذكرناه مع أنه أعلى و أبلغ بكثير في الاحترام من أخذ التراب، فإذا كان الطواف بالقبور حراما فقط فكيف يكون أخذ ترابها شركا و خروجا عن ملة الإسلام، فعياذا بالله من تلاعب الشيطان و تسويلاته، و اتباع الهوى و الأوهام.

خاتمة

في تبرك رسول الله ﷺ بماء المطاهر و غيرها و تبرك الفاضل بالمفضول

و كما يتبرك برسول الله ﷺ و بصالحي المسلمين كذلك كان رسول الله ﷺ يشرب من ماء المطاهر رجاء بركة أيدى المسلمين.

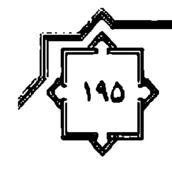
قال الحافظ الهيثمى فى (مجمع الزوائد) فى باب الوضوء من المطاهر من كتاب الطهارة: عن ابن عمر قال قلت: يا رسول الله أتوضأ من جر حديد مخمر أحب إليك أم من المطاهر؟ قال: لا بل من المطاهر، إن دين الله يسر الحنيفية السمحة، قال: و كان رسول الله ﷺ يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدى المسلمين. رواه الطبرانى فى الأوسط و رجاله موثوقون و عبد العزيز بن أبى رواد ثقة ينسب إلى الإرجاء اهـ.



قال الحافظ فی (تقريب التهذيب): عبد العزيز بن أبی رواد بفتح الراء و تشديد الواو صدوق عابد ربما وَهِمَ ورمي بالإرجاء، مات سنة ١٥٩هـ.، رواه عنه أصحاب السنن الأربعة و البخاری فی التعاليق.

و فی (تهذيب التهذيب) للحافظ العسقلانی: قال يحيی القطان: عبد العزيز ثقة فی الحديث، ليس ينبغی أن يترك حديثه لرأی أخطأ فيه، و قال أحمد: كان رجلا صالحا و كان مرجيا و ليس هو فی التثبت مثل غيره، و قال ابن معين: ثقة، و قال أبو حاتم: صدوق ثقة فی الحديث متعبد، و قال النسائی: ليس به بأس، و قال يحيی بن سليم الطائفی: كان يری الإرجاء، و قال ابن مبارك: كان يتكلم و دموعه تسيل علی خده، و قال ابن عدی: و فی بعض أحاديثه ما لا يتابع عليه، قلت: و كذا قال ابن سعد فی الطبقات، قال: و له أحاديث كان مرجيا، و كان معروفا بالورع و الصلاح و العبادة، و قال علی بن الجنيد: كان ضعيفا، و أحاديثه منكرات، و قال الحاكم: ثقةعابد مجتهد شريف النسب و قال الساجی: صدوق يری الإرجاء، و قال الدار قطنی: هو متوسط فی الحديث و ربما وهم فی حديثه، و قال العجلی: ثقة، و قال الجوزجانی: كان غاليا فی الإرجاء و قال شعيب بن حرب: كنت إذا نظرت إلی عبد العزيز رأيت كأنه يطلع إلی القيامة، انتهی باختصار.

فلم يضعف عبدالعزيز بن أبی روّاد غير علی بن الجنيد. فثبت الاستدلال بحديثه، و كذلك إذا فرضنا ضعفه يستدل به علی هذه القضية أيضا لأنه من فضائل الأعمال و قد وقع الإجماع علی عمل الأحاديث الضعيفة فی الفضائل. و قوله «من جرّ حَديد مخمّر»، الجرّ و الجرار جمع جرة و هو الإناء المعروف من الفخار، و المخمّر: المغطّی، كما فی النهاية، و قوله «أتوضأ» قال بعضهم: لعل الصواب الوضوء.



و كان ﷺ يحسر ثوبه ليصيبه ماء المطر حرصا على حصول البركة التى نصّت عليها آية ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً﴾، و يأتى هذا إن شاء الله فى باب التبرك بأول مطر السنة.

و كان أيوب عليه السلام تبرّك بجراد خرّ عليه كما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضي الله عنه و يأتى إن شاء الله فى آخر باب التبرك بأول مطر السنة أيضا.

و طلب رسول الله ﷺ الدعاء من عمر رضي الله عنه كما رواه أبو داود و غيره عنعمر رضي الله عنه قال: استأذنت النبى ﷺ فى العمرة فأذن لى و قال: لا تنسانا يا أخىّ من دعائك، فقال: كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا، و فى رواية قال: أشركنا يا أخىّ فى دعائك، قال النووى: حديث صحيح رواه أبو داود و الترمذى و قال: حديث حسن صحيح.

قال ابن علان فى (دليل الفالحين شرح رياض الصالحين) ج٢ ص١٩٧: فى هذا الحديث دليل على استحباب طلب المقيم من المسافر و وصيّته بالدعاء له فى مواطن الخير و لو كان المقيم أفضل من المسافر، و إن كان يعرف أنه يدعو له فلا بأس أن يذكره بالدعاء لا سيما إن كان سفره عبادة كحج أو عمرة أو غزوٍ.

و قال ابن علان أيضا فى موضع آخر: هذا نحو ما أمرنا به النبى ﷺ من الدعاء له و الصلاة عليه و سؤال الوسيلة له و إن كان النبى ﷺ أفضل ولد آدم، و كذا قوله ﷺ لعمر: أشركنا فى دعائك يا أخىّ.

و قد تبرك عمر رضي الله عنه بدعاء أويس القرنى رحمه الله، ففى صحيح مسلم أنه ﷺ قال لعمر رضي الله عنه فى حديث أويس القَرَنى الطويل: إن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فقال له عمر: استغفر لى فاستغفر له.

و معلوم أن عمر أفضل من أويس بالإجماع، لكن طلب منه الدعاء لاستكثار الخير و اغتنام الفرص بدعاء الصالح الذى ترجى إجابة دعائه.

فالحاصل أن المطلوب من العبد أن يستكثر من الخيرات و يطلبها من مظانها الجليّة و الخفيّة فإن المؤمن لا يشبع منها حتى يكون منتهاه الجنة، و أن يتبرك بكل ما جعل الله فيه البركة و إن كان مفضولا أو كان من غير الصالحين كماء المطر و لحم الأضحية و نحوهما.

فإذا كان سيد الأولين و الآخرين ﷺ يشرب من المطاهر رجاء بركة أيدى المسلمين مع استغنائه و عدم احتياجه إلى ذلك فكيف يليق بنا و بأمثالنا المذنبين المحتاجين لكل ذرة من البركات و الخيرات أن نستنكف من الطموح إلى البركات و نسأم من التعرّض لها، كلا بل الذى ينبغى لكل ذى رغبة فى الخير أن يهتدى بهديه و يتمسك بسنته و يرجو من بركات المسلمين ما كانيرجو منها خير خلق الله أجمعين، فإنه القدوة لكل مؤمن، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾. و الله سبحانه و تعالى أعلم و هو الموفق.

الخلاصة المقصد الأول

لقد ذكرنا فى هذا المقصد أنواعا من التبرك برسول الله ﷺ و بآثاره و بما له تعلق و اتصال به فى حياته و بعد مماته، و ما زال الناس يتبركون بتلك الآثار من عهده ﷺ إلى الآن.

و التبرك فى حياته برؤيته و وضوءه و شعره و أظفاره و مضمضته و نخامته و ريقه و عرقه و ثيابه وسواكه و سؤره و الماء الذى غمس فيه يده الكريمة و الماء المتفجر من بين أصابعه و نحو ذلك قد اتفقت عليه الأمة و لا أعلم فيه خلافا بينهم فى ذلك.



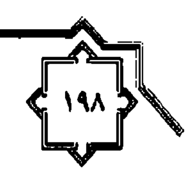
و أما بعد وفاته ﷺ فقد يوجد أفراد ينكرون التبرك بآثاره ﷺ و هذا اعتقاد باطل و خيال فاسد، بل هو أما محض عناد و تمرد، أو جهل عجيب، أو تجاهل و تعام عن رؤية ساطع نور الحق، و قد يكون ناشئا عن حقد كمين في قلوب محجوبة، و صدور مشحونة بالأفكار الخاطئة، و الأوهام الكاذبة، و الاعتقادات الباطلة، لكن لا يتمادى على هذا الانكار منصف متحرر عن التعصب و التعسف إذا علم ما ذكرناه من لوامع الأدلة و قواطع الحجج و البراهين الساطعة.

و ذكرنا في (تمهيد هذا الكتاب) أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يكثر التبرك بآثار رسول الله ﷺ حتى خيف على عقله من اهتمامه بذلك، و أن الحافظ ابن كثير قال: بلغني أن بالديار المصرية من اثاره ﷺ مكحلة و قيل: و مشط، و فيها إلى الآن نعل مفردة في دار الحديث الأشرفية و أن الحافظ السيوطي قال: في (رباط الآثار) قطعة خشب و حديد و أشياء أخرى من آثار رسول الله ﷺ يتبرك بها و ذكرنا أنه يوجد بالمسجد الأقصى بعض شعراته الشريفة، و في (بوسنة) قطعة من قميصه و شعرة من شعراته، و في تركيا أيضا كثير من آثاره ﷺ مثل قوسه و سيفين و بردته ورايته و غير ذلك، بدمشق شعرة يحتفلون لها احتفالا كبيرا.

و نقلت في باب محبته ﷺ عن (البداية والنهاية) و (سير أعلام النبلاء) و (أسد الغابة) أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يصبّ الماء في أصل شجرة نزل تحتها النبي ﷺ لكيلا تيبس.

و ذكرنا في باب التبرك بموضع ولادته ﷺ أنه يتبرك به إلى الآن و أن الإمام النووي و غيره صرح باستحباب زيارة ذلك الموضع.

و في باب التبرك باسمه الشريف أن من سمى ولده محمدا حبّا له ﷺ و تبركا به كان هو و مولوده في الجنة.



و في باب التبرك بعرقة أن ابن سيرين و أيوب كانا يتبركان بعرقه ﷺ.

و في باب التبرك بريقه أنه ﷺ بصق في أبار بالمدينة المنورة و أنه يسن الشرب منها إلى الآن، وذلك لبركة ريقه التي لا تنقطع بركاتها بمرور السنين و الدهور، بل هي نابعة دائما كما تنبع مياه الآبار.

و في باب التبرك بغسالة جبته ﷺ أن مسلما روى في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر أنها كانت عندها جبة رسول الله ﷺ و قالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت، فلما قبضت قبضتها و كان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها.

و في باب التبرك بما شرب منه أن سهل بن سعد أخرج لأبي حازم التابعي قدحا سقي به رسول الله ﷺ فشرب فيه أبو حازم و من معه ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز فوهبه له، و أنه روى هذا الحديث الإمام مسلم في صحيحه، و روى مسلم أيضا أن أنس بن مالك كان له قدح سقي به رسول الله ﷺ، ثم أُشتريَ هذا القدح من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف درهم، و أن الإمام البخاري شرب منه، وذكر في صحيحه أن عاصما ـ و هو الأحول ـ قال: رأيت القدح و شربت فيه، و أنه عقد البخاري بابا في ذكر ما تبرّك به أصحابه و غيرهم بعد وفاته ﷺ من شعره ونعله و آنيته و غيرها.

و أن في كتاب (الإعتصام من صحيح البخاري) أن أبا بردة التابعي دعاه عبد الله بن سلام ليسقيه في قدح شرب فيه رسول الله ﷺ و يصلي في مسجده ففعل ذلك.

و أن في (البداية و النهاية) في مبحث صفة قدح النبي ﷺ: أن الإمام أحمد روى عن حجاج بن حسان قال: كنا عند أنس بن مالك فدعا بإناء فيه ثلاث ضبات حديد و حلقة من حديد فجعل لنا فيه ماء فأتينا به فشربنا و صببنا على رؤسنا و وجوهنا و صلينا على النبي ﷺ.



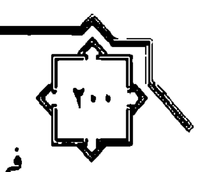
وذكرنا في باب التبرك بيد من مسّ رسول الله ﷺ أن ثابتا البناني التابعي الجليل كان يقبّل يدي أنس بن مالك لمسه بهما رسول الله ﷺ و يقبّل عينيه لرؤيته بهما رسول الله ﷺ و يقول: بأبي هاتين اليدين و العينين. و أن عبد الرحمن بن رزين التابعي قبّل كف سلمة بن الأكوع لمبايعته بها النبي ﷺ، و أن يزيد بن الأسود أخذ يد واثلة بن الأسقع فمسح وجهه و صدره لمبايعته بها النبي ﷺ، و قبّل يحيى بن الحارث يد واثلة لمبايعته بها رسول الله ﷺ.

و في التبرك بما مسته يد مسّت رسول الله ﷺ أن أبا العالية رفيع بن مهران الرياحي كان يشم تفاحة دفعها إليه أنس بن مالك و يقول: تفاحة مسّتها كف مسّت رسول الله ﷺ.

و ذكرنا في باب التبرك بشعره أن البخاري روى في صحيحه أن ابن سيرين قال لعبيدة السلماني: إنعندنا من شعر النبي ﷺ، فقال عبيدة لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليّ من الدنيا و ما فيها، و أن الحافظ الذهبي تمنى أن لو كان عنده بعض شعرة أو شسع نعل أو قلامة ظفر منه ﷺ، و قال: لو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده لم يكن مبذرا و لا سفيها، و قال الذهبي في موضع آخر: وا لهفي على تقبيل شعرة منه ﷺ، و أنه روى البخاري أن عثمان بن عبد الله بن موهب قال ما معناه: (إن الإنسان إذا أصابه عين أو شيء يبعث إلى أم سلمة مِخضبة ـ أي إناء ـ فتجعل فيه شعراتٍ منه ﷺ و تغسلها فيه فيشربه صاحب الإناء فتحصل له بركته.

و أن معاوية رضي الله عنه تبرك بشعره و قلامة أظفاره و قميصه و كذلك خالد بن الوليد كان يستنصر و يتبرك في قتال الكفار بشعر من شعر رسول الله ﷺ.

و أنه أمر أنس بن مالك ثابتا البناني أن يجعل شعرة من شعره ﷺ تحت لسانه إذا مات ففعل ذلك.



و أنه أوصى الإمام أحمد بن حنبل أن تجعل ثلاث شعرات من شعره ﷺ في عينيه و لسانه ففعل ذلك به بعد موته، و كان الإمام أحمد يضع شعرة من شعره ﷺ على فيه يقبّلها و يغمسها في الماء و يشربه يستسقى به.

و أنه كان مع البخاري شيء من شعره ﷺ فيجعله في ملبوسه.

و أنه ذكر الحافظ السخاوي أنه تبرك بشعرة منه ﷺ، و الحافظ القسطلاني أنه زار شعرة منه ﷺ بمكة المشرفة.

و ذكرنا أنه ينبغي التبرك بغار ثور وغار حراء، و الدخول فيهما لدخوله ﷺ فيهما، و أنه روى البخاري و مسلم أن خاتمه ﷺ كان في يد أبي بكر بعده ثم في يد عمر ثم في يد عثمان.

و في باب التبرك بثيابه أن البخاري روى أن صحابيا طلب من النبي ﷺ بردة له لتكون كفنه، و قال هذا الصحابي: رجوت بركتها لعلي أكفن بها ثم كفنت به.

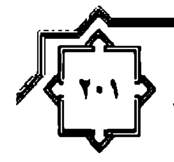
و أنه دفن مع أنس بن مالك عمامة لرسول الله ﷺ، و أنه أوصى معاوية أن يكفن في ثوب كان رسول الله ﷺ كساه إياه، و أن يجعل ما عنده من شعره و قلامة أظفاره في فمه و أنفه و عينيه و أذنيه، و أن أنس بن مالك كان عنده منديل كان النبي ﷺ يمسح به، و كان لا تحرقه النار.

و في باب التبرك بنقده ﷺ أن جابرا اقتنى بنقد كان ﷺ أعطاه إياه و روى حديثه مسلم في صحيحه.

و في باب التبرك بعنزته أن الخلفاء توارثوا بعده ﷺ هذه العنزة.

و في التبرك بسيفه أن الأصمعي قبّل سيفه ﷺ ذا الفقار.

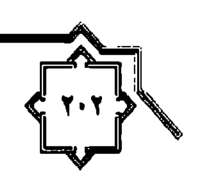
و في التبرك بسريره ﷺ أن أبا بكر وعمر كانا يتبركان به بعده ثم صار الناس يحملون عليه موتاهم، و أنه كان عند عمر بن عبد العزيز سرير النبي ﷺ و عصاه و قدح و جفنة و وسادة و قطيفة ورداء.



و فى التبرك بنعله أن بعض الصالحين داوى بمثالها فحصل الشفاء للحين، و ذكروا لها بركات وخواص، أجاز المهدى لرجلين أهديا له نعلا للنبى ﷺ ألفى دينار، و أمر لكل واحد منهما بضيعة.

و أما التبرك بزيارة قبره الشريف من لحوقه بالرفيق الأعلى إلى الآن فهو ظاهر جلى لا يخفى على أحد، فإنه يتكرر و يتجدد كل عام بل يقع فى كل وقت و أوان، و لا يزال الزائرون المتبركون عاكفين ليلا و نهارا بجوار ضريحه الشريف و ساحة قبره المنيف يرجون رحمة ربنا اللطيف.

فهذا الذى ذكرناه هو أنواع من التبرك بآثاره ﷺ بعد وفاته، و بها يقتنع إن شاء الله من كان فى قلبه شىء من إنكار ذلك وجحوده و لا أظن أن أحدا مسلما يشك بعد هذا فى مشروعية التبرك به ﷺ بآثاره فى حياته و بعد مماته ﷺ و شرف مجد و سلم عليه و على أصحابه و آله و أتباعه و علينا معهم أجمعين.



المقصد الثاني: في التبرك بالصالحين و ما يُلحَقُ بذلك

باب التبرك بالنظر إلى الصالحين

ذكرنا أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يشتاقون إلى رؤياه ﷺ، و ذكرنا أيضا أنه ينال برؤيته ﷺ لحظة ما لا ينال بالأعمال الصالحة.

و يتبرك كذلك برؤية الأتقياء من ورثته ﷺ ففي (مجمع الزوائد) ج٩ ص١١٩: عن عبد الله يعنى ابن مسعود أن النبى ﷺ قال: النظر إلى علىّ عبادة رواه الطبرانى و فيه أحمد بن بديل اليامى، و ثقه ابن حبان و قال: مستقيم الحديث، و ابن أبى حاتم و فيه ضعف و بقية رجاله رجال الصحيح. و عن طليق بن محمد قال: رأيت عمران بن الحصين رضي الله عنه يحد النظر إلى علىّ، فقيل له، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: النظر إلى على عبادة رواه الطبرانى و فيه عمران بن خالد الخزاعى و هو ضعيف انتهى. و روته عائشة رضي الله عنها بهذا اللفظ كما فى (حلية الأولياء) لأبى نعيم ج٢ ص١٨٣، و روى أبو نعيم فى (الحلية) ج٥ ص٥٨ بسنده حديث ابن مسعود بلفظ: النظر إلى وجه على عبادة.

و قال الإمام الغزالى فى (إحيا علوم الدين) فى كتاب آداب السفر: إن النظر إلى وجوه العلماء و الصلحاء عبادة.

و قال الحافظ أبو عبد الرحمن السلمى فى (طبقات الصوفية)ص١٦٢: من نظر إلى ولى من أولياء الله تعالى فقبله و أكرمه، أكرمه الله على رؤوس الأشهاد انتهى. و قالوا: من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه. و فى (سير أعلام النبلاء) للذهبى ج٥ ص٣٦٠: أن ابن الماجشون قال: إن رؤية محمد بن المنكدر تنفعنى



فى دينى. و فى (تاريخ بغداد) للخطيب ج١٠ ص٢٤٩: قال أبو جعفر محمد بن أحمد بن أبى المثنى: و إنى لأرجو برؤية أبى سليمان الدارانى خيرا. و فى (شذرات الذهب): قال مالك: كنت إذا وجدت من قلبى قسوة آتى ابن المنكدر فأنظر إليه نظرة فأبغض نفسى أياما. و كان بيت محمد بن المنكدر مأوى الصالحين و مجمع العابدين، توفى سنة ١٣٠هـ. و قيل: ١٣١ اهـ..

و فى (تذكرة القرطبى) ص٤٢٤ أن الإمام سفيان الثورى كان يتبرك بالنظر إلى عمرو بن قيس اهـ.

و فى (تذكرة الحافظ) ج١ ص٣٣٨ ما نصه: عن وكيع قال: النظر الى وجه عبد الله بن داود ابن عامر الكوفى عبادة. قال الذهبى: كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن داود بن عامر الخريبى الهمدانى إماما حافظا، كان يسكن محلة الخريبة بالبصرة، و سمع هشام بن عروة و الأعمش و ابن جريج و الأوزاعى و طبقتهم، و حديث عنه الحسن بن صالح و سفيان بن عيينة و خلائق. قال ابن سعد: كان ثقة عابدا ناسكا. قال ابن معين: ثقة مأمون. و روى عنه الكديمى قال: ما كذبت إلا مرة واحدة، قال لى أبى: قرأت على المعلم؟ قلت: نعم، و لم أكن قرأت. توفى سنة ثلاث عشرة و مائتين اهـ.

فائدة:

و كما يتبرك بالنظر إلى الصالحين كذلك يتبرك بالنظر إلى الكعبة المشرقة، قال النووى فى (الإيضاح فى مناسك الحج): يستحب لمن جلس فى المسجد الحرام أن يكون وجهه إلى الكعبة، فيقرب منها و ينظر إليها إيمانا و احتسابا، فإن النظر إليها عبادة، فقد جاءت آثار كثيرة فى فضل النظر إليها اهـ. و قال ابن حجر الهيتمى فى شرحه على (الإيضاح): من ذلك قوله ﷺ: النظر إلى البيت عبادة. أخرجه ابن الجوزى، و قوله ﷺ: من نظر إلى البيت إيمانا و

احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، وحشر يوم القيامة فى الآمنين اهـ. و الأحاديث و الآثار فى ذلك كثيرة و قال النووى: قد جاء أنه يستجاب دعاء المسلم عند رؤية الكعبة. و سيأتى إن شاء الله تعالى أن النظر فى بئر زمزم عبادة تحط الخطايا و الأوزار، ففى النظر إلى جميع ما ذكرناه فضيلة و بركة و قد ينكر ذلك بعض الجاهلين فلا تغترّ بتلبيساتهم.

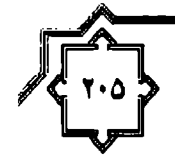
باب التبرك بذكر الصالحين و استنزال الغيث بهم

و فى (الجامع الصغير) للسيوطى: أخرج الديلمى عن معاذ رضى الله عنه: ذكر الأنبياء من العبادة، و ذكر الموت صدقة، و ذكر القبر يقربكم من الجنة، قال: و هو حديث ضعيف، قال المناوى فى شرحه على (الجامع الصغير): و للحديث بقية عند مخرخه الديلمى و هى: و ذكر النار من الجهاد، و ذكر القيامة يباعدكم من النار، و أفضل العبادة ترك الحيل، و رأس مال العالم ترك التكبر، و ثمرة الجنة الحسد، و الندامة من الذنوب التوبة الصادقة اهـ..

و قال الحافظ السخاوى فى كتاب (ترجمة الإمام النووى) ص٥٥: قال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، و قال محمد بن يونس، ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين اهـ.. و مثله فى (صفة الصفوة) لابن الجوزى ج١ ص٤٥، و مثله أيضا فى (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر ص٣٣١، و قال مثل ذلك أيضا محمد بن منصور الحافظ أبو جعفر المتوفى سنة ٢٥٤، و كان تلميذ ابن عيينة كما فى (تاريخ بغداد) ج٣ ص٢٤٩. و فى أواخر (بستان العارفين) للإمام النووى رحمه الله هذا البيت من بحر الكامل:

كرر علىّ حديثهم يا حادى   فحديثهم يجلى الفؤاد الصادى

يعنى كرر علىّ حديث الصالحين و ذكرهم.



و قال الحافظ ابن عساكر فى (تاريخ دمشق) ج٣ ص٢٤٢: قال بشر بن الحرث الحافى: إن أقواما موتى تحيا القلوب بذكرهم، و إن أقواما أحياء تقسو القلوب برؤيتهم اهـ...

وممن قيل باستجابة الدعاء عند ذكره: الصحابى الجليل عمران بن الحصين ﷺ: قال العلامة الشنوانى فى حاشيته على (مختصر ابن أبى حمزة) ص١٥١: يستجاب الدعاء عند ذكر عمران بن الحصين ﷺ، و كانت الملائكة تزوره لما قام به مرض البواسير اهـ..

و فى (صفة الصفوة) للحافظ ابن الجوزى ج٢ ص١٥٦ أنه ذكر للإمام أحمد بن حنبل صفوان بن سليم و قلة حديثه، فقال أحمد: هذا رجل إنما كان يستشفى بحديثه و يستنزل القطر بذكره، توفى صفوان ﷺ سنة ١٣٢هـ.. و عن محمد بن أبى منصور قال: قال صفوان بن سليم: أعطى الله عهدا أن لا أضع جنبى على فراش حتى ألحق بربى، قال: فبلغنى أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه!! فلما نزل به الموت قيل له: رحمك الله ألا تضطجع؟ قال: ما وفيت لله بالعهد إذا، قال: فأسند فما زال كذلك حتى خرجت نفسه اهـ.. و قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٥ ص٣٤٦: كان صفوان بن سليم إماما ثقة حافظا فقيها، من مشايخه ابن عمر و أنس و جابر بن عبد الله و سعيد بن جبير و طاووس و عطاء بن يسار و خلق سواهم، و من تلامذته الإمام مالك و سفيان و الليث و ابن جريج و خلائق آخرون، و عن أحمد بن حنبل قال: يستشفى بحديثه و ينزل القطر من السماء بذكره، ثقة من خيار عباد الله الصالحين، و روى سهل بن العاصم عن محمد بن منصور قال صفوان بن سليم: أعطى الله عهدا أن لا أضع جنبى على فراش حتى ألحق بربى إلى آخر ما ذكرناه، و ممن ترجم له أبو نعيم فى (الحلية).

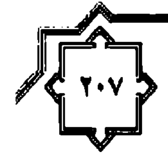


قلت: و أبوه سليم بضم السين كما (الزرقانى على المواهب اللدنية) ج٦ ص٣٨١.

و قال تاج الدين عبد الوهاب بن الإمام تقى الدين السبكى (فى طبقات الشافعية الكبرى) ج٣ ص٢٨٣: كان الشيخ عبد الملك محمد بن إبراهيم أبو سعد بن أبى عثمان الخركوشى فقيها زاهدا من أئمة الدين و أعلام المؤمنين ترجى الرحمة بذكره. و خركوش بفتح الخاء المعجمة و سكون الراء و ضم الكاف ثم واو ساكنة سكة بمدينة (نيسابور)، و روى عنه خلائق منهم الحاكم و البيهقى و غير هما اهـ..

و فى (طبقات الشافعية) ج٥ ص١٠٨ لان السبكى أيضا: أن الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذرى كان حافظا كبيرا ورعا زاهدا ولى الله و المحدث عن رسول الله ﷺ، و الفقيه على مذهب ابن عم رسول الله ﷺ، ترجى الرحمة بذكره، و يستنزل رضا الرحمن بدعائه، و لا ريب أن الحافظ زكي الدين أبا محمد عبد العظيم كان أحفظ أهل زمانه و فارس ميدانه، ولد سنة ٥٨١ و توفى رحمه الله سنة ٦٥٦ اهـ.. ملخصا.

و فى (حسن المحاضرة) للحافظ السيوطى ج١ ص٥٣٠: أن الشيخ أحمد بن إسماعيل بن أبى بكر بن عمر بن خالد الشيخ شهاب الدين العلامة الصالح الزاهد الولى الكبير و الإمام الشهير، كان رجلا يستسقى به الغيث و يهابه لفرط صلاحه الليث، مواظبا على الصلاة و الصيام، قائما بخدمة مولاه و الناس نيام، هذا مع تفنن و علوم كثيرة و تصانيف ما بين منظومة و منثورة، انتفع بإقرائه الإنس و الجان و نبغ فى العلوم و ألف تصانيف ثم تزهد و انقطع إلى أن مات رحمه الله سنة ٨٨٨ اهـ. ملخصا.



و قال النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات) فى ترجمة ابن المبارك: كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى مجمعا على إمامته و جلالته فى كل شيء، الذى تستنزل الرحمة بذكره، و ترجى المغفرة بحبه، وهو من تابع التابعين، و توفى سنة ١٨١هـ و هو ابن ثلاث و ستين سنة.

و فى حاشية (الزرقانى على المواهب اللدنية) ج١٢ ص١٩٦: أن الإمام عبد الله بن المبارك تستنزل الرحمة بذكره.

و فى (صفة الصفوة) لابن الجوزى: أن ابن عيينة قال: نظرت فى أمر الصحابة، و أمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلا إلا بصحبتهم النبى ﷺ و غزوهم معه. و قال سفيان الثورى: إن عبد الله بن المبارك أعلم أهل المشرق و المغرب و قال سفيان أيضا: إنى لأشتهى من عمرى كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك، فما أقدر أن أكون و لا ثلاثة أيام.

و فى (النور السافر عن أخبار القرن العاشر) ص٤٦١ ـ ١٦٢: أن الشريف سراج الدين عمر بن عبد الله العيدروس كان من عباد الله الذين تستنزل الرحمة بذكرهم، و ترجى من الله المغفرة ببركتهم و سرهم و كان صائم الدهر كثير العبادة، دائم الاجتهاد متبعا للكتاب و السنة، سالكا على طريقة السلف الصالح، متسما بالاستقامة التامة، و حكى أنه كانت له فى جميع العلوم يد طولى، و مهارة تامة و قد جمله الله تعالى بعقل كامل و فضل شامل، كانت له كرامات عديدة، و أحوال سديدة. توفى رحمه الله سنة ١٠٠٠هـ. و عمره ست و سبعون سنة اهـ. ملفقا.

و قال النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات) ج١ ص١٨٨: قال مسلمة بن عبد الملك: فى كندة ثلاثة رجال، إن الله ينزل الغيث بهم و ينصر بهم على الأعداء، رجاء بن حيوة، و عبادة بن نسيء و عدى بن عدى اهـ. و رجاء تابعى جليل توفى سنة ١١٢هـ.

لطيفة:

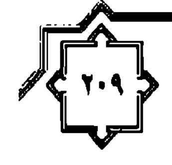
ذكر لبعض أسماء الصالحين بركات و خاصيات خصها الله تعالى بها، ففي (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية) ج٩ ص٤٢٩ ما نصبه: في (تفسير الطبري): إذا كتب أسماء أهل الكهف في شيء و ألقي في النار أطفئت اهـ..

و في (حاشية الجمل على الجلالين) و غيرها: أن لأسماء أهل الكهف منافع كثيرة تبلغ تسعة. و في (مجمع الزوائد) ج٧ ص٥٣ قال أبو عبدالرحمن: قال أبي: بلغني أنه من كتب هذه الأسماء يعني أسماء أهل الكهف ـ في شيء و طرحه في حريق سكن الحريق. رواه الطبراني في الأوسط، و فيه يحيى بن أبي روق و هو ضعيف.

و روى ابن السني في (عمل اليوم و الليلة) أن الاستعاذة بدانيال تدفع مكر السباع. ذكروا أن العقرب و الحية لا يلدغان من ذكر اسم نوح عليه و على نبينا الصلاة و السلام، ففي (الزرقاني على المواهب) ج١٠ ص٩ نقلا عن تفسير القشيري عن بعض التفاسير: أن الحية و العقرب أتيا نوحا فقالتا: احملنا، فقال: لا أحملكما لأنكما سبب الضرر، فقالتا: احملنا و نحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك.

و عن سعيد بن المسيب قال: بلغني أن من قال حين يمسي: سلام على نوح في العالمين لم يلدغه عقرب اهـ..

و ذكروا أن لأسماء أهل بدر رضي الله عنهم فوائد كثيرة و خواصا عجيبة، و ذكروا أيضا لاسم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاصية، لأسماء فقهاء المدينة السبعة المشهورين خاصيات ففي (نسيم الرياض شرح الشفاء) للشهاب الخفاجي ج٢ ص١١٧: أن الناس كانوا يتبركون بهم، حتى قيل: إن أسماءهم إذا علقت على محموم بريء، و إذا وضعت في البر لا يدخل سوس و لم يفسد و قد نظمهم



القائل فى قوله:

ألا كــل مــن لا يقتــدى بأئمــة   فقسمته ضيزى عن الحق خارجة

فخـذهم عبيـد الله عـروة قاسـم   سـعيد أبـوبكر سـليمان خارجـة

و عبيد الله هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود، و عروة هو ابن الزبير، و قاسم هو ابن محمد و سعيد هو ابن المسيب و سليمان هو ابن يسار و خارجة هو ابن زيد بن ثابت الأنصارى، و السابع اختلفوا فيه، فقيل: هو سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ و قيل: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و قيل: غير ذلك اهـ...

و فى (النور السافر) ص١٥٥ أن الشيخ الكبير و العلم الشهير، قطب العارفين و سلطان العاشقين أبا عبد الله محمد بن على بن محمد بن إبراهيم الشهير بالهادى، كان أحد الأولياء الكبار و المشايخ المشهورين فى الأقطار و أحد من تنزل عند ذكرهم الرحمة، و كان من العلماء الراسخين و الأئمة المتبحرين، و درس و أفتى. توفى سنة ٩٣٢هـ، و قبره مشهور يزار و عليه قبة عظيمة اهـ..

و فى (النور السافر) ص٤٧٠ أن الشيخ سعد السوينى ترتجى الرحمة بذكره، و تستنزل البركة بحبه، و يستمطر المسىء سحائب الغفران بالتوسل به. و أطال فى ترجمته صاحب (النور السافر) و ختم بها كتابه هذا.

و أخرج الخطيب فى (تاريخ بغداد) ج٥ ص٤١٨ بسنده عن محمد بن عبد الله بن طاهر، قال: كنت واقفا على رأس أبى و عنده أحمد بن محمد بن حنبل و إسحاق بن راهوية، و أبو الصلت الهروى، فقال أبى: ليحدثنى كل رجل منكم بحديث، فقال أبو الصلت: حدثنى على بن موسى الرضا ـ و كان و الله رضا كما سمى ـ عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن

على، عن أبيه على بن الحسين، عن أبيه الحسين بن على، عن أبيه على، قال: قال رسول الله ﷺ: الإيمان قول و عمل، فقال بعضهم: ما هذا الإسناد؟ فقال له أبي: هذا سعوط المجانين، إذا سعط به المجنون برأ اهـ..

و أخرجه أبو عبد الله الحاكم في (تاريخ نيسابور) بنحوه كما ذكره ابن السبكى فى (طبقاته الكبرى) ج١ ص٥٩، و قال ابن السبكى أيضا و أخرجه ابن ماجه و قال بعد ذكره هذا الإسناد: قال أبو الصلت عبدالسلام بن صالح الهروى: لو قرىء هذا الإسناد على مجنون لبرأ و أبو الصلت متهم اهـ..

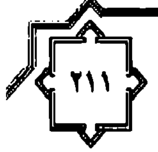
و قال الحافظ أبو نعيم فى (الحلية) ج٣ ص١٩٢: كان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرىء هذا الإسناد على مجنون لأفاق.

و فى (التأمل فى حقيقة التوسل) ص٣٤٨ قال أحمد بن على الأنصارى أبو على الأصبهانى: قال لى أحمد بن حنبل: إذا قرأت هذا الإسناد على مجنون برىء من جنونه، و قال عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى: كنت مع أبى بالشام فرأيت رجلا مصروعا فذكرت هذا الإسناد فقلت: أجرب بهذا، فقرأت عليه هذا الإسناد فقام الرجل فنفض ثيابه و مر اهـ..

فتأمل رحمك الله ما فى أسماء الصالحين و ذكرهم من البركات و الخيرات التى لا تنقضى بوفاتهم، بل تستمر بعد كثير من المئين، بل و الآلاف من الأعوام، فرحم الله امرأ اتعظ بذلك و تفكر فى نفسه، و اجتهد بالانضمام إليهم و الالتحاق بجماعتهم، حقق الله ذلك لنا و لأحبتنا.

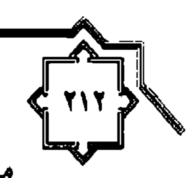
التبرك بالمواضع التي يتعبد بها الصالحون و أماكن إقامتهم

لقد ذكرنا التبرك و الاحترام بالمواضع التى صلى فيها النبى ﷺ أو نزل فيها، فكذلك يتبرك بمجالس ورثته ﷺ ومواضع عبادتهم، قال الله تعالى فى



﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ﴾ ـ الآيتين، قال ابن جرير الطبرى فى تفسيره: عن عكرمة فى بيوت أذن الله أن ترفع قال: هى البيوت كلها اهـ..، و مثله فى تفسير النيسابورى يعنى أن البيوت التى أمر الله تعالى أن تعظم هى البيوت كلها لا خصوص المساجد فقط، فكل بيت يذكر فيه اسمه تعالى و فيه رجال يسبحون له تعالى بالغدو و الآصال، و لا تلهيهم التجارة و البيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، و يخافون يوم القيامة، يستحق التعظيم و الاحترام، فإن شرف المواضع و خستها بحسب ما عمل فيها، ألا ترى أن داخل المسجد يقدم رجله اليمنى احتراما له، و يسأل الله فتح أبواب رحمته، وإن داخل الخلاء يقدم رجله اليسرى و يستعيذ بالله من شر الشيطان الخبيث، و ذلك لأن الخلاء هو موضع التجريد عن الثياب و كشف العورات و محل الأقذار و العفونات، فهو بذلك جدير بأن يكون مأوى الشياطين، و بعكس ذلك مواضع العبادات و الطاعات فعليها تنزل الرحمات و البركات، فينبغى التعرض لها و الرغبة فيه و الاهتمام بأخذ نصيب منها، فهى و إن لم تكن فى التعظيم و الاحترام كالمساجد لكن لها حظ وافر من ذلك، فمتعبد الصالحين و أماكن خلواتهم و زواياهم، و خانقاه الصوفية و مواضع الأوراد و الأذكار و إلقاء الدروس فى علم الشريعة و المدارس القرآنية و نحوها لا شك أنها معظمة مباركة مرفوعة على غيرها من الأماكن.

وفى (الإصابة فى تمييز الصحابة) لشيخ الإسلام الحافظ العسقلانى ج٣ ص٣: أن أبا نعيم روى أن النبى ﷺ قال: إن البيت الذى يذكر الله فيه ليضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الارض. قال الحافظ: و إسناده ضعيف اهـ..



و فى (مجمع الزوائد) ج١٠ ص٧٩ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ما من بقعة يذكر الله عليها بصلاة أو بذكر إلا استبشرت بذلك إلى منتهاها إلى سبع أرضين و فخرت على ما حولها من البقاع، و ما من عبد يقوم بفلاة من الأرض يريد الصلاة إلا تزخرفت له الأرض. رواه أبو يعلى و فيه موسى بن عبيدة الربذى و هو ضعيف و عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ما من بقعة يذكر الله فيها بصلاة إلا فخرت على ما حولها من البقاع، و ما من عبد يقوم بفلاة من الأرض إلا استبشرت لذكر الله إلى منتهاها إلى سبع أرضين. رواه الطبرانى و فيه أحمد بن بكر البالسى و هو ضعيف جدا.

و فى (مجمع الزوائد) أيضا ج٢ ص٦ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ما من صباح و لا رواح إلا و بقاع الأرض ينادى بعضها بعضا يا جارة هل مر بك عبد صالح صلى عليك أو ذكر الله؟ فإن قالت: نعم رأت لها بذلك عليها فضلا. وراه الطبرانى فى الأوسط و فى سنده رجل ضعيف اهـ.

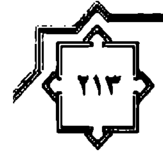
قلت: الضعف فى مثل هذا لا يضر، فقد وقع الإجماع على جواز العمل بالحديث الضعيف بشروط معروفة.

و على التبرك بمواضع العبادة مضى عمل أهل العلم سلفا و خلفا. فممن تبرك بها السبكى الإمام الجليل المجتهد الذى وصفه الذهبى بأنه فخر الحفاظ.

قال الحافظ السخاوى فى كتابه (ترجمة) الإمام النووى): إن الشيخ الإمام تقى الدين السبكى ﷺ تعالى لما سكن فى قاعة دار الحديث الأشرفية كان يمرغ وجهه على البساط و كان النووى يجلس على هذا البساط وقت الدرس فيقول السبكى:

و في دار الحديث لطيف معنى ... على بسط لها أصبو و آوى

عسى أنى أمس بحر وجهى ... مكانا مسه قدم النواوى



و مثله فى (المنهاج السوى فى ترجمة النووى) للسيوطى.

و قال تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى فى (طبقات الشافعية الكبرى) فى ترجمة النووى: إذا أردت أنا أن أجمل تفاصيل فضل النووى و أدل على الخلق على مبلغ مقداره بمختصر القول و فصله، لم أزد على بيتين أنشدنيهما من لفظه لنفسه الشيخ الإمام الوالد، و كان من حديثهما أى البيتين إنه، أعني الوالد ﷺ، لما سكن فى قاعة دار الحديث الأشرفية سنة ٧٤٢هـ. كان يخرج فى الليل فيتهجد، و يمرغ وجهه على البساط، و هذا البساط من زمان الأشرف الواقف و عليه اسمه و كان النووى يجلس عليه وقت الدرس فأنشدنى الوالد لنفسه:

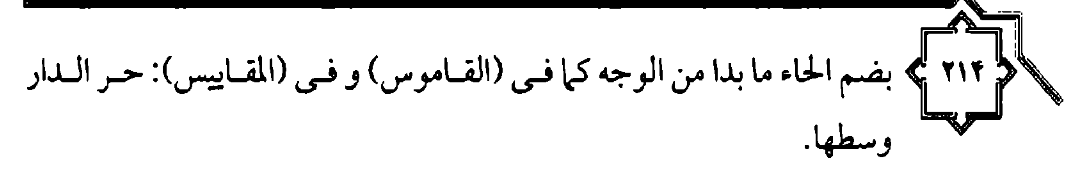
وفى دار الحديث لطيف معنى — على بسط لها أصبو وآوى
عسى أنى أمس بحر وجهى — مكانا مسّه قدم النواوى

انتهى باختصار.

و مثله فى خطبة حاشية العلامة ابن حجر الهيتمى على (الإيضاح فى مناسك الحج) للإمام النووى و عبارته: و قد أجمع الأئمة بعده على أن النووى هو البالغ فى العرفان و الاجتهاد الغاية القصوى، و الحقيق بتعفير الوجوه على مواطىء أقدامه، فضلا عن تقديم آرائه فى القضاء و الفتوى، حتى قال السبكى مع جلالته:

وفى دار الحديث لطيف معنى — على بسط لها أصبو وآوى
عسى أنى أمس بحر وجهى — مكانا مسّه قدم النواوى

قال ابن فارس فى (مقاييس اللغة) صبا إلى الشىء يصبو إذا مال قلبه إليه، و قوله و آوى: بكسر الواو كما فى قوله تعالى «أو آوى إلى ركن شديد»، و فى (القاموس) أويت منزلى و إليه نزلته بنفسى و سكنته، و قوله بحر وجهى: الحر



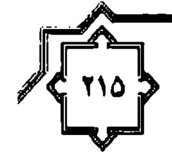
بضم الحاء ما بدا من الوجه كما فى (القاموس) و فى (المقاييس): حر الدار وسطها.

نبذة وجيزة في ترجمة الحافظ السبكي ذكرتها ليعرف شخصيته كل من أراد الاطلاع على شيء من معالي درجته في العلم و العمل به.

قال القاضى ابن شهبة فى (طبقات الشافعية): هو على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الانصارى الخزرجى، الشيخ الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر المقرىء الأصولى المتكلم النحوى اللغوى الأديب الحكيم المنطقى الجدلى الخلافى النظار، شيخ الإسلام قاضى القضاة تقى الدين، ولد فى مستهل صفر سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة و حفظ التنبيه و أخذ التفسير عن علم الدين العراقى، و قرأ القراءات على الشيخ تقى الدين بن الصائغ، و الحديث على الحافظ الدمياطى، و قرأ الأصلين و سائر المعقولات على علاء الدين الباجى اهـ..

و قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) ج٣ ص٦٣: تفقه الإمام السبكى على والده عبد الكافى بن على، و دخل القاهرة و اشتغل على ابن الرفعة و أخذ الأصلين عن الباجى، و النحو عن أبى حيان، والتصوف عن ابن عطاء الله السكندى، و أخذ عن خلائق غيرهم.

و كان متقشفا فى أموره متقللا فى الملابس، حتى كانت ثيابه فى غير الموكب تقوم بدون الثلاثين درهما، و كان لا يستكثر على أحد شيئاً حتى إنه لمامات وجدوا عليه اثنين و ثلاثين ألف درهم دينا، فالتزم ولداه تاج الدين و بهاء الدين بوفائها، و كان لا تقع له مسئلة مستغربة أو مشكلة إلا و يعمل فيها تصنيفا يجمع



فيه شتاتها طال أو قصر، و كان فى غاية الإنصاف و الرجوع إلى الحق فى المباحث و لو على لسان آحاد الطلبة، مواظبا على وظائف العبادات.

و قال شيخنا العراقى: طلب الحديث سنة ٧٠٣ ثم انتصب للإفراء و تفقه به جماعة من الأئمة، وانتشر صيته و تواليفه و لم يخلف بعده مثله اهـ..

و قال ولده شيخ الإسلام تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى فى (طبقات الشافعية الكبرى): ممن سمع من الوالد تقى الدين السبكى الحافظ أبو الحجاج المزى، و أبو عبد الله الذهبى، و أبو محمد البزالى و غيرهم. ذكره الذهبى فى معجمه المختصر فقال: هو القاضى الإمام العلامة الفقيه المحدث الحافظ فخر العلماء تقى الدين أبو الحسن السبكى، و كان صادقا ثبتا خيرا دينا متواضعا حسن السمت من أوعية العلم يدرى الفقه و يقرره، و علم الحديث و يحرره، و العربية يحققها، و قد بقى فى زمانه الملحوظ إليه بالتحقيق و الفضل، سمعت منه و سمع منى، و حكم بالشام و حمدت أحكامه، فالله يؤيده و يسدده اهـ... و قال الذهبى فيه أيضا فى مكان آخر: انتهى إليه الحفظ و معرفة الأثر فى الديار المصرية، و له كلام كثير فى تعظيمه و منه:

و كابن معين فى حفظ و نقد   و فى الفتيا كسفيان و مالك
و فخر الدين فى جدل و بحث   و فى النحور المبرد و ابن مالك

و صح من طرق شتى عن الشيخ تقى الدين ابن تيمية أنه كان لا يعظم أحدا من أهل العصر كتعظيمه له، و أنه كان كثير الثناء على تصنيفه فى الرد عليه، و بالجملة أجمع من يعرفه على أن كل ذى فن إذا حضره يتصور فيه شيئين أحدهما: لم ير مثله فى فنه، و الثانى: أنه لا فن له ألا ذلك الفن، و كان مع صحة الذهن و اتقاده عظيم الحافظة، لا يكاد يسمع شيئا فينساه و إن طال بعده عن تذكره جمعت له الحافظة البالغة و الفهم الغريب، فما كان إلا نادرة فى الناس، و حق

الحق لو لم أشاهده و حكى لى أن واحدا من العلماء احتوى على مثل هذه العلوم و بلغ أقصى غاياتها نقلا و تحقيقا مع صحة الذهن وجودة المناظرةو قوة المغالبة و حسن التصنيف و طول الباع في الاستحضار و استواء العلوم بأسرها في نظره، أحسبه وهماً. أقول: كيف تفي القوى البشرية بذلك: و لكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

و ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

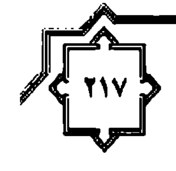
و كان بالآخرة أعرض عن كثرة البحث و المناظرة، و أقبل على التلاوة و التأله و المراقبة، و كان ينهانا عن نوم النصف الثانى من الليل و يقول: يا بنى تعود السهر و لو أنك تلعب، و الويل كل الويل لمن تراه نائما و قد انتصف الليل، و كان كثير التعظيم للصوفية و المحبة لهم و يقول: طريق الصوفى إذا صحت هى طريقة الرشادالتى كان السلف عليها، و يقول مع ذلك: هو مسلك وعر جدا انتهى ما نقلته من (طبقات الشافعية) ملخصا.

و قال الحافظ ابنالحجر العسقلانى فى (الدرر الكامنة): و كان تقى الدين السبكى ينظم كثيرا فمنه ما وصى به ولده محمدا قال:

أبنـيَّ لا تهمل نصيحتى التى أوصيك واسمع من مقالي ترشد
احفظ كتاب الله و السنن التى صحت و فقه الشافعى محمد
و تعلم النحو الذى يدنى الفتى من كل فهم فى القران مسدد
و اعلم أصول الفقه علما محكما يهديك للبحث الصحيح الأيد
و السك سبيل الشافعى و مالك و أبى حنيفة فى العلوم و أحمد

و منها قوله أيضا:

و خذ العلوم بهمة و تيقظ و قريحة سمحاء ذات توقد



و طريقة الشيخ الجنيد و صحبه و السالكين سبيلهم بهم اقتد
واقصد بعلمك وجه ربك خالصا تظفر سبيل الصالحين و تهتد

اهـ.

و قد كان الإمام السبكى ﷺ يحب النووى حبا شديدا خالصا، حتى إنه كان يحترم من رآه و لقيه فى حياته، ففى (المنهاج السوى فى ترجمة النووى) للحافظ السيوطى: قال الشيخ تاج الدين السبكى فى (الترشيح): وافق الوالد يعنى الإمام السبكى مرة و هو راكب على بغلته شيخا عاميا ماشيا، فتحادثا فوقع فى كلام ذلك الشيخ أنه رأى النووى، ففى الحال نزل عن بغلته و قبّل يد ذلك الشيخ العامى و سأله الدعاء و قال له: اركب خلفى فلا أركب و عين رأت النووى تمشى بين يدى!! اهـ.

و اعلم أن الإمام النووى ﷺ كان أهلا لأن يتبرك به الفضلاء و العلماء مثل الشيخ السبكى، فإنه كان مجدد الملة لهذه الأمة فى عصره، و محرر مذهب الإمام الشافعى، و أنفقساعات عمره فى خدمة ربه، و صدق من قال فى وصفه: لم يصرف ساعة فى غير طاعة، و ذكر السخاوى أنه قال: بقيت نحو سنتين لا أضع جنبى بالأرض، و حفظت التنبيه فى نحو أربعة أشهر و نصف، و قال السيوطى و غيره: لم تسمع بعد التابعين بمثله أذن، و لم تر ما يدانيه عين، قال السخاوى: نقل التاج السبكى عن والده أنه قال: ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذى اجتمع فى النووى، و لا التيسير الذى يسر له، و كان يواجه الملوك و الظلمة بالإنكار، لا يخاف فى الله لومة لائم، و لا بطشة جبار و سطوته، و صرح اليافعى و التاج السبكى أنه كان أشعرى العقيدة و لا يخفى على من له أدنى معرفة بفن الكلام أن الأشاعرة و الماتريدية هما أهل السنة و الجماعة، قال السيوطى: و كان إذا ذكر الصالحين ذكرهم بتعظيم و توقير و احترام و ذكر

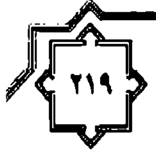
مناقبهم، وألف التصانيف العديدة النافعة في كثير من الفنون، بلغت أكثر من أربعين كتابا، و لا شك أن الأمة تلقتها بالرضا و القبول، وانتفعت بها أتم الانتفاع في مشارق الأرض و مغاربها.

و قال السخاوي و السيوطي: سأله جماعة من أهل قرية (نوى) أن لا ينساهم في عرصات القيامة فقال لهم إن كان لي ثم جاه و الله لا دخلت الجنة و أحد ممن أعرفه ورائي، و لا أدخلها إلا بعدهم. و أفردت في ترجمته التأليف منها: (المنهاج السوي في ترجمة النووي) للسيوطي، و ترجمة السخاوي، و أثنى عليه كثير من الحفاظ والفقهاء و غيرهم، منهم الحفاظ الذهبي فقال في (سير أعلام النبلاء) و (تذكرة الحفاظ)، و (تاريخ الإسلام): النووي هو الإمام القدوة الحافظ النبيه الفقيه المجتهد شيخ الإسلام حسنة الأنام مفتي الأمة علم الأولياء الزاهد العابد الرباني انتهى.

قلت: فبمثل هذا الإمام ينبغي التبرك بآثاره و التمسك بأذياله، و التمرغ بموطيء أقدامه و أعتاب أبوابه، نفعنا الله بعلومه.

الخلاصة:

لقد ثبت أن الشيخ السبكي تمرغ للتبرك على البساط الذي كان يجلس عليه الإمام النووي، قد عدّ كثير من العلماء تبركه للنووي من محاسنه و جميل أوصافه، فذكروا ذلك في ترجمته، و قد علمت أن السبكي كان من أساطين العلم فلا يظن به أحد أن الجهل حمله على هذا التبرك، ولا يتهم عليه بالتهاون أو الجرأة على ارتكاب المنهيات، كيف وقد ذكرنا أنّ الحافظ الذهبي شبهه في الحفظ بيحيى بن معين، و في التقوى بالإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة إلى آخر ما ذكرناه.



و قد علمت مما سبق أيضا أن من تلامذته الحافظ الكبير أبا الحجاج المزى، و أبا عبد الله شمس الدين الحافظ الذهبى، وقال الحافظ عبد الرحيم العراقى شيخ ابن حجر العسقلانى: لم يخلف السبكى بعده مثله. و كان ابن تيمية لا يعظم أحدا كتعظيمه للسبكى، و معلوم أن ابن تيمية و الذهبى كانا مشهورين ببغض الأشاعرة و حط أئمتهم و الطعن فيهم ببعض المسائل الاعتقادية، و لكن بحمد الله أظهرا الإنصاف و العدل فى وصف هذا الإمام، و بالغا فى الثناء عليه مع كونه من أئمة الأشاعرة و أعيانهم.

و بالجملة تبين لنا أن الحافظين السخاوى و السيوطى، و الشيخ التاج عبد الوهاب السبكى و ابن حجر الهيتمى و غيرهم ممن نقل تبرك السبكى بطريق الاستحسان متفقون على مشروعية ما فعله الإمام السبكى و جوازه.

فيتضح إذاً أن التبرك بمواضع العبادات أمر يعتني به أهل العنايات، و مضى عليه عمل العلماء ورثة الأنبياء فليقتنع المتنطعون بذلك و ليقولوا قولا سديدا و الله الموفق.

مهمة:

نقل بعض من ترجم للإمام النووى قصة تدل على أن السبكى أدرك الإمام النووى، ذكرها بعضهم مطولة و بعضهم مختصرة، فممن ذكرها السيد محمد شطا فى حاشيته (إعانة الطالبين على فتح المعين) فقال فيها: و لما رحل الإمام السبكى ﷺ مع جلالته لزيارة الإمام النووى فى حياته وجده قد توفى فصار يبكى و يمرغ خده فى محل جلوسه و يقول البيتين المذكورين اهـ..

و ممن ذكرها مطولة الشيخ أحمد السحيمى فى شرحه على الأربعين النووية (أنوار الطالبين بشرح الأربعين)، و ذكرها أيضا رفيقنا الشيخ على مؤمن فى كتابه (بغية المحتاج). وهذه الرحلة إلى زيارة النووى و هو حى لا أصل لها، فقد

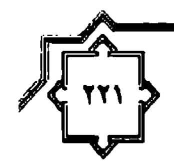
ذكر علماء التراجم والتواريخ أن الإمام النووى ولد فى سنة ٦٣١، و أن وفاته على الراجح كانت ليلة الأربعاء الرابع و العشرين من رجب سنة ٦٧٦ و ممن قال ذلك: الذهبى فى (تذكرة الحفاظ) و ابن كثير فى (البداية و النهاية) و السيوطى فى (طبقات الحفاظ) و ابن العماد الحنبلى فى (شذرات الذهب) و ابن هداية الله فى (طبقات الشافعية)، و أما السبكى ﷺ فقد ولد سنة ٦٨٣ ذكر ذلك ولده تاج الدين كما ذكرناه آنفا و السيوطى فى (حسن المحاضرة) و الحافظ الداودى فى (طبقات المفسرين) و ابنالعماد فى (شذراته) فبين وفاة النووى و ولادة السبكى نحو خمس أو ست سنين فلا تتصور الزيارة بينهما فى الحياة فليتفطن لذلك و لا يغتر بكثرة من غلط فيه و الله أعلم.

التبرك بجبل أبي قبيس و جبل يشكر و جبل ثبير

و فى الجامع اللطيف فى فضل مكة و أهلها و بناء البيت الشريف للعلامة الحنفى جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبى بكر بن على بن ظهيرة المخزومى ص٣٤٠: يستجاب الدعاء فى جبل أبى قبيس كما ذكره الفاكهى، و هو أول جبل وضع على وجه الأرض حين مادت، روى ذلك عن ابن عباس و مجاهد.

و فى ص٣٤٤: أن صاحب القاموس نقل عن النقاش أن الدعاء يستجاب فى جبل ثبير لأن النبى ﷺ كان يتعبد فيه قبل النبوة و أمام ظهور الدعوة و لهذا جاورت به أم المؤمنين عائشة ﵂ أيام إقامتها بمكة اهـ.

و فى (حسن المحاضرة) للسيوطى ج١ ص١٤٢ أن جبل (يشكر) يستجاب فيه الدعاء، و كان يصلى عليه التابعون و الصالحون. و على هذا الجبل جامع أحمد بن طولون، و قد أشار أهل الفلاح على ابن طولون أنه يبنى جامعه عليه و كان (يشكر) رجلا صالحا اهـ.



التبرك بمتعبد سهل عبد الله التستري

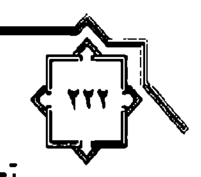
قال ابن بطوطة في (رحلته) ص١٨٥: إن متعبد سهل بن عبد الله بين بصرة و أُبلّة، فإذا حاذاه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء مما يحاذيه من الوادي، يدعون عند ذلك تبركا بهذا الولي اهـ.. و كان الشيخ سهل بن عبد الله التستري من أكابر الأولياء و زهاد السلف الصالح فكان أهلا للتبرك به، و توفي رضي الله عنه سنة ٢٨٣هـ.. و في (معجم البلدان) الأبلة بضم أوله و ثانيه و تشديد اللام و فتحها بلدة على شاطيء دجلة البصرة اهـ.. و في (معجم البلدان) أيضا أن التستر أعظم مدينة بخوزستان و هي بالضم ثم السكون و فتح التاء الأخرى.

التبرك بمتعبد الشيخ عبد الله العيدروس

و في (المشرع الروي في مناقب آل أبي علوي) ج١ ص٢٨٨ أنه يوجد في مدينة تريم شعب يقال له: شعب (النعير) بضم النون و فتح العين، و هو شعب مبارك تعبد فيه كثيرون من الأولياء و الصالحين، و ممن تعبد فيه الشيخ عبد الله العيدروس، و متعبده محل فيه معروف يزار و يتبرك به.

تنبيه:

لا يخفى أن الله تعالى فضّل بعض المواضع و شرّفها عل بعض كما فضّل بعض الأزمان على بعضها و المؤمنين بعضهم على بعض، بل فضّل بعض الرسل على بعضهم، فتشريف ما شرفه الله و تعظيمه و احترامه مطلوب مستحسن شرعا، فقد قال النووي في (رياض الصالحين): قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم، رواه مسلم في أول صحيحه تعليقا، و ذكره الحاكم أبو عبد الله في (معرفة علوم الحديث) و قال: هو حديث صحيح. وروى أبو داود عنها أن رسول الله ﷺ قال: أنزلوا الناس منازلهم.



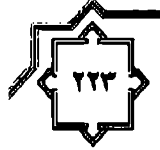
و قال السيوطى فى (الأكليل فى استنباط التنزيل) فى الكلام على قوله تعالى ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾: أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة: إنما أمر بخلعها تواضعا و تعظيما للبقعة و رجّحه ابن جرير، فيستدل به على استحباب المشى حافيا فى المساجد و البقاع الشريفة اهـ...

فمتعبد الصالحين مبارك، و ليس كمجالس الفسّاق و مواضع الخمور و الفجور، و قد أجاد القائل:

إن البقاع و الأماكن كلها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

و فى (مجمع الزوائد) ج١٠ ص٧٩ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن الجبل ينادى الجبل باسمه أى فلان هل مر بك من ذكر الله؟ فإذا قال: نعم استبشر، قال: «عون» فيسمعن الشر، و لا يسمعن الخير؟ هن للخير أسمع، و قرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً﴾. رواه الطبرانى و رجاله رجال الصحيح.

و مما يدل على أن الأمكنة تتشرّف بشرف ساكنيها و بعبادتهم ما ذكره ابن كثير فى (البداية و النهاية) ج٩ ص١٥٥ فى فصل عقده لذكر آثار جامع دمشق و ما ورد فى فضله من الأخبار، فمما قال فيه: قد اشتهر فى الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبلية تسمى زاوية الخضر، و ما أدرى ما سبب ذلك، و الذى ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فى هذا الجامع، و كفى بذلك شرفا له و لغيره من المساجد التى صلوا فيها و ممن صلى فيه أبو عبيدة و معاذ بن جبل و أنس بن مالك و خلائق من الصحابة رضي الله عنهم و سيصلى فيه عيسى بن مريم إذا نزل فى آخر الزمان اهـ..



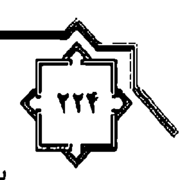
و فى (تهذيب تاريخ دمشق) ج١ ص٢٣٣ قال أحمد بن صالح: أدركت الشيوخ بدمشق قديما و هم يفضلون مسجد إبراهيم عليه السلام و يقصدونه و يصلون فيه و يقرأون و يدعون و يذكرون أن الدعاء فيه مجاب، و هو موضع شريف قديم عظيم، و يذكرون أن الشق الذى فى الجبل خارج باب هذا المسجد هو موضع اختبأ فيه إبراهيم من النمرود، و الدعاء فيه مجاب، فمن توجه إلى الله تعالى فى ذلك الموضع و دعا فيه بنية خالصة رأى الإجابة.

و قال أحمد بن سليمان: من قصد الجبل الذى رأى فيه إبراهيم الخليل الكواكب التى ذكرها الله فى قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ و صلى فيه ركعتين و دعا أجابه الله فى دعائه و قال أبو الحسين الرازى: إنّ مما يرجى فيه إجابة الدعاء مسجدا عند القطيعة يقال: إن هناك قبر موسى بن عمران اهـ..

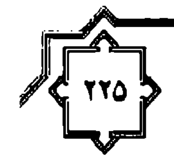
فهذه المواضع تشرّفت بالصالحين الذين سكنوا فيها حتى استجيبت فيها الدعوات ببركتهم. و المواضع التى يتبرك بها لبركة ساكنيها كثيرة جدا و فيما ذكرناه كفاية و الله الموفق.

التبرك بآبار الصالحين

روى البخارى فى كتاب الأنبياء من صحيحه عن عبد الله بن عمر و مسلم فى باب النهى عن الدخول على أهل الحجر عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضا أن ناسا نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها و عجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُهريقوا ما استقوا و يعلفوا الإبل العجين، و أمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة. و قال النووى فى (شرح صحيح مسلم) ج١٨ ص١١٢: و فى هذا الحديث التبرك بآبار الصالحين.



و من آبار الصالحين المباركة بئر زمزم، فإن جبريل عليه السلام بحثه بجناحه أو بعقبه كما رواه البخاري في صحيحه، و روى مسلم عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال في زمزم: إنها مباركة،و إنها طعام طعم و شفاء سقم، و قال العلماء: يستحب شرب ماء زمزم و الاستكثار منه، نقله إلى الأماكن البعيدة طلبا لبركته، و قال الهيتمي في (حاشية الإيضاح): قال الماوردي: يسن أن يصب على رأسه منها و يغسل وجهه و صدره، و قال الزعفراني: و النظر في بئر زمزم عبادة تحط الأوزار و الخطايا. و من بركة ماء زمزم أن من شربه لحاجة من حوائجه فإنه ينالها، و قد قال ﷺ: ماء زمزم لما شرب له، من شربه لمرض شفاه الله أو لجوع أشبعه الله أو لحاجة قضاها الله. و في مغني المحتاج أن قوله «وشفاء سقم» لم يروه مسلم و إنما رواه أبو داود الطيالسي. و قال النووي رحمه الله في (الإيضاح): و قد شرب جماعة من العلماء ماءزمزم لمطالب لهم جليلة فنالوها اهـ. و حديث ماء زمزم لما شرب له ورد من طرق، و اختلفوا في درجته، فقال ابن حجر الهيتمي في حاشيته على (الإيضاح): الذي استقر عليه أمر محققي المحدثين أنه حديث حسن أو صحيح و قول الذهبي: إنه باطل و ابن الجوزي إنه موضوع مردود. و في (المرقاة) ج٦ ص٧ أنه عليه الصلاة و السلام حمله في الأداوي و القرب، و كان يصب على المريض و يستشفيهم به، وصحّ عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تنقله، و تخبر أنه عليه الصلاة و السلام كان ينقله، قال علي قاري: فنقل ماء زمزم للتبرك به مندوب اتفاقا اهـ... و كما يتبرك بآبار الصالحين يجتنب أيضا آبار الطالحين و الظالمين، كما هو صريح في حديث الشيخين السابق، فقد قال النووي في شرح مسلم: و في هذا الحديث كراهة الاستقاء من بئار ثمود، و يلتحق بها نظائرها من الآبار والعيون التي كانت لمن هلك بتعذيب الله تعالى على كفره.



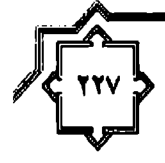
التبرك بريق الصالحين

لقد ذكرنا التبرك و الاستشفاء بريقه ﷺ فنذكر هنا أنه يتبرك بريق ورثته ﷺ المهتدين بهديه، العاملين بسنته ﷺ، كما يتبرك بريقه ﷺ. و ذكر الفقهاء ﷺ في باب العقيقة أنه يسن تحنيك المولود بتمر، فإن لم يوجد تمر فبحلوٍ لم تمسه النار، و يسن أن يكون المحنِّك للمولود من أهل الخير و الصلاح، و أن يكون رجلا، فإن لم يوجد فامرأة صالحة و قد وردت أحاديث كثيرة صحيحة فى تحنيك المولود، و ذكرنا بعضها، و قال النووى فى (شرح مسلم) ج١٤ ص١٢٣ ـ ١٢٤: و فى أحاديث التحنيك فوائد منها: تحنيك المولود عند ولادته و هو سنة بالإجماع، و منها أن يحنكه صالح من رجل أو امرأة، و منها التبرك بآثار الصالحين و ريقهم و كل شيء منهم اهـ..

التبرك و الاستشفاء برقية الصالحين و ريقهم بعد قراءة القرآن

و الرقية كما فى (فتح البارى) ج٤ ص٤٥٣: كلام يستشفى به من كل عارض و هى بضم الراء و سكون القاف و جمعها الرُّقى. قال النووى فى (الأذكار) ص١١٩ ـ ١٢٠: روينا فى صحيحى البخارى و مسلم عن أبى سعد الخدرى ﷺ قال: انطلق نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى سفرة سافروها، حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط إن سيدنا لدغ و سعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء فهل عند أحد منكم من شيء؟ قال بعضهم: إنى و الله لأرقي، ولكن و الله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه و يقرأ: الحمد الله رب العالمين، فكأنما

نشط من عقال، فانطلق يمشى و ما به قلبة، فأوفوهم جعلهم الـذى صـالحوهم عليه، و قال بعضهم: اقسموا، فقال الذى رقى: لا تفعلوا حتى نأتى النبـى ﷺ فنذكر له الذى كان، فننظر الذى يأمرنـا، فقـدموا علـى النبـى ﷺ فـذكروا لـه فقال: و ما يدريك أنها رقية؟ ثم قال: قد أصبتم، اقسموا و اضربـوا لـى معكـم سهما، و ضحك النبى ﷺ. هذا لفظ رواية البخارى و هى أتم الروايات فأمر له بثلاثين شاة اهـ... و هذه الروايات كلهـا للبخـارى، ذكرهـا فـى مواضـع مـن صحيحه، منها: كتاب الإجارة، و كتاب الطب، و كتاب فضائل القرآن فى بـاب فضل الفاتحة و قال النووى فى الأذكار أيضا روينا فى كتاب ابـن الـسنى بلفـظ آخر، و هو رواية لأبى داود قال فيها: عن خارجة عن عمه قال: أقبلنا مـن عنـد النبى ﷺ فأتينا على حى من العرب فقالوا: عندكم دواء فإن عندنا معتوها فـى القيود، فجاءوا بالمعتوه فى القيود، فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثـة أيامغـدوة و عشيا أجمع بزاقى ثم أتفل فكـأنما نـشط مـن عقـال فـأعطونى جعـلا فقلـت: لا فقالوا: سل النبى صلى الله عليه و سلم فسألته فقـال: كـل فلعمـرى مـن أكـل برقية باطل، لقد أكلت برقية حق. و فى (فـتح البـارى): و فـى الحـديث جـواز الرقية بكتاب الله، يلتحق به ما كان بالذكر و الدعاء و المأثور، و كذا غـير المـأثور مما لا يخالف المأثور، و فى (فتح البارى) ج٤ ص٤٥٦: قوله (يتفل) بضم الفـاء و كسرها و هو نفخ معه قليل بزاق، و قال ابن أبى جمرة: محل التفـل فـى الرقيـة يكون بعد القراءة لتحصيل بركة القراءة فى الجـوارح التـى يمـر عليهـا الريـق، فتحصل البركة فى الريق الذى يتفله. و فى (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبى ج١١، ص٢٠٩: أن صالح بن أحمد بن حنبل قال: ربما اعتللت فيأخذ أبى أحمـد قدحا فيه ماء، فيقرأ فيه ثم يقول: اشرب منه، و اغـسل وجهـك و يـديك اهــ. بلفظه.

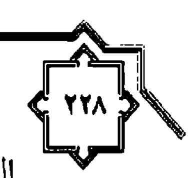


و قال ابن القيم الجوزية فى (الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى) ص٥: مكثت بمكة مدة يعترينى أدواء، و لا أجد طبيبا و لا دواء، فكنت أعالج نفسى بالفاتحة فأرى لها تأثيرا عجيبا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكى ألما، فكان كثير منهم يبرأ سريعا اهـ...

و قال ابنالقيم أيضا فى (زاد المعاد) ج٣ ص١٢٢: لقد مر بى وقت بمكة سقمت فيه و فقدت الطبيب و الدواء، فكنت أتعالج بالفاتحة، آخذ شربة من ماء زمزم و أقرأها عليها مرارا ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع بها غاية الانتفاع اهـ...

ملاحظة:

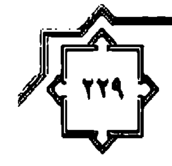
لا يخفى أن الفاتحة أم القرآن و السبع المثانى و قد قيل إنها نزلت مرتين، و معلوم أن الصلاة لا تصح عند أكثر العلماء إلا بقراءتها و قال الهيتمى: إنها أفضل سور القرآن. فلذا اعتاد كثير من الناس قراءتها عند افتتاح مجالس الاجتماع و عند انتهائها، و عند الكرب و الشدائد، و قراءتها للأموات و الغائبين، و أول الدعاء و آخرها. و اعتاد بعضهم أن يقولوا فى آخر مجالس التلاوة و الإذكار و حلق حضرة الصوفية و نحوها: الفاتحة إلى حضرة النبى صلى الله عليه و سلم. و قد ورد قراءتها عند الميت ففى كتاب (صحيح صفة صلاة النبى) للشيخ حسن بن على السقاف: روى الطبرانى فى (الكبير) و البيهقى فى (شعب الإيمان) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا مات أحدكم فلا تحبسوه و أسرعوا به إلى قبره و ليقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب انتهى. و فى (إثمد العينين فى اختلاف الشيخين) المطبوع على هامش (بغية المسترشدين) ص٨٨: و قد ألهم الله هذه الأمة قراءة الفاتحة و الإكثار منها عند حضور الجماعة و عند افتراقها.



و في (النور السافر عن أخبار القرن العاشر) لمحيي الدين عبد القادر بن الشيخ عبد الله العيدروس: أن الفقيه عمر بن محمد الملاح و كان رجلا صالحا ثقة قال: تزوجت امرأة شابة و أنا رجل كبير، و كان أهلها يحبوني و يعتقدوني، و هي كارهة بباطنها لصحبتي من حيث كبري، و تظهر الود من أجل أهلها فاتفق أن امرأة دخلت عليها خفية مني و أنا أسمع و هي لا تشعر بي، و كانت كلما تكلمت كلمة كتبتها في ورقة عندي، ثم إن المرأة أرادت أن تخرج فقالت لها زوجتي: اصبري نقرأ الفاتحة كما يفعل الفقيه و أصحابه، فقرأت هي و المرأة فكتبت أيضا قراءتها الفاتحة، ثم ذكرت لأخوتها و قلت لهم: قد كتبت كلامها في ورقة، ثم جئت بالورقة لأريهم كلامها فلم أجد في الورقة شيئا سوى الفاتحة و هذا من بركات الفاتحة.

و قال الحافظ الديبع: قال شيخنا جمال الدين: هذا ما أخبرني به الفقيه محمد فقيشي، و لعمري إن هذا من فضلها قليل، و قد قال محمد ﷺ: إنها رقية الظاهر و الباطن:

و قال الفقيه محمد بن عبد السلام: و لقد أخبرني الفقيه محمد بن عطيف أيام وصل إلينا في زبيد أن رجلا رأى القيامة قامت، و أن مناديا ينادي يا أهل اليمن قوموا ادخلوا الجنة فقيل للمنادي: بما أعطوا هذه المنزلة؟ قال: لقراءتهم الفاتحة. و كان إخباره لي بذلك أنا كنا إذا دخلنا عليه نتحدث عنده ساعة، و إذا أردنا الخروج طلب منا قراءة الفاتحة. و قال السخاوي في (الضوء اللامع) ج٣ ص٢٦٤: لقيت الشيخ سليمان بن داود بن محمد بن داود علم الدين الدمياطي، و شرعت في الكلام معه في بعض المسائل، فما خاض فيها و بادر لإحضار الأكل فقرأنا الفاتحة و انصرفنا، توفي سنة ٨٧١هـ.. و في (الضوء اللامع) ج٢ ص٥٧ في ترجمة الشيخ أحمد بن محمد بن عمر الطنبذي: أنه قصد إلى الشيخ



الصدر المناوى القاضى، فوجده غائب العقل، فقال لبواب المدرسة: أعلم أخـى بمجيئى و إنى وجدته مغمورا فقرأت الفاتحة و دعوت له بالعافية ثـم انـصرفت اهـ..

و فى (الضوء اللامع) ج٧ ص١٦٥ كان الشيخ محمد الشرف أبو الفـتح بـن أبى بكر بن الحسين ابن عمر يصلى على النبى ﷺ و يترضى عن الصحابة كلما جرى ذكرهم، و يفتتح المجلـس بالفاتحـة و بـسورة الإخـلاص ثلاثـا و يهـديها لمشايخه. و ترجم له السخاوى ترجمة طويلة أطال فى عدّ محاسنه، فمما وصفه بـه: الثقة و الصدق و العبادة و الزهد و الورع و كثرة التلاوة، و طرح التكلف و قلة الكلام فيما لا يعنيه، و الغضب لله و عدم الخوف فيه مـن لومـة لائـم، و حـسن اعتقاد فى المنسوبين للصلح و غير ذلك، و من تصانيفه (المشرع الروى فى شرح منهاج النووى) و اختصر (فتح البارى) لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى فى نحو أربع مجلدات، و سماه (تلخيص أبى الفتح لمقاصد الفتح) و كان من مشايخ الحافظ السخاوى، ولد سنة ٧٧٥ و توفى سنة ٨٥٩ اهـ...

لطيفة:

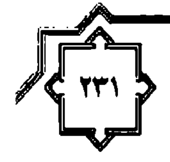
قال القسطلانى فى (المواهب اللدنية) فى المقصد الثامن فى طبه ﷺ لذوى الأمراض و العاهات ما حاصله: ههنا أمر ينبغى أن يـتفطن لـه، نبـه عليـه ابـن القيم، و هو أن الأيات و الأذكار و الأدعية التى يستشفى بها و يرقى بها هى فـى نفسها نافعة شافية، و لكن تستدعى قبول المحل وقوة همة الفاعل و تأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المحل المنفعل الـذى مـن شأنه أن يتأثر بقبول الدواء. أو لمانع قوى فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك فى الأدوية و الأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها لعدم قبـول الطبيعـة لـذلك الدواء، ثم قال القسطلانى: و من أنفع الأدوية الدعاء و هو عدو البلاء يـدافع و

يعالجه و يرفعه أو يخففه إذا نزل، و هو سلاح المؤمن، و من أقوى الأسباب فى رفع المكروه و حصول المطلوب، و لكن قد يتخلف أثره عنه إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، و إما لضعف القلب و عدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء و إما لحصول المانع عن الإجابة من أكل الحرام و الظلم و رين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة و السهو و اللهو، و قد روى الحاكم حديث: و أعلموا أنَّ الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه.

و قال أيضا: و إذا جمع مع الدعاء حضور القلب، و الجمعية بالكلية على المطلوب، و صادف وقتا من أوقات الإجابة كثلث الليل الأخير مع الخضوع و الانكسار و الذل التضرع، و استقبال القبلة و الطهارة و رفع اليدين، و البداءة بالحمد و الثناء على الله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد بعد التوبةو الاستغفار و الصدقة، و ألح فى المسألة و أكثر التملق و الدعاء و التوسل إليه بأسمائه و صفاته، و التوجه بنبيه ﷺ، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا، لا سيما إن دعا بالأدعية التى أخبر بها ﷺ، أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة الاسم الأعظم اهـ. ملخصا مع زيادة قليلة من شرحه. و فى شرحه للزرقانى قال الرازى: أجمعت الأمة على أن الدعاء اللسانىّ الخالى عن الطلب النفسانى قليل النفع عديم الأثر اهـ...

باب التبرك بثياب الصالحين و تراب نعالهم

لقد سبق فى باب التبرك بثيابه ﷺ حديث أنه ﷺ أعطى عبد الرحمن بن عوف أو غيره بردة أهديت له، و أن الحافظ العسقلانى قال: فى هذا الحديث التبرك بآثار الصالحين و لباسهم، و ذكر ابن السبكى فى (طبقات الشافعية الكبرى) ج١ ص٢٠٥ بسنده أن الربيع بن سليمان قال: إن الشافعى ﵁ خرج



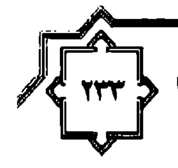
إلى مصر فقال لى: يا ربيع خذ كتابى هذا فامض به، و سلمه إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل و ائتنى بالجواب، قال الربيع: فدخلت بغداد و معى الكتاب فصادفت أحمد بن حنبل فى صلاة الصبح، فلما انفتل من المحراب سلمت إليه الكتاب و قلت: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر، فقال لى أحمد: نظرت فيه؟ فقلت لا، فكسر الختم فقرأ و تغرغرت عيناه، فقلت له إيش فيه أبا عبد الله؟ فقل: يذكر فيه أنّه رأى النبي ﷺ في النوم، فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله فاقرأ عليه السلام و قل له: إنك ستمتحن و تدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم، فيرفع الله لك علما إلى يوم القيامة، قال الربيع: فقلت له: البشارة يا أبا عبد الله، فخلع أحد قميصيه الذى يلى جلده، فأعطانيه، فأخذت الجواب و خرجت إلى مصر، و سلمت إلى الشافعي فقال: أيش الذى أعطاك؟ فقلت: قميصه، فقال الشافعي: ليس نفجعك به، و لكن بُلَّهُ و ارفع إلىّ الماء لأتبرك به.

و فى (تهذيب تاريخ دمشق) لابن عساكر ج٢ ص٤٤: مثل هذه العبارة باختلاف يسير فى بعض الألفاظ، و قال الحافظ ابن كثير فى (البداية و النهاية) ج١٠ ص٣٣١: روى البيهقى عن الربيع قال: بعثنى الشافعى بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل فأتيته و قد انفتل من صلاة الفجر فدفعت إليه الكتاب فقال: أقرأته؟ فقلت لا، فأخذه فقرأه فدمعت عيناه فقلت: يا أبا عبد الله و ما فيه؟ فقال يذكر أنه رأى رسول الله ﷺ فى المنام فقال: اكتب إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل و اقرأ عليه منى السلام و قل له: إنك ستمتحن و تدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجبهم، يرفع الله لك علما إلى يوم القيامة، قال الربيع: فقلت: حلاوة البشارة، فخلع قميصه الذى يلى جلده فأعطانيه، فلما رجعت إلى الشافعي أخبرته فقال: إنى لست أفجعك فيه و لكن بله بالماء و أعطنيه حتى أتبرك به. و فى (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) لعلى بن سطان قارى ج١

ص٢٢: مثل ذلك باختصار، و قال فيه: غسل الشافعي قميص أحمد و شرب ماءه، و هذا من أجلّ مناقب الإمام أحمد اهـ.. و ذكر ذلك أيضا الشعراني في (تنبيه المغترين) في الباب الثاني في جملة أخرى من الأخلاق ـ فقال فيه: قد بلغنا أن الإمام الشافعي رضي الله عنه أرسل قاصده للإمام أحمد بن حنبل بأنه سيقع في محنة عظيمة و يخلص منها سالما يعني مسألة خلق القرآن، فلما أخبره القاصد نزع الإمام أحمد له قميصه سرورا بقدوم رسول الشافعي، فلما رجع الرسول بالقميص و أخبر الشافعي به قال له: هل كان هذا القميص على جسده من غير حائل؟ قال: نعم، قال: فقبله الإمام الشافعي و وضعه على عينيه ثم صب عليه الماء في إناء و عرّكه فيه ثم عصره و وضع غسالته عنده في قارورة، فكان كل من مرض أصحابه يرسل له شيئا من تلك الغسالة، فإذا مسح به جسده عوفي من مرضه لوقته اهـ...

تنبيه:

ذكرنا في التبرك بشعره ﷺ أن الإمام أحمد بن حنبل كان يكثر التبرك بشعره ﷺ، فكان يأخذ شعرة من شعره ﷺ فيقبلها و يضعها على عينيه و يغمسها في الماء ثم يشربه يستشفي بها، فقدر الله سبحانه أن يتبرك به كثير من الأكابر و العلماء مثل شيخه الإمام الشافعي و غيره كما كان يتبرك هو بالشعرة الكريمة. و هذا من عجائب حكمته تعالى، و قد ورد في الحديث كما تدين تدان، و قالوا: الجزاء من جنس العمل، فمن تبرك بالصالحين بنية صالحة و حسن اعتقاد جازاه الله بمثل ذلك و قيض له من يتبرك به و ينتفع به إن كان أهلا لذلك، فإن الله يجزي الإنسان بوصفه سيجزيهم وصفهم. و أما المنكر بالتبرك من أصله فهو المحروم من هذا كله، فإن الله تعالى لا يكرم العبد بما ينكر ثبوته و يجحد وجوده، و قد قالوا: إن المعتزلة لا يرون الله جل جلاله في الآخرة



لإنكارهم و نفيهم وقوع رؤيته تعالى الجنة. نسأل الله تعالى أن يرزقنا و أحبتنا محبة من يحبه تعالى من عباده الصالحين و نعوذ به من الحرمان عن بركاتهم.

و ممن تبرك الناس بثيابه و تراب أقدامه أبو إسحاق الشيرازى الفِيرُوزَابَاذِيُّ، ففى (طبقات الشافعية الكبرى) للعلامة تاج الدين عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى ج٣ ص٩١ قال أبو الحسن الهمذانى: كان الشيخ إبراهيم بن علىّ بن يوسف أبو إسحاق الشيرازى وصل مرة و هو مسافر إلى بلاد العجم، فخرج أهلها بنسائهم و أولادهم، فيمسحون أردانه و يأخذون تراب نعليه، و يستشفون به. و خرج إليه صوفيات البلد و ما فيهن إلا و معها سبحة، و ألقين الجميع إلى المحفة، و كان قصدهن أن يلمسها ليحصل لهن البركة، فجعل يمرها على يديه و جسده، و يتبرك بهن و يقصد فى حقهن ما قصدن فى حقه.

و لما بلغ (بسطَام) قيل للشيخ: قد أتى فلان الصوفى فنهض الشيخ من مكانه، و إذا به شيخ كبير هِمٌّ وهو راكب بهيمة و خلفه خلق من الصوفية بمرقعات جميلة، فقيل له: قد أتاك الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فرمى نفسه عن البهيمة و قبّل يده و قبّل الشيخ أبو إسحاق رجله و قال له الصوفى: قتلتنى يا سيدى فما يمكننى أمشى معك و لكن تتقدم إلى مجلسك. و لما وصل جلس الشيخ أبو إسحاق بين يديه و أظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه ما جاوز الحد، ثم أخرج الصوفى خرجين، فى إحداهما حنطة و قال: هذه الحنطة نتوارثها عن أبى يزيد البسطامى، و فى الأخرى ملح، فأعجب الشيخ أبا إسحاق ذلك وودعه و انصرف و هذا الشيخ الصوفى الذى قصد الشيخ أبا إسحاق يعرف بالسهلكى.

قال القاضى أبو العباس الجرجانى صاحب (المعايات) و غيرها: كان أبو إسحاق الشيرازى لا يملك شيئا من الدنيا، فبلغ به الفقر حتى كان لا يجد قوتا و

لا ملبسا، قال: و لقد كنا نأتيه و هو ساكن فى (القطيعة) فيقوم لنا نصف قامة، ليس يعتدل قائما من العرى كى لا يظهر منه شىء. و قال ابن سمعان: إنه سمع بعضهم يقول: دخل أبو إسحاق يوما مسجدا ليتغذى، فنسى دينارا ثم ذكر فرجع فوجده ففكر ثم قال: لعله وقع من غيرى فتركه، و هذا هو الورع ليكن المرء هكذا و إلا فلا يأمل من الجنة آمالا، و هذا هو خلاصة الناس، فإن كان صالح ترتجى بركاته فهذا، و إن كان سيد يؤمل فى الشدائد فحسبك هو ملاذا.

و كان يمشى بعض أصحاب أبى إسحاق معه فى طريق فعرض لهم كلب فقال الفقيه لذلك الكلب: اخسأ، و زجره فنهاه الشيخ و قال: لم طردته عن الطريق؟ أما علمت أن الطريق بينى و بينه مشترك.

شيوخه:

منهم أبو عبد الله البيضاوى و على بن رامين القاضى أبو الطيب الطبرى و لازمه واشتهر به و صار أعظم أصحابه و معيد درسه، و قرأ الأصول على أبى حاتم القزوينى و طائفة آخرين و سمع الحديث ببغداد من أبى بكر البرقانى و أبى على بن شاذان و غيرهم و ما برح يدأب و يجهد حتى صار أنظر أهل زمانه و فارس ميدانه و المقدم على أقرانه، و امتدت إليه الأعين، و انتشر صيته فى البلدان، و رحلوا إليه من كل مكان، و لقد كان اشتغاله أول طلبه أمرا عجابا و عملا دائما يقول من شاهده: عجبا لهذا القلب والكبد كيف ماذابا، يقال: إنه اشتهى ثريدا بماء الباقلاء قال فما صح لى أكله باشتغالى بالدرس، و قال: كنت أعيد كل قياس ألف مرة، فإذا فرغت منه أخذت قياسا آخر وهكذا، كنت أعيد كل درس ألف مرة، فإذا كان فى المسئلة بيت يستشهد به حفظت القصيدة، و كان غضنفرا فى المناظرة لا يصطلى له بنار، و قيل: إنه كان يحفظ مسائل الخلاف كما يحفظ أحدكم الفاتحة.



و رى عنه الخطيب البغدادى، و أبو عبد الله بن أبى نصر الحميدى، و أبو بكر بن الحاضنة، و أبو الحسن بن عبدالسلام و أبو القاسم بن السمر قندى، و أبو البدر بن الكرخى و غيرهم، و من تأليفة (التنبيه) و (المهذب) فى الفقه و (النكت) فى الخلاف و (اللمع) و شرحه، و (التبصرة) فى أصول الفقه، و (الملخص) و (المعونة) فى الجدل و (طبقات الفقهاء) و (نصح أهل العلم) و غير ذلك.

و قال أبو بكر محمد بن أحمد بن الحاضنة: سمعت الشيخ أبا إسحق يقول: لو عرض هذا الكتاب الذى صنفته و هو (المهذب) على النبى ﷺ لقال: هذا شريعتى التى أمرت بها أمتى.

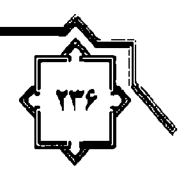
و عن الحسن الطبرى الإمام قال: سمعت صوتا من الكعبة أو من جوف الكعبة: من أراد أن يتنبه فى الدين فعليه بالتنبيه. و كانت الطلبة ترحل من الغرب و الشرق إليه، و الفتاوى تحمل من البر و البحر إلى بين يديه، و الفقه تتلاطم أمواج بحاره و لا يستقر إلا لديه، حتى ذكروا أنه كان يجرى مجرى ابن سريج فى تأصيل الفقه و تفريعه، و يحاكيه فى انتشار الطلبة فى الربع العامر جميعا، قال حيدر بن محمود بن حيدر الشيرازى: سمعت الشيخ أبا إسحاق يقول: خرجت إلى خراسان فما بلغت قرية أو بلدة إلا و كان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها تلميذى أو من أصحابى. له أدب أعذب من الزلال، فمنه:

سألت الناس عن خل وفىّ فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بود حر فإنا الحر فى الدنيا قليل

و يروى بذيل حر بدل بودّ حر.

و منه:

لبست ثوب الرجى والناس قد رقدوا و قمت أشكو إلى مولاى ما أجد
و قلت يا عدتى فى كل نائبة و من عليه لكشف الضر أعتمد



أشكو إليك أمورا أنت تعلمها ما لى على حملها صبر و لا جلد
و قد مددت يدى بالذل مبتهلا إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة فبحر جودك يروى كل من يرد

و قال علىّ بن أحمد الحسين الإصطخرى الفقيه: أنشدنا الامام أبو إسحاق الشيرازى ببغداد و لم يسم قائلا:

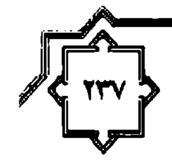
صبرت على بعض الأذى خوف كله وألزمت نفسى صبرها فاستقرت
و جرعتها المكروه حتى تدربت و لوحُمِلَتْهُ جملة لاشمأزت
فيا رب عز جر للنفس ذلة و يا رب نفس بالتذلل عزت
و ما العز إلا خيفة الله وحده و من خاف منه خافه ما أقلت
و أهجر أبواب الملوك فإننى أرى الحرص جلابا لكل مذلة
إذا ما مددت الكف ألتمس الغنى إلى غير من قال اسألوني فشلّت

و كان الشيخ أبو إسحاق يقول: من قرأ علىّ مسئلة فهو ولدى، و يقول: العوام ينسبون بالأولاد و الأغنياء بالأموال، و العلماء بالعلم، و كان يقول: العلم الذى لا ينتفع به صاحبه أن يكون الرجل عالما و لا يكون عاملا، و ينشد لنفسه:

علمت ما حلل المولى و حرمه فاعلم بعلمك إن العلم بالعمل

و كان يقول: الجاهل بالعالم يقتدى، فإذا العالم لا يعمل بعلمه فالجاهل ما يرجو من نفسه، فالله الله يا أولادى نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا. و كان الشيخ إذا أخطأ بين يديه المباحث قال: أىّ سكتة فاتتك، و ربما تكلم فى مسئلة فسئل سؤالا غير متوجه، فيقول:

سارت مشرقة و سرت مغربا شتان بين مشرق و مغرب



أقوال العلماء فيه:

قال فيه الامام أبوبكر محمد بن على بن حامد الشاشى: أبو إسحق الشيرازى حجة الله على أئمة العصر، و قال فيه الامام أبو الحسن الماوردى صاحب (الحاوى) و قد اجتمع به و سمع كلامه فى مسئلة: ما رأيت كأبى إسحاق، لو رآه الشافعى لتجمل به. و قال الموفق الحنفى إمام أصحاب الرأى: أبو إسحاق إمام المؤمنين فى الفقهاء.

المنامات

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن نصر: رأيت فى العشر الأوسط من المحرم سنة ٤٦٨ ليلة الجمعة الشيخ أبا إسحاق طول الله عمره فى منامى يطير مع أصحابه في السماء الثالثة أو الرابعة فتحيرت في نفسي، وقلت: هذا هو الشيخ الإمام مع أصحابه يطير و أنا معهم استعظاما لتلك الحالة و الرؤية، فكنت فى هذه الفكرة إذ تلقى الشيخ الإمام ملك و سلم عليه عن الله تبارك و تعالى و قال له: إن الله تبارك و تعالى يقرأ عليك السلام و يقول: ماذا تدرس لأصحابك؟ فقال الشيخ: أدرس ما نقل عن صاحب الشرع، و قال له الملك: اقرأ علىّ شيئا من ذلك لأسمعه، فقرأ عليه الشيخ مسئلة لا إذكرها، فاستمع له الملك و انصرف، و أخذ الشيخ يطير و أصحابه معه فرجع الملك بعد ساعة و قال للشيخ: إن الله تعالى يقول: الحق ما أنت عليه و أصحابك فادخل الجنة معهم. و حكي أن الشيخ أبا إسحاق قال: كنت نائما فرأيت النبى ﷺ فى المنام و معه صاحباه أبو بكر و عمر و قال لى: يا شيخ و سمانى شيخا و خاطبنى به، و كان الشيخ يفرح بهذا و يقول: سمانى رسول الله ﷺ شيخا انتهى باختصار و قال ابن السبكى: و مثل هذه الحكاية حكاية شيخه القاضى أبى الطيب فى رؤياه

النبی ﷺ فی المنام و تسمیته إیاه فقیها، و کان القاضی أیضا یفتخر بذلك. و قال ابن کثیر فی (طبقات الفقهاء الشافعیین) ج٢ ص٣٩: إن الشیخ أبی إسحاق قال: کنت نائما ببغداد و رأیت رسول الله ﷺ و معه أبوبکر و عمر فقلت: یا رسول الله بلغنی عنك أحادیث کثیرة عن ناقلی الأخبار فأرید أن أسمع منك خبرا أشرف به فی الدنیا و أجعله ذخرة للآخرة، فقال: یا شیخ و سمانی شیخا و خاطبنی به و کان یفرح بهذا ثم قال: قل عنی: من أراد السلامة فلیطلبها فی سلامة غیره قال ابن کثیر: و هذا المنام علیه لوائح الصدق فإن الفقهاء لهجوا بتسمیته بالشیخ أبی إسحاق، و لِمَا رواه فی المنام شاهد فی الصحیح و هو قوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه و یده**» أی من أراد أن یسلم فلیسلم الناس منه فإن الجزاء من جنس العمل اهـ.

ولد الشیخ أبو إسحاق سنة ٣٩٣ و توفی سنة ٤٧٦ اهـ. ملخصا من (طبقات الشافعیة الکبری). و قال عز الدین ابن الأثیر فی (اللباب فی تهذیب الأنساب): أبو اسحاق إبراهیم ابن علی الفیروز اباذی الشیرازی إمام الدنیا مطلقا.

و قال ابن العماد الحنبلی فی (شذرات الذهب) ج٣ ص٣٥٠: تراکب الناس علی الشیخ أبی إسحاق الشیرازی فی بلاد العجم حتی تمسحوا بأطراف ثیابه و تراب نعلیه اهـ...

و ترجم له الحافظ الذهبی فی (سیر أعلام النبلاء) ج١٨ ص٤٥٢ ـ ٥٦٠ فقال: هو الشیخ الإمام القدوة المجتهد شیخ الإسلام الشافعی، قیل: لقبه تاج الدین مولده فی سنة ٣٩٣هـ...

و ذکر الذهبی أنه تفقه علی أبی عبد الله البیضاوي و عبدالوهاب بن رامین بشیراز و قدم بغداد سنة ٤١٥، و لزم أبا الطیب و صار معیده، کان یضرب المثل

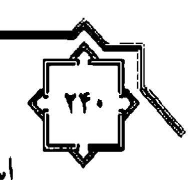


بفصاحته و قوة مناظرته. و سمع منعلى بن شاذان و أبى بكر البرقانى و محمد بن عبيدالله الخَرجُوشيّ.

و حدث عنه الخطيب و أبو الوليد الباجى و الحميدى و الزاهد يوسف بن أيوب و أبو نصر أحمد بن محمد الطوسى و أحمد نصر بن حمان الهَمَذانى خاتمة من روى عنه.

و كان الوزير ابن جهير كثيرا ما يقول: الإمام أبو إسحاق وحيد عصره و فريددهره و مستجاب الدعوة.

و قال محمد بن عبد الملك الهمذانى: ندب (المقتدى بالله) أبا اسحاق إلى المعسكر، فتوجه فى آخر سنة ٤٧٥، فكان يخرج إليه أهل البلد بنسائهم و أولادهم يمسحون أردانه و يأخذون تراب نعليه يستشفون به، و خرج الخبازون و نثروا الخبز، و هو ينهاهم و لا ينتهون، و خرج أصحاب الفاكهة و الحلواء نثروا على الأساكفة، و عملوا مداسات صغارا و نثروها و هى تقع على رؤوس الناس، و الشيخ يعجب و قال لنا: رأيتم النثار، ما وصل إليكم منه؟ فقالوا يا سيدى و أنت أى شيء كان حظك منه؟ قال: أنا غطيت نفسى بالمحفة. و مات أبو إسحاق سنة ٤٧٦هـ. و لم يخلف درهما و لا عليه درهم، و كذا فليكن الزهد، و ما تزوج فيها أعلم اهـ... و (المحفة) بكسر الميم هودج لا قبة له. و (الهمّ) بكسر الهاء الشيخ الكبير الفاني. وقله (الخرجين) الخرج بالضم و عاء من شعر أو جلد يوضع على ظهر الدابة لوضع الأمتعة فيه، و (ندب) فلانا الأمر ندبا دعاه و بعثه ووجّهه. و (الردن) كما فى (معجم الوسيط) الكمُّ جمعه أردان و (الأساكفة) في (القاموس) و شرحه الأسكُفَّة خشبة الباب التى يوطأ عليها و هى العَتَبَة.



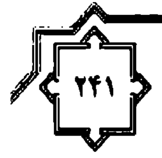
و قال النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات) ج٢ ص٤٥٦: ولد الشيخ أبو إسحاق الشيرازى سنة ٣٩٣هـ. توفى ببغداد سنة ٤٧٢هـ.، و كان إماما محققا متقنا مدققا ذا فنون من العلوم المتكاثرات و التصانيف النافعة زاهدا عابدا ورعا معرضا عن الدنيا مقبلا بقلبه على الآخرة باذلا نفسه فى نصر دين الله، مجانبا لهوى، أحدالعلماء الصالحين و عباد الله العارفين الجامعين بين العلم و العبادة المواظبين المتبعين هدى سيد المرسلين ﷺ اهـ..

و قد ذكرنا أن الذهبى و ابن السبكى قالا: إنه توفى سنة ٤٧٦، و ممن ذكر التبرك بثياب الشيخ أبى إسحاق الحافظ ابن كثير فى (طبقات الشافعيين) ج٢ ص٣٨.

قلت: فبهذا الإمام و أمثاله ينبغى التبرك بتراب نعالهم و جميع آثارهم رضي الله عنهم و عنابهم.

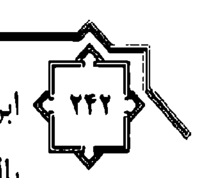
تنبيه:

و من الثياب التى يتبرك بها خرقة الصوفية و هى فى اصطلاحهم كما فى آخر كتاب (المشرع الروى) اسم لكل ما يلبس من الثياب المباحة، كالقلنسوة و العمامة و القميص و القباء والرداء و الطيلسان و الإزار رفيعها و كثيفها و متينها و لطيفها و أحسنها و أخشنها، و كيفية إلباسها أن يتطهر الشيخ و يأمر المريد بالتطهر من الحدث و الخبث ليتهيأ لقبول ما يلقيه عليه، ثم توضع الخرقة بين يديها و يقرأ الفاتحة، و يلبسها الشيخ بيده للمريد، ثم يذكر نسبتها، كأن يقول: البسكها كما ألبسنى إياها شيخى فلان إلى آخرها. و هى أنواع كما قاله بعضهم و هى خرقة تشبه و خرقة تبرك، و خرقة إرادة، فخرقة التشبه و التبرك لا بأس بها لكل أحد كالسلاطين و الأمراء و التجار، و أما خرقة الإرادة فلا يتعاطاها إلا من له إرادة صادقة و همة عالية، فالخرقة و إن كانت هى لباس الفقر و التصوف



فالفقراء و الصوفية لا يختصمون بلباسها، فمن لبسها بالتشبه و التعلق فهو لاحق، و من تشبه بقوم فهو منهم و معهم و من أحب قوما فهو منهم و معهم و إذا لبس مريد من شيخ لبسا مطلقا ساغ له أن يلبس غيره و إن لم يإذن له شيخه فى الإلباس، و إن اختار بعضهم تعيين الإذن فى الإلباس، و كذا إذا لبس من شيخ له طرق متعددة فله أن يلبس عنه بكل طرقه، و إن لم يقترن إلباسه بالإذن نظير ما قاله أئمة الحديث: إن الطالب إذا سمع حديثا أو كتابا من شيخه له أن يرويه عنه و إن لم يأذن له شيخه فى الرواية عنه، و لم يبلغنا عن أهل العهد الأول من المتقدمين من مشايخ الصوفية فى إلباس الخرقة الإذن و لا الإجازة، و إنما كان ذكر اللبس فقط و قد فعل لبسها كثيرون علماء عارفون انتهى ما فى المشرع ملخصا.

قلت: و اختلفوا فى أصل ثبوتها فذكر بعضهم أن الحسن البصرى لبسها من على بن أبى طالب، و قال آخرون بعدم ثبوت رؤية الحسن البصرى لعلى بن أبى طالب، و قال الحافظ القسطلانى فى (المواهب اللدنية): قال شيخنا يعنى السخاوى: ما يذكرونه من أن الحسن البصرى لبسها من على بن أبى طالب فقال ابن دحية و ابن الصلاح إنه باطل و قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: ليس فى شيء من طرقها ما يثبت، و لم يرد فى خبر صحيح و لا حسن و لا ضعيف أنه ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه و لا أمر أحدا من أصحابه بفعلها و كل ما يروى صريحا فى ذلك فباطل، قال الحافظ: ثم إن من الكذب المفترى قول من قال: إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصرى فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من على سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة، و كذا قال الدمياطى والذهبى و العلائى و مغلطاى و العراقى و الأبناسى بفتح الهمزة و سكون الباء و الحلبى و غيرهم كالهكارى و



ابن الملقن و ابن ناصر الدين مع كون جماعة منهم لبسوها و ألبسوها تشبها بالقوم، نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كهيل بضم الكاف و فتح الهاء ابن زياد و هو صحب عليا بن أبى طالب من غير خلف فى صحبته له بين أئمة الجرح و التعديل. و فى بعض الطرق اتصالها بأويس القرنى و هو اجتمع بعمر بن الخطاب و على بن أبى طالب، و هذه صحبة لا مطعن فيها، و كثير من السادة يكتفى بمجرد الصحبة كالشاذلى و شيخنا أبى إسحاق المتبولى، و كان يوسف العجمى يجمع بين تلقين الذكر و أخذ العهود و اللبس، و له فى ذلك رسالته (ريحان القلوب) قرأتها على ولد ولده العارف بالله تعالى المسلك سيدى علي مع إلباسه لى الخرقة و التلقين و العهد انتهى ما نقلته من (المواهب) بزيادات من شرحه للزقانى.

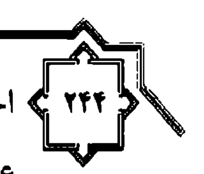
قلت: و قوله كهيل بن زياد: كذا فى (المواهب اللدنية) و شرحه للزرقانى لكنى لم أر بعد البحث من روى عن على بن أبى طالب و اسمه كهيل بن زياد فلعل الصواب ـ كميل بن زياد ـ الآتى قريبا فى (مرآة الجنان) و (سير أعلام النبلاء) و غيرهما و الله أعلم.

و ممن ألف فى الخرقة الحافظ السيوطى، فله جزء سماه: (إتحاف الفرقة برفو الخرقة) فمما قال فيه: أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصرى من على بن أبى طالب، و تمسك بهذا بعض المتأخرين فخدش به طريق لبس الخرقة، و أثبته جماعة، و هو الراجح عندى لوجوه، و قد رجحه أيضا الحافظ ضياء الدين المقدسى فى (المختارة)، فإنه قال: الحسن بن أبى الحسن البصرى عن على، و قيل: لم يسمع منه، و تبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر فى (أطراف المختارة) ثم ذكر السيوطى لترجيح ما قاله أوجها ثلاثة: الوجه الأول أن العلماء ذكروا فى الأصول فى وجوه الترجيح أن المثبت مقدم على النافى لأن معه زيادة



علم، و ذكر الوجهين الآخرين، ثم ذكر أحاديث كثيرة تبلغ عشرة يرويها الحسن البصرى عن على عليه السلام و أناالحافظ زين الدين العراقى قال: قال على بن المدينى: رأى الحسن عليا بالمدينة و هو غلام، و قال أبو زرعة: كان الحسن البصرى يوم بويع لعلى ابن أربع عشرة سنة و رأى عليا بالمدينة، ثم خرج إلى الكوفة و البصرة و لم يلقه الحسن بعد ذلك، و قال الحسن: رأيت الزبير يبايع عليا اهـ..

و ذكر اليافعى فى (مرآة الجنان) ج٤ ص٤١ فى ترجمة نجم الدين الكبرى المتوفى سنة ٦١٨ طريقين أحدهما يتصل إلى كميل بنزياد عن على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله، و ثانيهما عن الحسن البصرى عن على بن أبى طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله، و ذكر الحافظ الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٢٣ ص٣٦٣: أن الإمام سيف الدين أبا المعالى سعيد بن المطهر بن سعيد بن على الباخرزى نزيل بخارى كان إماما محدثا ورعا زاهدا تقيا منقطع القرين، قال: و ذكره ابن الفوطى فى (معجم الألقاب) فقال فيه: روى عن أبى الجناب الخيوقى و لبس منه ـ أى خرقة الصوفية ـ و شيخه لبس من إسماعيل القصرى، عن محمد بن ناكيل، عن داود بن محمد عن أبى العباس بن إدريس عن أبى القاسم بن رمضان، عن أبى يعقوب الطبرى عن أبى عبد الله بن عثمان عن أبى يعقوب النهرجورى، عن أبى يعقوب السوسى عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن قال: هو لبسها من يد كميل بن زياد عن على عليه السلام ثم قال الذهبى: هذه الطرق ظلمات مدهمة ما أشبهها بالوضع اهـ.. و هذا الطريق الذى ذكره الذهبى هو أحد الطريقين اللذين ذكرهما اليافعى مع اختلاف يسير بينهما. و قال الذهبى كان الباخرزى صحب الشيخ نجم الدين الكبرى الخيوقى و غيره و كانت طريقته عارية عن التكلف، و كان فى علمه و فضله كالبحر الزاخر، و فى



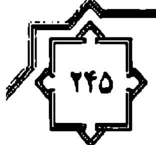
الحقيقة مفخر الأوائل و الأواخر، و زار بخرتنك قبر البخاری و جدد قبته و علق عليها القناديل، و أهدت له ملكة بن أزبك بن البهلوان صاحب أذربيجان سن النبی ﷺ الذی كسر يوم أحد، و أوصى أن يكفن فی خرقة شيخه نجم الذين الكبری اهـ... توفی ﷺ سنة ٦٥٩هـ. كما فی (الشذرات). و فی (اللباب فی تهذيب الأنساب) ج١ ص١٠٤: الباخرزی بفتح الباء الموحدة و فتح الخاء المعجمة و سكون الراء و فی آخره زای هذه النسبة إلى باخرز و هی ناحية من نواحی نيسابور، و فی (معجم البلدان) قوله الخيوقی: بفتح أوله و قد يكسر و سكون ثانيه و فتح الواو و آخره قاف بلد من نواحی خوارزم.

قلت: و فی (تهذيب التهذيب) للحافظ العسقلانی ج٨ ص٤٤٧: أن كميل بن زياد بن نهيك بن الهيثم كان تابعيا، روى عن عمر و علی و عثمان و غيرهم، قال فيه ابن سعد و ابن معين و ابن حبان و العجلی: ثقة و قال ابن حبان (فی الضعفاء) لا يحتج به، و قال ابن عمار: رافضی و هو ثقة من أصحاب علی، قتله الحجاج سنة ٨٢ اهـ.

وقال الحافظ العسقلاني أيضاً في (تقريب التهذيب): كميل بن زياد النخعي ثقة رمي بالتشيع، روى له النسائي، مات سنة ٨٢ أهـ.

الخلاصة

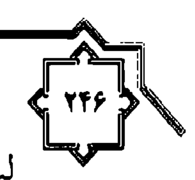
لقد تقرر اختلاف العلماء رحمهم الله تعالى فی أن حديث إلباس خرقة الصوفية مقطوع ينتهی الى الحسن البصری التابعی الجليل أو هو مرفوع إلى رسول الله ﷺ و ذكرنا أن سندها الأخر إلى كميل بن زياد عن علي لم يختلف فيه أئمة الجرح و التعديل، و كذلك ما فی بعض الطرق من اتصالها بأويس القرنی و أنه لا شك فی اجتماعه بعمر بن الخطاب و علی بن أبی طالب ﷺ.



فثبت بمجموع ذلك أن للخرقة أصلا يتمسك به و يعمل بمثله. و قد ذكرنا فى مبحث التبرك بثيابه ﷺ أن الصوفية استدلوا لإلباس الخرقة بحديث أنه ﷺ ألبس أم خالد خميصة سوداء، و الحديث رواه البخارى، و الخميصة ثوب من حرير أو كساء رقيق أو ثوب معلم، و استنبطوا من حديث إعطائه ﷺ إزاره لرجل من أصحابه بعد طلبه منه جواز استدعاء المريد الخرقة من المشايخ، و الحديث رواه البخارى عن سهل، فلهذا كله استحسنتها الطائفة الصوفية قدس الله أسرارهم و غيرهم من الفقهاء و حفاظ السنة النبوية المطهرة فلبسوها من المشايخ تبركا و ألبسوها غيرهم. فمنهم سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعى، ففى (طبقات الشافعية الكبرى) لابن السبكى أن الشيخ عز الدين لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردى، و أخذ عنه، و مثله فى (حسن المحاضرة) ج١ ص٣١٥ و (طبقات المفسرين) للداودى. و منهم الإمام اليافعى عبد الله بن أسعد الشافعى المتوفى سنة ٧٦٨، فقد ذكر فى (مرآة الجنان) ج٤ ص٣٢٧ أنه لبسها من جماعة من المشايخ قال: و قد ذكرت طريق الخرقة و شروطها، و أنها خرقتان خرقة بركة و احترام، و خرقة تحكيم و التزام، فى كتاب (نشر الريحان فى فضل المتحابين فى الله من الإخوان).

و منهم الحافظ الذهبى فقد قال فى (سير أعلام النبلاء) ج٢٢ ص٣٧٧: ألبسنى خرق التصوف شيخنا المحدث الزاهد ضياء الدين عيسى بن يحيى الأنصارى بالقاهرة، و قال: ألبسنيها الشيخ شهاب الدين السهروردى بمكة عن عمه أبى النجيب اهـ.

و ذكر فى آخر كتابه (تذكرة الحفاظ) ص١٥٠٤ أن شيخه ضياء الدين عيسى بن يحيى بن أحمد مات سنة ٦٩٦هـ. عن ٨٣ سنة اهـ.



و منهم الحافظ السخاوى، فقد قال فى (المقاصد الحسنة) ص٣٣٥: حديث لبس الخرقة الصوفية و كون الحسن البصرى لبسها من على قال ابن دحية و ابن الصلاح: باطل، و كذا قال شيخنا: إنه ليس فى شىء من طرقها ما يثبت، و لم يرد فى خبر صحيح و لا حسن و لا ضعيف أن النبى ﷺ ألبس الخرقة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، و لا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك، و كل ما يروى فى ذلك صريحا فباطل، و لم ينفرد شيخنا بهذا بل سبقه إليه جماعة حتى من لبسها و ألبسها كالدمياطى و الذهبى و الهكارى و أبى حيان و العلائى و مغلطاى و العراقى و ابن الملقن و الأبناسى و البرهان الحلبى و ابن ناصر الدين، و أوضحت ذلك كله مع طرقها فى جزء مفرد هذا مع إلباسى إياها الجماعة من أعيان المتصوفة امتثالا لإلزامهم لى بذلك، حتى تجاه الكعبة المشرفة تبركا بذكر الصالحين و اقتفاء لمن أثبته من الحفاظ المعتمدين انتهى باختصار. و ذكر أيضا فى (الضوء اللامع) ج١٠ ص٣٤٥ أنه ألبس الخرقة لبعض العلماء و أذن له. و قد ذكرنا تلميذه الحافظ القسطلانى و الإمام نجم الدين الكبرى و تلميذه الباخرزى و منهم غير هؤلاء من العلماء الأكابر و الأتقياء الأفاضل.

ملاحظة:

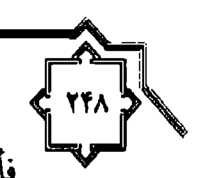
و كالخرقة فى اتصال المشايخ و مريديهم و ارتباط بعضهم بعضا التلقين و لهم فيه كيفيات مختلفة، منها ما ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلانى فى (الدرر الكامنة) ج١ ص١١٦ فى ترجمة أحمد ابن تركان شاه فقال فيه: و صورة تلقن الذكر عن الشيخ أنه يغمض عينيه و يجمع همته و يقول: لا إله إلا الله بانزعاج. و ذكر العسقلانى أن الشيخ أحمد بن تركان المتوفى سنة ٧٣٠ تلقن الذكر عن الشيخ عبد الله بن بدر بن على المراغى، و أخذ هو من الشرف الإسفراينى عن أبى نجيب السهرودى عن محمود الزنجانى عن أبى الفتوح الغزالى عن أبى



العباس النهاوندى عن ابن حبيب عن رويم عن الجنيد عن السرى عن معروف عن داود الطائى عن حبيب العجمى عن الحسن البصرى عن على. قال قطب الذين الحلبى فى (تاريخ مصر) الله أعلم بصحة اتصال هذا الإسناد فقد اشتمل على جملة من المشايخ الصلحاء، انتهى ما نقلته من (الدرر الكامنة).

التبرك بالأكل مع الصالحين

لقد ذكرنا التبرك بما يفضله ﷺ من الطعام و سيأتى قريبا إن شاء الله التبرك بسؤر الصالحين، فالظاهر أن الأكل معهم كذلك بل قد يزيد عنه، لأن فى الأكل معهم بركة رؤيتهم و النظر إليهم و بركة مجالستهم و محادثتهم، و استماع حكمهم و الاقتداء بهم فى أحوالهم و أوصافهم و أخلاقهم فإن المخالطة و المؤانسة تتأثر بها القلوب و الطباع. و قال ابن كثير فى تفسيره فى أواخر سورة التحريم: يروى عن بعض الصالحين أنه رأى النبى ﷺ فى المنام فقال: يا رسول الله أنت قلت: من أكل مع مغفور غفر له؟ فقال: لا، و لكنى الآن أقوله. و قال ابن كثير ما حاصله: نقل كثير من الناس أن هذا حديث وارد عن رسول الله صلى عليه و سلم و ليس كذلك و لا أصل له اهـ.. قلت: و رؤياه ﷺ حق لقوله عليه الصلاة و السلام من رآنى فى المنام فقد رآنى فيستأنس هذه الرؤيا للتبرك بالأكل مع الصالحين. و قال الإمام النووى رحمه الله فى (شرح صحيح مسلم) ج١ ص١١٥: من رأى النبى ﷺ في المنام و هو يأمره بفعل ما هو مندوب إليه أو ينهاه عن منهى عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف فى استحباب العمل على وفقه، لأن ذلك ليس حكما بمجرد المنام، بل بما تقرر من أصل ذلك الشىء و الله أعلم اهـ.



و قد رآه ﷺ في المنام كثير من العلماء العاملين و الأولياء الكاملين، فأمرهم ﷺ بأوامر نهاهم عن أشياء فامتثلوا بما أمرهم و عملوا به و اجتنبوا عما نهاهم عنه، و سأله ﷺ في المنام بعض العلماء مسائل و أحاديث نبوية و أمورا غيبية فأخبرهم بها فكانت كلها كما أخبر بها النبي ﷺ. و قد ذكرنا رؤيا بلال بن الحرث المزني. و فيهاأنه ﷺ أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الرفق فبكى، و قال: يا رب لا آلوا إلا ما عجزت عنه. و مثل هذا كثير جدا بل هو متواتر، فقد أخذ عنه ﷺ كثير من الصالحين أورادا و أحزابا و صيغا من الصلاة عليه ﷺ، و أعطى بعضهم في المنام إجازة للقرآءات السبعة، و الصلاة عليه ﷺ، و قد لقيت أنا من أخذ عنه ﷺ في المنام إجازة لقراءة (دلائل الخيرات) و أخذت عنه، و مع هذا كله لا يثبت بالرؤيا حكم شرعي، و لا يغير سببها ما تقرر في الشرع، و علل ذلك النووي فقال: إن حالة النوم ليست حالة ضبط و تحقيق لما يسمعه الرائي، و قد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته و شهادته أن يكون متيقظا لا مغفلا و لا سيء الحفظ و لا كثير الخطأ و لا مختل الضبط، و النائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه اهـ... و قال القاضي عياض: لا تبطل بسبب المنام سنة ثبتت، و لا تثبت به سنة و هذا بإجماع العلماء اهـ...

باب التبرك بسؤر الصالحين

و قد ذكرنا في باب التبرك بما يفضله ﷺ حديث مسلم عن أبي أيوب رضي اله عنه أن أبا أيوب كان يسأل عن مواضع أصابعه ﷺ فيتتبع مواضعها، و أن النووي قال: في هذا الحديث التبرك بآثار أهل الخير في الطعام. و في (المدخل) ج١ ص٢٢٩: لابن الحاج ما لفظه: و قد روى أن الحسن البصري و فرقدا حضرا على طعام فكان فرقد يلتقط اللباب من الأرض و يأكله، و لا



يأكل من الصحفة شيئا، و كان الحسن ينظر إلى أطيب الطعام فيأكله، فلما أن خرجا جاء إنسان من الحاضرين إلى فرقد فسأله عن سبب ما رأى منه؟ فقال له: أغتنم بركة سؤر الإخوان، و لأكرم نعمة الله تعالى، لأني إن لم ألتقط ذلك قد يقع على الأرض فتدوسه الأقدام، ثم راح إلى الحسن فسأله كما سأل فرقدا، فقال له الحسن ﷺ: إني ما أجبته حين دعاني إلا لأدخل السرور عليه، و كيفما بالغت في الأكل و تناولت أطايب الطعام الذى انتخبه ففيه إدخال السرور عليه أكثر انتهى بلفظه.

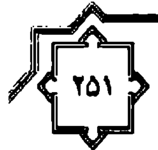
و في (المنتقى النفيس) للشيخ صالح بن محمد بن صالح الجعفري ص٥٠: أنه أتيَ للسيد أحمد ابن إدريس برطب فأكل منها و بقي من سؤره رطبات، فتنافس فيها المريدون و تزايدوا في ثمنها فبلغ نحوا من ألف ريال، فذهب الذى وقعت عليه يبيع كتبه ليوفي ثمنها، فكان هناك ما شاء الله و قد اشتهر في الألسنة أن سؤر المؤمن شفاء. و في (كشف الخفا) للعجلوني ج١ ص٥٢٦: و ما يدور على الألسنة من قولهم: سؤر المؤمن شفاء فيصدق به ما رواه الدارقطني في الأفراد عن ابن عباس ـ رفعه ـ من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه.

و في (المدخل) أيضا ج١ ص٢٣١: ينبغي للأضياف أن يتركو فضلة من الطعام و إن قل امتثالا للسنة، و قد تكون لأهل البيت نية صالحة في بقية سؤره اهـ...

و قد ذكرنا أن الإمام النووي قال في (شرح مسلم): يستحب للآكل و الشارب أن يفضل مما يأكل و يشرب فضلة ليواسي بها من بعده، لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضله، و كذا إذا كان في الطعام قلة و لهم إليه حاجة، و نقلوا أن السلف كانو يستحبون إفضال هذه الفضلة المذكورة اهـ.

التبرك بلعق أيدي الصالحين

روى الشيخان عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح يده حتى يلقعها أو يلعقها، و فى رواية لمسلم: و لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها و يلعقها و فى رواية أخرى لسملم أيضا عن أبى هريرة إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه، فإنه لا يدرى فى أيتهن البركة و روى مسلم أيضا عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاثة قال: و قال: إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى و ليأكلها و لا يدعها للشيطان، و أمرنا أن نسلت القصعة قال: فإنكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة و فى رواية لمسلم عن جابر أنه ﷺ أمر بلعق الأصابع و الصحفة و قال: إنكم لا تدرون فى أيه البركة. قوله و أمرنا أن نسلت القصعة هو بفتح النون و ضم اللام و معناه نمسحها ونتتبع ما بقى فيها من الطعام، و منه سلت الدم عنها. و قال النووى فى (شرح مسلم) ج١٣ ص٢٠٦ قوله ﷺ يلعقها أو يلعقها معناه و الله أعلم لا يمسح يده حتى يلعقها، فإن لم يفعل فحتى يلعقها غيره ممن لا يتقذر ذلك كزوجة و جارية و ولد و خادم يحبونه و يلتذون بذلك و لا يتقذرون و كذا من كان فى معناهم كتلميذ يعتقد بركته و يود التبرك بلعقها و قوله صلى الله عليه و سلم إنكم لا تدرون فى أيه البركة: معناه و الله اعلم أن الطعام الذى يحضر الإنسان فيه بركة و لا يدرى أن تلك البركة فيما أكله أو فيما بقى على أصابعه أو فيما بقى فى أسفل القصعة أو فى اللقمة الساقطة، فينبغى أن يحافظ على هذا كله لتحصيل البركة و أصل البركة الزيادة و ثبوت الخير و الإمتاع به و المراد هنا ـ و الله أعلم ـ ما يحصل به التغذية، و تسلم عاقبته من الأذى و يقوى على طاعة الله و غير ذلك.



و قال الحافظ فى (فتح البارى) ج٩ ص٥٧٨: ففى الحديث رد على من كره لعق الأصابع استقذارا، نعم يحصل ذلك لو فعله فى أثناء الأكل لأنه يعيدأصابعه فى الطعام و عليها أثر ريقه، قال الخطابى: عاب قوم أفسد عقلهم الترفه، فزعموا أن لعق الأصابع مستقبح، كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذى علق بالأصابع أو القصعة جزء من أجزاء ما أكلوه و إذا لم يكن سائر أجزائه مستقذرا لم يكن الجزء اليسير مستقذرا و ليس فى ذلك أكبر من مصه أصابعه بباطن شفتيه و لا يشك عاقل فى أن لا بأس بذلك فقد يمضمض الإنسان فيدخل إصبعه فى فيه فيدلك أسنانه و باطن فمه، ثم لم يقل أحد إن ذلك قذارة أو سوء أدب.

فائدة:

قال الحافظ فى (الفتح) أيضا ج٩ ص٥٧٩: وقع فى حديث كعب بن عجرة عند الطبرانى فى (الأوسط) صفة لعق الأصابع، و لفظه: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث بالإبهام و التى تليها و الوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الإبهام. قال شيخنا فى شرح الترمذى: كأن السرّ فيه أن الوسطى أكثر تلويثا لأنها أطول، فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها، و لأنها لطولها أول ما تنزل فى الطعام، و يحتمل أن الذى يلعق يكون بطن كفه الى جهة وجهه، فإذا ابتدأ بالوسطى انتقل الى السبابة على جهة يمينه و كذلك الإبهام و الله أعلم اهـ...

التبرك بغسالة أيدي الصالحين

و فى (المدخل) لابن الحاج فى مبحث أداب الأكل ج١ ص٢٣١: و ينبغى أن يكون صاحب المنزل آخرهم غسل يد، و أن يكون هو الذى يصب عليهم للغسل، و ينبغى أيضا أن لا يبصق أحد فى الماء و لا يغسل بالأشنان و لا

بالتراب، خيفة أن يكون في الجماعة من يريد أن يشرب هذا الماء إذ أنَ شربه شفاء و ما زال السلف في ذلك لأن الغسل بالأشنان و التراب يحرم بركة ذلك له و لغيره إلا أن يشربه على تلك الحالة فيدخل في جوفه التراب و الأشنان و البصاق،و هذا فيه ما فيه، و قد نقل عن كثير من هذه الطائفة أنهم كانوا يستشفون بهذا الماء و يتشاحون عليه و يتنافسون فيه، حتى إنهم يقيمون النداء عليه و يبيعونه بالثمن الكثير، حتى يحصل لهم بركة ذلك اغتناما منهم للبركة، ألا ترى إلى ما وقع في قصة هرقل لما أن سأل عن أصحاب النبي ﷺ كيف حالهم في تصرفهم معه، فأخبر أنهم يتبركون بالماء الذي يتوضأ به و ببصاقه و ما شاكلهما، فاستدل بذلك على صحة نبوته عليه الصلاة و السلام، و كذلك المتبعون له باحسان الى يوم الدين هذه البركة حاصلة لهم و ان كانت ليست مثلها لكن ببركة الاتباع له ﷺ و المحافظة على ذلك ورثوا منها أوفرنصيب. و قد وقع عندنا بمدينة فاس أن القاضي الأعظم بها و كان يعرف بابن المغيلي، و كان من الفقهاء و الصلحاء الكبار مرض مرضا شديدا الى أن أشرف منه على الموت، و كان بالبلد طبيب حاذق في وقته عارف بالطب، فأيس منه و قال لهم: اتركوه يأكل كل ماشاء و اختار فانه لا بقاء له على مقتضى ما أستدل به من الصنعة، فأرسلت زوجة القاضي الى الشيخ الجليل أبي عثمان الوركالي فأخبرته بماجرى من الطبيب، فأخذ الشيخ الماء و توضأ في إناء ثم أرسل بماء وضوئه إلى زوجة القاضي و قال لها: أسقيه هذا الماء فسقته ذلك ثم بقي ساعة، ثم قام يريد قضاء حاجة الإنسان فأتي له باناء فقضى حاجته فيه فوجدت فيه كبة عظمية سوداء فتعجب كل من رآها فأرسلت زوجة القاضي إلى الطيب الذي ما شك أنه يموت كما تقدم فأرته ما خرج منه فتعجب من ذلك عجبا شديدا، و قال: هذا أمر إلهيّ و لا يقدر عليهذا إلا الله تعالى، فأما البشر فلا يقدر أن يخرج هذا من فؤاده و هذا هو الذي لو بقي معه لقتله، و أما الآن فلا خوف عليه.



فانظر رحمك الله إلى هذه البركة كيف هي باقية في المتبع له ﷺ، و هذه العصابة فيهم من أظهره الله فهو معروف، و منهم من أخفاه فلا يعرف فيغتنم بركة الجميع اهـ..

فائدة:

قال الشيخ يوسف بن إبراهيم الأردبيلي في آداب الطعام من كتابه (الأنوار) ج٢ ص١٤٥: يستحب أن يبدأ بغسل يد الصبيان ثم الشبان ثم الشيوخ قبل الأكل و بالعكس بعده اهـ. و في حاشيته المسماة بـ. (الكمثرى) أن سبب ذلك قلة صبر الصبيان على عدم الأكل و شرف الشيوخ اهـ... و في (الدرر الكامنة) ج٤ ص٤٨٤ أن الأردبيلي كان شيخ المشرق في عصره، كبير القدر غزير العلم. توفي سنة ٧٩٩ و قيل ٧٦٦هـ.. و قال ياقوت في (معجم البلدان): أردبيل بفتح ثم سكون و فتح الدال و كسر الباء.

باب التبرك بمجالسة الصالحين

روى الإمام مسلم عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**إنما مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كحامل المسك و نافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، و إما أن تبتاع منه، و إما أن تجد منه ريحا طيبة، و نافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، و إما أن تجد ريحا خبيثة**». قال النووي في شرح مسلم ج١٦ ص١٧٨: في هذا الحديث فضيلة مجالسة الصالحين و أهل الخير و المروءة و مكارم الأخلاق و الورع و العلم و الأدب، و فيه النهي عن مجالسة أهل البدع و أهل الشر، و من تكثر بطالته و نحو ذلك من الأنواع المذمومة اهـ...

و روى مسلم و البخار و اللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا**

قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال: فيسألهم ربهم عز و جل و هو أعلم منهم ما يقول عبادى؟ قال: تقول: يسبحونك و يكبرونك و يحمدونك و يمجدونك، قال: فيقول: هل رأونى؟ قال: فيقولون: لا و الله مارأوك، قال: فيقول: كيف لو رأونى؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة و أشد لك تمجيدا و أكثر لك تسبيحا، قال: يقول: فما يسألونى؟ قال: يسألونك الجنة قال: يقول: و هل رأوها؟ قال: يقولون: لا و الله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا و أشد لها طلبا و أعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار قال: يقول: و هل رأوها؟ قال: فيقولون: لا و الله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا و أشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم» اهـ. و فى رواية: لا يشقى بهم جليسهم، و فى رواية للترمذى: لا يشقى لهم جليس.

قال الإمام النووى فى (شرح مسلم) ج١٧ ص١٥ و فى هذا الحديث فضيلة الذكر و فضيلة مجالسه، و الجلوس مع أهله و إن لم يشاركهم، و فضل مجالسة الصالحين و بركتهم اهـ و قال الحافظ العسقلانى فى (فتح البارى شرح صحيح البخارى) ج١١ ص٢١٣: و فى هذا الحديث فضل مجالس الذكر و الذاكرين، و فضل الاجتماع على ذلك و أن جليسهم يندرج معهم فى جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم إكراما لهم و لو لم يشاركهم فى أصل الذكر اهـ..

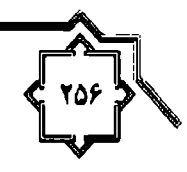
و فى (مجمع الزوائد) ج١ ص١٢٥: عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: إن لقمان قال لابنه: يا بنى عليك بمجالسة العلماء و اسمع كلام



الحكماء فإن الله يحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر. رواه الطبرانى فى (الكبير) و فى سنده ضعيفان،و عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: المتقون سادة و الفقهاء قادة، و مجالستهم زيادة. قلت: ذكرهذا فى حديث طويل رواه الطبرانى فى (الكبير) و رجاله موثوقون اهـ..

و فى (طبقات الشافعية الكبرى) ج٢ ص٢٨: لابن السبكى ما لفظه: عن أبى العباس بن سريج أنه تكلم يوما فأعجب بعض الحاضرين، فقال ابن سريج: هذا ببركة مجالستى لأبى القاسم الجنيد ﷺ. و مثل هذا ذكره ابن قاضى شهبة فى (طبقات الشافعية) ج١ ص٧٧. و قال ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) ج١ ص٣٧٣: كان ابن سريج إذا تكلم فى الأصول و الفروع أعجب الحاضرين، فيقول لهم: أتدرون من أين هذا لى؟ هذا من بركة مجالستى أبا القاسم الجنيد اهـ..

قلت: أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج هو الإمام الشهير و الشيخ الكبير، ذو المفاخر العلية و الصفات السنية، توفى فى سنة ٣٠٦ و عمره ٥٥ سنة، و كان يقال له: الباز الأشهب، و كان مجدد المائة الثالثة على ما اختاره كثيرون، منهم الحافظ الذهبى فى (تذكرته) و غيره، و بلغت تصانيفه أربعمائة مصنف، و هو صاحب مسألة الدور فى الحلف بالطلاق المشهورة بالسريجية. قال الذهبى فى (تذكرته): كان إماما علامة شيخ الإسلام، و منه انتشر مذهب الشافعى، و نقل التاج عبد الوهاب السبكى فى (طبقات الشافعية الكبرى) عن أبى حفصة المطوعى أنه كان سيد طبقته بإطباق الفقهاء، و أجمعهم للمحاسن بإجماع العلماء، و هو الإمام المطلق و الشافعى الصغير اهـ.. فانظر هذا الإمام الذى يقول: إنه بلغ ما بلغ ببركة مجالسته للجنيد ﷺ، فينبغى حينئذ الاعتناء و الاهتمام بمجالسته عباد الله الصالحين نفعنا الله ببركاتهم.



فائدة:

روى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها. فقال الإمام أحمد بن حنبل: كانعمر بن عبد العزيز مجدد المائة الأولى و الشافعى مجدد المائة الثانية. واختلف العلماء فى الثالثة فقال بعضهم: هو ابن سريج و قال آخرون: هو الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى، و رجح هذا الحافظ ابن عساكر فى (تبيين كذب المفترى) و مجدد المائة الرابعة قيل: هو أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكى، و قيل: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى، و قيل: هو أبو حامد الإسفراينى، و مجدد المائة الخامسة الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالى، و مبعوث المائة السادسة الإمام فخر الدين الرازى و يحتمل أن يكون الإمام الرافعى، و المائة السابعة ابن دقيق العيد، و ذكر السيوطى فى (المنهاج السوى) ص١٠١ ـ ١٠٣ أنه الإمام النووى. و المبعوث فى المائة الثامنة شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى أو الشيخ جمال الدين الأسنوى.قال المناوى فى (فيض القدير) ج١ ص١١ و عبد الوهاب عبد اللطيف فى (مقدمة تدريب الراوى) ص١٧: صرح الحافظ السيوطى فى عدة من تآلفيه بأنه مجدد المائة التاسعة ذكر ذلك فى منظومته (تحفة المهتدين بأسماء المجددين) و غيرها اهـ..

و فى ترجمة ابن حجر الهيتمى للشيخ عبدالمعز عبد الحميد الجزار ص٧ أن المجدد فى المائة العاشرة الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى.

ثم رأيت فى (فهرس الفهارس) ج١ ص٤٩٤ أن الشيخ منلا إبراهيم الكورانى هو مجدد المائة الحادية عشرة كما قاله الشيخ العارف إلياس الكورانى، و ممن جزم بأنه المجدد على رأس المائة الحادية عشرة صاحب (عون الودود على سنن أبى داود) اهـ..



و فى (فهرس الفهارس) أيضا ج١ ص٥٤٣ أن الشيخ محمد مرتضى بن محمد بن محمد الزبيدى شارح (القاموس) و (إحياء علوم الدين) هو من المجددين المحدثين على رأس المائة الثانية عشرة كما قاله الشهاب المرجانى فى (وفيات الأسلاف) و صاحب (عون الودود على سنن أبى داود) و ممن وصفه بذلك تلميذه العلامة الشهاب أحمد بن عبد اللطيف البربيرى فى كتابه (عقود الجمان فيمناسمه سليمان) اهـ...

ولد الشيخ مرتضى الزبيدى سنة ١١٤٥ و توفى سنة ١٢٠٥.

فهؤلاء كلهم من أصحاب الإمام الشافعى إلا عمر بن عبد العزيز و الكورانى و الزبيدى. و هذا من أعظم المواهب الإلهية و العطايا الربانية التى امتنّ بها المولى جل شأنه على الإمام الشافعى ﷺ، فأى منقبة أعظم و أشرف للإمام من أن يكون هؤلاء المجددون من أتباعه المنتسبين إلى مذهبه.

و كما اختص الله تعالى عليه ذلك اختصه أيضا بأن تفرع من مذهبه مذهبان، مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، و مذهب أبى ثور إبراهيم بن خالد بن اليمان الكلبى البغدادى، فقد كانا من تلاميذ الإمام الشافعى ﷺ أجمعين و عنا بهم.

و قال الحافظ الذهبى و غيره: إن (من) فى قوله ﷺ: «من يجدد» لفظ عام فيحتمل أن يكون مجدد كل مائة سنة واحدا أو متعددا. و الكلام فى المجددين يطول فلنقتصر على هذا، و بالله التوفيق.

و بالجملة: لا يخفى أن مجالسة الصالحين تتأثر بها الطباع و القلوب فقد قالوا: من جالس جانس، و فى شرح (التاج الجامع للأصول) للشيخ منصور على ناصف ج٥ ص٨١: محبة الصالحين و زيارتهم و مجالستهم غنيمة كبرى. و قال بعض الصالحين: إنها دواء القلوب وترياقها من القسوة. و قال النووى فى فضائل تلاوة القرآن من كتابه (الأذكار) ص١٠٠: قال السيد الجليل صاحب

الكرامات و المعارف و المواهب و اللطائف، إبراهيم الخواص ﷺ: دواء القلب خمسة أشياء، قراءة القرآن بالتدبير، و خلاء البطن و قيام الليل، و التضرع عند السحر و مجالسة الصالحين. و أنشدوا في ذلك فقالوا:

دواء قلبك خمس عند قسوته فدم عليها تفز بالخير و الظفر

خلاء بطن و قرآن تدبره كذا تضرع باك ساعة السحر

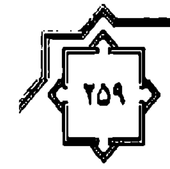
كذا قيامك جنح الليل أوسطه و أن تجالس أهل الخير و الخبر

و في (سير أعلام النبلاء) ج٢ ص٣٤٩: روى عن أبي الدرداء ﷺ قال: لو لا ثلاث ما أحببت البقاء، ساعة ظمإ الهواجر، و السجود في اليل، و مجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام كما ينتقى أطايب التمر اهـ. و ينتقون أي يختارون.

التبرك بجنائز الصالحين

ممن تبرك الناس بجنائزهم الشريف الحصني

ففي (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي ج٧ ص١٨٨ ـ ١٨٩ أن الشيخ تقي الدين أبا بكر ابن محمد بن عبد المؤمن حريز الحصني الفقيه الشافعي ولد سنة ٧٥٢، و كان يبالغ في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و كان للناس فيه اعتقاد زائد، و كان يحط على ابن تيمية، و كان له تآليف كثيرة. منها (شرح صحيح مسلم)، و (شرح المنهاج)، و (شرح التنبيه) و لَخّصَ (المهمات) في مجلدين، و خرج أحاديث (الإحياء) و (قواعدالفقه) و (تفسير القرآن إلى الأنعام) و غيرها من مطولات و مختصرات، و كان يميل إلى التقشف، و توفي بخلوته بجامع المزاز بالشاغور ١٥ جمادى الآخر سنة ٨٢٩. الحصني نسبة إلى الحصن قرية من قرى حوران.



و صُلّي عليه بالمصلى و حضر جنازته عالم لا يحصيهم إلا الله، و ازدحموا على حمله للتبرك به، و ختم عند قبره ختمات كثيرة، و رؤيت له منامات صالحة في حياته و بعد مماته اهـ..

و منهم أبو القاسم الزاهد المعروف بالأقطع

و في (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) ج٢ ص٨٠ ـ ٨١: أنه كان فقيها عابدا زاهدا عالما عارفا ورعا، سمع الحديث عن جماعة، و أخذ الفقه و التصوف عن آخرين و أخذ أهل مصر ماء غسله فعملوه في الكحل، فكان كل أرمد اكتحل منه يبرأ، و جاء الطير فظلل على نعشه، ورفرف عليه و لم ير قبل ذلك إلا للمزني و ذي النون رضي الله عنه، و لم يزل كذلك حتى دفن رضي الله عنه، مات سنة ٥٢٨ و دفن بالقرافة بقرب قبر عقبة الجهني اهـ...

و منهم الحافظ المتقن المقرى شيخ المغرب أبو محمد عبد الله بنمحمد بن على بن عبد الله بن عبيد الله الأندلسي

ففي (تذكرة الحفاظ) ج٣ ص١٣٧٠ ـ ١٣٧١: و (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي أنه ولد سنة ٥٠٥ وتوفي سنة ٥٩١، قال أبو الربيع بن سالم الحافظ: صادف وقت وفاة أبي محمد قحط، فلما وضع على شفير القبر توسلوا به إلى الله في إغاثتهم فسقوا في تلك الليلة مطرا وابلا، و ما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل و الطين، و ظهرت منه كرامات، و قال ابن سالم: إذا ذكر الصالحون فحيهلا بابن عبيد الله اهـ..

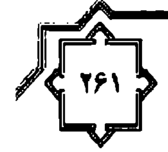
و منهم العلامة القدوة قاضى الجماعة أبو مروان محمد بن أحمد الباجى

و فى (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبى ج٢٣ ص٢٩: أنه كان عدلا فى الأحكام حسن التلاوة سريع السرد للحديث، له معرفة بالرجال، و مات عقيب حجه بمصر سنة ٦٣٥هـ. و شيعه أمم و تبركوا به و بنوا عليه قبة في يوم واحد اهـ...

و منهم أبو منصور الخياط محمد بن أحمد

و فى كتاب (معرفة القراء الكبار) للحافظ الذهبى ج١ ص٤٥٧ ٤٥٩ أن محمد بن أحمد ابن على بن عبدالرزاق أبا منصور الخياط البغدادى ولد سنة ٤٠١ و قال أبو سعد السمعانى: كان له ورد بين العشائين يقرأ فيه سبعا من القرآن قائما و قاعدا و كان صاحب كرامات، و كان يعلم العميان و يسأل لهم و ينفق عليهم، و قال ابن النجار فى تاريخه: بلغ عدد من أقرأهم أبو منصور القرآن سبعين ألفا. و قال أبو منصور بن خيرون: ما رأيت مثل يوم صُلِيَ على أبى المنصور الخياط من كثرة الخلق و التبرك بالجنازة. و ختموا على قبره فى ثانى جمعة من وفاة الشيخ أبى منصور مائتين و إحدى و عشرين ختمة و دعوا عقب كل ختمة، توفى ﷺ سنة ستع و تسعين وأربعمائة و له ٩٨ سنة اهـ.

و ترجم له ابن العماد الحنبلى فى (الشذرات) ج٣ ص٤٠٦: و ذكر أنه صنف فى القرآءات كتاب (المهذب) و قال: كان مقرئا زاهدا حنبليا، و أقرأ بضعا و ستين سنة و بلغ عدد من أقرأهم القرآن من العميان سبعين ألفا، و قد زعم بعض الناس: أن هذا مستحيل و سبق قلم، و إنما أراد سبعين نفسا و هذا كلام ساقط فإن أبا منصور قد تواترت عنه إقراء الخلق الكثير فى السنين الطويلة اهـ.. ملخصا.



قلت: يعنى بقوله: زعم بعض الناس الحافظ الذهبى فإنه زاعم هذا القول كما فى كتابه (معرفة القراء).

و منهم أبوبكر بن عمر بن على القرشى اليمنى

و فى (الضوء اللامع) ج۱۱ ص٦٤: أن أبا بكر القرشى ولد سنة ٧٤٨ بقرية بقرب (زبيد) من اليمن، قدم مكة و جاور بالحرمين ثلاثين سنة متوالية، كان فى غالبها بمكة، و ولى فيها مشيخة (رباط ربيع) و حمد فيه، و كان له حظ وافر من العبادة و الدين، توفى سنة ٨١٥ و دفن (بالمعلاة) و ازدحم الأعيان على نعشه تبركا، رحمه الله و إيانا.

و منهم مكلبة بن عبد الله المستنجدى

و فى (البداية و النهاية) لابن كثير ج۱۳ ص۳۱: أن مكلبة بن عبد الله كان تركيا عابدا زاهدا، سمع المؤذن وقت السحر و هو ينشد على المنارة:

يا رجال الليل جدوا　　　رب صوت لا يرد
ما يقوم الليل إلّا　　　من له عزم وجد

فبكى مكلبة ثم صرخ صرخة كان فيها حتفه، فأصبح أهل البلد قد اجتمعوا على بابه، فالسعيد منهم من وصل أى نعشه اهـ. باختصار.

و منهم سهل بن عبد الله التسترى بضم التاء الأولى و فتح الثانية و بينهما سين ساكنة كما فى (معجم البلدان)

و فى (تذكرة القرطبى) ص٤٢٥ أنه لما مات سهل بن عبد الله رحمه الله انكب الناس على جنازته، و حضرها من الخلق ما لا يعلمه إلّا الله تعالى، و كانت فى

البلد ضجة فسمع بها يهودى شيخ كبير، فخرج فلما رأى الجنازة صاح و قال: هل ترون ما أرى؟ قالوا: و ما ترى؟ قال: أرى قوما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة، ثم أسلم و حسن إسلامه انتهى.

و منهم المغيرة بن حكيم

و فى (تذكرة القرطبى) ص٤٢٥ يقال: إن الكعبة لم تخل من طواف طائف يطوف بها إلّا يوم مات المغيرة بن حكيم، فإنها خلت لانحشار الناس لجنازته تبركا بها، و رغبة فى الصلاة عليه انتهى.

و منهم أبوالفضل شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى

قال تلميذه الحافظ السخاوى فى (الضوء اللامع) ج٢ ص٤٠: توفى الحافظ ابن حجر فى أواخر ذى الحجة سنة ٨٥٢، و كان له مشهد لم ير من حضره من الشيوخ فضلا عمن دونهم مثله، و تزاحم الأمراء و الأكابر على حمل نعشه و مشى إلى تربته من لم يمش نصف مسافتها قط اهـ. و قال السيوطى فى (حسن المحاضرة) ج١ ص٣٦٤: حدثنى الشهاب المنصورى شاعر العصر أنه حضر جنازة الحافظ ابن حجر فأمطرت السماء على نعشه و قد قرب إلى المصلى و لم يكن زمان مطر.

و التبرك بجنائز الصالحين باب واسع، و بما ذكرناه الكفاية.

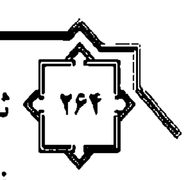
و فى (تذكرة القرطبى) ص٤٢٥ أنه قد شوهد من جنائز الصالحين من يشيعها الطير و يسير معها حيث سارت، منهم أبو الفيض ذوالنون المصرى و أبو ابراهيم المزنى صاحب الشافعى حدث بذلك ثقات، قاله أبو محمد عبد الحق فى كتاب (العاقبة) له اهـ...



قلت: و قد شيّع جنازة سيدى أبى على بن الشيخ محمد بن الشيخ علـى ميـه باز أشهب فكان يطير أمام الجنازة فلما تم دفنه طار، و كـان النـاس يقولـون فـى حياته: (صاحب الباز)، فقد كان يتقدم منه الباز إلى الموضع الـذى يقـصد إلـى زيارته كأنه يخبر عن مجيئه، و قد رأيت أنا ذلك كثـيرا، فكنـا إذا رأينـا هـذا البـاز واقفا على جدار بيتنا ننتظر قدوم الشيخ أبى علـى و نـستعد للقائـه و ترحيبـه و ضيافته، ثم يجيء الشيخ بعد برهة من الزمان.

الخلاصة

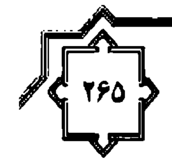
لقد تقرر أن التبرك بجنائز الصالحين مستفيض مشهور فى مختلف الأقطار و البلاد، و لم نعلم فى ذلك خلافـا بـين العلـماء، لكـن بعـض المعـاصرين الـذين يدعون أنهم أتباع ابن تيمية و أنصار آرائه يبالغون فى إنكاره و تضليل فاعليه، و كأنهم لم يعلموا أن بعض من يعتقدون فيهم من أئمتهم استحسنوا ذلك كالحفاظ ابن كثير، فقد ذَكَرَ أن خلائق من أتباع ابن تيميـة مـن الرجـال و النـساء تبركـوا بجنازته، فقال فى (البداية و النهاية) ج١٤ ص١٣٥ ـ ١٣٦: إن ابن تيمية تـوفى بقلعة (دمشق) بالقاعة التى كان محبوسا بها و حضر جمع كثير إلى القلعـة، و أذن لهم فى الدخول عليه، و جلس جماعة عنده قبل الغسل، و قرأوا القرآن و تبركـوا برؤيته و تقبيله ثم انصرفوا ثم حضر جماعـة مـن النـساء ففعلـن مثـل ذلـك ثـم انصرفن. شرب جماعة الماء الذى فضل من غسله، و اقتـسم جماعـة بقيـة الـسدر الذى غسل به، و دفع فى الخيط الذى كان فيه الزئبق الذى كان فى عنقه بـسبب القمل مائة و خمسين درهما، و قيل: إن الطاقية التى كانت على رأسـه دفـع فيهـا خمسائة درهم، و حصل فى الجنازة ضجيج و بكاء كثير، و ترحم عليه و تضرع و



ثناء دعاء له و ختمت له ختمات كثيرة، و تردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا و نهارا يبيتون عنده و يصبحون، ورثاه جماعة بقصائد جمة، و ألقى الناس على نعشه مناديلهم و عمائمهم و ثيابهم و ذهبت النعال من أرجل الناس و قباقيبهم و مناديل و عمائم، لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية، فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله. و كان مولده يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول بحرّان سنة ٦٦١هـ و توفى فى ٢٠ من ذى القعدة سنة ٧٢٨هـ.. و قال الحافظ ابن كثير: و كنت فيمن حضر هناك يعنى فى القلعة التى مات فيها مع شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى، و كشفت عن وجه الشيخ ابن تيمية و نظرت إليه و قبلته، و على رأسه عمامة بعذبة مغروزة، و قد علاه الشيب أكثر مما فارقناه.

قلت: فى (القاموس) الزئبق: كدرهم و زبرجٍ منه ما يستخرج من معدنه، و منه ما يستخرج من حجارة معدنية بالنار، و دخانه يهرّب الحيات و العقارب من البيت، و ما أقام منها قتله اهـ. و فى كتاب (المعتمد فى الأدوية المفردة): أن الزئبق يقتل القمل.

و فى شرحه نقلا عن (تحفة العجائب) ص٢١٢: من تقلد بقلادة من صوف قد دهنت بالزئبق لا يقرب القمل جسده اهـ. فظهر أن سبب تعليق خيط الزئبق على عنق الشيخ ابن تيمية دفع القمل. و فى (شذرات الذهب) ج٦ ص٨٦ أيضا: أنه اشتد الزحام و ألقى الناس على نعش ابن تيمية مناديلهم، و صار النعش يتقدم تارة و يتأخر أخرى، ودفن فى وقت العصر أو قبلها بيسير إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية، و حزر من حضر جنازته بمائتى الف، و من النساء بخمسه عشر ألفا، و ختمت له ختمات كثيرة اهـ..



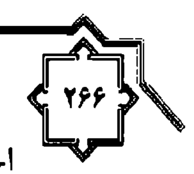
التبرك بالدفن عندمقابر الصالحين

قال أبو الحسين يحيى بن أبى الخير سالم العمرانى اليمنى فى كتابه (البيان) ج٣ ص٩٤: إذا مات ميت بمكة أو المدينة أو بيت المقدس فالأفضل أن يدفن فى مقبرتها لحرمتها و شرف منزلتها و إن مات فى بلد غير هذه و كانت مقبرتها تذكر بخير مثل أن يكون فيها قبور الصالحين أى يرى فيها منامات صالحة فالدفن فيها أولى من غيرها من المقابر اهـ...

و قال الإمام الجليل الحافظ النووى ﷺ فى كتابه (الإذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار) ص١٤٩: إذا أوصى أن يدفن فى موضع من مقابر بلدته، و ذلك الموضع معدن الأخيار فينبغى أن يحافظ على وصيته.

و فى (المغنى) لابن قدامة الحنبلى ج٢ ص٥٠٩: يستحب الدفن فى المقبرة التى يكثر فيها الصالحون و الشهداء لتناله بركتهم و كذلك فى البقاع الشريفة. قد روى البخارى و مسلم بإسنادهما أن موسى عليه السلام لما حضره الموت سأل الله تعالى أن يدنيه إلى الأرض المقدسة رمية بحجر، قال النبى ﷺ: لو كنت ثَمّ لأريتكم قبره عند الكثيب الأحمر اهـ...

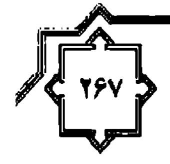
و قال الإمام جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه (صفة الصفوة) ج١ ص٢٦٧: قال أهل السير: توفى أبو بكر الصديق ليلة الثلثاء بين المغرب و العشاء لثمان ليال بقيت من جمادى الآخرة سنة ١٣ من الهجرة، و هو ابن ثلاث و ستين و أوصى أن تغسله أسماء زوجته فغسلته، و أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ، و صلى عليه عمر بين القبر و المنبر، و نزل حفرته ابنه عبد الرحمن و عمر و عثمان و طلحة بن عبيد الله، رحمه الله و رضى عنه و حشرنا فى زمرته و أماتنا على سنته و محبته اهـ..



قلت: أسماء هي بنت عميس. و كذلك أوصى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله. ففي (صحيح البخاري) أنه قال لما طعن لابنه عبد الله: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام و لا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا و قل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم و استأذن ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام و يستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي و لأوثرنه على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحت يا أمير المؤمنين إذنت قال: الحمد الله ما كان من شيء أهم إلى من ذلك. أخرجه البخاري بطوله في مناقب عثمان في باب قصة البيعة و الاتفاق على عثمان بن عفان من كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم و أخرج أيضا في كتاب الجنائز طرفا منه..

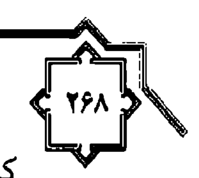
قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في (الفتح) ج٣ ص٢٥٨: في هذا الحديث الحرص على مجاورة الصالحين في القبور طمعا في إصابة الرحمة إذا نزلت عليهم، و في دعاء من يزورهم من أهل الخير اهـ.. قال الحافظ ابن الجوزي في (صفة الصفوة) عن أبي علي بن البناء قال: لما ماتت أم القطيعي دفنها في جوار أحمد بن حنبل، فرآها بعد ليال، فقال: ما فعل الله بك؟ فقالت: يا بني رضي الله عنك فقد دفنتني في جوار رجل تنزل على قبره كل ليلة أو قال: في كل ليلة جمعة رحمة تعم أهل المقبرة و أنا منهم.

و روى الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج١ ص١٢٢ بسنده و ابن الجوزي في (صفة الصفوة) ج٢ ص٣٥٩: لما مات الإمام أحمد بن حنبل رأى رجل في منامه كأن على كل قبر قنديلا، فقال ما هذا؟ فقيل له؟ أما علمت أنه نوّر لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم، قد كان فيهم من



يعذب فرحم اهـ... و روى الخطيب أيضا: عن أحمد بن الدورقى أنه قال: مات جار لى فرأيته فى الليل و عليه حلتان قد كسى، فقلت: إيش قصتك ما هذا؟ قال: دفن فى مقبرتنا بشر بن الحارث فكسى أهل المقبرة حلتين حليتن اهـ...

فإذا علمت اهتمام خليفتى رسول الله ﷺ بجوار سيد الكون ﷺ و وصيتهما بذلك علمت أن جوار الصالحين فى البرزخ من أولى ما يعتنى به أولو الألباب، و من أفضل ما يسعى إليه الإنسان، تعرضا لتلك النفحات و البركات التى تنزل على ساحتهم، ثم تسرى إن شاء الله إلى جارهم الراجى من قربهم وصول الرحمة الإلهية إليه، فالشارع أمرنا بإكرام الجار و الإحسان إليه، فالرجاء أن يكرم الله جار أحبابه الصالحين. و معلوم أيضا أن رسول الله ﷺ أمرنا بالاقتداء بأبى بكر و عمر رضي الله عنهما بقوله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر و عمر. رواه الترمذى فى (المناقب) و حسنه، و أحمد فى مسنده و ابن ماجه، و رمز السيوطى له بالصحة. فالوصية بالدفن عند مقابر الصالحين اقتداء بخليفتيه ﷺ. و فى (تذكرة الحفاظ) للذهبى: أن الإمام الحافظالخطيب البغدادى أوصى أن يدفن إلى جنب بشر الحافى، و عبارته فى (التذكرة) ج٢ ص١١٤٤: قال إسماعيل بن أبى سعد الصوفى: كان أبوبكر بن زهراء الصوفى قد أعدّ قبرا إلى جانب قبر بشر الحافى، و كان يمضى إليه فى كل أسبوع و ينام فيه و يقرأ فيه القرآن كله، فلما مات الخطيب و كان أوصى أن يدفن إلى جنب قبر بشر الحافى فجاء المحدثون إلى ابن زهراء و سألوه أن يدفنوا الخطيب فى قبره و أن يؤثره فامتنع، فجاءوا إلى أبى فأحضره و قال: أنا لا أقول لك أعطهم القبر و لكن لو أن بشرا الحافى فى الأحياء و أنت إلى جانبه فجاء أبو بكر الخطيب ليقعد دونك أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه؟ قال: لا، بل كنت أقوم و أجلسه قال: فكذا ينبغى أن تكون الساعة فطاب قلبه و أذن لهم اهـ...



قلت: أبوبكر أحمد بن على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى كان إماما كبيرا حافظا ثقة، ولد سنة ٣٩٢ و صنف ٥٦ مصنفا فى علم الحديث، و كان ينفى الكذب عن رسول الله ﷺ، و قد قيل فيه: الخلق عيال على الخطيب فى الحديث، و كان شافعي المذهب، و كان من أعيان الأشاعرة و أكابرها، توفى ؒ ببغداد سنة ٤٩٣، و ختم على قبره ختمات، و كان ممن حمل جنازته أبو إسحاق الشيرازى. و ذكر التاج السبكى فى (طبقات الشافعية الكبرى) أن الخطيب البغدادى لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات و سأل الله ثلاث حاجات منها: أن يدفن إذا مات عند بشر الحافى، و ترجم للخطيب البغدادى الذهبى فى (تذكرته) و (سير أعلام النبلاء) و السيوطى فى (طبقات الحفاظ) و ابن عساكر فى (تبيين كذب المفترى) و ابن السبكى فى (طبقات الشافعية الكبرى) ترجمة حافلة، و ابن قاضى شهبة فى (طبقات الشافعية) و ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) و ابن العماد الحنبلى فى (الشذرات) و غيرهم، و حكى السيوطى فى (تدريب الراوى) عن النووى أنه قال فى الخطيب و البيهقى: هما إمامان حافظان فقيهان شافعيان متضلعان من الحديث و الفقه و الأصول و الخبرة التامة بنصوص الشافعي و معانى كلامه.

فانظر رحمك الله كيف اعتنى و اهتم هذا الإمام الحافظ بالدفن عند قبر هذا العبد الصالح حتى شرب لذلك ماء زمزم، و قد استجاب الله تعالى دعاءه و حقق رجاءه، لانه ﷺ قال: ماء زمزم لما شرب.

نبذة وجيزة في ترجمة أبي نصر بشر بن الحرث

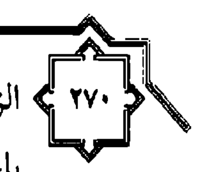
قال الإمام أبو القاسم عبدالكريم القشيرى فى (الرسالة) ص١٤: أصله من (مرو) و سكن بغداد و مات بها و هو ابن أخت على بن خشرم مات سنة ٢٢٧



و كان كبير الشأن، و كان سبب توبته أنه أصاب كاغدا مكتوبا فيها باسم الله تعالى قد وطئتها الأقدام، و اشترى بدرهم كان معه غالية فطيب بها الكاغد و جعلها في شق حائط، فرأى ما يرى النائم كأن قائلا يقول: يا بشر طيبت اسمي لأطيبن اسمك في الدنيا و الآخرة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول: سمعت عبدالرحمن بن أبى حاتم يقول: بلغنى أن بشرا بن الحرث الحافى قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام، فقال لى: يا بشر أتدرى لم رفعك الله من بين أقرانك؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: باتباعك لسنتى و خدمتك للصالحين، و نصيحتك لإخوانك و محبتك لأصحابى و أهل بيتى هو الذى بلّغك منازل الأبرار اهـ... و الكاغد بفتح الغين: القِرطاس مُعَرّب.

و قال الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية) ج١٠ ص٢٩٧: و قد أثنى عليه غير واحد من الأئمة فى عبادته و زهادته و ورعه و نسكه و تقشفه، قال الإمام أحمد يوم بلغه موته: لم يكن له نظير إلا عامر بن عبد قيس، ولو تزوج لتم أمره، و فى رواية عنه أنه قال: ما ترك بعده مثله، و قال إبراهيم الحربى: ما أخرجت بغداد أتم عقلا منه و لا أحفظ للسانه منه، ما عرف له غيبة لمسلم، و كان فى كل شعرة منه عقل، و لو قسم عقله على أهل بغداد لصاروا عقلاء و ما نقص من عقله شىء. و كان على المدائنى و غيره من أئمة الحديث يصيح بأعلى صوته فى الجنازة: هذا و الله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة. و قد رآه بعضهم فى المنام فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى و لكل من أحبنى إلى يوم القيامة. وقد ترجمه ابن عساكر فأطنب و أطيب و أطال من غيرملال.

و قد ترجم لبشر بن الحارث الحافظ الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج١٠ ص٤٦٩ فقال فيه: بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء الإمام العالم المحدث

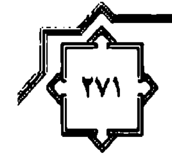


الزاهد الربانى القدوة شيخ الإسلام أبو نصر المروزى ثم البغدادى المشهور بالحافى، ارتحل فى العلم فأخذ عن مالك بن أنس، و فضيل بن عياض، و ابن المبارك، و حماد بن زيد و غيرهم و أخذ عنه خلائق منهم السرّى السقطى و أحمد الدورقى، و عن أيوب العطار أنه سمع بشرا يقول: حدثنا حماد بنزيد ثم قال: أستغفر الله إن لذكر الإسناد فى القلب خيلاء، و عن بشر قال: المتقلب فى جوعه كالمتشحط فى دمه فى سبيل الله. و عنه قال: قد يكون الرجل مرائيا بعد موته يحب أن يكثر الخلق فى جنازته، و قد أفرد ابن الجوزى مناقبه فى كتاب. و عنه قال: لا تعمل لتذكر اكتم الحسنة كما تكتم السيئة اهـ.

و فى (طبقات الصوفية) لأبى عبدالرحمن السلمى أن بشرا كان يقول: لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك و بين الشهوات حائطا من حديد، و كان يقول أيضا: الدعاء ترك الذنوب اهـ. قلت: و فى (تنبيه المغترين) ص١١٢ قد كان سفيان الثورى يقول: الدعاء حقيقة هو ترك الذنوب، فمن تركها فعل الله به ما يختاره من غير سؤال.

و فى (تهذيب تاريخ دمشق) ج٣ ص٢٣٩: كان بشر لا ينام الليل و يقول: أكره أن يأتينى أمر الله و أنا نائم، و كان يقول: إذا احب الله عز و جل أن يتحف العبد سلط عليه من يؤذيه.

و قد قال سفيان: لا خير فيمن لا يؤذى، و قال ﷺ: هذا زمان السكوت و لزوم البيوت. و قال: يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حكيم، و يأتى على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس، و قال: سكون النفس إلى المدح أشد عليها من المعاصى. و قال حمزة البزاز: ما رأيت أحدا من الزهاد إلا و هو يذم الدنيا و يأخذ منها غير بشر بن الحارث فإنه كان يذمها و يفر منها. سئل الإمام أحمد عن مسئلة فى الورع فقال: أستغفر الله لا يحل لى أن أتكلم فى



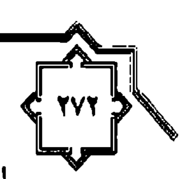
الورع، أنا آكل من غلة بغداد، و لو كان بشر الحافى لصلح أن يجيبك عنه. و قيل لأحمد بن حنبل: قد مات بشر فقال: مات ﷺ و ما له نظير فى هذه الأمة إلا عامر بن قيس، ثم لبس رداءه و خرج فشهد جنازته.

و قال الدارقطنى: كان بشر جبلا ثقة لايروى إلا حديثا صحيحا اهـ. ملخصا.

و إنما أطلت فى ترجمة بشر ﷺ بعض الإطالة لتعرف منزلته فى العلم و العمل به، و زهده و ورعه، و محاسن أوصافه و علو مكانته و رفيع درجته، فيعلم حينئذ بأنه أهل لأن يغبط بجواره أكابر العلماء، و يتمنى بقربه الفضلاء مثل الخطيب البغدادى،فإنه لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، و قد انتشر فى زماننا الاحتقار بالصالحين و الازدراء بالعلماء العاملين، فتراهم إذا سمعوا مثل هذا التبرك من إمام جليل مثل الخطيب البغدادى لإمام آخر مثل بشر الحافى يستغربونه و يستنكرونه، و تشمئز منه قلوبهم، بل يكادون يسطون بالذين يسمعون منهم ذلك، فلا حول و لا قوة إلا بالله.

و فى (تاريخ بغداد للخطيب) ج١ ص١٢١ و (سير أعلام النبلاء) للذهبى ج١٣ ص٥٢٣: أن عبد الله بن أحمد بن حنبل أوصى أن يدفن بمقابر (باب التين) و قال: بلغنى أن هناك قبر نبى، و لأن أكون فى جوار نبى أحب إلىّ من أن أكون فى جوار أبى اهـ..

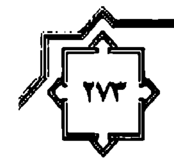
و فى (صفة الصفوة) ج٤ ص٨٣: أن الشيخ محمد بن يوسف خرج فى جنازة فنظر إلى قبر أبى إسحاق الفزارى و مخلد بن الحسين و بينهما موضع قبر، فقال: لو أن رجلا مات فدفن بينهما. فما أتت عليه إلا عشرة أيام أو نحوها حتى دفن فى الموضع الذى أشار إليه، و توفى الشيخ محمد بن يوسف سنة ١٨٤هـ.



و التبرك بالدفن عند مقابر الصالحين أمر معلوم شائع عند المتقدمين و المتأخرين من حملة الشريعة المطهرة، و حفاظ السنة النبوية، و قصدهم من ذلك الانتفاع بمجاورتهم، والتعرض للرحمة الإلهية التى تنزل على ساحتهم، بل قل استحسن بعض أهل العلم مجاورة قبور الصالحين حال حياتهم، فقد حكى أبو نعيم الحافظ كما فى (تاريخ بغداد) ج ض ص١٣٨ عن أبى جعفر الحضرمى مطين أنه كان ينكر أن يكون القبر المزور بظاهر الكوفة قبر على بن أبى طالب و يقول: لو كان هذا قبر على بن أبى طالب لجعلت منزلى و مقيلى عنده أبدا اهـ...

(مطين) هو كما فى (سير أعلام النبلاء) ج١٤ ص٤١: الشيخ الحافظ الصادق محدث الكوفة محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى الملقب بـ(مطيَّن) قال فيه الدارقطني: ثقة جبل، و قال الخليلى: ثقة حافظ، توفى سنة ٢٩٧هـ. عن خمسة و تسعين سنة اهـ..

و اعلم أن الميت كما ينتفع بمجاورة الصالحين كذلك يتأذى بمجاورة الفاسقين، فينبغى حينئذ اجتناب الدفن عند قبور الفجار و المبتدعين. روى البيهقى فى (السنن الكبرى) ج٥ ص٤٠٧: بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما أحب أن أدفن بالبقيع، لأن أدفن فى غيره أحب إلى، إنما هو أحد رجلين، إما ظالم فلا أحب أن أكون جواره و إما صالح لا أحب أن تنبش لى عظامه. و ذكر ذلك أيضا القرطبى فى باب ماجاء فى اختيار البقعة بالدفن.ص١٠٤، و قد عقد الإمام شمس الدين أبو عبد الله القرطبى بابا فى كتابه (التذكرة بأحوال الموتى و أمور الآخرة) فقال فيه: باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم ثم قال فيه: أخرج أبو سعيد المالينى فى كتاب (المؤتلف و



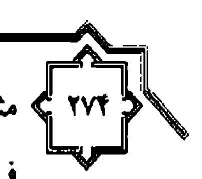
المختلف) وأبو بكر الخرائطى فى كتاب (القبور) من حديث سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفيه عن على ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين، فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الاحياء.

و عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: إذا مات لاحدكم الميت فحسنوا كفنه، و عجلوا إنجاز وصيته، و أعمقوا له فى قبره، و جنبوه جار السوء، قيل: يا رسول الله و هل ينفع الجار الصالح في الآخره؟ قال: هل ينفع فى الدنيا؟ قالوا: نعم، قال: كذلك ينفع فى الآخره. ذكره الزمخشرى فى كتاب (ربيع الأبرار)، و خرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس.

وقال علماؤنا: يستحب لك رحمك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين و مدافن أهل الخير فتدفنه معهم،و تنزله بإزائهم و تسكنه فى جوارهم تبركا بهم و توسلا إلى الله عز وجل بقربهم، و أن تجتنب قبور من سواهم ممن يخاف التأذى بمجاورته و التألم بمشاهده حاله كما جاء فى الحديث ثم ذكر القرطبى منامات، منها: أن أعرابيا قال لولده: ما فعل الله بك؟ قال: ما ضرنى إلا أنى دفنت بإزاء فلان و كان فاسقا، قد روعنى ما يعذب به من أنواع العذاب اهـ....

ورى الحافظ أبو نعيم فى (حليه الأولياء) ج٦ص٣٥٤: بسنده عن أبى هريره ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحى بجار السوء، قال أبو نعيم حديث غريب. رواه الإمام مالك، ذكره أبو نعيم فى ترجمه الإمام مالك.

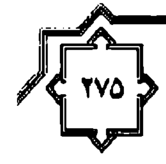
قوله وسط: بفتح السين و سكونه. قال السيوطى فى (الجامع الصغير): إن هذا الحديث ضعيف. و من المعلوم المشهور أن الحديث الضعيف يعمل به فى



مثل هذا، و ما ادعاه ابن الجوزى و غيره من كونه موضوعا تعقبه السيوطى. و فى (فيض القدير شرح الجامع الصغير) يندب لولى الميت أن يقصد به قبول الصالحين و مدافن أهل الخير فيدفنه معهم و يسكنه فى جوارهم تبركا بهم وتوسلا بهم، و أن يجتنب به قبور من يخاف التأذى بمجاورته، و التألم بمشاهدة حاله، و يكره الدفن بقرب قبر مبتدع أو فاسق اهـ...

و فى (مغنى المحتاج بشرح المنهاج) للخطيب الشربنى ج١ ص٣٦٦ ـ ٣٦٢: يسن الدفن فى أفضل مقبره بالبلد كالمقبره المشهوره بالصالحين، و لو كان أهل المقبره أهل بدعه أو فسق فالأفضل الاجتناب عنها، و لو مات سنى فى بلاد المبتدعه نقل إن لم يمكن إخفاء قبره.

و فى (التذكره) أيضاً ما لفظه روى عن عروه قال: وقع رجل فى على عليه السلام عند عمر بن الخطاب: فقال له عمر رضي الله عنه: ما لك قبحك الله لقد آذيت رسول الله صلى الله عليه و آله فى قبره. ففى هذا أن الميت يتأذى بإيذاء أقاربه و أولاده. و فى (الإصابه فى تمييز الصحابه) ج٤ ص٤٣٧: روى ابن شاهين فى كتاب الجنائز من طريق عبيدالله بن عدى بن الخيار عن أبيه و كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله يعظمونه أنه لما احتضر قال: يا بنى أذكرك الله أن لا تعمل بعدى عملا يمعّر وجهى، فإن عمل الأبناء يعرض على الآباء اهـ... قوله يمعّر أى يغير وجهى، و عدى بن الخيار كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله. و ذكر القرطبى فى (التذكره) ما لفظه: روى من حديث ابن لهيعه عن بكير بن الأشج عن القاسم بن محمد عن عائشه رضي الله عنها أن النبى صلى الله عليه و آله قال: الميت يؤذيه فى قبره ما يؤذيه فى بيته. قيل: يجوز أن يكون الميت يبلغ من أفعال الأحياء و أقوالهم ما يؤذيه فى قبره بلطيفه يحدثها الله لهم من ملك يبلغ أو علامه أو دليل أو ماشاء الله، و هو القادر على ما يشاء.



تكمله:

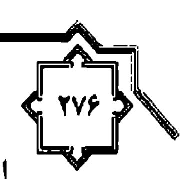
اعلم أن الميت كما يتأذى بما ذكر كذلك قد يؤذى هو من أذاه، فقد أخرج الطبرانى و الحاكم عن عماره بن حزم قال: رآنى رسول الله ﷺ جالسا على قبر فقال: يا صاحب القبر انزل من على القبر لا تؤذى صاحب القبر و لا يؤذيك. ذكر ذلك السيوطى بهذا اللفظ في (شرح الصدور) ص٣٠٠ فى باب تأذى الميت بسائر وجوه الأذى.

و مثله في (مجمع الزوائد)ج٣ ص٦١. ثم قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى (الكبير)، و فيه ابن لهيعه و فيه كلام، و قد وثّق اهـ. و مثله أيضا فى (بذل المجهود شرح أبى داود) ج١٤ ص١٩٣:

و فيه انزل عن القبر اهـ...

و فى (خلاصه الأحكام) للإمام النووى ج٢ ص١٠٢٧ ما لفظه رآنى رسول الله ﷺ متكأ على قبر، فقال: لا تؤذ صاحب هذا القبر و لا يؤذك رواه أحمد اهـ.

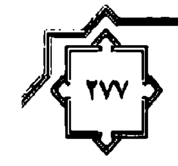
و قد ثبت أن الميت كما قد يؤذى الأحياء كذلك قد ينفعهم بالدعاء لهم و يحسن إليهم بالترحيب فقد روى مسلم فى كتاب الإيمان من صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: و من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى و دعا لى بخير، ثم ذكر أن عيسى بن مريم و يحيى بن زكريا صلوات الله و سلامه عليهما دعوا له بخير، ثم يوسف و إدريس و هارون و موسى، دعا كل منهم له ﷺ بخير. و قوله فرحب بى: فيه ترحيب الأموات بالأحياء. و مما يؤخذ من هذا الحديث كما قاله النووى فى شرح مسلم ج٢ ص٢١٢: استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر و الترحيب و الكلام الحسن و الدعاء لهم و إن كانوا أفضل من الداعى.



وفـي (التـذكرة) للقرطبـي ص٦٣ أخـرج الترمـذي الحكـيم فـي (نـوادر الأصول) قال: حدثنا أبي ﷺ قال: حدثنا قبيصة عن سفيان أبان بن أبي عياش عن أنـس قـال: قـال رسـول الله ﷺ: إن أعمالكـم تعـرض علـى عـشائركم و أقاربكم من الموتى، فإن كان خير استبشروا، و إن كان غير ذلك قالوا: اللهـم لا تمتهم حتى تهديهم لما هديتنا. و روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: إن أرواحكم تعرض إذا مات أحدكم على عشائركم و موتاكم، فيقول بعضهم لبعض: دعوه يستريح فإنه كان في كرب، ثم يسألونه: ما عمل فلان؟ و ما عملت فلانة؟ فـإن ذكروا خيرا حمدو الله و استبشروا، و إن كان شرا قالوا: اللهم اغفر له، حتى إنهم ليسألون هل تزوج فلان هل تزوجت فلانة قال: فيسألونه عن رجل مات قبلـه، فيقول: ذاك مات قبلي أما مرَّ بكم؟ فيقولون: لا و الله، فيقولون: إنا لله و إنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمـه الهاويـة، فبئـست الأم و بئـست المربيـة، حتـى إنهـم ليسألون عن هـر البيـت ذكـره الثعلبـي. و روى ابـن المبـارك عـن أبـي أيـوب الأنصاري رضي الله عنه قال: إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمـة مـن عبـاد الله تعالى كما يتلقون البشير في الـدنيا، فيقبلـون عليـه يـسألونه، و يقـول بعـضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كـرب شـديد، قـال: فيقبلـون عليه فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجـت؟ فـإذا سـألوه عـن الرجل قد مات قبله فيقول: إنه هلك، فيقولون: إنا لله و إنا إليه راجعـون ذهـب إلى أمه الهاوية فبئست الأم و بئست المربية، قال: فتعـرض علـيهم أعمالـه، فـإن رأوا حسنا فرحوا واستبشروا و قالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها، و إن رأوا شرا قالوا: اللهم راجع بعبدك.

تنبيه:

لقد ذكرنا بعضا من أحاديث عرض أعمال الأحياء على الأموات، و اختلف



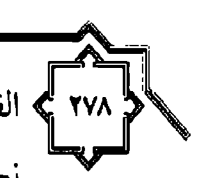
العلماء فى رتبتها فقال بعضهم: إنها صحيحة باعتبار مجموعها، و قيل: ضعيفة و قيل: إن رتبتها رتبة الحسن.

و قد أشبع القول فى ذلك الشيخ محمود سعيد ممدوح فى (رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل و الزيارة) من ص١٢٢ ـ ١٣٣ و ذكر فيه بما لا مزيد على حسنه فيما علمت، و يقتنع به كل من له إلمام بصناعة الحديث، و مما قال فيه: روى البزار بسنده عن عبد الله يعنى ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: حياتى خير لكم تحدثون و يحدث لكم، ووفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، و ما رأيت من شر استغفرت لكم، قال الحافظ العراقى فى (طرح التثريب) ج٣ ص٢٩٧: إسناده جيد، و قال الهيثمى فى (مجمع الزوائد) ج٩ ص٢٤: رواه البزار ور جاله رجال الصحيح. صححه السيوطى فى (الخصائص الكبرى)، و ذكر العلامة ممدوح: أن لشيخه السيد عبد الله بن الصديق الغمارى فى هذا الحديث جزءاً مفيدا مطبوعا اسمه (نهاية الآمال فى شرح و تصحيح حديث عرض الأعمال) ثم قال بعد كلام طويل: و الحاصل أن هذا الحديث صحيح بلا ريب اهـ. و رمز له السيوطى فى (الجامع الصغير) علامة الحسن.

فائدة في تلقين الأموات

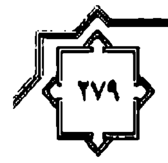
عقد الإمام النووى بابا فى تلقين الميّت فى كتابه (تلخيص الأحكام) ج٢ ص١٠٢٩ فقال: هذا التلقين المعتاد لأهل الشام و غيرهم مستحب عند أصحابنا اهـ.

و قال أيضا فى (المجموع)ج٥ ص١٩٥: و ممن نصّ على استحباب التلقين القاضى حسين و المتولى و الشيخ نصر المقدسى و الرافعى و غيرهم، و نقله



القاضی حسین عن أصحابنا مطلقا، و قال ابن الصلاح: التلقين هو الذی نختاره و نعمل به، قال: وروينا فيه حديثنا من حديث أبی أمامة ليس إسناده بالقائم، لكنّه اعتضد بشواهد و بعمل أهل الشام قديما، ثم قال النووی: و إن كان هذا الحديث ضعيفا فيستأنس به، و قد اتفق علماء المحدثين وغيرهم على المسامحة فی أحاديث الفضائل و الترغيب و الترهيب، و قد اعتضد بشواهد من الأحاديث كحديث و اسئلوا له التثبيت، و وصية عمرو بن العاص و هما صحيحان. و لم يزل أهل الشام على العمل بهذا فی زمن من يقتدی به إلى الآن اهـ. و ذكر القرطبی فی (التذكرة) ص١١٩: حديث أبی أمامة المشهور، ثم قال: حديث غريب خرّجه الثقفی فی الأربعين له، ثم قال القرطبی: قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر القرطبی: ينبغی أن يرشد الميت فی قبره إلى جواب السؤال، فيقال له: قل: الله ربی و الإسلام دينی و محمد رسولی، فإنه عن ذلك يسأل، كما جاءت به الأخبار، وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك اهـ.

و عقد ابن القيم فی كتابه (الروح) ص٧٠ ـ ٧١ فصلا فی سماع الموتى. فمما قال فيه ويدل على سماع الموتى ما جرى عليه عمل الناس قديما و إلى الآن من تلقين الميت فی قبره، و لولا أنه يسمع ذلك و ينتفع به لم يكن فيه فائدة، و كان عبثا، و قد سئل عنه الإمام أحمد فاستحسنه و احتج عليه بالعمل. و يروی فيه حديث ضعيف ذكر الطبرانی من حديث أبی أمامة. ثم قال ابن القيم: هذا الحديث و إن لم يثبت فاتصال العمل به فی سائر الأمصار و الأعصار من غير إنكار كاف فی العمل به. و ما أجرى الله سبحانه العادة قط بأن أمة طبّقت مشارق الأرض و مغاربها و هی أكمل الأمم عقولا و وأوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع و لا يعقل و تستحسن ذلك و لا ينكره منها منكر، بل سنة الأول للآخر و يقتدی فيه الآخر بالأول اهـ.



و مما يدل على مشروعية خطاب الأموات الذى ذكره ابن القيم قوله تعالى حكاية عن صالح نبى الله عليه و على نبينا الصلاة و السلام: ﴿يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِن لاَّتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾، و عن شعيب عليه و على نبينا الصلاة و السلام: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي﴾ الآية. فإن الخطاب و النداء لقومهما كان بعد هلاكهم كما فى (تفسير ابن كثير) و فى الصحيحين أنه ﷺ وقف على قليب بدر فجعل يقول: يا أبا جهل بن هشام يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة و يا فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا، فقال له عمر: يا رسول الله ما تكلم من أقوام قد جيفوا؟ فقال: و الذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم و لكن لا يجيبون اهـ.

و قال الحافظ العسقلانى فى (تلخيص الحبير): إسناد حديث أبى أمامة صالح و قد قوّاه الضياء فى أحكامه، و أخرجه عبد العزيز فى (الشافى)، و رواه سعيد بن منصور من طريق راشد بن سعد و ضمرة بن حبيب و غيرهما، فقالوا: إذا سوّى على الميت قبره و انصرف الناس عنه كانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره: يا فلان قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن لا إله إلا الله ثلاث مرات، قل: ربى الله و دينى الإسلام، و نبيى محمد، ثم ينصرف اهـ. و قال السيوطى فى (شرح الصدور) ص١٠٥ بعد ذكر حديث أبى أمامة: أخرجه الطبرانى و ابن منده. و قال السيوطى أيضا فى كتابه (جمع الشتات فى إثبات سؤالات الأموات):

قد أمر النبى بالتلقين	من بعد شَنَّ التُّرب للمدفون
و قيل قبل أن يهال التُّرب	و إن يعد ثلاثةً فندب



و قال ابن حجر الهيتمي في (تحفة المحتاج): و يستحب تلقين بالغ عاقل أو مجنون سبق له تكليف بعد تمام الدفن لخبر فيه، و ضُعفه اعتضد بشواهد على أنه من الفضائل فاندفع قول ابن عبد السلام: إنه بدعة، و ترجيح ابن الصلاح أنه قبل إهالة التراب مردود بها في خبر الصحيحين فإذا انصرفوا أتاه ملكان فتأخيره بعد تمامه أقرب إلى سؤالها اهـ.

و في (مغنى المحتاج) للخطيب الشربيني أنه يسن تلقين الميت المكلف بعد الدفن، و استدل هو و غيره على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ و ذهب إلى استحباب التلقين أيضا خلائق لا يحصون منأكابر الفقهاء و أئمتهم منهم: الأردبيلى فى (الأنوار) و المليبارى فى (فتح المعين) و السيد البكرى فى (إعانة الطالبين) و الرملى فى (نهاية المحتاج).

قلت: قول الحافظ العسقلاني في حديث التلقين: ـ صالح ـ معناه أنه صالح للاحتجاج به و العمل، و هو بين الصحيح و الحسن، كالثّابت و الجيّد و المجوّد. و أما قولهم: هذا الحديث يشبه أن يكون حسنا فالمراد منه أنه قريبمنه، قال الحافظ السيوطي في ألفية المصطلح ما لفظه.

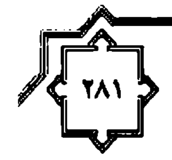
و للقبول يطلقون جيِّدا و الثابت الصالِحَ والمجوِّدا

و هذه بين الصحيح و الحسنو قرّبوا مشبّهات من حسن

و هل يخصّ بالصحيح الثابتُأو يشمل الحسن نزاع ثابت

و قال الحافظ العراقي في (فتح المغيث) ص٦١: الحديث الصالح قد يكون صحيحا و قديكون حسنا اهـ.

و الكلام في التلقين يطول، و فيما ذكرناه مقنع، و الله الموفق



تتمة في عجائب ظهرت من بعض الأموات

منها ميت يقاتل و يجاهد فى سبيل الله

قال الحافظ السيوطى فى (شرح الصدور) ص٢٢٢: أخرج ابن أبى الدنيا عن أبى عبد الله الشامى قال: غزونا الروم فخرج منا ناس يطلبون أثر العدو، فانفرد منهم رجلان، قال أحدهما: فبينا نحن كذلك إذ لقينا شيخا من الروم فقال: أبرزوا، فحملنا عليه فاقتتلنا ساعة فقتل صاحبى فرجعت أريد أصحابى فبينا أنا راجع إذ قلت لنفسى ثكلتك أمك سبقنى صاحبى إلى الجنة، و أرجع أنا هاربا إلى أصحابى؟! فراجعت إليه فضربته و أخطأته، فحملنى فضرب بى الأرض و جلس على صدرى و تناول شيئا معه ليقتلنى، فجاء صاحبى المقتول فأخذ بشعر قفاه فألقاه عنى و أعاننى على قتله فقتلناه جميعا، و جعل صاحبى يمشى و يحدثنى حتى انتهينا إلى شجرة فاضطجع مقتولا كما كان، فرجعت إلى أصحابى فأخبرتهم.

ومنها ميت يوصى فتنفذ وصيته

و فى (تهذيب الأسماء و اللغات) ج١ ص١٤٧ أن ثابت بن قيس بن شماس بن مالك الصحابى رضي الله عنه أستشهد يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر رضى اله عنه سنة إحدى عشرة، و مشهور فى كتب المغازى أنه لما استشهد كان عليه درع نفيسة فأخذها رجل، فرأى رجل ثابتا فى منامه، فقال له ثابت: إنى أريد أن أوصيك وصية، فإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، إنى قتلت أمس، فمر بى رجل فأخذ درعى و منزله فى أقصى الناس، و عند خبائه فرس يستن فى طِوَلِهِ، و قد كفأ على الدرع برمة، و فوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليبعث

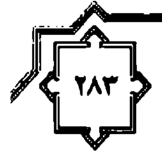
فليأخذها، فإذا قدمت المدينة فقل لأبى بكر الصديق ﷺ: إن عليّ من الدين كذا و كذا، و فلان من رقيقى حر و فلان، فأتى الرجل خالدا فبعث إلى الدرع فأتى بها على ما وصف، و أخبر أبابكر ﷺ برؤياه فأجاز وصيته، قالوا: و لا نعلم أحدا أوصى بعد موته فأجيزت وصيته غير ثابت ﷺ، و ذكرها الهيثمى فى (مجمع الزوائد) ج٩ ص٣٢٢، و قال: رواه الطبرانى، و فى سنده بنت ثابت بن قيس و لم أعرفها و بقية رجاله رجال الصحيح. و الظاهر أن بنت ثابت صحابية و الله أعلم اهـ..

و رواه الهيثمى عن أنس و قال: رواه الطبرانى و رجاله رجال الصحيح اهـ.. و فى تعليق على (سير أعلام النبلاء) ج١ ص٣١٢ أن الحاكم أخرجه و صححه و وافقه الذهبى و ذكره الحافظ فى (المطالب العالية) اهـ..

منها ميت يقرى الضيوف

ففى (البداية و النهاية) ج٢ ص٢١٧ روى أبوبكر الخرائطى بسنده عن المحرر مولى أبى هريرة قال: مرّ نفر من عبد القيس بقبر حاتم طيىء فنزلوا قريبا منه، فقام إليه بعضهم يقال له أبو الخيبرى فجعل يركض قبره برجله، و يقول: يا أبا جعد أقرنا، فقال له بعض أصحابه، ما تخاطب من رمة و قد بليت، و أجنهم الليل فناموا فقام صاحب القول فزعا يقول: يا قوم عليكم بمطيكم فإن حاتما أتانى فى النوم و أنشدنى شعرا و قد حفظته يقول:

أبا الخيبرى و أنت امرؤ ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بصحبك تبغى القرى لدى حفرة قد صدت هامها
أتبغى لى الذنب عند المبيت و حولك طيّىء و أنعامها



قال: و إذا ناقة صاحب القول تكوس عقيرا، فنحروها و قاموا يشتوون و يأكلون، و قالوا: و الله لقد أضافنا حاتم حيا و ميتا قال: و أصبح القوم و أردفوا صاحبهم و ساروا فإذا رجل ينوه بهم راكبا جملا و يقود آخر و يقول: أيكم أبو الخيبرى؟ قال: أنا، قال إن حاتما أتانى فى النوم فأخبرنى أنه قرى أصحابك ناقتك و أمرنى أن أحملك و هذا بعير فخذه و دفعه إليه اهـ..

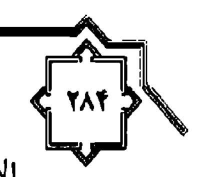
و ذكر هذه القصة أيضا الشيخ عبد القادر بدران فى (تهذيب تاريخ دمشق) للحافظ ابن عساكر ج٣ ص٤٣١ باختلاف يسير فى بعض الألفاظ.

و فى (الإصابة فى تمييز الصحابة) ج٢ ص٣٥٠ ذكر الزبير فى (الموفقيات) أن الصحابي الخيبرى بن النعمان ﵁ نزل على حاتم الطائى بعد أن مات، و طلب منه القرى، فرآه في المنام و أنشده أبياتا، و القصة مشهورة. و مثله في (أسد الغابة) ج٢ ص١٢٨. قوله «تكوس عقيرا» أى تصرع ففي (المقاييس) كاسه يكوسه إذا صرعه، و منه كاست الناقة إذا عقرت فقامت على ثلاث، و إنما قيل لها ذلك لأنها قد قاربت أن تصرع اهـ. و عَقرُ البعيرِ معروف و هو قطع إحدى قوائمه ليسقط. و قوله « ينوّه بهم» أى يرفع ذكرهم و يعظمهم.

و العجائب التى ظهرت من الأموات كثيرة جدا و نقتصر على ما ذكرناه.

الخلاصة

لقد تبين مما ذكرناه أن الميت ينتفع بمجاورة الصالحين و يتأذى بمجاورة الفسقة و المبتدعة و نحوهم، و أنه يؤذى الأحياء و ينفعهم، و تعرض عليه أعمالهم فيستبشر إذا كانت حسنة، و يتأذى بها و يحزن إذا كانت سيئة، ثم يدعو لهم، و أن الأموات ترحب الأحياء و يتلقون من مات فيسئلونه عن أهليهم فى الدنيا و أحوالهم، و أن الغرائب و الأمور النادرة تصدر منهم.



و هذا كله يدل على أن للأموات تصرفات في برازخهم و أنهم قد ينفعون الأحياء و من جاورهم من الأموات و ينتفعون بهم، فبهذا تحقق أن التبرك بمجاورة الصالحين من الأموات ثابت شرعا واقع فعلا، و أنه لا مانع منه شرعا و عقلا، فلتطمئن بذلك القلوب التى تخيلت أن الأموات كالجمادات، و أن الخطاب معها و النداء لها كخطاب الأحجار و ندائها و ليقتنعوا بالحجج النقلية و النقول السمعية و أقوال الأئمة. و الله الهادى إلى الحق و إلى الصراط المستقيم.

باب التبرك بأول مطر السنة

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً﴾. و قال النووي رحمة الله في (المنهاج) في باب الاستسقاء: و يسن أن يبرز لأول مطر السنة، و يكشف غير عورته ليصيبه، قال الخطيب في شرحه: أى ليصيبه شيء من المطر تبركا اه...

و قال النووى أيضا في (المجموع) ج٥ ص٩٣: قال سليم الرازى و الشيخ نصر المقدسى و صاحب (العدة): يستحب إذا جاء المطر في أول السنة أن يخرج إليه الإنسان، و يكشف ما عدا عورته ليصيبه منه، و ذكر الشافعى في (الأم) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لغلامه و قد مطرت السماء: أخرج فراشى ورحلى يصيبه المطر، فقيل له: لم تفعل هذا؟ فقال: أما تقرأ كتاب الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً﴾، فأحب أن تصيب البركة فراشي و رحلى اه...

و في (المغني) لابن قدامة الحنبلى ج٢ ص٤٤٠: و يستحب أن يقف في أول المطر، و يخرج رحله ليصيبه المطر، ثم استدل بحديث البخارى الآتي و بالحديث الموقوف على ابن عباس المذكور.



و في (إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين) لمرتضى الزبيدي ج٦ ص٥٦٩ أنه ﷺ كان يستقبل الغيث و يتبرك به و يقول: حديث عهد بربه.

وروى مسلم في صحيحه عن أنس قال: حسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر، قلنا يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه. وروى البخاري في (الأدب المفرد) مثله.

قال النووي في شرح مسلم ج٦ ص١٩٥: و معنى حديث عهد بربه أى بتكوين ربه إياه، و معناه أن المطر رحمة و هى قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها، و في هذا الحديث دليل لقول أصحابنا أنه يستحب عند أول المطر أن يكشف غير عورته ليناله المطر و استدلو بهذا اه...

و قال الحافظ العسقلاني: قال العلماء: معناه قريب العهد بتكوين ربه. و عقد البخاري بابا لهذه المسئلة فقال في صحيحه: باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته ثم ذكر حديث الأعرابي القائل: يا رسول الله هلك المال و جاع العيال فادع الله لنا أن يسقنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه و ما في السماء قزعة، قال: فثار سحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ـ الحديث. قال الحافظ العسقلانى في (فتح الباري شرح صحيح البخاري) ج٢ ص٥١٩ ـ ٥٢٠ عند شرحه لهذا الباب: قوله تمطر: بتشديد الطاء أى تعرض لوقوع المطر، و لعل البخاري أشار إلى ما أخرجه مسلم عن أنس قال: حسر رسول الله ﷺ ثوبه إلى آخر الحديث المذكور، فكأن البخارى لما ترجم بقوله باب من تمطر أراد أن يبين أن تحادر المطر على لحيته ﷺ لم يكن اتفاقا و إنما كان قصدا اه... أى فإذا كان ﷺ تعرض لنزول المطر عليه قصدا فكذلك نقصد و نتعرض لنزوله علينا اتباعا له ﷺ و أسوة به، فمؤدى الحديثين واحد، و هو سنية التبرز للمطر اتباعا له ﷺ، و ظاهر أن المطر الذى في رواية البخاري

كان أول مطر السنة، و أما رواية مسلم المطلقة فيحتمل أنها محمولة على رواية البخاري المقيدة و هذا هو الظاهر، و الله أعلم. قوله حسر ثوبه: أي كشفه، و قوله قزعة: بفتح القاف و الزاي القطعة من السحاب.

و في (المغني) للخطيب يسن عند أول كل مطر كما قال الزركشي لظاهر خبر رواه الحاكم و لكنه في الأول آكد اه...

فائدة:

و في (الأذكار) للنووي روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهم بارك بنا في ثمرنا و بارك لنا في مدينتنا و بارك لنا في صاعنا و بارك لنا في مدنا، ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر، و في رواية لمسلم أيضا: بركة مع بركة، ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان، و في رواية الترمذي: أصغر وليد يراه، و في رواية لابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه: اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره، ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان. قال ابن علان في شرحه على (الأذكار) ج٦ ص٢٣٦: قوله وضعها على عينيه أي لقرب عهدها بتكوين الله تعالى كما كان يخرج يغتسل من ماء المطر و يقول: إنه قريب عهد بربه أي بتكوينه اه...

فائدة أخرى:

روى البخاري في باب من اغتسل عريانا من كتاب الغسل، و في كتاب الأنبياء و كتاب التوحيد من صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: بينا أيوب عليه السلام يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى و عزتك، ولكن لاغنى بي عن بركتك اهـ...



و قال الحافظ في (الفتح) ج٦ ص٤٢١: و في هذا الحديث تسمية المال الـذي يكون من هذه الجهة بركة، و جواز الحرص على الإستكثار من الحـلال في حـق من وثق من نفسه بالشكر عليه. و قال ابن علان في (دليل الفالحين شرح ريـاض الصالحين) ج٢ ص٤٥٨: قوله يحثى في ثوبه: يعنى استكثارا مـن البركـة لكونـه قريب عهد بتكوين من الله سبحانه.

التبرك بلحم الأضحية والهدي

قال الفقهاء ﷺ: الأفضل التصدق بكل الأضحية و الهدي إذا كانا تطوعا إلا لقما يتـبرك بهـا، قـال الإمـام النـووى في (الروضـة) ج٣ ص٢٢٣: الأفـضل و الأحسن في هدي التطوع و أضحيته التـصدق بـالجميع إلا لقمـة أولقـما يتـبرك بأكلها فإنها مسنونة انتهى.

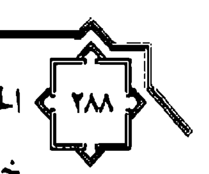
تتمه في ذكر عدد من أكابر الائمة الذين يتبرك بهم

١ ـ فمنهم أبو داود السجستاني

ففي (الأذكار) للنووى ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ عـن سـهل بـن عبـد الله التـستري السيد الجليل أحد أفـراد زهـاد الأمـة و عبادهـا ﷺ أنـه كـان يـأتى أبـا داود السجستانى و يقول: أخرج لي لسانك الذى تحدث بـه حـديث رسـول الله ﷺ لأقبّله فقبّله اه...

٢ ـ وسعد بن على بن محمد الزنجاني الصوفي

قال الذهبي في (سير أعـلام النـبلاء) ج١٨ ص٣٨٦: كـان الإمـام العلامـة الحافظ القدوة العابد شيخ الحرم أبو القاسم سعدبن على بن محمد بن علـى بـن



الحسين الزنجاني الصوفي كثير العبادة، ورعا صاحب كرامات و آيات، و إذا خرج إلى الحرم يخلو المطاف و يقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود. ولد سنة ٣٨٠ تقريبا. و توفي سنة ٤٧١ وله ٩٠ عاما، و كان متقنا ثقة. و ذكر في (تذكرة الحفاظ) ص١١٧٥ مثله.

و قال ابن كثير في (البداية و النهاية) ج١٢ ص١٢٠: كان سعد بن على الزنجاني إماما حافظا متعبدا، و كان الناس يتبركون به. قال ابن الجوزى: و يقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود. وفي (شذرات الذهب) ج٣ ص٣٤٠ أنه كان صاحب كرامات و آيات، يزدحم الناس عليه و عند الطواف كازدحامهم على الحجر اه...

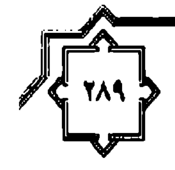
٣ـ و أبو العباس أحمد بن موسى بن على بن عمر بن عجيل الشافعي

و في (طبقات الخواص) ص٥٧: كان ابن عجيل إذا دخل مكة و أراد أن يطوف أقبل الناس عليه يقبلون يده و يتبركون به و يشتغلون به من كل شيء و كان يقول لهم: أنتم في بيت الله تعالى و محل كرامته و أنا مخلوق مثلكم، فلا يزدادون إلا إقبالا عليه و ملازمة له.

٤ـ و أبو عبد الله البوشنجى

ففى (طبقات الشافعية) لابن هداية الله ص٢٣ أن أباعبد الله البوشنجى محمد بن إبراهيم كان فقيها أديبا شيخا لأهل الحديث في زمانه و كان العلماء يعظمونه و يتبركون به.

و قال الذهبي في (تذكرة الحفاظ) ص٦٥٨: قال أبو زكريا العنبرى: شهدت جنازة الحسين القباني فصلى عليه أبو عبد الله البوشنجى، فلما أراد الإنصراف



قدمت دابته فأخذ الحافظ أبو عمرو الخفاف بلجامه و أخذ الإمام ابن خزيمة بركابه، و إبراهيم بن أبى طالب و الجارودى يسويان ثيابه فلم يمنعهم من ذلك.

ولد البوشنجى سنة ٢٠٤، ومات سنة ٢٩٠ بنيسابور.

٥ـ و الإمام البخاري

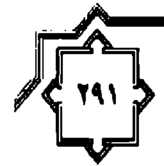
ففي (إرشاد الساري شرح صحيح البخاري) للحافظ القسطلانى ج١ ص١٣٥ أن الإمام مسلما جاء إلي محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه و قال: دعني حتى أقبل رجلك يا أستاذ الإستاذين و سيد المحدثين و طبيب الحديث فى علله.

و مثلها في (مرقاة المفاتيح) لعلى بن سلطان قارى ج١ ص١٤.

٦ـ والعارف بالله الشبلي

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في (بستان الواعظين و رياض السامعين) ص٣٩٣ ـ ٣٩٥: حكي عن بعضهم أنه قال: كنت عند أبي بكر بن مجاهد جالسا إذ أقبل الشبلى، فقام أبوبكر إليه و قبّل بين عينيه، فقلت: يا سيدى تفعل هذا بالشبلى؟ و أهل بغداد يقولون عنه: إنه مجنون، و قال: قد فعلت به كما رأيت رسول الله ﷺ يفعل به، و ذلك أنى رأيت رسول الله ﷺ في المنام و قد أقبل الشبلي، فقام النبى ﷺ فعانقه و قبّله بين عينيه، فقلت له يا رسول الله: تفعل هذا بالشبلى؟ فقال ﷺ: نعم، لأنه يقرأ في آخر كل صلاة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ الآية، ثم يتبعها بالصلاة علىّ. و في (القول البديع) ص١٦٧ ذكر الحافظ أبو موسى المديني و غيره حكاية ساقها ابن بشكوال و أبو موسى المديني

و عبد الغني وابن سعد بسندهم إلى أبى بكر بن محمد بن عمر قال: كنت عند أبي بكر بن مجاهد فجاء الشبلى فقام إليه أبوبكر بن مجاهد فعانقه و قبّل بين عينيه، فقلت له: ياسيدي تفعل بالشبلى هكذا و أنت و جميع من ببغداد يتصورون أو قال: يقولون: إنه مجنون، فقال لي: فعلت كما رأيت رسول الله ﷺ فعل به، وذلك أنى رأيت رسول الله ﷺ في المنام و قد أقبل الشبلي فقام إليه و قبّل بين عينيه، فقلت: يا رسول الله أتفعل هذا بالشبلى؟ فقال؟ هذا يقرأ بعد صلاته: لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة و يتبعها الأية، و يقول ثلاث مرات: صلى الله عليك يا محمد، صلى الله عليك يا محمد، صلى الله عليك يا محمد، قال: فلما دخل الشبلى سألته عما يذكر في الصلاة فذكر مثله، و هى عند ابن بشكوال من طريق أبى القاسم الخفاف. قال: كنت يوما أقرأ القرآن على رجل يكنى أبا بكر و كان وليا لله فإذا بأبي بكر الشبلى قد جاء إلى رجل يكنى بأبي الطيب كان من أهل العلم فذكر قصة طويلة و قال في آخرها: ومشى الشبلى إلى مسجد أبى بكر بن مجاهد فدخل عليه فقام إليه فتحدث أصحاب ابن مجاهد بحديثها و قالوا له: أنت لم تقم لعلى ابن عيسى الوزير و تقوم للشبلى، فقال: ألا أقوم لمن يعظمه رسول الله عليه و سلم رأيت النبى ﷺ في النوم فقال لي: يا أبا بكر إذا كان في غد فسيدخل عليك رجل من أهل الجنة فإذا جاءك فأكرمه قال ابن مجاهد: فلما كان بعد ذلك بليلتين أو أكثر رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: يا أبا بكر أكرمك الله كما أكرمت رجلا من أهل الجنة، فقلت: يا رسول الله لم استحق الشبلى هذا منك؟ فقال: هذا رجل يصلى خمس صلوات يذكر في أثر كل صلاة و يقرأ: لقد جاءكم رسول من أنفسكم الأية، يقول ذلك منذ ثمانين سنة أفلا أكرم من يفعل هذا؟



٧ـ و اسماعيل بن محمد الحضرمي

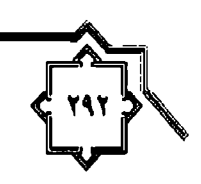
و في (شذرات الذهب) و (طبقات الخواص) أن بعض الصلحاء رأى المصطفى ﷺ فقال له: من قبّل قدم الحضرمي دخل الجنة. فبلغ ذلك بعض العلماء فقصدوا إليه و قبّلوا قدميه، منهم الإمام العلامة محب الدين الطبري، و ستأتي القصة بكمالها في التبرك بقبر الحضرمي إن شاء الله تعالى اه...

خاتمه

لقد ذكرنا طرفا من التبرك بالصالحين و ما يلحق بذلك، و الصالح كما في (شرح مسلم) للنووي ج٤ ص١١٧ هو القائم بحقوق الله تعالى و حقوق العباد. و في (بستان العارفين) للنووى أيضا ص٨٦ أنه ينطلق على النبي و الوالي قال الله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، و قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾، و في الحديث أن النبي ﷺ قال في عبد الله بن عمر: إنه رجل صالح.

و قال الإمام أبو اسحاق الزجاج في كتابه (معانى القرآن) و أبو اسحاق ابن قرقول صاحب (مطالع الأنوار): هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله تعالى و حقوق العباد اه...

إلى هنا انتهى الكلام في المقصد الثاني بالتبرك بالصالحين و نتبعه المقصد الثالث في التبرك بقبور الصالحين، فإنه و إن كان داخلا فيها قبله إلا أنا أفردنا له بالترجمة لكثرة النزاع و الخلاف المنتشر فيه بهذا العصر.



المقصد الثالث في التبرك بقبور الصالحين

لما ذكرنا التبرك بزيارة قبره ﷺ أحببنا أن نتبع ذلك ذكر شيء من بركات قبور الأولياء و الصالحين، و استجابة الدعاء عندها و حصول الأمداد لزوارها، و غير ذلك مما يشابهها، و قد ذكرنا أن حرمته ﷺ بعد وفاته كحرمته في حياته، و كذلك الأموات كلها، فحرمة كل إنسان بعد مماته كحرمته في حال حياته، فيكون شرف أصحاب القبور وضده مترتبا على ما كانوا عليه قبل المهات من المحاسن أو غيرها، فالأنبياء عليهم الصلاة و السلام أشرف الخلائق و أعلاهم منزلة عند رب العالمين، و قبورهم أشرف القبور و أعظمها حرمة، فالتبرك بها أقرب إلى التعرض لاستنزال الرحمات و البركات الإلهية، قال الإمام السبكي رحمه الله في (شفاء السقام) ص١٣٠: إن من المعلوم من الدين و سير السلف الصالحين التبر ك ببعض الموتى من الصالحين، فكيف بالانبياء و المرسلين، و من ادعى أن قبور الأنبياء و غيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمرا عظيما نقطع ببطلانه و خطئه فيه، و فيه حط لدرجة النبي ﷺ إلى درجة من سواه من المسلمين، و ذلك كفر متعين، فإن من حط رتبة النبي ﷺ عما يجب له فقد كفر اه..

و في (مجمع الزوائد و منبع الفوائد) ج١ ص١٥٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت خيرا من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض، كلهن في القرآن ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾،

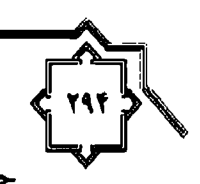


﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ ماكانوا يسألون ألا عما ينفعهم، قال: و أول من طاف بالبيت الملائكة، و إن ما بين الحجر إلى الركن اليماني لقبور من قبور الأنبياء، كان النبي إذا آذاه قومه خرج من بين أظهرهم يعبد الله فيها حتى يموت. رواه الطبراني في (الكبير) و فيه عطاء بن السائب و هو ثقة ولكنه اختلط و بقية رجاله ثقات اه... و قوله كان النبي: يعني أن بعض الأنبياء إذا آذاه قومه كان يخرج من بين أظهرهم إلخ، و الله أعلم.

فالأنبياء عليهم الصلاة و السلام أصحاب الجاه عند خالق الأرض و السموات، فلا يخيب من لاذ بهم و تعلق بأذيالهم، فإنهم الواسطة بين الخالق جل جلاله و بين خلقه، أمناء وحيه و رسالاته، و الشفعاء عند الله في عرصات القيامة، فكم من إمام جليل ركب في زيارة مقابرهم المشقات، و قطع في ذلك المفاوز و الفلوات، و اصطبر على مفارقة الأوطان و الأهالي و الأولاد و الأحباب، كي ينال بالوقوف بين أيديهم محو الخطيئات و الزلات، و يبلغ بذلك عند الله الدرجات العاليات.

و قد قسم العلماء زيارة القبور إلى أقسام، ففي (شفاء السقام) للإمام السبكي ص٨٦ ـ ٨٨: اعلم أن زيارة القبور على أقسام الأول: أن يكون لمجرد تذكر الموت و الآخرة و هذا يكفي فيه رؤية القبور من غير معرفة بأصحابها و لا قصد أمر آخر من الاستغفار لهم و لا من التبرك بهم و لا من أداء حقوقهم، و هو مستحب لقوله ﷺ: زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة، الثاني: زيارتها للدعاء لأهلها كما ثبت من زيارة النبي ﷺ لأهل البقيع، و هذا مستحب في حق كل ميت من المسلمين.

الثالث: التبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح والخير وهي مشروعة.



الرابع: لأداء حقوقهم فإن من كان له حق على الشخص فينبغى له بره فى حياته و بعد موته، و زيارته من جملة البر لما فيها من الإكرام، و يدخل فى هذا المعنى الزيارة رحمة للميت ورقة له و تأنيسا، فقد روى عنه ﷺ أنه قال: آنس ما يكون الميت فى قبره إذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا اه.. و مثله فى (دليل الفالحين شرح رياض الصالحين) ج٣ ص١٨، و مثله أيضا فى (حاشية عبد الحميد الشروانى على تحفة المحتاج) ج٣ ص٢١٩ و قالا فى قسم الزيارة للتبرك ما نصه: تسن (أى الزيارة) لأهل الخير لأن لهم فى برازخهم تصرفات و بركات لا يحصى مددها، و فيها: إذا رأى من يحبه بدل إذا زاره قال ابن حجر فى مبحث الزيارة من (تحفة المحتاج بشرح المنهاج) ما حصله: إن القصد من زيارة نحو العلماء تعظيمهم باحياء مشاهدهم، و أيضا فزوارهم يعود عليهم مدد أخروى لا ينكره إلا المحرومون اه..

فاتضح مما ذكرناه أن المقصود من زيارة القبور مختلف، فمنه الدعاء و الاستغفار للميت، و منه الرحمة و التأنيس له، و منه الانتفاع بزيارته، و منه التذكر و الاتعاظ به، و من القبور قبور لا تقصد إلى زيارتها و لا ترغب مجاورتها بل تكره النفوس رؤيتها كقبر أبى رغال الثقفى الذى يرجم قبره، ففى (شرح ابن علان على الأذكار) ج٤ ص٢١٤ قال الحافظ العسقلانى: لما مر أصحاب الفيل بالطائف خرج إليهم ناس من ثقيف فقالوا: إن البيت الذى تريدون هدمه ليس عندنا و لكن نبعث معكم رجلا يدلكم على الطريق، فبعثوا أبا رغال فسار حتى أنزلهم فى (المغمس) فمات أبو رغال هناك، فهو الذى يرجم قبره اليوم، و فيه يقول الشاعر:

إذا مات الفرزدق فارجموه ... كما ترمون قبر أبى رغال



وروى ابن عمر أن عمر قال لرجل طلق نساءه: لترجعن نساءك و إلا فإن مت لأرجمن قبرك كما رجم رسول الله ﷺ قبر أبى رغال. و أبو رغال بكسر الراء و المغمس بضم الميم و فتح الغين المعجمة و فتح الميم الثانية المشددة أو كسرها مكان فى طريق الذاهب إلى الطائف من مكة اه..

و فى (البداية و النهاية) ج١ ص١٣٧ ك أن النبى ﷺ مر بقبر أبى رغال فقال: أتدرون من هذا؟ قالوا: الله و رسوله أعلم قال: هذا قبر أبى رغال رجل من ثمود، كان فى حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا، و دفن معه غصن من ذهب، فنزل القوم فابتدوره، بأسيافهم فبحثوا عنه فاستخرجوا الغصن اه..

قلت: و لا يخفى ما بين الروايتين من التعارض فالله أعلم بأيهما أصح.

و كذلك قبور سائر الكفار فلا تقصد إلا للتذكر و الاعتبار، بل اختلفوا فى حكم زيارتها لذلك، فمنعها بعضهم و أباحها آخرون. فشتان ما بين قبر يرجم و بين قبر يتبرك به.

و قال الإمام الحافظ الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) ج١ ص١٢١: أخبرنا أبو عبد الرحمن أسماعيل بن أحمد الحيرى الضرير قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى بنيسابور، قال: سمعت أبا بكر الرازى يقول: سمعت عبد الله بن موسى الطلحى يقول: سمعت أحمد بن العباس يقول: خرجت من بغداد فاستقبلنى رجل عليه أثر العبادة فقال لى: من أين خرجت؟ قلت: من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد خفت أن يخسف بأهلها فقال: ارجع و لا تخف، فإن فيها قبورا أربعة من أولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا. قلت: من هم؟ قال: هم الإمام أحمد بن حنبل، و معروف الكرخى، و بشر الحافى، و منصور بن عمار، فرجعت وزرت القبور و لم أخرج تلك السنة،

ثم قال الشيخ أبو بكر الخطيب: أما قبر معروف فهو في مقبرة باب الدير، و أما الثلاثة الآخرون فقبورهم بباب حرب اه.. و هذا يشهد ما ذكروه من أن لأهل الخير تصرفات و بركات في برازخهم، و روى الخطيب أيضا ج١ ص١٢٣ أن في بغداد مقابر مخصوصة بالعلماء و الزهاد، منها مقابر (باب البردان) و فيها جماعة من أهل الفضل، و عند المصلى بصلاة العيد قبر يعرف بقبر النذور يتبرك الناس بزيارته، و يقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته. حدثني القاضي أبو القاسم على ابن المحسّن التنوخي قال: حدثني أبي قال: كنت جالسا بحضرة عضد الدولة و نحن مخيمون بالقرب من مصلى الأعياد من مدينة السلام (بغداد) نريد الخروج معه إلى همذان، فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور، فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، يقال: إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، و يقال: إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، و إن بعض الخلفاء أراد قتله خفيّا، فجعل له هنالك زبية و سيّر عليها و هو لا يعلم، فوقع فيها و هيل عليه التراب حيا، و إنما شهر بقبر النذور لأنه ما يكاد ينذر له نذر إلا صح، و بلغ الناذر ما يريد ولزمه الوفاء بالنذر، وأنا أحد من نذر له مراراً لا أحصيها كثرة نذوراً على أمور متعذرة، فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به، فلم يتقبل عضد الدولة هذا القول، و تكلم بما دل أن هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقا فيتسوق العوام بأضعافه و يسيّرون الأحاديث الباطلة فيه فأمسكت، فلما كان بعد أيام يسيرة استدعاني في غدوة يوم و قال: اركب معي إلى مشهد النذور فركبت و ركب في نفر من حاشية إلى أن جئت به إلى الموضع، فدخله وزار القبر، وصلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد. ثم ركبنا معه إلى خيمته و أقمنا أياما، ثم رحل و رحلنا معه يريد همذان، فبلغناها و أقمنا فيها

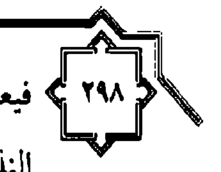


معه شهورا، فلما كان بعد ذلك استدعاني و قال لي: ألست تذكر ما حدثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد؟ فقلت: بلى! فقال: إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتمادا لإحسان عشرتك، و الذي كان في نفسي في الحقيقة أن جميع ما يقال فيه كذب، فلما كان بعد ذلك بمُديدة طرقني أمر خشيت أن يقع، و أعملت فكري في الاحتيال لزواله، فلم أجد لذلك فيه مذهبا، فذكرت ماأخبرتني به في النذر لمقبرة النذور، فقلت: لم لا أجرب ذلك؟ فنذرت إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل إلى صندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاح، فلما كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر، فتقدمت ألى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف يعني كاتبه أن يكتب إلى أبي الريان و كان خليفته ببغداد يحملها إلى المشهد ثم التفت إلى عبد العزيز و كان حاضرا فقال له عبد العزيز: قد كتبت بذلك و نفذ الكتاب.

ثم ذكر الخطيب طريقين آخرين حكى فيهما أن صاحب قبر النذور هو عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و ليس بعبيد الله بن محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب اه.. و الزبية كما في القاموس حفرة تحفر لأسد اه..

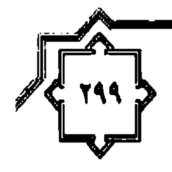
قلت: كان علي بن المحسن من مشايخ الخطيب البغدادي، و قال فيه الخطيب: كان محتاطا صدوقا في الحديث و مات سنة ٤٤٧هـ. و قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء)ج١٧ ص٦٤٩: كان أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي عالما معمرا وروى شيئا كثيرا اه..

و أما أبوه محسن بن علي قال فيه الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ج١٦ ص٥٢٤: كان قاضيا علامة أديبا صاحب تصانيف و كان سماعه صحيحا.توفي سنة ٣٨٤هـ. انتهى، و ترجم له ابن العباد في (شذرات الذهب) ترجمة حسنة.



فيعلم بما ذكرناه درجة هذا الإسناد الذى روى به الخطيب البغدادى بقصة قبر النذور.

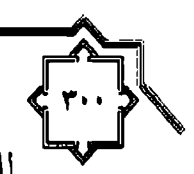
و قال الحافظ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى فى (صفة الصفوة) ج٤ ص١٦: عن مالك بن دينار قال: احتبس علينا المطر بالبصرة فخرجنا يوما بعد يوم نستسقى فلم نر أثرًا لإجابة، فخرجت أنا و عطاء السليمى و ثابت البُنانى و محمد بن واسع و حبيب الفارسى و صالح المرى و اخرون حتى صرنا إلى المصلى بالبصرة فاستسقينا فلم نر أثرا لإجابة، و انصرف الناس، و بقيت أنا و ثابت فى المصلى، فلما أظلم الليل إذا بأسود دقيق الساقين، فجاء إلى ماء فتمسح ثم صلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء فقال: سيدى إلى كم ترد عبادك فيما لاينقصك، أقسمت عليك بحبك لى إلا ماسقيتنا غيثك الساعة الساعة، فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء و أخذتنا كأفواه القِرب، فما خرجنا حتى خضنا الماء، فتعجبنا من الأسود فتعرضت له فقلت: أما تستحيى مما قلت؟ قال: و ما قلت؟ قلت: قولك: بحبك لى، و ما يدريك أنه يحبك؟ قال: تنح عن همتى يامن اشتغل عنه بنفسه أين كنت أنا حين خصنى بتوحيده و معرفته؟ أتراه بدأنى بذلك إلا لمحبته لى؟ ثم بادر يسعى فقلت: أرفق بنا قال: أنا مملوك علىّ فرض من طاعة مالكى الصغير، فدخل دار نخّاس فلما أصبحنا أتيت النخّاس فقلت له: عندك غلام تبيعنيه للخدمة؟ قال: نعم، عندى مائة غلام، فجعل يخرج إلىّ واحدا بعد واحد و أنا أقول غير هذا إلى أن قال: ما بقى عندى أحد، فلما خرجنا إذا الأسود قائم فى حجرة خربة فقلت: بعنى هذا قال: هذا غلام مشؤوم لا همة له إلا البكاء، فقلت: و لذلك أريده فدعاه و قال لى: خذه بما شئت بعد أن تبرئنى من عيوبه، فاشتريته بعشرين دينارا، فلما خرجنا قال: يا



مولاى لماذا اشتريتنى؟ قلت: لنخدمك نحن قال: و لم ذلك؟ قلت: أليس أنت صاحبنا البارحة فى المصلى؟ قال: و قد اطلعت على ذلك؟ فجعل يمشى حتى دخل مسجدا فصلى ركعتين ثم قال: إلهى و سيدى سرّ كان بينى و بينك أظهرته للمخلوقين، أقسمت عليك إلا قبضت روحى الساعة. فإذا هو ميّت، فبقبره نستسقى و نطلب الحوائج إلى يومنا هذا، انتهى بحذف يسير.

و كم من إمام جليل و عالم نبيل و سائح فى مشارق الأرض و مغاربها ذكر فى كتبه كثيرا من القبور المباركة كالحافظ الكبير ابن عساكر، فإنه عقد بابا ذكر فيه فضل مقابر دمشق فى كتابه (تاريخ دمشق) كما ذكره الشيخ عبد القادر بدران فى (تهذيب تاريخه)، فمما قال فيه: إن فى الشام قبورا كثيرة من قبور الانبياء عليهم الصلاة و السلام، و قال: يروى عن عبد الله بن سلام أنه كان يقول: إن بالشام من قبور الأنبياء ألفى قبر و سبعمائة قبر. و قال ابن عباس: من أراد أن ينظر إلى المقبرة التى فيها مريم بنت عمران و الحواريون فليأت مقبرة الفراديس، و هى مقبرة دمشق، و فيها قبور جماعة من الصحابة الأخيار، ثم ذكر ما جاء فى فضل المقابر التى بدمشق من الأخبار، و مدح الأمير أبو الفضل إسماعيل بن الأمير أبى العساكر سطان بن على بن منقذ الكنانى بلدة (دمشق) بقصيدة طويلة ذكر فيها محاسنها مفصلة. فمما قال فيها:

ذو ربوة جاء القرآن بذكرها — و مساجد بركاتها لن تجهلا
و مدارس لم تأتها فى مشكل — إلا وجدت فتى يحل المشكلا
و أئمة تلقى الدروس و سادة — تشفى النفوس وداؤها قد أعضلا
و قبور قوم من دعا فى مطلب — متعسر أضحى بها متسهلا
من صالحين و تابعين و زمرة — شهداء شاهدت النبى المرسلا



و عقد جمال الدين محمد جار الله بن محمد فى الجامع اللطيف ص٣٤٧ بابا للمقابر المباركة التى تزار بمكة و قربها فقال: منها مقبرة المعلاة لما قد حوته من سادات الصحابة و التابعين و كبار العلماء و الصالحين و أفضل شعابها الشعب الذى يقال: إن فيه قبر أم المؤمنين خديجة ﵂ و لم يرد ما يعتمد عليه فى ذلك لقوله ﷺ: نعم الشعب و نعم المقبرة أخرجه الأزرقى.

ورى أبو سعد بن السمعانى فى تاريخه عن أبى نصر محمد بن ابراهيم الاصبهانى أنه رأى فى المنام كأن إنسانا مدفونا فى المعلاة استُخْرِج و مرّوا به إلى موضع آخر قال: فسألت عن حاله فقالوا: هذه المقبرة منزهة عن أهل البدعة لا تقبل أرضها مبتدعا.

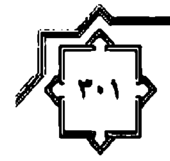
و نقل عن الشيخ خليل المالكى ﵀ أن الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن، بالمعلاة عند قبور سماسرة الخير و عند قبر الشولى و عند قبر إمام الحرمين عبد المحسن بن أبى عبد الحميد أقول: قبور سماسرة الخير بالقرب من البئر المعروفة بئر أم سليمان التى يقصر منها القصارون الثياب الآن و قبر الشولى و إمام الحرمين معروفان اه.

و ذكر ابن بطوطة فى رحلته المشهورة كثيرا من القبور المباركة. فقد عقد بابا للمشاهد المباركة بالبصرة ص١٨٣ ثم قال: منها مشهد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة ﵁ و هو بداخل المدينة، و عليه قبة و مسجد و زاوية فيها الطعام للوارد و الصادر، و أهل البصرة يعظمونه تعظيما شديدا و حق له.

و منها مشهد الزبير بن العوام ﵁ و هو بخارج البصرة، و له مسجد و زاوية فيها طعام لأبناء السبيل.

و منها قبر حليمة السعدية أم رسول الله ﷺ من الرضاعة.

و منها قبر أبى بكرة صاحب رسول الله ﷺ و عليه قبة.



و على ستة أميال منها قبر أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ.

و منها قبر الحسن بن أبى الحسن البصرى سيد التابعين،و قبر محمد بن سيرين، و قبر محمد بن واسع و قبر عتبة الغلام و قبر مالك بن دينار و قبر حبيب العجمى وقبر سهل بن عبد الله التسترى.

و على كل قبر منها مكتوب فيه اسم صاحب القبر و وفاته.

و بها سوى ذلك قبور الجم الغفير من الصحابة و التابعين.

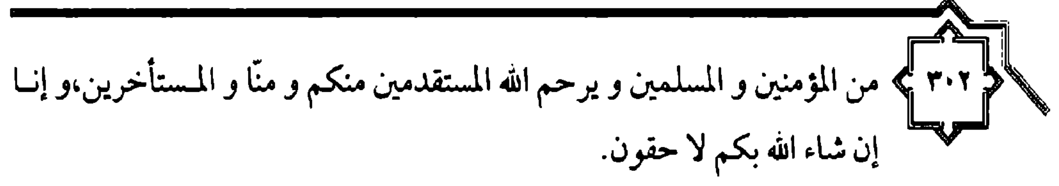
و قال ابن بطوطة أيضا فى موضع آخر من (رحلته) ص٢٠٧: و من مشاهد مدينة (شيراز) مشهد ابن موسى أخى على الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضي الله عنهم، و هو مشهد معظم عند أهل شيراز يتبركون به و يتوسلون إلى الله تعالى القضاة و الفقهاء و الشرفاء.

و فيها مشهد الإمام القطب الولى أبى عبد الله بن خفيف المعروف عندهم (بالشيخ) و هو قدوة بلاد فارس كلها، و مشهده معظم عندهم يأتون إليه بكرة و عشيا فيتمسحون به، و قد رأيت القاضى مجد الدين أتاه زائرا و استلمه، و يجتمع به القضاة و الفقهاء، و يفعلون به كفعلهم فى مشهد أحمد بن موسى، و قد حضرت الموضعين جميعا.

استحباب الدعاء عند القبور

قال النووى فى (الأذكار): و يستحب للزائر الإكثار من قراءة القرآن و الذكر و الدعاء لأهل تلك المقبرة و سائر الموتى و المسلمين أجمعين.

قال أيضا فى (الأذكار): يستحب الأكثار من الزيارة و أن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير و الفضل، روينا فى صحيح مسلم عن عائشة أنها قالت: كيف أقول يا رسول الله تعنى فى زيارة القبور؟ قال: قولى: السلام على أهل الديار



من المؤمنين و المسلمين و يرحم الله المستقدمين منكم و منّا و المستأخرين،و إنا إن شاء الله بكم لا حقون.

قال ابن علان: قال في السلاح: ورواه النسائي، وزاد فيه أنتم لنا فرط و إنا بكم لاحقون اللهم لا تحرمنا أجرهم و لا تفتنا بعدهم.

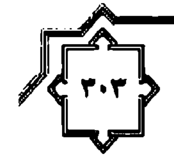
و قال النووي في (الأذكار) أيضا: روينا في صحيح مسلم عن بريدة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين و إنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية.و روينا في كتاب ابن السني عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى البقيع فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فرط، و إنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم و لا تضلنا بعدهم اه..

قال ابن علان: قال الحافظ: هذا حديث حسن أخرجه أحمد وابن ماجه.

ففي هذه الأحاديث استحباب دعاء الزائر لنفسه وللأموات وللمسلمين أجمعين.

إجابة الدعاء عند القبور الصالحين و في بعض المواضع المباركة

قال إمام القراء الحافظ ابن الجزري في مبحث أماكن إجابة الدعاء من كتاب (حصن الحصين من كلام سيد المرسلين) ص٦: قال الحسن البصري رحمه الله في رسالته إلى أهل مكة: إن الدعاء يستجاب هناك في خمسة عشر موضعا في الطواف، و عند الملتزم، و تحت الميزاب، و في البيت، و عند زمزم، و على الصفا و المروة، و في المسعى، و خلف المقام، و في عرفات، و المزدلفة، و في منى، و عند الجمرات الثلاثة، قلت: و إن لم يجب الدعاء عند النبي صلى الله عليه وسلم ففي أي موضع؟!! انتهى بلفظه.



و قال الحافظ الذهبى فى (سير أعلام النبلاء): إن الدعاء يستجاب عند قبور الأنبياء و الصالحين.و سيأتى ذلك أن شاء الله تعالى فى تبرك قبر ابن لال و قبر الأردستانى.

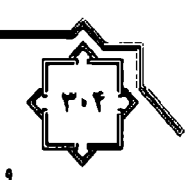
و يأتى إن شاء الله كثير من قبور الأولياء تنال بزيارتها الآمال، و تقصد إليها عند تراكم الهموم و اشتداد الكروب، فيقضى الله سبحانه و تعالى حاجات القاصدين إليها، و تحصل لهم البركات و الأمداد.

وفى (المدخل)لابن الحاج ج١ ص٢٥٥:

و ما زال الناس من العلماء و الأكابر كابرا عن كابر مشرقا و مغربا يتبركون بزيارة قبور الصالحين، و يجدون بركة ذلك حسا و معنى، و قد ذكر الشيخ الإمام أبو عبد الله بن النعمان رحمه الله فى كتابه المسمى (سفينة النجاء لأهل الالتجاء فى كرامات الشيخ أبى النجاء) فى أثناء كلامه على ذلك ما لفظه: تحقق لذوى البصائر و الاعتبار أن زيارة قبورالصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت فى حياتهم، و الدعاء عند قبور الصالحين و التشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من ائمة الدين اه.. و قال ابن الحاج أيضا فى موضع آخر قبيل هذا بقليل: و يدعو الزائر عند هذه القبور يعنى قبور الصالحين عند نازلة نزلت به أو بالمسلمين، و يتضرع إلى الله تعالى فى زوالها و كشفها عنه و عنهم اه..

قلت: و هذا ما رأيناه من العلماء و المشايخ الذين أدركناهم فقد كانوا يقصدون عند الشدائد و الأزمات إلى قبور الصالحين، فيقرأون عندها ما تيسر من القرآن و يهدون ثوابه إليهم، و يسألون الله تعالى حوائجهم.

و قال إمام القراء الحافظ الشهير محمد بن محمد الجزرى الشافعى فى (عدة حصن الحصين) فى فصل عقده لأماكن الإجابة التى هى المواضع المباركة: و جرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط معروفة.



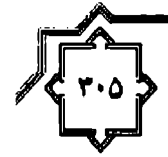
و ذكر أن الدعاء يستجاب أيضا عند رؤية الكعبة، و عند قبور الأنبياء عليهم السلام، و أنه لا يصح قبر نبي بعينه سوى قبر نبينا صلى الله عليه وآله بإجماع، و قبر إبراهيم عليه السلام داخل السور من غير تعيين.

و قال أيضا: جرب إجابة الدعاء في مواضع كثيرة مشهورة كالمساجد الثلاثة، و بين الجلالتين من سور الأنعام، و في الطواف و غير ذلك اه.. و قال الشوكاني في (تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين) ص٧١ ـ ٧٢: أقول: وجه ذلك ـ أي إجابة الدعاء عند قبور الصالحين ـ أنه يكون في هذه المواضع المباركة مزيد اختصاص، فقد يكون ما لها من الشرف و البركة مقتضيا لعود بركتها على الداعي فيها، و فضل الله واسع و عطاؤه جم، و قد تقدم حديث هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فجعل جليس أولئك القوم مثلهم مع أنه ليس منهم، و إنما عادت عليه بركتهم فصار كواحد منهم، فلا يعبد أن تكون المواضع المباركة هكذا، فيصير الكائن فيها الداعي لربه عندها مشمولا بالبركة التي جعلها الله فيها، فلا يشقى حينئذ بعدم قبول دعائه اه.. بلفظه.

و ذكر الشوكاني أيضا ص٧٤ أن بركة المكان تسري على الداعي كما تسري بركة الصالحين الذاكرين الله سبحانه على من دخل فيهم ممن ليس هو منهم كما يفيده قوله صلى الله عليه وآله **«هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»** اهـ.

و قال ابن الجزري في (الحصن الحصين) أيضا: يستجاب الدعاء بين الجلالتين في الأنعام، حفظنا ذلك مجربا عن غير واحد من أهل العلم، و نص عليه الحافظ عبد الرازق في تفسيره عن الشيخ العماد المقدسي اه..

و في (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع) للحافظ السخاوي ص١٢٣: ويروى في بعض الاخبار مما حكاه أبو حفص عمر بن الحسين السمرقندي في كتابه (رونق المجالس) أنه كان بمدينة (بلخ) رجل تاجر كثير

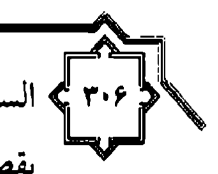


المال، و كان له ابنان، فتوفى الرجل و قسم ابناه المال بينهما نصفين، و كان فى الميراث الذى خلفه أبوهما ثلاث شعرات من شعره ﷺ فأخذ كل واحد منهما شعرة و بقيت شعرة واحدة بينهما فقال أكبرهما: نجعل الشعرة الباقية النصفين، فقال الآخر: لا، والله بل النبى ﷺ أجل من أن يقطع شعره، فقال الكبير لأصغر: تأخذ هذه الثلاث شعرات بقسطك من الميراث؟ فقال: نعم، فأخذ الكبير جميع المال و أخذ الصغير الشعرات فجعلها فى جيبه، و صار يخرجها و يشاهدها و يصلى على النبى ﷺ و يعيدها إلى جيبه، فلما كان بعد أيام فنى مال الكبير و كثر مال الصغير فعاش أياما و توفى، فرآه بعض الصالحين فى النوم، و رأى النبى فقال له: قل للناس: من كانت له إلى الله حاجة فليأت قبر فلان هذا و يسأل الله قضاء حاجته، فكان الناس يقصدون قبره حتى بلغ إلى أن كل من عبر على قبره راكبا ينزل و يمشى راجلا اه..

فإذا ثبت و تحقق أن فى زيارة قبور الصالحين و الأولياء خيرا كثيرا و أجرا جزيلا، أحببت أن أذكر بعض القبور التى يستجاب الدعاء عندها و تستنزل الرحمة بالوقوف لديها، و تنال الرغبات و المأمولات بزيارتها، ليعلم أن طلب الحوائج من الله تعالى عند قبور الصالحين أمر شائع فى جميع البلاد و الأقطار من عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى القرن الخامس عشر الهجرى، و ذلك إقناعا لمن ألقيت فى قلوبهم الشكوك و الأوهام الباطلة، و أرتبها بترتيب وفيات أصحاب تلك القبور و على الله اعتمادى و التكلان.

التبرك بقبر نبي الله شعيب صلّى الله على نبينا و عليه و سلّم

قال النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات): قال السمعانى فى (الأنساب): قبر نبى الله شعيب ﷺ فى (حطّين) و هى قرية بساحل الشام.و هذا الذى قاله



السمعانى مشهور معروف عند أهل بلادنا و على قبره بناء و عليه وقف و يقصده الناس من المواضع البعيدة للزيارة و التبرك اه..

قال (فى معجم البلدان): حطين بكسر أوله و ثانيه و ياء ساكنة و نون قرية بين أرسوف و قيسارية و بها قبر شعيب عليه السلام كذا قال الحافظان أبو القاسم الدمشقى و أبو سعد المروزى. و قال عز الدين بن الأثير فى (اللباب فى تهذيب الأنساب): إن حطّين التى بها قبر شعيب ليست بين (أرسوف) و (قيسارية)، إنما هى قرية بين (طبرية) و(عكا).

قلت: و مقتضى كلام النووى رحمه الله أن قبر نبى الله شعيب عليه و على نبينا الصلاة و السلام معروف بعينه، و هذا مخالف لما تقدم آنفا من ابن الجزرى، و ما قاله الحافظ الجرزى هو المشهور الراجح المعتمد، فقد قال الإمام السبكى فى (شفاء السقام) ص١٣٢: ليس لنا قبر مقطوع به إلا قبره صلى الله عليه وآله اه.. أى ليس لنا قبر من قبور الأنبياء يقطع بموضعه و يعرف بعينه.و نسبوا إلى الشيخ ابن حجر الهيتمى أنه قال:

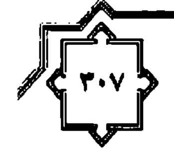
و لم تعلم مقابرهم بأرض ... يقينا غير ما سكن الرسول

يعنى لم يعلم يقينا قبر نبى من قبور الأنبياء بعينه إلا قبر نبينا صلى الله عليه وآله و الله اعلم.

التبرك بقبور بعض الصحابة رضي الله عنهم

التبرك بقبر أم حرام بنت ملحان

و فى (فتح البارى) ج١١ ص٧٦ أخرج الطبرى من طريق الواقدى أن معاوية رضي الله عنه صالحهم بعد فتح (قبرس) على سبعة آلاف دينار فى كل سنة، فلما أرادوا الخروج منها قربت لأم حرام دابة لتركبها فسقطت فماتت، و كان



ذلك سنة ٢٨ على الأصح فقبرها هناك يستسقون به و يقولون: قبر المرأة الصالحة اه..

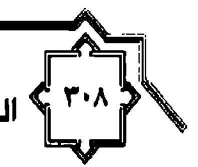
و فى كتاب (التأمل فى حقيقة التوسل)ص٣٥٩ روى ابن عساكر عن أبى نعيم الحافظ قال: أم حرام بنت ملحان الأنصارِية خالة أنس بن مالك كانت تحت عبادة بن الصامت، و خرجت معه فى بعض غزوات البحر و ماتت بالشام و قبرت (بقبرس)، وَقَصَتْها بغلتها فماتت، و أهل الشام يستسقون بها يقولون: قبر المرأة الصالحة اه.

التبرك بقبر أبي أيوب الأنصاري

و فى (أسد الغابة)لابن الأثير ج٢ ص٨٢ و (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلى ج١ ص٥٧ عند ترجمة أبى أيوب الأنصارى: توفى أبو أيوب الأنصارى خالد بن زيد سنة ٥١ ـ أو ٥٢ بالقسطنطينية، و هم محاصرون لها، و قبره تحت سورها يستسقى به و يتبرك.و اللفظ لابن العماد.

التبرك بقبر الحسين بن علي سبط رسول الله ﷺ و ريحانته

قال الإمام النووى رحمه الله فى (تهذيب الأسماء و اللغات) ج١ ص١٦٦: ولد الحسين رضي الله عنه لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، قال الزبير بن بكار و غيره: قال جعفر بن محمد: لم يكن بين الحمل بالحسين و ولادة الحسن إلا طهر واحد.و قال الزبير بن بكار: حدثنى مصعب قال: حج الحسين خمسا و عشرين حجة ماشيا قالوا: و كان الحسين رضي الله عنه فاضلا كثير الصلاة و الصوم و الحج و الصدقة و أفعال الخير جميعها.قتل رضي الله عنه يوم الجمعة و قيل: يوم السبت يوم عاشوراء سنة إحدى و ستين بكربلاء من أرض العراق، و قبره مشهور يزار و يتبرك به.



التبرك بقبر سلمان بن ربيعة

ذكر الشيخ عبد القادر بدران في (تهذيب تاريخ دمشق الكبير) للحافظ ابن عساكر ج٦ ص٢١٢: أن سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو أبا عبد الله الباهلي شهد فتوح الشام ثم سكن العراق، و ولّاه عمر رضي الله عنه قضاء الكوفة ثم ولي غزو أرمينية في خلافة عثمان فقتل بـ(بلنجر) سنة ٢٩ و يقال ٣٠ و يقال ٣١و يقال: إن له صحبة، و قال أبو حاتم: كانت له صحبة، وعده ابن سعد من الصحابة مرة و من التابعين مرّة ثانية، قال يحيى بن معين: هو تابعي من أهل الكوفة، و قال ابن إسحاق: ذكره البخاري في الصحابة و لا يصح، و كان فارس البأس يوم القادسية، قال العجلي: سلمان بن ربيعة كوفي ثقة تابعي و كان من كبار التابعين، ثم ذكر الشيخ بدران أن قبرة بـ(بلنجر) و أن الناس يستسقون به و في ذلك يقول ابن جمانة الباهلي:

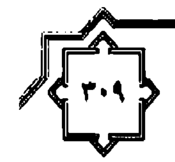
و إن لنا قبرين قبر بلنجر   و قبرا بأعلى الصين يا لك من قبر

و القبر الذي بالصين قبر قتيبة بن مسلم بفرغانة فجعله الشاعر بالصين، و بلنجر بلد بأرمينية.

و في (اللباب) البلنجري بفتح الموحدة و اللام و النون الساكنة و الجيم المفتوحة و في آخرها الراء.

التبرك بقبر سعيد بن جبير التابعي الجليل

و في (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي ج١ ص١١٠ أن الحجاج قتل سعيد بن جبير سنة ٩٥هـ. و عمره ٤٩ سنة، و قبره بواسط يتبرك به.



التبرك بقبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

قال الإمام النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات) ج٢ ص٣٣٧: ولد عمر بن عبد العزيز بمصر سنة إحدى و ستين، و توفى يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى و مائة، و عمره تسع و ثلاثون سنة و ستة أشهر، و قبره بـ(دير سمعان) مشهور يزار و يتبرك، و كانت خلافته سنتين و خمسة أشهر نحو خلافة أبى بكر الصديق ﷺ، و أوصى عمر بن عبد العزيز أن يدفن معه شىء كان عنده من شعر النبى ﷺ وأظفار من أظفاره، و قال: إذا مت فاجعلوه فى كفنى، ففعلوا ذلك. و أجمعوا أن أمه أم عاصم صفية بنت العاصم بن عمر ابن الخطاب و قال سفيان الثورى الخلفاء خمسة و هم الأربعة المعروفة و عمر بن عبد العزيز و هو مجدد الدين فى المائة الأولى.

و فى (تهذيب الأسماء و اللغات) أيضا أن مجدد المائة الثانية الإمام الشافعى، و الثالثة ابن سريج أبو الحسن الأشعرى و الرابعة أبو الطيب سهل الصعلوكى، و قيل ابن الباقلانى، و قيل أبو حامد الإسفراييني، و فى الخامسة أبو حامد الغزالى اه.. و قد ذكرنا ذلك أطول من هذا فى باب التبرك بمجالسة الصالحين.

و فى (التهذيب) أيضا: عن يوسف بن ماهك قال: بينما نسوى التراب على قبر عمر بن عبد العزيز سقط علينا رق من السماء، مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر ابن عبد العزيز من النار اه..

و فى (سيرأعلام النبلاء) ج٥ ص١٣٧ قال مكحول: لو حلفت أنى ما رأيت أزهد و لا أخوف من عمر بن عبد العزيز لصدقت.

و كان عمر بن عبد العزيز عظيم المحبة و التوقير و الإحترام لرسول الله ﷺ، و كان كثير البكاء، من خشية الله عزّ و جلّ، ففى (سير أعلام النبلاء) ج٥ ص١٤١ و (و صيد الخاطر) لابن الجوزى ص٣٧٢ أن عمر بن عبد العزيز

قيل له: تدفن في الحجرة الشريفة، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إليّ من أن أرى نفسي أهلا لذلك. و في (سير أعلام النبلاء) أيضا ج٥ ص١٣٧ كان إذا صلى العشاء قعد في مسجده ثم يرفع يديه فلم يزل يبكي حتى تغلبه عينه يفعل ذلك ليله أجمع.

و في (تنبه المغترين) ص٦٧ كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا غلبه النوم يقوم فيجول في الدار و ينشد قوله:

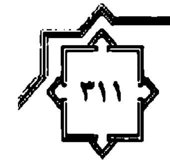
و كيف تنام العين و هي قريرة   و لم تدر في أي المحلين تنزل

و كان رضي الله عنه يتمثل بهذه الأبيات كما في (صفة الصفوة) ج٢ ص١٢٤ - ١٢٥:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم   و كيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت   مدامع عينيك الدموع السواجم
بل اصبحت في النوم الطويل وقد دنت   إليك أمور مفظعات عظائم
نهارك يا مغرور سهو و غفلة   و ليلك نوم و الردى لك لازم
يغرّك ما يفنى وتُشغل بالمنى   كما غُرّ في اللذات في النوم حالم
و تشغل فيما سوف تكره غبة   كذلك في الدنيا تعيش البهائم

التبرك بقبر زيد بن علي

قال الشيخ محمد بن علي الصبان في (إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى) ص٢٤٤ في ترجمة زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: قال بعضهم: الدعاء عند قبره مستجاب و الأنوار ترى عليه. و في (الخطط) للمقريزي ما يوافقه. و توفي رضي الله عنه كما في (سير أعلام النبلاء) سنة ١٢٢هـ..



التبرك بقبر أبي حنيفة رحمه الله

قال الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد): أخبرنا القاضى أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد الصيمرى قال: أنبأنا عمر بن إبراهيم المقرئ قال: نبأنا مكرم بن أحمد قال: نبأنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم، قال: نبأنا على بن ميمون قال: سمعت الشافعى يقول إنى لأتبرك بأبى حنيفة، و أجيء إلى قبره فى كل يوم يعنى زائرا، فإذا عرضت لى حاجة صليت ركعتين و جئت إلى قبره و سألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عنى حتى تقضى.

و ذكر الشيخ أحمد بن محمد ابن محمد بن على بن حجر سهاب الدين أبو العباس المشهور بابن حجر الهيتمى فى كتابه (الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان) ص٩٤ أن الإمام الشافعى تبرك بقبر الإمام أبى حنيفة، و عبارته: الفصل الخامس و الثلاثون فى تأدب الأئمة مع أبى حنيفة فى مماته كما هو فى حياته و أن قبره يزار لقضاء الحوائج: اعلم أنه لم يزل العلماء و ذوو الحاجات يزورون قبره و يتوسلون عنده فى قضاء حوائجهم و يرون نجح ذلك.منهم الإمام الشافعى رحمه الله لما كان ببغداد فإنه جاء عنه أنه قال: إنى لأتبرك بأبى حنيفة و أجيء إلى قبره فإذا عرضت لى حاجة صليت ركعتين و جئت إلى قبره و سألت الله عنده فتقضى سريعا، و تأتى عبارته بكمالها فى باب التوسل.

و قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٦ ص٤٠٣: توفى الإمام أبو حنيفة سنة ١٥٠هـ.و له سبعون سنة و عليه قبة فاخرة و مشهد فاخر ببغداد. و قال ابن بطوطة فى (رحلته): على قبر أبى حنيفة قبة عظيمة و زاوية فيها الطعام للصادر و الوارد، و ليس ببغداد اليوم زاوية فيها الطعام ما عدا هذه الزاوية.

التبرك بقبر موسى الكاظم

و فى (الأنوار السنية على الوظيفة الزورقية) ص٢٣٩ للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن زيد العياشى ما لفظه: قال الشافعى ﷺ: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب. قلت: هو الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ﷺ، قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) و ابن الجوزى فى (صفة الصفوة): توفى ﷺ سنة ١٨٣هـ. و فى (نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار) للشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن ص١٦٤: أن الإمام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر الساهر ليله القاطع نهاره صائما موسى الكاظم، كان معروفا عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله و ذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به.

وفي (إسعاف الراغبين) لمحمد بن علي الصبان ص٢٤٦: أن موسى الكاظم كان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله. وقال ابن خلكان في (وفيات الأعيان) ج٥ ص٣١٠: وقبره مشهور يزار، وعليه مشهد عظيم فيه القناديل والفرش.

التبرك بقبر أبي محفوظ بن الفيرزان

و قيل: الفيروز و قيل: الفيروزان الكرخى

قال الحافظ ابن الجوزى و الحافظ و الذهبى و الحافظ أبو عبد الرحمن السلمى فى (طبقات الصوفية) ص٨٥ و ابن خلكان و غيرهم: إن قبر معروف الكرخى يتبرك به و هو الترياق المجرب، و قال الخطيب فى (تاريخ بغداد) ج١ - ١٢٢ - ١٢٣: أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيرى قال: أنبأنا محمد بن الحسين السلمى قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا على الصفار يقول:

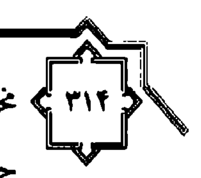


سمعت إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق المجرب. و أخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي قال: نبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري قال سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج و يقال: إنه من قرأ عنده مائة مرة قل هو الله أحد وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله حاجته. حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري قال: سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد بن جميع يقول: سمعت أبا عبد الله بن المحاملي يقول: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه اه..

و في (تاريخ بغداد) أيضا: ج١٣ ص١٩٩ ـ ٢٠٩: كان أبو محفوظ معروف الكرخي أحد المشتهرين بالزهد، يتبرك بلقائه العارفون، و كان يوصف بأنه مجاب الدعوة.

و عن إسماعيل بن شداد قال: قال لنا سفيان بن عينية: منأين أنتم؟ قلنا: من أهل بغداد، قال: ما فعل ذاك الحبر الذي فيكم؟ قلنا: من هو؟ قال: أبو محفوظ معروف، قال: قلنا: بخير، قال: لايزال أهل تلك المدينة بخير ما بقي فيهم. و الصحيح أنه مات في سنة ٢٠٠، و قيل: سنة ٢٠٤ و قبره ظاهر معروف و يزار اه..

و في (صفة الصفوة) ج٢ ص٣٢٣ قال أحمد بن الفتح: رأيت بشر بن الحارث في منامي و هو قاعد في بستان و بين يديه مائدة و هو يأكل منها فقلت له: يا أبا نصر ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي و رحمني و أباحني الجنة باسرها، و قال لي: كل من جميع ثمارها و اشرب من أنهارها و تمتع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك الشهوات في دار الدنيا، فقلت له: فأين أخوك أحمد بن حنبل قال: هو قائم على باب الجنة ليشفع لأهل السنة ممن يقول: القرآن كلام الله غير



مخلوق، فقلت له: فما فعل معروف الكرخي فحرك رأسه ثم قال لي: هيهات، حالت بيننا و بينه الحجب إن معروفا لم يعبد الله شوقا إلى جنته و لا خوفا من ناره و إنما عبده شوقا إليه، فرفعه الله إلى الرفيق الأعلى، و رفع الحجب بينه و بينه، ذاك الترياق المقدس المجرب، فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره و ليدع فإنه يستجاب له إن شاء الله تعالى اه..

و ذكر أيضا رؤيا أحمد بن الفتح الحافظ ابن عساكر في (تاريخ دمشق). كما في (تهذيب تاريه دمشق) ج٥ ص٢٣١: كان معروف مشهورا بإجابة الدعوة أهل بغداد يستسقون بقبره و يقولون: قبر معروف ترياق مجرب، و قال يوما لتلميذه السرى السقطى: إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى فاقسم عليه بي. و الترياق بكسر التاء الدواء كما في (القاموس).

و قال الشعراني في (الطبقات الكبرى) ج١ص٦١: كان معروف مجاب الدعوة و قبره ظاهر يزار ليلا و نهارا و يستسقى به اه..

فالحاصل أن الحفاظ الخمسة إبراهيم الحربي، و أبا عبد الرحمن السلمي، و الخطيب البغدادي، و ابن الجوزي، و الذهبي، و الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، متفقون كلهم على أن ضريح معروف الكرخي ترياق مجرب، و أنه يزار و يتبرك به، و ذكر مثل هذا أيضا المرتضى الزبيدي في الشرح (الإحياء). و قد كان معروف إماما معظما و سيدا مبجلا، قال الغزالي في (الإحياء): كان أحمد بن حنبل و يحيى بن معين يترددان إليه، و لم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما، و كانا يسألانه. و قال الخطيب في (تاريخ بغداد) و الذهبي في (سير أعلام النبلاء): ذكر معروف الكرخي عند الإمام أحمد فقيل: قصير العلم، فقال: أمسك، و هل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف. وقال الزبيدي في (شرح الإحياء) نقلا عن صاحب (قوت القلوب): إن عبد الله بن



حنبل قال: قلت لأبى: بلغنى أنك تختلف إلى معروف أكان عنده حديث؟ فقال: يا بنى عنده رأس الأمر تقوى الله عزّ و جلّ اه.. و مثله فى (تاريخ بغداد) للخطيب.

التبرك بقبر السيدة نفيسة ﵂

قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج١٠ص١٠٦ ـ ١٠٧: إن السيدة نفيسة هى المكرمة الصالحة ابنة أمير المؤمنين الحسن بن زيد بن السيد سبط النبى ﷺ الحسن بن على ﵄، قيل: كانت السيدة نفيسة من الصالحات العوابد، و الدعاء مستجاب عند قبرها، بل و عند قبور الأنبياء و الصالحين، و فى المشاهد، و عرفة، و مزدلفة، و فى السفر المباح، و فى الصلاة، و فى السحر، و من الأبوين، و من الغائب لأخيه، و من المضطر، توفيت بمصر فى شهر رمضان سنة ٢٠٨هـ.. و فى (الزرقانى شرح المواهب اللدنية)ج٤ص٣٤٠ لما ماتت السيدة نفيسة بمصر أراد زوجها إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين نقلها و دفنها بالبقيع، فسأله أهل مصر فى تركها للتبرك، و يقال: بل رأى المصطفى ﷺ فى المنام، فقال له: يا إسحاق لا تعارض أهل مصر فى نفيسة فإن الرحمة تنزل عليهم ببركتها اه.. و فى (طبقات الشعرانى)ج١ص٥٨ لما دخل الإمام الشافعى مصر كان يتردد إليها و يصلى بها التراويح فى رمضان بمسجدها.

و قال الشيخ محمد الصبان فى (إسعاف الراغبين): قبر السيدة نفيسة معروف بإجابة الدعاء.. قال ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) ج٥ ص٤٢٤: و قبر السيدة نفيسة معروف بإجابة الدعاء عنده، و هو مجرب توفيت سنة ٢٠٨هـ. و لما توفى الإمام الشافعى ﵁ أدخلت جنازته إليها، وصلت عليه فى دارها اهـ..

التبرك بقبر الإمام البخاري رحمه الله

و فى (سير أعلام النبلاء) ج٢ ص٤٦٩ للحافظ الذهبى، و (طبقات الشافعى) لابن السبكى ج٢ ص١٥ و (إرشاد السارى شرح صحيح البخارى) للحافظ القسطلاني و غيرهم أن الناس قحطوا فخرجوا إلى قبر الإمام البخارى فاستسقوا عنده و تشفعوا به فسقاهم الله، و عبارة الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) قال أبو علي الغساني: أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السمرقندى قدم علينا (بلنسية) عام أربعة و ستين و أربعمائه قال: قحط المطر عندنا بسمرقند فى بعض الأعوام فاستسقى الناس مرارا فلم يسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضى سمرقند فقال له: إنى رأيت رأيا أعرض عليك قال: و ما هو؟ قال: أرى أن تخرج و يخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخارى و قبره بـ(خرتنك) و نستسقى عنده فعسى الله أن يسقينا، قال القاضى: نعم ما رأيت فخرج القاضى و الناس معه و استسقى القاضى بالناس، و بكى الناس عند القبر و تشفعوا بصاحبه فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم غزير أقام الناس من أجله بخرتنك سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر و غزارته، و بين خرتنك و سمرقند نحو ثلاثة أميال اه..

و خرتنك بفتح الخاء المعجمة و سكون الراء و فتح الفوقية و سكون النون بعدها كاف. و (بلنسية) بفتح الباء و اللام و سكون النون بلدة شرقى الأندلس من بلاد المغرب اه. كما فى (اللباب لابن الأثير) و فى (سير أعلام النبلاء) و (طبقات الشافعية) أن محمد بن أبى حاتم قال: سمعت أبا منصور غالب بن جبرئيل، و هو الذى نزل عليه البخارى، أن أبا عبد الله البخارى أقام عندنا أياما فمرض و اشتد به المرض و توفى، فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية



أطيب من المسك فدام ذلك أياما، ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره فجعل الناس يختلفون و يتعجبون، و أما التراب فإنهم كانوا يرفعون على القبر حتى ظهر القبر، و لم يكن يقدر على حفظ القبر بالحراس، و غلبنا على أنفسنا فنصبنا على القبر خشباً وشبكاً، لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر، فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب و لم يكونوا يخلصون إلى القبر، وأما الريح الطيبة فأنها تداوم أياما كثيرة حتى تحدث أهل البلدة و تعجبوا من ذلك، و ظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، و خرج بعضهم إلى قبره و أظهروا التوبة و الندامة اه.. و مثله في (المرقاة) و (إرشاد الساري) و عبارة (المرقاة) ج١ص١٥ ـ١٦: و لما وضع البخاري في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، و جعل الناس يختلفون إلى قبره يأخذون من تراب قبره ويتعجبون من ذلك. ونص عبارة (إرشاد الساري) ج١ ص١٣٩: ولما صلي على الإمام البخاري ووضع على حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، ودامت أياماً وجعل الناس يختلفون إلى قبره مدة يأخذون منه.

و ذكر الحافظ العسقلاني أخذ تراب قبر البخاري أيضا في مقدمة الفتح ص٤٩٣

و قال الذهبي: أوصى غالب بن جبرئيل أن يدفن إلى جنب البخاري و لم يعش بعده إلا قليلا، توفي الإمام البخاري ﵀ ليلة السبت ليلة الفطر سنة ٢٥٦هـ..

قلت: قوله سواري بيض: كذا في نسخ بإثبات الياء، و الذي في (القاموس): السارية السحاب يسري ليلا و جمعه سوار، و في (المصباح) السارية السحابة تأتي ليلا، و هي اسم فاعل، و السارية الأسطوانة و الجمع سوار مثل جارية و جوار.

التبرك بقبر الإمام مسلم بن الحجاج ﷺ

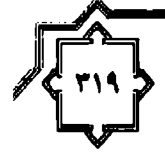
و في (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) للشيخ ملا علي بن سلطان القارئ ج١ ص١٨: قال شيخ مشايخنا علامة العلماء المتبحرين شمس الدين محمد الجزري في مقدمة شرحه للمصابيح المسمى بـ(تصحيح المصابيح): إني زرت قبر الإمام مسلم بنيساور و قرأت بعض صحيحه على سبيل التيمن و التبرك عند قبره، و رأيت آثار البركة و رجاء الإجابة في تربته، و توفي ﷺ سنة ٢٦١. و في (الجرداني شرح الأربعين النووية) أن قبر الإمام مسلم يزار و يتبرك به اه..

التبرك بقبر بكار بن قتيبة بن أسد ﷺ

قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ج٢ ص٦٠٣: قال ابن خلكان: كان بكار بن قتيبة تاليا للقرآن بكاء صالحا دينا، و قبره مشهور قد عرف باستجابة الدعاء عنده، توفي ﷺ سنة ٢٧٠هـ. و عاش ٨٩ سنة، و كان فقيها محدثا علامة حنفيا، و كان قاضي القضاة بمصر.

التبرك بقبر الإمام أبي إسحاق إبراهيم الحربي

قال ابن الجوزي في (صفة الصفوة) ج٢ ص٤١٠: توفي أبو إسحاق إبراهيم الحربي ببغداد سنة ٢٨٥هـ. و قبره ظاهر يتبرك الناس به ﷺ، و كانت ولادته سنة ثمان و تسعين و مائة، و كان إماما في جميع العلوم زاهدا في الدنيا، و عن محمد بن صالح الأنماطي قال: لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربي في الأدب و الحديث و الفقة و الزهد، و قال أبو الحسن العتكي:



سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده: من تعدون الغريب في زمانكم هذا؟ فقال واحد منهم: الغريب من نأى عن وطنه، و قال آخر: الغريب من فارق أحبابه، و قال كل واحد منهم: شيئا فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين، إن أمر بالمعروف آزروه، و إن نهى عن المنكر أعانوه، و إن احتاج إلى شئ من الدنيا مانوه، ثم ماتوا و تركتوه. و أطال في ترجمته الذهبي في (سير أعلام النبلاء) في نحو ١٦ صفحة، و قال: هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام، روى عن كثير من المشايخ منهم الإمام أحمد بن حنبل، و روى عنه خلائق، قال الدارقطني: كان يقاس بابن حنبل في زهده و علمه و ورعه، و كان إماما بارعا في كل علم صدوقا، توفي سنة ٢٨٥، و له من العمر نيف و ثمانون سنة، و قبره يزار ببغداد اه.. إلى هنا تم ما ذكرناه ممن يتبرك بقبورهم من السلف خير القرون، ثم نذكر إن شاء الله عددا آخر من الخلف يتبرك بقبورهم ﷺ.

التبرك بقبر صالح بن أحمد

قال الذهبي في (تذكرة الحفاظ) ص٩٨٦: إن الدعاء يستجاب عند قبر صالح بن أحمد، و قال في (سير أعلام النبلاء) ج١٦ ص٥١٩: يستجاب الدعاء عند قبر صالح بن أحمد بن عبد الله ابن قيس بن هذيل بن يزيد بن عباس بن أحنف بن قيس، الإمام العالم الحافظ الثبت، أبي الفضل التميمي الهمذاني، قال الحافظ شيرويه الديلمي: كان ركنا من أركان الحديث ثقة حافظا دينا ورعا صدوقا، لا يخاف في الله لومة لائم، و له مصنفات غزيرة و كان مولده سنة ٣٠٣ و مات لثمان بقين من شعبان سنة ٣٨٤ اه..

التبرك بقبر عبد الصمد

قال الحافظ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزى فى (صفة الصفوة) ج٢ ص٤٨٢: قبر عبد الصمد بن عمر اليوم ظاهر يتبرك به بمقبرة الإمام أحمد، و كان من أهل الزهد و الصلاح الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر، و كان يحرض أصحابه على الجد، و يقول: هيه قد فاتتكم الدنيا فلا تفوتنكم الآخرة، و توفى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى الحجة سنة ٣٩٧هـ..

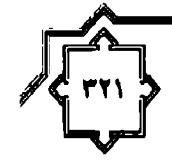
التبرك بقبر ابن لال

قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج١٧ ص٧٦: قال شيرويه: الدعاء عند قبر أبى بكر أحمد ابن على بن محمد بن الفرج بن لال الهمذانى الشافعى مستجاب. ثم قال الذهبى: و الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء و الأولياء و فى سائر البقاع، لكن سبب الإجابة حضور الداعى و خشوعه و ابتهاله، و بلا ريب فى البقعة المباركة، و كان ابن لال إماما فقيها محدثا.

قال شيرويه: كان ثقة أوحد زمانه مفتى البلد، و له مصنفات فى علوم الحديث غير أنه كان مشهورا بالفقه. ولد ابن لال سنة ٣٠٨ و توفى سنة ٣٩٨هـ..

التبرك بقبر القاضي الباقلاني

قال حافظ الدنيا الإمام ابن عساكر فى (تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى) ص٢٢٣: إن القاضى أبا بكر بن الطيب بن الباقلانى البصرى الأشعرى دفن فى تربة بقرب قبر الإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله، و يزار قبر ابن الباقلانى و يستسقى و يتبرك به. و توفى رحمه الله سنة ٤٠٣هـ..



التبرك بقبر الإمام محمد بن الحسن بن فورك الأشعري الأصبهاني

بضم الفاء و سكون الواو و فتح الراء.

نقل الذهبی فی (سیر أعلام النبلاء) ج١٧ ص٢١٥: عن ابن خلكان و عبد الغافر أن قبر ابن فورك يزار و يستسقى به و يستجاب الدعاء عنده. و قال الحافظ ابن عساكر فی (تبيين كذب المفترى) ص٢٣٣: و دفن ابن فورك بـ(الحيرة) و مشهده اليوم ظاهر يستسقى به و يستجاب الدعاء عنده، و هو الأديب المتكلم الأصولی الواعظ النحوی، بلغت تصانيفه فی أصول الفقه و أصول الدين و معانی القرآن قريبا من مائة، و مات سنة أربعمائة وست اه.. و نقل ابن السبكی فی (طبقات الشافعية الكبرى) ج٣ص٥٣: عن عبد الغافر أنه يستسقى بقبره و يستجاب الدعاء عنده. و قال ابن قاضی شبهة فی (طبقات الشافعية) ج١ ص١٩٤: قال ابن خلكان و مشهده بالحيرة ظاهر يزار و يستجاب الدعاء عنده.

قلت: و لفظ ابن خلكان فی (وفيات الأعيان) ج٤ ص٢٧٢: و دفن بالحيرة و مشهده بها ظاهر يزار و يستسقى به و تجاب الدعاء عنده.

فانظر رحمك الله اتفاق هؤلاء الأئمة على استجابة الدعاء عند قبر ابن فورك و الاستسقاء عنده فهل ترى أنهم يجهلون عن حكم مثل هذه القضية، فيقعون لجهلهم على ما يؤدی إلى الإشراك بالله؟! كلا بل هم ورثة رسول الله ﷺ إلينا فلا يسعنا إلا اتباعهم و الإقتداء بهم والله الموفق.

التبرك بقبر الحافظ عبد الملك بن محمد النيسابوري الشافعي الأشعري الخركوشي

قال العلامة المحدث الكبير تقی الدين أبو بكر الحصنی فی (دفع شبه من

شبّه و تمرد و نسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد) ص١١٠ ـ ١١١: إن الحافظ أبا سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري توفي سنة ست و أربعمائة بنيسابور، و قبره بها مشهور و يتبرك به اه..

قلت ترجم له كثير ممن صنف في التراجم و الطبقات و كالحافظ ابن عساكر في (تبيين كذب المفترى) ص٢٣٣ و الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ج١٧ ص٢٥٦، و ابن العماد في (الشذرات) و غيرهم. واختلفوا في كنيته و سنة وفاته، فقال أكثرهم: توفي سنة ٤٠٧ ذكر ذلك الذهبي و غيره و ابن عساكر في إحدى روايتين له، و في الأخرى أنه توفي سنة ٤٠٦هـ. كما ذكرنا عن التقي الحصني، و أما كنيته فذكر أكثرهم أنها أبو سعد، و ذكر الذهبي في (التذكرة) أنها أبو سعيد كما تقدم عن التقي الحصني اه.. و ذكرت في باب التبرك بذكر الصالحين ضبط الخركوشي و بعض من روى عن هذا الشيخ ﵀.

التبرك بقبر السلطان محمود بن سُبُكْتكِين

قال ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب) ج٣ ص٢٢٠ ـ ٢٢١: توفي السلطان محمود بغزنة سنة ٤٢١ه. و قبره بها يزار و يدعى عنده، و كان ذا عزم و صدق في الجهاد. قال عبد الغافر الفارسي: كان صادق النية في إعلاء كلمة الله ذكيا. و ذكر إمام الحرمين أن السلطان كان حنفيا ثم صار شافعيا و له مناقب كثيرة اه.. قال ابن خلكان و سبكتكين بضم السين المهملة و الباء الموحدة و سكون الكاف و كسر التاء المثناة من فوق و الكاف الثانية و سكون الياء المثناة من تحتها. و في (طبقات الشافعية الكبرى) لابن السبكي ج٤ ص١٣ أن السلطان محمد بن سبكتكين كان إماما عادلا شجاعا فقيها سمحا جوادا مؤيدا. و قد اعتبرت فوجدت أربعة لا خامس لهم في العدل بعد عمر بن



العزيز ﷺ، و هم هذا السلطان و الوزير نظام الملك و السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس و الملك نور الدين بن زنكى الشهيد.

قصة مليحة وقعت بحضرة السلطان محمد بن سبكتكين

و فى (سير أعلام النبلاء) ج١٧ ص٤٨٦ و (وفيات الأعيان) لابن خلكان ج٥ص١٨٠ ماحصله: ذكر إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى فى كتابه الذى سماه (مغيث الخلق فى اختيار الأحق) أن محمود بن سبكتكين كان حنفيا يحب الحديث، فوجد كثيرا منه يخالف مذهبه، فجمع الفقهاء بمرو، و أمر بالبحث فى أيها أقوى مذهب أبى حنيفة أو الشافعى، قال: فوقع الإتفاق على أن يصلوا ركعتين بين يديه على المذهبين، فصلى أبو بكر القفال المروزى بوضوء مسبغ و سترة و طهارة و قبلة و تمام أركان لا يجوّز الشافعى دونها، ثم صلى صلاة على ما يجوّزه أبو حنيفة، فليس جلد كلب مدبوغا قد لطخ ربعه بنجاسة و توضأ بنبيذ التمر، فاجتمع عليه الذباب و البعوض، و كان وضوءه منكسا منعكسا، ثم كبر بالفارسية و نقر و لم يطمئن و لارفع من الركوع، و تشهد، و ضرط بلاسلام. فقال له السلطان: إن لم تكن هذه الصلاة يجيزها الإمام أبو حنيفة قتلتك، فأنكره الحنفية أن تكون هذه صلاة أبى حنيفة، فأمر القفال بإحضار كتب أبى حنيفة، فوجد كذلك، فتحول محمود شافعيا. انتهى ما نقلته من (وفيات الأعيان) و (سير أعلام النبلاء) ملفقا منهما.

و ذكر الحافظ ابن كثير فى (طبقات الفقهاء الشافعيين) ج١ ص٣٤٨ هذه المناظرة، ثم قال ابن كثير: و فى صحة هذا نظر، لأن القفال رحمه الله أجل قدرا أن يصدر عنه مثل هذا أو قريب منه، و الله أعلم اهـ.. قلت: و القلب يميل إلى ما قاله ابن كثير، و العلم عند الله تعالى.

التبرك بقبر الأردستاني

قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء)ج١٧ ص٤٢٨: قال شيرويه: سمعت عدة يقولون: ما من رجل له حاجة من أمر الدنيا و الآخرة يزور قبر محمد بن إبراهيم بن أحمد الأردستاني و يدعو إلا استجاب الله له، و قال شيرويه: و جربت أنا ذلك، و كان الأردستاني إماما حافظا جوالا صالحا عابدا، مات سنة ٤٢٤هـ.

و قال الخطيب في (تاريخ بغداد) ج١ص٤١٧: إن الأردستاني كان رجلا صالحا يكثر السفر إلى مكة و يحج ماشيا، كتبت عنه و كان ثقة توفي سنة ٤٢٧هـ..

فانظر إلى الإمام الحافظ شيرويه: و جربت أنا ذلك، وكان شيرويه كما في (سير أعلام النبلاء) ج١٩ ص٢٩٤ و (تذكرة الحفاظ) ص١٢٥٩ محدثا حافظا عالما مؤرخا، مصنف كتاب (الفردوس) و (تاريخ همذان).ولد سنة ٤٤٥هـ. و توفي في تاسع رجب سنة ٥٠٩ و له ٦٤ سنة.و شيرويه هو ابن شهردار بن شيرويه بن فناخسرة اه.. و كان شافعيا، و ينتسب إلى الضحاك بن فيروز الديلمي كما في الطبقات الكبرى لابن السبكي.

التبرك بقبر عبد الله بن عبدان ـ تثنية عبد ـ بن محمد بن عبدان

قال ابن قاضي شهبة في (طبقات الشافعية) ج١ص٢١٣: مات ابن عبدان سنة ثلاث و ثلاثين و أربعمائه، و قبره يزار و يتبرك به، و كان شافعيا أشعريا.

التبرك بقبر أحمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي القديم

قال ابن السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) ج٣ ص٣٥ ـ ٣٦: قبر هذا الغزالي القديم مشهور بمقبرة (طوس) و جرب من أمره أنه من كان به هم



ودعا عند قبره استجيب له. قال ابن الصلاح: أذعن له فقهاء الفريقين و أقر بفضله فضلاء المشرقين و المغربين، و له تصانيف في الخلافيات. الجدل و رؤوس المسائل و المذاهب.

و قال ابن قاضي شبهة في (طبقات الشافعية) ج١ص٢٠٩: توفي الغزالي القديم سنة ٤٣٥ و هو عم الغزالي حجة الإسلام.

التبرك بقبر محمد بن سلامة الشافعي القاضي

وفي (طبقات المفسرين) للحافظ الداودي ج٢ص١٥٧ ـ ١٥٩: أن الشيخ محمد بن سلامة كان فقيها على مذهب الإمام الشافعي يرحمه الله متفننا في عدة علوم و صنف وحدث، و له تآليف مفيدة منها (تفسير القرآن العظيم) في نحو أربعين مجلدا و(دستور الحكم) و(منثور الكلم من كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) وقال ابن عساكر: ثقة أمين قدم إلى دمشق رسولا من صاحب مصر، وتوفي بمصر سنة ٤٥٤، و دفن على شفير الخندق و قبره يزار و يتبرك له اهـ..

التبرك بقبر ابن زيرك

قال الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ج١٨ ص٤٣٤: قال شيرويه: قبر ابن زيرك يزار و يتبرك به، و كان ثقة صدوقا له شأن و حشمة ويد في التفسير، فقيها أديبا متعبدا مات في ربيع الآخر سنة ٤٧١هـ..

التبرك بقبر أبي إسحاق القرشي الهاشمي إبراهيم بن إسماعيل بن سعد

قال المناوي في (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) ج١ص٦٠: مات إبراهيم بن إسماعيل سنة ٤٨٦هـ..و دفن بـ(القرافة) و قبره معروف بإجابة الدعاء عنده.

التبرك بقبر أبي الفرج الحنبلي

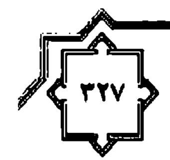
قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج١٩ ص٥٣: بعد ذكر ترجمة هذا الإمام: دفن أبو الفرج الحنبلى عبد الواحد بن محمد بمقبرة (باب الصغير) و قبره مشهور يزار و يدعى عنده، و كان إماما قدوة فقيها حنبليا واعظا من كبار أئمة الإسلام. و يقال: إنه اجتمع بالخضر عليه‌السلام مرتين، و كان يتكلم فى عدة أوقات على الخواطر، كما كان يتكلم ببغداد أبو الحسن بن القزوينى الزاهد. توفى فى ذى الحجة سنة ٤٨٦.

التبرك بقبر نصر المقدسي

قال النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات) ج٢ ص٤٢٦: و لبن السبكى فى (طبقات الشافعية): إن الشيخ نصرا المقدسى أقاموا على قبره بعد دفنه سبع ليال، يقرأ كل ليلة ٢٠ ختمة، و يكثر الناس زيارته و الدعاء عنده، و سمعنا الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب، نفعنا الله تعالى به آمين. و قبره معروف فى (باب الصغير) بجنب قبر معاوية رضي‌الله‌عنه. و توفى سنة ٤٩٠ بدمشق فى يوم الثلاثاء تاسع المحرم.

التبرك بقبر علي بن حسن بن الحسين الخلعي قاضي الجن و الإنس

قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج١٩ ص٧٤ ـ ٧٨: قال الأنماطى: قبر على بن الحسن الخلعى بـ(القرافة) يعرف بقبر قاضى الجن و الإنس، يعرف بإجابة الدعاء عنده، و كان إماما قدوة فقيها مسند الديار المصرية، مات الخلعى بمصر فى السادس و العشرين من ذى الحجة سنة ٤٩٢.



التبرك بقبر أسامة زيد بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم اليفاعي

و في (طبقات الخواص) للشرجي الزبيدي ص١٣٨: أن المترجم له كان إماما كبيرا عالما ورعا زاهدا، بلغ أصحابه نحو ثلاثمائة متفقه، و كان يقوم بغالبهم قوتا و كسوة و غير ذلك، و كان متورعا عن صحبة الملوك و مخالطة الولاة كثير العبادة، و ظهرت له كرامات كثيرة، توفي ﷺ سنة ٥١٤ و قبره مشهور مقصود للزيارة و التبرك، قال الجندي: لم أر في اليمن تربة يكثر زوارها كتربة الفقيه زيد بن عبد الله، و لا تكاد تربته تخلو من زائر، و قلّما قصدها ذو حاجة إلا قضيت حاجته اهـ..

التبرك بقبري أبي عبد الله محمد بن عبدويه و ولده عبد الله

قال الشيخ عمر بن علي بن سمرة الجعدي في (طبقات فقهاء اليمن) ص١٤٤ ـ ١٤٩: كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبدويه النهرواني تفقه بالإمام أبي إسحاق الشيرازي بكتاب (المهذب) و بـ(مسائل الخلاف) و سكن عدن مدة ثم انتقل إلى زبيد، و كان كثير المال، و كان التجار يأتون للسلام عليه، فيقبلون رأسه و هو قاعد، و كان كثير التقوى و الزهد و الورع، و كان غزير العلم فارتحل إليه الناس، و كبار فقهاء اليمن لكثرة علمه وجودة إتقانه و فهمه، و تفقه به خلق كثير، و كان قد ابتلي بالعمى فرد الله عليه بصره، و كان له تصنيف مليح في أصول الفقه، سماه (الإرشاد) و كان له ولد عالم بعلم الكلام و الأصول و الفقه يسمى عبد الله تفقه بأبيه، و مات قبله سنة ٥٢٣هـ..، و مات الشيخ ﷺ سنة ٥٢٥هـ..، و له ثمان و ثمانون سنة، و قبراهما يزورهما الصالحون و يتبرك بقبريهما. ثم ذكر مؤلف (طبقات فقهاء اليمن)أنه تبرك بزيارة قبر الشيخ المترجم له و قبر ولده عبد الله و آثاريهما، و مواضع تدريسهما.و في (طبقات

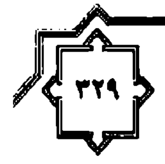
الخواص) ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ أن الشيخ أبا عبد الله محمد بـن عبدويـه كـان يقـصد للزيارة و التبرك فى حال حياته، و يطلب منه الدعاء، و توفى سنة ٥٢٥، و دفن إلى جنب مسجده، و تربته مشهورة الفضل، و آثاره و بركته ظاهرة علـى ذلـك الموضع المبارك، و هو مأوى لعباد الله الصالحين المختفين و الظاهرين اه..

التبرك بقبر علي بن مرزوق بن عبد الله الشيخ أبي الحسن الرديني

و فى (طبقات المفسرين) للحافظ الداودى ج١ ص٤٣٧ ـ ٤٣٨: أن الـشيخ على بن مرزوق حفظ القـرآن العظـيم و سـمع الحـديث، و كـان فقيهـا عارفـا بالتفسير متخليا للعبادة و تـوفى سـنة ٥٤٠ و دفـن بــ(القرافـة) و عـرف قـبره بإجابة الدعاء و جرب ذلك. وفى كتاب (مصباح الدياجى) أن معن بن زيد بـن سليمان نام عند قبر الردينى، و كان عليه دين مبلغه عشرة آلاف درهم، فرآه فـى النوم فشكا إليه ذلك فقال: قل: اللهم بما كان بينك و بين عبدك الردينـى إلا مـا قضيت دينى، فاستيقظ و سأل الله ذلك فأتاه شخص و قال: أنت الذى شكوت للشيخ ثقل الدين؟ قال: نعم، فدفع إليه عشرة آلاف درهم.

التبرك بقبر أبي الحسن يحيى بن أبي الخير العمراني

قال فى (طبقـات الخـواص) ص٣٦٣ ـ ٣٦٥: كـان إمـام عـصره و وحيـد دهره، سارت بشهرته الركبان، و انتشرت علومه فى سائر البلدان، و كان الشيخ يحيى يحفظ (المهذب) عن ظهر الغيب و غيره من الكتب، كـ(اللمـع) و (إرشـاد إبن عبد الله) و كان زاهدا عابدا ناسكا، و كان إذا مر عليـه وقـت بغـير ذكـر الله تعالى أو مذاكرة العلم حوقل و استغفر، و قال: ضيعنا الوقت، و كانـت وفاتـه ٥٥٨، و قبره هناك من القبور المشهورة فى اليمن المقـصودة للزيـارة و التـبرك و



استنجاح الحوائج، و يتوجهون به في مهماتهم و يستغيثون به في ضروراتهم، و هو كذلك و فوق ذلك ﷺ و نفع به، و قد زرته في سنة ٨٥٥، فرأيت أثر النور و البركة عليه ظاهرا، و دعوت الله عند قبره فرأيت أثر الإجابة و الحمد الله، نفع الله به و بسائر عباده الصالحين.

التبرك بقبر الملك العادل محمود بن زنكي

قال ابن العماد في (شذرات الذهب)ج٤ ص٢٢٨ ـ ٢٣١: كان مولده في سنة ٥١١ و توفي سنة ٥٦٩، يروى أن الدعاء عند قبره مستجاب، و يقال: دفن معه ثلاث شعرات من شعر لحيته ﷺ، فينبغي لمن زاره أن يقصد زيارة شيء منه ﷺ، و ذكر المطري في كتابه (تاريخ المدينة) أن السلطان محمود رأى النبي ﷺ في ليلة واحدة ثلاث مرات و هو يقول له في كل واحدة منها: يا محمود أنقذني من هذين الشخصين لشخصين أشقرين تجاهه، فاستحضر وزيره قبل الصبح فأخبره، فقال له: هذا أمر حدث في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك، فتجهز و خرج على عجل بمقدار ألف راحلة و ما يتبعها من خيل و غير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة، فلما زار طلب الناس عامة للصدقة و قال: لا يبقى بالمدينة أحد إلا جاء فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الناحية التي قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عمر ابن الخطاب التي تعرف اليوم بدار العشرة ﷺ، قالا نحن في كفاية، فجدّ في طلبهما حتى جيء بهما، فلما رآهما قال للوزير: هما هذان فسألهما عن حالهما و ما جاء بهما، فقالا: لمجاورة النبي ﷺ فكرر السؤال عليهما حتى أفضى إلى العقوبة، فأقرا أنهما من النصارى وصلا لكي ينقلا النبي ﷺ من هذه الحجرة الشريفة، ووجدهما قد حفرا نقبا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي

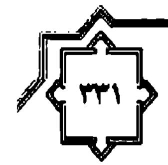
يجعلان التراب فى بئر عندهما فى البيت، فضرب أعناقهما عند الشباك الذى فـى شرقى حجرة النبى ﷺ خارج المسجد ثم أحرقا اه..

قلت: و نقل مثل قصة الرجلين النصرانيين المذكورين عـن الـسلطان مظفـر الدين كوكبورى بن زين الدين على كوجك بن بكتكين أيضا، و أنكـر بعـضهم وقوع هذا الحادث العظيم منهما أو من أحـدهما و نفـاه مـن أصـله و أطـال فـى الاستدلال على إنكاره، لكن لا تدل أدلته بما ادعاه، و الظـاهر أن إنكـاره لـيس بصواب، فقد ذكر هذه القصة أيضا النبهـانى بـأطول ممـا ذكرنـاه فـى (جـواهر البحار) ج٤ ص٦٠ ـ ٦٢ نقلا عن السيد السمهودى.

و قال ابن كثير فى (البداية و النهاية) ج١٢ ص٢٨٤: تـوفى الـسلطان نـور الدين محمود بن زنكى يوم الأربعاء الحادى عشر مـن شـوال سـنة ٥٦٩ و قـبره يزار و يطيب و يتبرك به كل مار فيقول: قبر نور الـدين الـشهيد.و قـال اليـافعى أيضا فى (مرآة الجنان) ج٣ص٣٨٩: روى عن جماعة أن الدعاء مـستجاب عنـد قبر الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين بن زنكى.

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن أبي الخير المعروف بالصياد

قال الشرجى فى (طبقات الخواص) ص٦٤ ـ ٦٨: كان أبو العباس الـصياد حنفى المذهب وليا مشارا إليه صاحب الأحوال العظيمـة و المواهـب الجـسيمة. توفى ﷺ فى شوال سنة ٥٧٩هـ. و قبره بمقبرة (باب سهام) من مدينة (زبيـد) و هو معروف مشهور، و فوق القبر تابوت حسن، و هـو مـن القبـور المـشهورة المقـصودة للزيـارة و التـبرك، أثـر النـور عليـه ظـاهر، و كـان الفقيـه إسماعيل الحضرمى كثيرا ما يزوره و يتكرر إلى قبره اهـ..



التبرك بقبر الإمام أبي القاسم الشاطبي المقرئ الضرير

قال ابن السبكى فى (طبقات الشافعية) ج٤ص٢٩٧: الصحيح أن اسمه القاسم، و منهم من جعل كنيته أبا القاسم و لم يجعل له اسما سواها، و كان فقيها مقرئا محدثا نحويا زاهدا عابدا متوقدا ذكاء. قال السخاوى: أقطع بأنه كان مكاشفا، توفى ١٨ من جمادى الآخرة عن اثنين و خمسين سنة ٥٩٠هـ..و قال الشيخ ملا على بن سلطان القارئ فى آخر (المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية): دفن الشاطبى يوم الاثنين، و قبره بمصر يزار و يتبرك به اه..

و فى (طبقات المفسرين) ج٢ ص٤٤ ـ ٤٥ للحافظ الداودى: أن الشاطبى كان إماما، علامة ذكيا كثير الفنون، منقطع القرين، رأسا فى القراءات و التفسير، حافظا للحديث، بصيرا بالعربية و اللغة، واسع العلم، و ظهرت عليه كرامات الصالحين توفى سنة ٥٩٠هـ..و وقبره يزار ويرجى استجابة الدعاء عنده اه..

التبرك بقبر عبد الرحيم بن أحمد

قال المناوى فى (الكواكب الدرية) ج١ ص٩١ ـ ٩٢: كان عبد الرحيم بن أحمد بن مجون الشريف الحسيب النسيب صاحب كرامات و خوارق و قبول تام بين العام و الخاص، و قد جمع الله له بين الحقيقة و الشريعة، و قد ذكره الحافظ المنذرى فى تاريخه، فقال: كان أوحد زمانه، أحد الزهاد المشهورين من أعيان الصالحين، و كان مالكيا مات سنة ٥٩٢هـ. و دفن بـ(قنا) من صعيد مصر، و قد جربوا إجابة الدعاء عند قبره يوم الأربعاء.

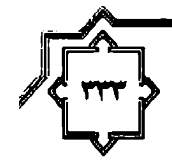
التبرك بقبر علي بن نصر الإربلي

قال الحافظ ابن كثير في (البداية و النهاية)ج١٢ ص٢٨٧: ترجمه ابن خلكان في (الوفيات) و قال: قبر علي بن نصر يزار، و قد زرته غير مرة، و رأيت الناس ينتابون قبره و يتبركون به، و توفي سنة ٥٦٩هـ.. ثم قال ابن كثير: و هذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه و على أمثاله ممن يعظم القبور.

قلت: هذا عجيب من الحافظ ابن كثير، فإنه لا يخفى على مثله مشروعية الزيارة و التبرك بقبور الصالحين، و قد ذكرنا آنفا أنه قال في (البداية و النهاية): يزار قبر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي و يتبرك به كل مار فيقول: قبر نور الدين الشهيد. و ذكر أيضا في (البداية و النهاية): أنه لما توفي شيخه ابن تيمية حضر جمع كثير فأذن لهم في الدخول عليه، و تبركوا برؤيته و تقبيله ثم انصرفوا، و شرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، و ألقى ناس على نعشه مناديلهم و ثيابهم، و اشتروا بخيط في عنقه و طاقيته بمبلغ عظيم، فكل هذا يدل على أن ابن كثير يذهب إلى جواز التبرك بالأموات فكيف ينكر هنا ذلك؟!!.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن عبد الله المقيبعي

قال في (طبقات الخواص) ص٣٠٣: كان المذكور فقيها عالما عاملا ورعا زاهدا، و كان حنفي المذهب، و كان يكره الشهرة و يؤثر الخمول و السترة، توفي بـ(زبيد) على رأس ٦٠٠ و قبره بمقبرة (باب سهام) منها مشهور يزار و يتبرك به اهـ..



التبرك بقبر أبي الحسن علي بن قاسم العليف الحكمي

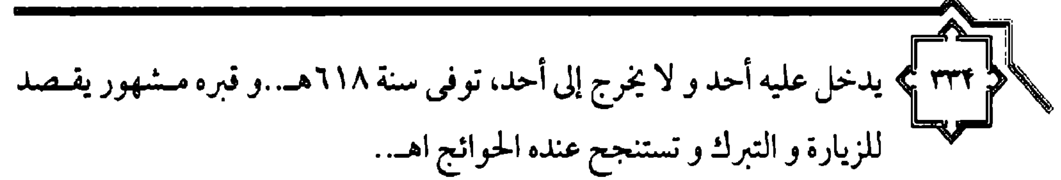
قال في (طبقات الخواص) ص٢٠٧ ـ ٢٠٨: كان إماما كبيرا عالما عاملا، تفقه ببلده مدينة (حرض) بفتح الحاء المهملة و الراء و آخره ضاد معجمة، لزم الفقيه محمد بن يوسف الضرير، و انتفع به في كثير من الفنون حتى صار إماما من أئمة المسلمين المنتفع بهم علما و صلاحا، و به انتفع جمع كثير و نشروا عنه العلم في البلدان، قال الجندي: أخبرني الثقة أنه خرج من مدرسته ستون مدرسا، و كان يقول له: الشافعي الصغير، و له مصنفات في فنون من العلوم مفيدة مباركة، و كان ذا زهد و ورع و كرامات، و كان الفقيه المذكور كثير التلاوة لكتاب الله تعالى، يقال: أن راتبه كان في كل يوم سبع القرآن، أخذ ذلك عن شيخه الفقيه إبراهيم بن زكريا، و كانت وفاته سنة ٦٠٤ و قبره مشهور يزار و يتبرك به اهـ..

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحكمي

قال الشرجي في (طبقات الخواص) ص٢٦٤ ـ ٢٦٧: كان شيخا كبيرا من أشهر مشايخ الصوفية، صاحب تربية و أحوال، كان كثير العبادة، حصلت له فتوحات ربانية، توفي سنة ٦١٧ وتربة الشيخ من الترب المعظمة المشهورة المقصودة للزيارة و التبرك من الأماكن البعيدة اه..

التبرك بقبر أبي أحمد مدافع بن أحمد المعيني

قال في (طبقات الخواص) ص٣٣٠ ـ ٣٣٦: كان الشيخ من أكابر أرباب الأحوال و الكرامات و المكاشفات، و كان من عادة الشيخ إذا صلى الصبح أن يقعد إلى صلاة الضحى مشتغلا بالذكر و التلاوة و الصلاة و غير ذلك، و لا



يدخل عليه أحد و لا يخرج إلى أحد، توفى سنة ٦١٨هـ..و قبره مشهور يقصد للزيارة و التبرك و تستنجح عنده الحوائج اهـ..

التبرك بقبر أبي محمد مرزوق بن حسن بن علي الصريفي

قال فى (طبقات الخواص) ص٣٣٦ ـ ٣٣٩: كان نفع الله به من أجل كبار المشايخ أرباب الكرامات الظاهرات، و المكاشفات الباهرات، صاحب خلق و تربية، يقال: إن أصحابه بلغوا نحو الخمسمائة، كانت وفاته سنة ٦١٩هـ.، و قبره بمقبرة (باب سهام) من القبور المشهورة المقصودة للزيارة و التبرك، قلّما قصده ذو حاجة إلا و قضيت حاجته اه..

التبرك بقبر أبي محمد عبد الله بن علي الأسدي

قال فى (طبقات الخواص) ص١٧٩ : كان أبو محمد الأسدى بفتح الهمزة و سكون السين و كسر الدال المهملتين من كبار الصالحين، صحب الشيخ عبد القادر الجيلانى و سمع عليه شيئا من الحديث النبوى، و صحب الشيخ الصياد، و الشيخ على الحداد، و الشيخ على بن أفلح، و كانوا يجتمعون على عبادة الله، و عمر عمرا طويلا حتى جاوز المائة، بل يقال: إنه عمر مائة و ثمانين سنة، منها ستون سنة فى السياحة. كان منه ما كان من ظهور الكرامات، و تواتر البركات، و توفى سنة ٦٢٠هـ. و قبره مشهور مقصود للزيارة و التبرك اه..

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن حسين البجلي

و فى (طبقات الخواص) ص٢٦٧ ـ ٢٧٩: أن الشيخ محمد بن حسين البجلى كان إماما فقيها، عالما محققا، عارفا جامعا بين الشريعة و الحقيقة، سالكا فى ذلك أحسن طريقة، له آيات و إفادات، و كرامات و مكاشفات، و من



كلامه: لو لا وجود خواص الله مع عوام الله فيما هم فيه من معاصى الله لجعل الله عقوبة من عصاه، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾. و قال: همة تحول حول العرش، و همة تحول حول الحش، فمن كان همه ما يدخل كان قيمته ما يخرج. قلت: الظاهر أنه يريد من كان همه ما يدخل بطنه فقط كان قيمته ما يخرج منه من الفضلات و الله أعلم. توفى سنة ٦٢١، و قبره إلى جنب قبر صاحبه الشيخ محمد الحكمى تستنجح بهما الحوائج و تستنزل بهما القطر نفع الله بهما آمين اه..

التبرك بقبر جعفر بن عبد الله

قال الحافظ الذهبى فى (معرفة القراء الكبار) ج٢ ص٦٠٨ ـ ٦٠٩:

كان جعفر بن عبد الله ابن سيد بونة أبو أحمد الأندلسى المقرئ العابد شيخ الصوفية فى وقته، و علا ذكره و بعد صيته فى العبادة. توفى فى ذى القعدة سنة ٦٢٤ عن سن عالية تقارب المائة، و شيعه بشر كثير، و انتاب الناس زيارة قبره دهرا طويلا يتبركون بزيارته اه..

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد الصريدح

بضم الصاد المهملة و فتح الراء و سكون الياء و كسر الدال.

قال فى (طبقات الخواص) ص٨٢ ـ ٨٣: كان فقيها عالما مباركا ورعا زاهدا، غلب عليه النسك و العبادة مع جودة العلم، و كان مبارك التدريس كثير النقل، تخرج به جماعة من الأكابر، و كان مقصودا للزيارة و التبرك، مؤلفا للأصحاب مؤانسا للوافدين، مرضي السيرة حسن السريرة، قليل المثل فى أبناء جنسه و أهل زمانه، و كانت وفاته سنة ٦٢٥ تقريبا، و قبره و قبور أهله مشهورة و مقصودة بالزيارة و التبرك نفع الله بهم أجمعين اهـ..

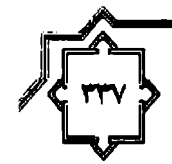
التبرك بقبر أبي محمد سالم بن محمد العامري

قال فی (طبقات الخـواص) ص١٤١ ـ ١٤٢: كـان أبـو محمـد فقيهـا كبـيرا محدثا، غلب عليه علم الحديث و عرف به، و كان مع ذلك ورعا زاهدا، و انتفـع به خلق كثير، و كان على قدم كامل من العلم و العمـل، شريـف الـنفس عـالی الهمة، صاحب كرامات و إفادات، و كانت وفاة الفقيه سـالم سـنة ٦٣٠، و قـبره عند مسجد الرباط مشهور يزار و يتبرك به، و لم تزل إمامة المسجد المذكور إليه و إلى ذريته برهة من الزمان، و هو مسجد مشهور الفضل، يقال: إنه أول مـسجد بنی فی الإسلام فی تلك الناحية اهـ..

التبرك بقبر ابن الصلاح الشافعي

قال ابن السبكی فی (طبقات الشافعية الكبرى) ج٥ ص١٣٧: توفی عـثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبی نصر أبو عمرو بن الصلاح سحر يوم الأربعـاء ١٥ من ربيع الاول سنة ٦٤٣، و ازدحم عليه الخلق فصلى عليه، و شيعوا إلـى باب الفجر فدفنوه بطرف مقابر الصوفية، و قبره على الطريق فی طرفها الغربـی ظاهر يزار و يتبرك به، قيل: و الدعاء عنده مستجاب، و كان شيخا علامـة أحـد أئمة المسلمين علما و دينا، فقيها محدثا زاهدا ورعا، قال ابن خلكـان: كـان أحـد فضلاء عصره فی التفسير و الحديث و الفقه، و ذكر غيره أن ابن الـصلاح قـال: ما فعلت صغيرة فی عمری قط!! و هذا فضل من الله عليه عظيم اهـ.

و فی (سير أعلام النبلاء) ج٢٣ ص١٤٠: كان تقی الدين أبو عمـرو عـثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الموصلی الشافعی إماما حافظا علامـة شـيخ الإسلام أفتى و ألف، و كان من كبار الأئمة عديم النظير فی زمانه. تـوفی سـنة ٦٤٣هـ. و حمل على الرؤوس و ازدحـم الخلـق علـى سريـره و دفنـوه بمقـابر الصوفية و قبره ظاهر يزار اهـ..



التبرك بقبر أبي بكر بن محمد بن ناصر الحميري

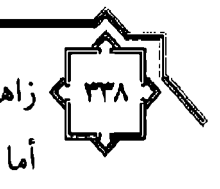
قال في (طبقات الخواص) ص٣٩٧: كان فقيها عارفا مجتهدا ورعا زاهدا متقللا من الدنيا، و كان من شدة الورع لا يأكل إلا ما تحقق حله، و كان له قطعة أرض ورثها من أهله، لا يأكل إلا غلتها، و لا يلبس إلا ما يغزله نساؤه من عطب، و كان إذا أقبل إلى المسجد أنار المسجد، حتى إن المطالع في الكتاب يجد النور على كتابه فيرفع رأسه فلا يرى إلا ظهور الفقيه، و كان مبارك التدريس، انتفع به جماعة من الأعيان و غيرهم، توفى سنة ٦٤٦هـ.، و قبره معروف يزار و يتبرك به اهـ. و العطب بالضم و بضمتين القطن كما في القاموس.

التبرك بقبر سيف الدين أبي الحسن علي بن يوسف

قال ابن العماد في (شذرات الذهب) ج٥ ص٢٦١: كان سيف الدين من جلة الأمراء و أبطالهم المذكورين، و صلحائهم المشهورين، توفى بـ.(نابلس) سنة ٦٥٣ و الدعاء عند قبره مستجاب اهـ..

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن محمد الطوسي المعروف بالشكيل بضم الشين المعجمة

قال في (طبقات الخواص) ص٨١: كان فقيها عالما ذا عبادة و زهادة و دعوة مستجابة، تفقه بجماعة من العلماء، و جمع كتابا كثيرة معظمها بخطه، و وقفها على طلبة العلم ببلده، و كانت له كرامات كثيرة، منها: ما يروى أنه يسمع صوته من قبره كل ليلة جمعة و اثنين يقرا القرآن، و قبره مشهور يقصد للزيارة و التبرك، و كانت وفاته سنة ٦٥٤. و كان له ولد يقال له مسعود كان عالما عابدا



زاهدا لم تعرف له صبوة، يحكى أنه تذاكر عنده جماعة من أصحابه النساء فقال: أما تستحيون من الله تعالى من نظرهن، توفى فى حياة أبيه و عمره ٢٥ سنة اهـ..

التبرك بقبر أبي الحسن علي بن الحسين الأصابي

قال فى (طبقات الخواص) ص٢١٢ ـ ٢١٣: كان فقيها عالما كاملا فاضلا، تفنن فى كثير من العلوم حتى صار صاحب الوقت المشار إليه، توفى سنة ٦٥٧هـ..، و قبره مشهور يزار و يتبرك به، و يوجد منه رائحة المسك خصوصا ليلة الجمعة اهـ..

التبرك بقبر أبي الحسن علي بن أحمد الرميمة بضم الراء و فتح الميمين و سكون المثناة بينهما

قال فى (طبقات الخواص) ص٢١١: كان الفقيه المذكور شيخا كبيرا كاملا، كثير المكاشفات و الكرامات، و كان متقللا من الدنيا خصوصا فى أمر المأكل و المشرب إلى غاية، حتى إن الذى يأكله فى سنة قدر ما يأكله غيره فى شهر، و كانت وفاته سنة ٦٦٣، و قبره مشهور مقصود للزيارة و التبرك، و له ذرية أخيار مباركون، لهم حرمة و جلالة ببركته نفع الله به آمين اهـ..

التبرك بقبر أبي محمد عيسى بن حجاج العامري

و فى (طبقات الخواص) ص٢٥٢ ـ ٢٥٤: أن الشيخ أبا محمد عيسى كان صاحب أحوال و أقوال، و تربية و علم غزير من علوم القوم، و له فى ذلك كلام حسن مدون متداول. و من كلامه: بسم الله نقول، و بالله التوفيق، إنه من



أدب نفسه بترك الهوى كان من العابدين، و من أدب عقله بمتابعة المصطفى ﷺ كان من المحبين. و كانت وفاته سنة ٦٦٤هـ. بمدينة (بيت حسين) و قبره هناك مشهور مقصود للزيارة و التبرك نفعنا الله به اهـ..

التبرك بقبر الفقيه أبي بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري المعروف بابن حنكاس بكسر الحاء المهمة و سكون النون و آخره سين مهلمة

وفى (طبقات الخواص) ص٣٧٧ ـ ٣٧٨: أن الفقيه أبا بكر عيسى كان إماما فاضلا كاملا، فقيها كبيرا من كبار فقهاء الحنفية، و عنه انتشر مذهب الإمام أبى حنيفة انتشارا كليا، و كان قد اندرس حتى قيل: لو لم يكن الفقيه أبو بكر المذكور فى ذلك العصر لفقد المذهب فى اليمن، و كان كثير الاجتهاد فى الاشتغال بالعلم، و كان مع كمال العلم عابدا زاهدا، أجمع على صلاحه المؤالف و المخالف، و توفى سنة ٦٦٤هـ. و دفن بمقبرة (باب سهام) من مدينة (زبيد) و قبره هناك مشهور يزار و يتبرك به، و يروى: أن من قرأ عند قبره سورة (يس) إحدى و أربعين مرة قضيت حاجته كائنة ما كانت، و قد جرب وصح اهـ..

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن الحسين المعروف بابن الحطاب بالحاء المهمة

و فى (طبقات الخواص) ص٣٠٧ ـ ٣٠٨: كان ابن الحطاب فقيها عالما عارفا محققا لعلوم كثيرة، وفاق على فقهاء عصره، توفى سنة ٦٦٥هـ. و دفن بمقبرة (باب سهام) و قبره هناك مشهور يزار و يتبرك به.

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن علوان الصوفي

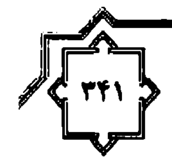
و في (طبقات الخواص) ص٦٩ ـ ٧١: أن الشيخ أحمد بن علوان كان شيخا كبيرا مشهورا وليا عارفا، و من كلامه نفع الله به: العلم دعوى، و العالم مدع، و العمل شاهد، فمن ثبتت بينة دعواه صحت للمسلمين فتواه، و له كرامات كثيرة مشهورة، و كانت وفاته في شهر رجب سنة ٦٦٥هـ. و دفن في قريته قرية (يفرس) بفتح الياء المثناة من تحت و سكون الفاء و ضم الراء و آخره سين مهملة، و قبره بها ظاهر معروف مقصود للزيارة و التبرك من الأماكن البعيدة، لا سيما في آخر جمعة من شهر رجب.

التبرك بقبر أبي عيسى سعيد بن عيسى العمودي الحضرمي

و في (طبقات الخواص) ص١٤٥ ـ ١٤٦: أنه كان أحد كبار مشايخ حضرموت، و كان مشهورا بالولاية الكاملة، و الكرامات المتعددة، و كان شيخا كبيرا كاملا مربيا، تخرج به جماعة من كبار الصالحين، و كانت وفاته فيما بين الستين و السبعين و ستمائة، و تربته من الترب المشهورة المقصودة للزيارة و التبرك نفع الله به آمين.

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن محمد بن أسعد الضبعي

و في (طبقات الخواص) ص٧٩ ـ ٨٠: أن الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد كان فقيها عالما عاملا، ورعا زاهدا متعففا، رضيا في دينه، قليل الكلام إلا في مذاكرة العلم، و توفي ﷺ في شعبان سنة ٦٧٠هـ. و دفن عند والده بقرية (سهفنة) بفتح السين المهملة و سكون الهاء و فتح الفاء و النون و آخره هاء تأنيث، و كان والده من الأخيار أيضا، و قبراهما هنالك مشهوران مقصودان للزيارة و التبرك نفع الله بهما آمين.



التبرك بقبر أبي يوسف يعقوب بن محمد التربي

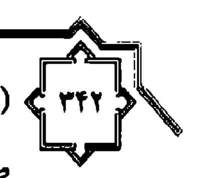
منسوب إلى الترب قرية من قرى الوادى.

و فى (طبقات الخواص) ص٣٦٧: أن الشيخ أبا يوسف يعقوب بن محمد كان فقيها عالما عابدا زاهدا ورعا، يحب الخلوة و يكره الشهرة، و كان له ولد اسمه عبد الله، تفقه بأبيه ثم غلبت عليه العبادة، و كان عابدا زاهدا، ثم توفى وقبر إلى جنب أبيه، و تربتهما فى مقبرة (موزع) مشهورة تزار و يتبرك بها، و كان انتقال الشيخ أبى يوسف التربى إلى رحمة الله تعالى على رأس ٦٨٠.

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل الشافعي

و (فى طبقات الخواص) ص٥٧: أن الشيخ أبا العباس أحمد بن موسى كان إماما عالما كبيرا، و قطبا عارفا شهيرا، مجمعا على ولايته و فضله، و جلالته و انفراده على أقرانه، و كان عارفا بالفقه و الأصول و الحديث و النحو و الفرائض و غير ذلك، و كانت له كرامات كثيرة تظهر عليه من غير قصد و كان أشد الناس كتمانا لذلك، و لم يزل ﷺ ينشر العلم و يدرسه مع كمال العبادة و الورع و الزهد و التقلل من الدنيا إلى حد الغاية، حتى توفى ﷺ و نفع به يوم الثلاثاء ٢٥ من شهر ربيع الأول سنة ٦٩٠، و تربته من الترب المباركة المشهورة فى اليمن، المقصودة للزيارة و التبرك من الأماكن البعيدة، و من استجار به سلم من جميع المخاوف، بل من وصل إلى قريته لم يقدر أحد أن يتعرض له بمكروه، و ليس للملوك و غيرهم تصرف على أهل قريته و لا ولايته، كل ذلك ببركته.

و ترجم له ابن السبكى فى (طبقات الشافعيه) ج٥ ص١٧ ـ ١٨: و سماه أحمد بن عيسى بن عجيل. و فى (طبقات الشافعية) لابن شهبة ج٢ ص٢٥: أحمد بن موسى بن على بن عجيل اليمنى الذوالى بضم الذال المعجمة، و



(ذوال) ناحية على نصف يوم من زبيد، الإمام العالم العامل الزاهد العارف، صاحب الأحوال و الكرامات، و من المشهور أن بعض فقهاء اليمن الصالحين سمعه يقرأ في قبره سورة النور، و توفي ﷺ سنة ٦٨٤هـ.. قلت: و في هذه الكتب الثلاثة أن بعض الناس جاء إليه و في يده سلعة فقال له: ادع الله أن يزيل عني هذه السلعة و إلا ما بقيت أحسن ظني بأحد من الصالحين، فقال له: لا حول و لا قوة إلا بالله، و مسح على يده و ربط عليه خرقة و قال له: لا تفتحها حتى تصل إلى منزلك، فخرج من عنده فلما كان في بعض الطريق أراد أن يتغذى ففتح يده ليأكل، و كانت في كفه اليمنى فلم ير لها أثرا، و ذهبت عنه بالكلية، و كان الشيخ ستر الكرامة بالخرقة لئلا تظهر في الحال اهـ..

و العبارة لابن السبكي و ابن شهبة، و في (طبقات الخواص): أنه يحكى عنه أنه حضر يوما عند مصروع فقرا عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾، فصرخ شيطانه و قال: لا والله لا والله، ثم زال عنه و لم يعد إليه مدة حياة الفقيه، فلما توفي رجع إليه كعادته، و كان بعض الناس حاضرا حين قرأ الفقيه عليه الآية فقال: أنا أقرأ عليه، فجاءه فقرا عليه الآية، بعينها، فضحك ذلك الشيطان منه، و قال: الآية الآية و الرجل غير الرجل.

فائدة:

لقد وقعت مثل هذه الكرامة للإمام أحمد بن حنبل ﷺ ففي (غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول) ج٥ ص٢٣٥: نقلا عن (آكام المرجان) أن الإمام أحمد بن حنبل كان جالسا في مسجده إذ جائه صاحب له من قبل الخليفة المتوكل فقال له: إن في بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع، و قد أرسلني إليك لتدعو الله لها بالعافية، فأعطاه الإمام أحمد نعلين من الخشب و قال: اذهب إلى دار أمير المؤمنين و اجلس عند رأس الجارية، و قل للجني: قال لك أحمد: أيما

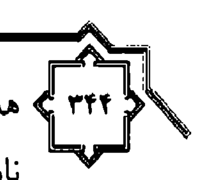


أحب إليك تخرج من هذه الجارية أو تصفع، بهذه النعل سبعين، فذهب الرجل و معه النعل إلى الجارية و جلس عند رأسها، و قال كما قال له الإمام أحمد، فقال المارد على لسان الجارية: السمع و الطاعة لأحمد، لو أمرنا أن نخرج من العراق لخرجنا منه، إنه أطاع الله، و من أطاع الله أطاعه كل شيء، ثم خرج من الجارية فهدأت و رزقت أولادا، فلما مات الإمام أحمد عاد لها المارد فاستدعى لها الأمير صاحبا من أصحاب أحمد، فحضر و معه ذلك النعل، و قال للمارد: أخرج و إلا ضربتك بهذه النعل، فقال المارد: لا أطيعك و لا أخرج، أما أحمد ابن حنبل فإنه أطاع الله فأمرنا بطاعته انتهى.

قلت: إن هذه الكرامة و نحوها قد ورثها العلماء الصالحون من سيد الخلق و حبيب رب العالمين نبينا محمد ﷺ فقد قالوا: كرامات الأولياء من معجزات الأنبياء، قال البوصيري في أواخر همزيته:

و الكرامات منهم معجزات حازها من نوالك الأولياء

و قد ورد أن رسول الله ﷺ أخرج الماردين من الجن عن كثير من المصابين، ففي (غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول) ج٥ ص٢٣٤ روى الإمام أحمد عن أم أبان بنت الوازع عن أبيها عن جدها قالت: انطلق جدي إلى النبي ﷺ بابن له أو ابن أخت له، و قال: يا رسول الله إن هذا مجنون أتيتك به لتدعو الله له، قال: قربه مني و اجعل ظهره لي، قال: ففعل، فاخذ النبي ﷺ بمجامع ثوبه من أعلاه و أسفله، فجعل يضرب ظهره و يقول: أخرج عدو الله، فصار المريض ينظر نظره الصحيح لا نظره الأول، ثم حول وجهه نحوه و دعا بماء فمسح به وجهه و دعا له، قال جدي: فلم يكن في الوفد بعد هذا أفضل و لا أحسن منه.
و روى الإمام أحمد أيضا على يعلى بن مرة قال: خرجت مع النبي ﷺ في سفر، فلما كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة و معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله



هذا صبى أصابه بلاء و أصابنا منه بلاء، فإنه يصرع فى اليوم أكثر من مرة، قال: ناولينيه، فأعطته له ففتح فمه فنفث فيه ثلاثا و قال: بسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله، و فى بعض الروايات: اخرج عدو الله أنا رسول الله، ثم أعطاه للمرأة و قال: تنتظرينا هنا و نحن راجعون فتخبرينا بما فعل، قال يعلى: فذهبنا ثم عدنا إلى هذا المكان فوجدناها و معها ثلاث شياه، فقال ﷺ ما فعل صبيك؟ قالت: و الذى بعثك بالحق ما رأينا منه شيئا إلى هذه الساعة، و خذ من هذه الشياه، فقال رسول ﷺ: انزل فخذ منها واحدة ورد لها البقية اهـ. و أعلم أن إخراج المارد الجنى بالأمر و امتثاله بذلك يختص بأكابر الصالحين و العلماء العاملين بعلمهم المتمسكين بسنته ﷺ الصادقين فى ذلك.

التبرك بقبر أبي الخطاب عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسي (أصله من القدس الشريف)

و فى (طبقات الخواص) ص٢٤٥ أن أبا الخطاب أدرك الشيخ نجم الدين الأخضر من ذرية الشيخ أحمد الرفاعى، فأخذ عنه الخرقة و تربى بين يديه، ثم أمره أن يدخل اليمن و ينشر الخرقة الرفاعية هنالك، و توفى ﷫ سنة ٦٨٨هـ. بعد أن شهرت الخرقة الرفاعية فى اليمن، و انتشرت عنه انتشارا كليا، و قبره مشهور يزار و يتبرك به ﷫.

التبرك بقبر أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن إسماعيل بن أحمد ابن ميمون الحضرمي

و فى (طبقات الخواص) ص٩٥ ـ ١٠١: أن الشيخ إسماعيل كان إماما كبيرا عارفا بالله تعالى، قدوة الفريقين و عمدة أهل الطريقين، و كان ملقبا بقطب



الدين، اشتغل بالعلم حتى برع فيـه، و كـان تفقهـه بوالـده ثـم بعمـه علـى بـن إسماعيل حتى صار فقيها محققا نقالا لدقائق الفقه، و له عـدة مـصنفات، منهـا: (شرح المهذب)، و منها: (مختصر مسلم) و غير ذلك، و كان توفى ؓ فـى ذى الحجة سنة ٦٦٩هـ. و دفن فى قرية (الضحى) بفتح الضاد المعجمة و كسر الحاء المهملة و بعدها ياء نسب، و قبره هنالك مشهور مقصود للزيـارة و التـبرك مـن جميع أنحاء اليمن، رحمه الله تعالى و نفع به و بسائر عباده الصالحين اهـ..

قلت: وفى (طبقات الشافعية الكبرى) لابن السبكى و (طبقـات الـشافعية) لابـن قاضـى شـهبة: أنـه تـوفى فـى حـدود سـنة سـت أو سـبع و سـبعين و سـتمئاته،ت: وفـى (طبقـات الـشافعية الكـبرى) لابـن الـسبكى و (طبقـات الشافعية) لابن قاضى شهبة: أنه توفى فى حدود سنة ست أو سـبع و سـبعين و ستمائة، و فى (شذرات الذهب) سنة ثمان و سبعين و سـتمائة، و مـن خوارقـه و كراماته كما (فى شذرات الذهب) و (طبقـات الخـواص): أن بعـض الـصلحاء رأى المصطفى ﷺ فقال له: من قبل قدم الحضرمى دخل الجنة، فبلغ ذلك مفتى زبيد أحمد بن سليمان الحكمى، فقال: لما سمعت ذلك وقع فى نفسى منه شىء، ثم اتفق أنى قصدت زيارته فلما دخلت عليه قال: مرحبا بك جئت لتقبل قدمى، ثم مد رجليه فقبلتهما، و ممن قبل قدمه الإمام العلامة محب الدين الطبرى، و قال اليافعي: كان الجلة من العلماء يقبلون قدمه. انتهى ملخـصا. و ذكـر ابـن حجـر الهيتمى هذه القصة فى (الفتاوى الحديثية) ص٢٧١ و أنها متواترة عنـه، و قـال: لم يزل يقبل قدم الحضرمى كل زائـر و إن جلـت مرتبتـه. و اشـتهر أن الـشمس وقفت له، قال الإمام المحقق تاج الدين بن السبكى فـى (طبقاتـه الكـبرى) ج٥ ص٥٠ ـ ٥١: إن الشيخ إسماعيل الحضرمى قال يوما لخادمه و هو فى سفر: قـل للشمس: تقف حتى نصل إلى المنزل، و كان فى مكان بعيد و قد قرب غروبهـا،

فقال لها الخادم: قال لك الفقيه إسماعيل: قفي فوقفت حتى بلغ مكانه، ثم قال للخادم: أما تطلق ذلك المحبوس؟ فأمرها الخادم بالغروب فغربت و أظلم الليل في الحال، و ذكر ذلك أيضا ابن العماد الحنبلي في (شذراته) و الشرجي الزبيدي في (طبقات الخواص) و الشيخ ابن حجر الهيتمي في (الفتاوى الحديثية) ص٢٧١ و أشار إليها اليافعي في (مرآة الجنان) ج٤ ص٤١٢.

التبرك بقبر أبي محمد بن عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن الخطيب

و في (طبقات الخواص) ص١٨٠ ـ ١٨٢: أن الشيخ أبا محمد بن عبد الله، كان فقيها كبيرا عالما عارفا كاملا، صاحب كرامات و أحوال، كان أصله من قرية يقال لها (الطريقة) و قرأ القرآن هنالك ثم خرج قاصدا لطلب العلم، فوصل إلى الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي، فقرأ عليه مدة، ثم لزم مجلس ابنه الشيخ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل فنفقه به و تخرج و انتفع به نفعا كليا ظاهرا و باطنا، فاستغرق في العبادات، و ظهرت له كرامات، و كانت وفاته نفع الله به سنة ٦٩٧هـ. و لما دنت وفاته قال يوم السبت لأصحابه: يكون يوم الثلاثاء جلبة عظيمة، فتوفي يوم الثلاثاء من ذلك الأسبوع، و قبره مشهور يزار و يتبرك به، و له بها ذرية أخيار مباركون، الغالب عليهم الاشتغال بالعلم و الصلاح، نفع الله بهم و بسلفهم آمين اهـ..

التبرك بقبر أبي عمرو عثمان بن هاشم الجحري

بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة و كسر الراء و آخره ياء نسب.

و في (طبقات الخواص) ص١٩٢ ـ ١٩٣: أن الشيخ أبا عمر كان متصوفا فقيها عالما كاملا، و صحب الشيخ عيسى بن الحجاج و الشيخ عليا الشنيني، و



توفى سنة ٧٠٣، و قبره مشهور يزار و يتبرك به رحمه الله تعالى و نفع به آمين اهـ..

التبرك بقبر العباس أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي الهاشمي الملقب بسطان العارفين

و فى (طبقات الخواص) ص٧٤ ـ ٧٧: أن الشيخ أبا العباس كان من كبار عباد الله الصالحين، و الأولياء المقربين، و من أعظمهم مجاهدة و عبادة و زهادة، و كان له مع ذلك معرفة تامة فى العلوم لا سيما علم الحقائق، و له فيه مصنف حسن سماه (كتاب ثمرة الحقيقة و مرشد السالكين إلى أوضع الطريقة)، و كان يختلى فى مواضع متعددة، و كان يمر عليه الخمسة الأشهر و الستة الأشهر ما يرى مضطجعا، و كان يمكث الأيام العديدة لا يأكل و لا يشرب، بل لا يزال مستغرقا فى العبادة و الذكر، ثم فتح عليه بعد ذلك و نال مرتبة، و أقبل عليه الناس من كل ناحية و كان لا يشتغل بشىء من أمور الدنيا و لا يكتسب، و لا يطلب من أحد شيئا، و إذاعلم بأحد من أصحابه يطلب من الناس طرده، و كان إذا فتح عليه بشىء من غير طلب أنفقه على الفقراء و الواقدين، و كانت وفاته سنة ٧٠٤، و قبره مقصود بالزيارة و التبرك من الأماكن البعيدة، و من استجار فى القرية فضلا عن التربة لا يقدر أحد أن يتعرض له بما يكره من أرباب الدولة و غيرهم بلطف الله تعالى ثم ببركته نفع الله به انتهى.

التبرك بقبر أحمد بن عطاء الله السكندري

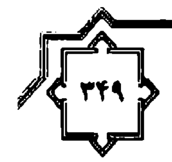
قال الحافظ الدوادى فى (طبقات المفسرين) ج١ ص٧٧: إن الشيخ أحمد بن عطاء الله توفى سنة ٧٠٩ فى (القاهرة) و دفن فى (القرافة) و تردد الناس لزيارة

قبره تبركا به، و عملوا عند قبره في كل ليلة حادى عشر من جمادى الآخرة من كل سنة مجتمعا يقرأون فيه القرآن و يطعمون الطعام. و ترجم لابن عطاء الله شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في (الدرر الكامنة) و السيوطي في (حسن المحاضرة) و ابن العماد في (شذرات الذهب) و الشوكاني في (البدر الطالع) و غيرهم.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن عمر بن أحمد بن حشيبر

بضم الحاء المهملة و فتح الشين المعجمة و سكون المثناة من تحت و كسر الباء الموحدة قبل الراء.

و في (طبقات الخواص) ص٢٧٠ ـ ٢٧٤: كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر فقيها عالما عاملا عارفا كاملا، و كانت له كرامات مشهورة و إشارات مذكورة، كان في بدايته يختلي في موضع يقال له: (محرمل) بضم الميم و فتح الحاء و سكون الراء و كسر الميم الثانية و آخره لام، و هو موضع مشهور بالفضل و البركة، يقصده العباد و يعتكفون فيه و يفتح لهم فيه، و يخبرون أنهم يرون فيه رجال الغيب و الملائكة، فأقام هناك الشيخ محمد خمسة و ثلاثين يوما، قال الشيخ: فما تم لي أربعون يوما إلا و كلي عين ناظرة، و يحكى عنه أنه ذهب به والده إلى الشيخ أبي الغيث بن جميل يلتمس منه الدعاء و البركة و هو إذ ذاك صبي، فكشف له أن للشيخ أبي الغيث عينين يبصر بهما من ورائه، فأعلم والده بذلك و والده أعلم الشيخ، فقال الشيخ والله: يا ولدي ما رآهما أحد غيرك ثم نوه باسمه و عظمه، و توفي آخر سنة ٧١٨هـ. و قبره و قبور ذريته و أهله مشهورة مقصودة للزيارة و التبرك نفع الله بهم آمين.



التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن حسن بن مرزوق

و فى (طبقات الخواص) ص٣٠٤ ـ ٣٠٥: أن الشيخ محمد بن حسن كان من كبار المشايخ الأولياء، أصحاب الأحوال و المكاشفات، و لم يكن له نظير فى زمانه، و كانت له كرامات كثيرة و توفى ﷺ سنة ٧٢١هـ. و دفن فى المقبرة المعروفة بـ(المرزوقية) و قبر الشيخ هنالك مشهور يزار و يتبرك به اهـ..

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن عمر بن حمد الحضرمي.

و فى (طبقات الخواص) ص٣١١: أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن عمر كان شيخا كبيرا عارفا كاملا، كثير العبادة، شديد المجاهدة، و كانت له كرامات ظاهرة و أخبار سائرة، و مما يحكى من مجاهدة الشيخ محمد أنه كان يطوى عشرة أيام و خمسة عشر يوما، لا يأكل فيها إلا ما يزيل تحريم الوصال المنهى عنه شرعا، و كان كثير الصمت و الفكر، يؤثر الخمول و يكره الشهرة، كثير الذكر، و كان يسبح كل يوم ٣٥٠٠٠ تسبيحة، و توفى سنة ٧٢١هـ. و قبره مع قبور أهله بمدينة (شبام) من بلاد حضرموت مقصود للزيارة و التبرك اهـ..

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن عمر بن موسى النهاري

و فى (طبقات الخواص) ص٢٨٣ ـ ٢٨٦: أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن عمر كان أوحد أهل زمانه علما و عملا، و كان صاحب كرامات خارقات، و مكاشفات باهرات، و توفى ﷺ سنة ٧٤٧، و دفن برباطه المشهور المقصود للزيارة و التبرك من ناحية (ريمه) بفتح الراء و الميم و بينهما ياء مثناة من تحت ساكنة و آخره هاء تأنيث، و تربة الشيخ هنالك من الترب المشهورة المقصودة للزيارة و التبرك، و من استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكروه اهـ..

التبرك بقبر عبد الله المغربي المنوفي

قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى فى (الدرر الكامنة) ج٢ ص٣١٢: كان الشيخ عبد الله المغربى الأصل ثم المصرى المشهور بالمنوفى، ولد فى قرية من قرى مصر يقال لها (سابور) فى سنة ٦٨٦هـ. و كان فقيها مالكيا يشتغل فى العربية و الأصول لكن فى الفقه أكثر، و تقلل من متاع الدنيا، و امتنع من الاجتماع بالسلطان، و اشتهر بالصلاح و العبادة و الزهادة، و حكيت منه الكرامات الكثيرة، و كان يصوم الدهر لكنه يفطر إذا دعى إلى وليمة، و كان إذا تكلم يخرج من فيه نور، توفى ﵀ فى رمضان سنة ٧٤٩هـ. و قبره مشهور يتبرك بزيارته، سأله الشيخ علاء الدين القونوى أن ينزله بخانقاه (سعيد السعداء) فامتنع فألح عليه و قال: إنه مكان مبارك و فيه جماعة من أهل الخير، فقال: نعم و لكن شرط الواقف أن يكون المنزل بها صوفيا و أنا والله لست بصوفى اهـ..

التبرك بقبر أبي محمد سعد بن محمد بن أحمد العرضي

بضم العين المهملة و سكون الراء و كسر الضاد المعجمة.

و فى (طبقات الخواص) ص١٤٣ ـ ١٤٤: أن الشيخ أبا محمد سعد بن محمد كان شيخا كبيرا صالحا، صاحب كرامات مشهورة، ويحكى أنه كان يتهجد بالليل بالقرآن و يبكى، و ربما علا صوته حتى يسمع من بعيد، و كانت وفاة الفقيه سعد سنة ٧٥٠هـ.، و قبره مشهور يقصد للزيارة و التبرك اهـ..

التبرك بقبر أبي الحسن علي بن نوح بن علي بن محمد بن سليمان الأبوي

بضم الهمزة و فتح الموحدة و كسر الواو.



قال فى (طبقات الخواص) ص٢٢٦: كان أبو الحسن على بن نوح إماما كبيرا عالما عارفا بالأصول و الفروع، نقالا للحديث، و كان مع كماله فى العلم صاحب عبادة و زهادة و صلاح و ولاية، و كانت له كرامات ظاهرة، و توفى رحمه الله سنة ٧٥١، و قبره مشهور يزار و يتبرك به اهـ..

التبرك بقبر أبي بكر بن أحمد بن علي بن عبد الله بن محمد دعسين

بفتح الدال و سكون العين و فتح السين المهملة و سكون المثناة من تحت.

و فى (طبقات الخواص) ص٣٩٠ ـ ٣٩١: أن أبا بكر المذكور كان فقيها عالما عارفا محققا كثير الفنون، عابدا زاهدا ورعا قانعا من الدنيا باليسير، متواضعا باذلا نفسه للطلبة، و كان رئيس المفتين بمدينة (زبيد)، و كان قد شرح (سنن أبى داود) فى نحو أربعة مجلدات، و كان مائلا إلى طريقة التصوف كثير الصيام و القيام، يحب الخلوة و الانفراد، جامعا بين فضيلتى العلم و العمل، و كانت وفاته رحمه الله سنة ٧٥٢هـ. و دفن بمقبرة (باب سهام) عند قبور الفقهاء، و قبره هناك معروف يزار و يتبرك به اهـ..

التبرك بقبر أبي محمد بن علوي بن أحمد بن الأستاذ الفقيه المقدم

قال الشيخ محمد بن أبى بكر الشلى فى (المشرع الروى) ج١ ص٣٧٣ ـ ٣٧٥: كان الشيخ محمد بن علوى إمام العلماء العارفين، و شيخ الأئمة المجتهدين، و حامل لواء المتأخرين، توفى رحمه الله سنة ٧٦٧هـ.، و قبره معروف يزار و يتبرك به اهـ..

التبرك بقبر أبي محمد الحسن بن عبد الله بن أبي سرور.

و فى (طبقات الخواص) ص١٢٤ ـ ١٢٥: أن أبا محمد كان شيخا كبير



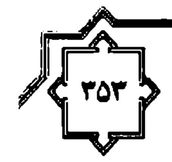
القدر، مشهور الذكر، صاحب علوم و مكاشفات، يقال: إنه بلغ رتبة القطبية، و كان له مع كمال الولاية معرفة تامةبالعلوم الشرعية و التدريس، و كانت وفاته ﷺ لنحو ٧٧٠هـ. تقريبا، و قبره مقصود للزيارة و التبرك اهـ..

التبرك بقبر إلى الحسن علي بن أبي بكر بن محمد بن علي بن محمد بن شداد.

قال الشرجى الزبيدى فى (طبقات الخواص) ص٢٣١ ـ ٢٣٢: كان أبو الحسن على بن أبى بكر إماما فقيها محدثا مقرئا، عابدا ناسكا ورعا زاهدا، و كانت الرحلة إليه من سائر أقطار اليمن فى علمى القرآن و الحديث، و لم يكن له نظير فى عصره، و كان مبارك التدريس، ما قرأ عليه أحد إلا انتفع. و توفى سنة ٧٧١هـ. و قبره بمقبرة (باب سهام) مشهور يزار و يتبرك به اهـ..

التبرك بقبر أبي عفان عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال.

و فى (طبقات الخواص) ص١٩٤ ـ ١٩٥: أن الشيخ عثمان بن أبى القاسم كان فقيها عالما عاملا، ورعا زاهدا متقللا من الدنيا غير ملتفت إليها، و له كرامات كثيرة، من ذلك: ما يروى أنه قدم قريته رجل من أهل العراق، فلما وقع بصره على الفقيه قال لبعض الدرسة ـ جمع دارس ـ هل حج الفقيه فى هذه السنة؟ قال له: لا، فقال له: والله لقد رأيته يصلى فى الحرم الأوقات الخمسة فى هذه السنة، ثم أكب على الفقيه يقبله و يسأله الدعاء، و كانت وفاته سنة ٧٧٦هـ.. و لما بلغ نبأ وفاته إلى (زبيد) خرج الشيخ الكبير إسماعيل بن ابراهيم الجبرتى هائما على وجهه، و هو يقول: يا بقية البقايا، و قبره مشهور يزار و يتبرك به.



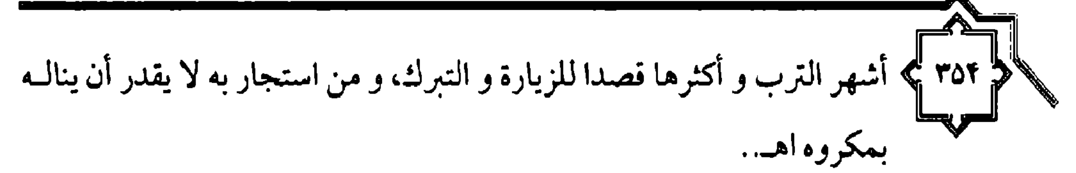
التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن يوسف المكدش

بضم الميم و سكون الكاف و كسر الدال المهملة.

و فى (طبقات الخواص) ص٢٩٤ ـ ٢٩٥: أن أبا عبد الله محمد بن إسماعيل كان من كبار الصالحين، ذوى الأحوال الظاهرة و الكرامات الباهرة، و كان كثير الذكر مستغرقا فيه، و بنو (مكدش) قوم أخيار صالحون، شهر منهم جماعة بالولاية التامة، و ظهور الكرامات، و قبور أكابرهم مقصودة بالزيارة و التبرك نفعنا الله بهم، و كانت وفاة أبى عبد الله محمد بن إسماعيل سنة ٧٧٨هـ..

التبرك بقبر أبي محمد طلحة بن عيسى بن إبراهيم بن أبي بكر بن الشيخ الكبير عيسى بن إقبال الهتار

و (فى طبقات الخواص) ص١٦٢ ـ ١٦٦: أن الشيخ أبا محمد طلحة بن عيسى كان وليا كبيرا عارفا بالله، صاحب كرامات خارقة، كان فى بدايته قد اشتغل بالعلم و نقل التنبيه عن ظهر الغيب، و كان يختم القرآن فى كل يوم ختمة و يقوم بالليل بأخرى، ثم فتح الله عليه بفتوحات جليلة، و ظهرت كراماته و توالت كشوفاته، و كان الشيخ نفع الله به قد لزم فى آخر عمره الصيام و القيام و الذكر و التلاوة، و أقام كذلك خمس عشرة سنة لا يفطر إلا أيام العيد، و لا يخرج إلا الصلاة الجمعة، و كان لا ينام إلا قليلا جدا، و لا يأكل إلا قليلا جدا، و كان يقول: انقطعت عنى شهوة الطعام منذ سنين، و ما أكل إلا اقتداء بصاحب الشريعة المطهرة ﷺ، و كان يقول: إن كثرة الأكل تخل بالواصل فكيف بالسالك؟ و كان قد شهر عنه أنه يرى النبى ﷺ فى حالة اليقظة، و كانت وفاته سنة ٧٨٠هـ. و دفن شرقى مقبرة (باب سهام) و تربته هنالك من



أشهر الترب و أكثرها قصدا للزيارة و التبرك، و من استجار به لا يقدر أن يناله بمكروه اهـ..

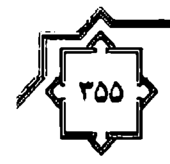
التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن شبيح

بضم الشين المعجمة و فتح الباء الموحدة و سكون المثناة من تحت.

و فى (طبقات الخواص) ص٣٣٢: أن الشيخ المذكور كان فقيها عالما صالحا، عابدا زاهدا متجردا عن الدنيا، و كانت وفاة الفقيه أبى محمد بن أبى بكر سنة ٧٩٨هـ.، و قبره مشهور يزار و يتبرك به اهـ..

التبرك بقبر أبي بكر علي بن محمد الحداد

و فى (طبقات الخواص) ص٣٩١ ـ ٣٩٣: أنه كان نفع الله بـه فقيها عالما كبيرا عابدا ورعا زاهدا، كثير الاجتهاد فى العلم و العمل، متواضعا متقللا فى مطعمه و مشربه و ملبسه مع الورع التام، و كان مبارك التدريس كثير الطلبة صبورا عليهم، و كان يقرأ فى اليوم و الليلة نحو خمسة عشر درسا، لا يضجر و لا يتبرم، و له فى مذاهب الإمام أبى حنيفة ﵁ مصنفات جليلة، لم يصنف أحد من علماء الحنفية في اليمن منذ زمن الإسلام إلى عصرنا مثلها كثرة و إفادة، منها: شرحان على مختصر القدورى كبير و صغير، و منها: (شرح المنظومة النسفية) و (شرح المنظومة الهاملية) و (شرح قيد الأوابد) و غير ذلك، و تبلغ مصنفاته نحو عشرين مجلدا فى المذاهب، و له تفسير حسن مفيد، هذا مع الاشتغال بالعبادة و الصيام و القيام و التدريس و غير ذلك، توفى ؒ سنة ٨٠٠هـ. و قبره مشهور يزار و يتبرك به، و تستنجح عنده الحوائج، و رأيت كثيرا من الناس يقصدون زيارته و يذكرون أنهم لا يلازمون فى حاجة إلا تقضى، و أنا ممن وجد ذلك مرارا و الحمد لله رب العالمين اهـ..



التبرك بقبر أبي بكر بن محمد بن حسان المضري

نسبة إلى مضر بن نزار بن زكريا.

و في (طبقات الخواص) ص٣٨٧ ـ ٣٩٠: كان الشيخ أبو بكر بن محمد كبيرا عارفا ربانيا مربيا، صاحب رياضات و مجاهدات، يقال: إنه كان راتبه كل يوم ألف ركعة، و كان يختم كل يوم ثلاث ختمات من القرآن الكريم، و كان كثير الصيام، و كان رحمه الله متخليا عن الدنيا بالكلية، ما ملك قط دابة و لا ثوبا حسنا، و ما كان يلبس إلا مرقعة اختيارا منه و زهدا و قهرا للنفس، و كانت تعرض عليه الدنيا فيكرهها، و كانت وفاة الشيخ أبى بكر سنة ٨٠٢هـ.، و قبره مشهور مقصود للزيارة و التبرك من الأماكن البعيدة، قلما قصده ذو حاجة إلا وقضيت حاجته رحمه الله و نفع به اهـ..

التبرك بقبر إبراهيم بن موسى بن أيوب القاهري المقسي الشافعي الفقيه

و في (الضوء اللامع) ج١ ص١٧٢ ـ ١٧٥: أن الشيخ إبراهيم حفظ القرآن وهو شاب و كُتُبا، و تفقه بالأسنوى و ولى الدين الملوى و غيرهما فى الفقه و العربية و الأصول، و أجازه جماعة و تصدى للإفتاء و التدريس، و درس بمدرسة السلطان حسن و غيرها، و ولى مشيخة (سعيد السعداء) مدة، و كان يحسن إلى الطلبة و يجمعهم على التفقه و يرتب لهم ما يأكلون، و وقف بها كتبا جليلة، و ممن أخذ عنه الولى العراقى، و الجمال بن ظهيرة، و ابن الجزرى، و ذكره العثماني فى الطبقات، فقال: الورع المحقق مفتى المسلمين شيخ الشيوخ بالديار المصرية، و مدرس الجامع الأزهر، له مصنفات يألفه الصالحون و تحبه الأكابر، و فضله معروف، و قال المقريزى: إنه صنف فى الفقه و الحديث و النحو و حج كثيرا، و جاور مرة وحدث هناك و أقرأ ثم رجع فمات فى الطريق

سنة ٨٠٢ فغسل و كفن و صلى عليه و دفن في (عيون القصب) و قبره بها يتبرك به الحجيج و عملت له قبة اهـ..

التبرك بقبر أبي بكر بن داود

قال ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب) ج٧ ص٥٨: كان الشيخ أبو بكر بن داود وليا كبيرا شهيرا عارفا بالله تعالى، مسلكا مخلصا فقيها حنبليا معدودا في الصالحين، و له زاوية حسنة فوق جامع الحنابلة، و له تصانيف نافعة، قال الشيخ إبراهيم بن الأحدب: الدعاء عند قبر أبي بكر بن داود مستجاب، و توفي رحمه الله سنة ٨٠٦هـ..

التبرك بقبر علي بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد المصري الشافعي.

و في (الضوء اللامع) للسخاوي ج٥ ص١٦٣ ـ ١٦٤: أن الشيخ علي بن أحمد تفقه بالولي الملوي و تأدب بآدابه، و اشتغل كثيرا عليه و على غيره كالتاج السبكي أخذ عنه مصنفه (جمع الجوامع) تحقيقا، و كذا الكثير من (منع الموانع) و (التنبيه)، و (المنهاج) و (التسهيل)، و أخذ القراءات السبعة عن المجد إسماعيل الكفتي، و كان عالما بالفقه و التفسير و آداب الصوفية، حسن العقيدة، و كان يتكلم على الناس مع شدة الخوف و المراقبة بجامع عمرو، ثم تحول إلى القاهرة، و سكن جوار الأزهر، و مات في يوم الثلاثاء سنة ٨١٣هـ. وصلى عليه بالأزهر ثم بالقرافة، و دفن بها بالقرب من تربة التاج ابن عطاء الله، و تأسف الناس عليه، و يقال: إن الدعاء عند قبره مستجاب اهـ..

التبرك بقبر أبي الحسن علي بن عمر بن إبراهيم القرشي الصوفي الشاذلي.

و في (طبقات الخواص) ص٢٣٣: أن الشيخ أبا الحسن علي بن عمر كان



شيخا كبير القدر مشهور الذكر، اشتغل فى بدايته بالعلم حتى أتقن فنونا كثيرة خصوصا فى الفرائض، ثم سلك طريق التصوف، و حج إلى بيت الله الحرام، و كانت وفاة الشيخ على سنة ٨٢١هـ، و قبره فى قرية (المخا) بفتح الميم و الخاء المعجمة مقصود للزيارة و التبرك و استنجاح الحوائج، و من استجار به أمن مما يخاف، و له هنالك ذرية أخيار مباركون نفع الله بهم أجمعين.

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عبد الله بن شوعان

بفتح الشين المعجمة و سكون الواو

و فى (طبقات الخواص) ص٣٢٩ ـ ٣٣٠: أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن عمر ﷺ كان فقيها عالما عارفا كاملا، ورعا زاهدا تاركا للدنيا مقبلا على الآخرة، و كان مع كمال العبادة و الزهادة متضلعا من علوم شتى، كالفقه و الحديث و الأصول و التفسير و القراءات و النحو و اللغة و غير ذلك، و كان يدرس جميع هذه العلوم، و كانت وفاته سنة ٨٢٢هـ. و دفن بمقبرة (باب سهام)، و قبره هنالك مشهور يزار و يتبرك به رحمه الله تعالى و نفع به آمين اهـ.

التبرك بقبر أبي يعقوب يوسف بن علي الأشكل

و فى (طبقات الخواص) ص٣٧٠ ـ ٣٧٣: أن الشيخ أبا يعقوب يوسف بن على كان من كبار الصالحين، صاحب كرامات و مكاشفات، خرج متجردا للعبادة، فأقام مدة فى كهف من جبل الظاهر المعروف بـ(ظاهر نبهان)، فاتفق أن حصل على أهل تلك الناحية قحط عظيم و تطاول عليهم، فجاءوا إليه و سألوه الدعاء، فدعا لهم فمطروا سريعا و زرعوا و أخصبوا، فارتحل عنهم إلى موضع آخر ليتخلى للعبادة، و توفى سنة بضع و عشرين و ثمانمائة، و دفن مع أهله و قبورهم مشهورة تقصد للزيارة و التبرك نفع الله بهم أجمعين اهـ.

التبرك بقبر أبي يعقوب يوسف بن عمر المعتب

و فى (طبقات الخواص) ص٣٧٣ ـ ٣٧٤: أن الشيخ أبا يعقوب يوسف بن عمر كان من كبار مشايخ الصوفية، عابدا زاهدا صواما قواما، و كان صاحب كرامات و مكاشفات، و من كراماته: أنه كشف له حرب الشيخ أبى القاسم الجبيلى مع المشايخ بنى فيروز، ورآهم و هم يقتتلون، و جعل يخبر الناس بما يرى فورد الخبر كما ذكره، و قال: لما رأيت الشيخ الجبيلى سقط رأيت نورا ارتفع منه فملأ ما بين السماء و الارض، و كانت وفاة الشيخ يوسف المعتب سنة ٨٢٧هـ. عن نحو تسعين سنة، و له ذرية أخيار، و قبورهم يزار و يتبرك بهما، و لهم مسامحات لا يعارضون فيها، و من عارضهم لا يفلح اهـ..

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن محمد ارديني الشريف السني

و فى (طبقات الخواص) ص٨٤ ـ ٨٥: أن الشيخ أبا العباس أحمد كان شيخا جليل القدر، مشهور الذكر، صاحب أحوال و كرامات، اشتغل فى بدايته بالعلم و حصل منه طرفا صالحا، و كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، متنزها عن الأخذ من أيدى الناس، لا يأكل إلا ما يزرعه، توفى سنة ٨٢٧هـ.، و دفن بساحل البحر من ناحية (حلى) بقرية يقال لها: (عازب)، و قبره هنالك مشهور مقصود للزيارة و التبرك اهـ..

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن محمد المزجاجي

و فى (طبقات الخواص) ص٣٣٢ ـ ٣٣٣: أن الشيخ أبا عبد الله كان شيخا كبير القدر صالحا عابدا صواما قواما، كثير الذكر و التلاوة لكتاب الله تعالى، مواظبا على الأوراد، يؤثر الخلوة و العزلة، و كان يحب العلماء و يجلهم و يقوم



بكفاية الجماعة منهم، و كانت وفاته سنة ٨٢٩، و دفن بمقبرة (باب سهام) قريبا من تربة شيخه، و قبره هنالك مشهور يزار و يتبرك به اهـ..

التبرك بقبر أبي عبد الله محمد بن أبي مليكة بضم الميم على التصغير

و فى (طبقات الخواص) ص٣٠٠ ـ ٣٠١: أن الشيخ أبا عبد الله محمد بن أبى مليكة كان على قدم كامل من العبادة و المجاهدة، له ذرية أخيار صالحون، و كانت وفاته سنة ٨٣٣هـ.، و قبور مشايخ بنى مليكة هنالك مشهورة مقصودة للزيارة و التبرك نفع الله بهم اهـ..

التبرك بقبر أبي القاسم بن عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال.

و فى (طبقات الخواص) ص١٩٤ ـ ١٩٥: أن أبا القاسم كان من كبار الصالحين، العلماء العاملين، و كانت وفاته ﷺ سنة ٨٣٧هـ. و قبره يزار و يتبرك به اهـ..

التبرك بقبر أبي العباس أحمد بن يحيى المساوي

بضم الميم و فتح السين المهملة و بعد الألف واو مفتوحة ثم ياء آخر الحروف.

و فى (طبقات الخواص) ص٩٤ ـ ٩٥: أن الشيخ أبا العباس أحمد بن يحيى كان شيخا كبير القدر و مشهور الذكر، صاحب أحوال و كرامات، و كان شريفا سنيا، و كان محببا إلى الناس، معتقدا عندهم، له صيت عظيم و محل جسيم، و كان فى بعض الأوقات يحمل زنبيلا، و يجعل فيه شيئا من كسر الخبز، و كان الناس يستوهبون منه ذلك و يتبركون به. توفى سنة ٨٤١، و دفن بزاويته من ناحية مدينة (حرض) و قبره هنالك مشهور مقصود للزيارة و التبرك اهـ..

التبرك بقبر الشيخ علي المعروف بخروعة

و فى (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) للسخاوى ج٦ ص٦١: أن الشيخ على المشهور (بخروعه) كان شيخا صالحا مجذوبا، و تحكى له كرامات، و مات بمكة فى سلخ رمضان سنة ٨٤٤ و حمل نعشه على الرؤوس، و بنى قبره و صار مقصودا للتبرك و الزيارة اهـ..

التبرك بقبر أبي القاسم بن أبي بكر بن محمد العسلقي

بضم العين و سكون السين المهملتين و ضم اللام و آخره قاف.

و فى (طبقات الخواص) ص٤٠٠ ـ ٤٠١: نشأ أبو القاسم من صغره نشأ حسنا صالحا، و اشتغل بالعلم اشتغالا حسنا بلغ فى الفقه إلى رتبة التدريس و الفتوى، و كان مبارك التدريس، ما قرأ عليه أحد إلا انتفع به، و كان كثير الصيام و القيام و الذكر و التلاوة، توفى ﷺ سنة ٨٤٥، و قبره ظاهر معروف يزار و يتبرك به اهـ..

الخلاصة

لقد ذكرنا أن كثيرا من الأئمة الأجلاء صرحوا بمشروعية تبرك قبور الصالحين، و ذكروا ذلك و هم يستحسنونه بل فعل بعضهم ذلك كالإمام الشافعى، فقد روى الحافظ الجليل الخطيب البغدادى بسند صحيح كما قاله الكوثرى أنه تبرك قبر الإمام أبى حنيفة ﷺ، و ذكر ذلك ابن حجر الهيتمى أيضا فى (الخيرات الحسان) و ذكرنا أن الشافعى قال: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب.

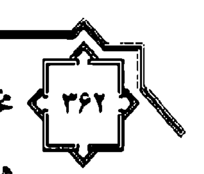


و ممن ذكر تبرك قبور الصالحين على وجه الاستحسان الإمام الحافظ إبراهيم الحربى، فقد سبق أنه قال: قبر معروف الترياق المجرب، و تبعه على ذلك الحافظ أبو عبد الرحمن السلمى و الحافظ ابن الجوزى و الحافظ الذهبى و المرتضى الزبيدى و غيرهم.

و قال الحافظ الدنيا ابن عساكر: يتبرك قبر ابن الباقلانى و يستسقى به، و صرح الإمام النووى رضي الله عنه بأنه يتبرك قبر عمر بن عبد العزيز، و ذكر الحافظ أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجى مؤلف (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) قبورا كثيرة يتبرك بها، و ممن ذكر ذلك التاج عبد الوهاب بن الإمام تقى الدين السبكى، و القسطلانى صاحب (إرشاد السارى شرح صحيح البخارى) و الفقيه الشافعى المؤرخ القاضى ابن شهبة، و الحافظ الداودى تلميذ الحافظ السيوطى، و ابن خلكان، و عمر بن على الجعدى صاحب (طبقات فقهاء اليمن)، و المحدث الشهير ملا على بن سلطان قارئ، و الشعرانى، و خلائق آخرون لا تحصى كثرتهم ممن لم نذكرهم أو ذكرناهم سابقا من المفسرين و المحدثين و الفقهاء و الصوفية الذين لا يشك أحد أنهم هداة الأمة و حملة الشريعة و ورثة رسول الله ﷺ، و أنهم ممن قال الله فيهم: فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، و قال فيهم: فاسئل به خبيرا، و قد اتفقوا كلهم و هم أهل الذكر و الخبرة بدقائق الشريعة و جلياتها على مشروعية التبرك بقبور الصالحين.

فالحق أنه لا يسعنا إلا متابعتهم و اقتفاء نهجهم، فإنهم كانوا بلا شك أعلم منا و أتقى لله و أحرص على الخير منا بل لا نبلغ معشار عشرهم فى ذلك و غيره من خصال الخير.

فهل يتصور أحد بعد ذلك أن هؤلاء المذكورين و أمثالهم من لم نذكرهم أخطأوا كلهم فى هذه المسألة، و أن فاعلى التبرك بقبور كالإمام الشافعى و غيره



مخطئون بفعلهم ذلك؟! و هل يستطيع مؤمن بالله و اليوم الآخر أن ينسب إلى هؤلاء العلماء ما ينسب بعض المعاصرين إلى المتبركين بالقبور في زماننا من الشرك و عبادة الأوثان؟! و لو بحث منكر التبرك بحثا خاليا عن التعصب و التعسف و العناد لانجلى له الحق و ظهر له اليقين، و علم قلة المنكرين له المنسوبين إليهم العلم بحيث يعدّ بهم بالأصابع، و أعظم من هذا تبرك المسلمين من عهد الصحابة ﭫ مقبرة البقيع التى قيل: إن فيها عشرة آلاف صحابى، و مقبرة المعلى بمكة المكرمة إلى قرننا الخامس عشر الهجرى، و لم ينقل عن أحد إنكار ذلك، بل أعظم من ذلك كله ما أجمعت عليه الأمة المحمدية من التبرك بقبره الشريف ﷺ، فمتى تغيرت الأمور و تبدلت الأحكام و انقلبت المطلوبات المستحسنة شرعا إلى شركيات؟!! و إن قال قائل: إن التبرك بقبور الصالحين عبادة لها كما يزعمه بعض المنكرين فلا يكون مشروعا بل يكون شركا قلنا: إذا كان تبرك القبور عبادة لها فكذلك تبرك الأحياء عبادة لها، و لا قائل بهذا اتفاقا، فقد تواترت الاحاديث الصحيحة بتبرك رسول الله ﷺ في حياته و قد ذكرنا كثيرا منها، و ثبت كذلك تبرك الأحياء من الصحابة ﭫ و الصالحين من بعدهم.

و من العجيب الغريب أن يتخيل متخيل وجود الفرق بين هذين التبركين، فيزعم أن تبرك الأحياء مشروع لقدرتهم و استطاعتهم فيستحقون بذلك التبرك بهم، و قد فرضنا أن التبرك عبادة كما يزعمه المنكرون، فتكون النتيجة إذن أن عبادة الأحياء مشروعة دون الأموات و لا يقول بهذا عاقل فضلا عن عالم، و لا شك أن من يطالع كتب التراجم و التواريخ يعلم أن جواز التبرك بقبور الصالحين من البديهيات المعلومة بالضرورة، و تزول عنه الشكوك و الأوهام التى انتشرت فى بعض البلاد فى السنوات الأخيرة، فعلى من يهتم بسلامة دينه



و نجاة نفسه لدى وقوفه أمام ربه أن لا يتساهل بتحقيق هذه المسألة، و يبتعد عن العجلة فى تكفير المتبركين بقبور الصالحين بادعائه أنهم يعبدونها كما تعبد الأوثان، ولا يخفى عمن له أدنى معرفة وفهم في العلم أن بين التبرك و العبادة فرقا كبيرا و بونا عظيما، فهما كما قال القائل:

سارت مشرقة و سرت مغربا ... شتان بين مشرق و مغرب

و اعلم أن الخوارج كانوا يكفرون المسلمين بارتكاب الكبائر لا بالصغائر، فالعجب ممن يكفر الناس بما ليس بصغيرة فضلا عن كونه كبيرة بل لم يختلف على جوازهاالأئمة من السلف و الخلف، و لا عبرة بمن شذ و انفرد و صار فريسة السباع و الذئاب كالشاة القاصية من الغنم، فقد صدق من قال:

و ليس كل خلاف جاء معتبرا ... إلا خلاف له حظ من النظر

و قد أدى هذا الخلاف إلى مفاسد كثيرة بين المسلمين، مثل التباغض و التنافر و انقسامهم شيعا متعادية، و الجدال و التنازع المشؤوم الذى قال الله فيه: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَتَنَازَعُوافَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، بل قد يسبب القتال كما وقع قديما بين سيدنا على كرم الله وجهه و بين الخوارج أو بين طوائف من أهل السنة و الجماعة و بين المبتدعة المبطلين. أعاذنا الله من فتنة الشيطان و تسويلاته و إشعاله نار الحرب بين المسلمين.

و أنما أطلت الكلام فى تبرك قبور الصاحلين و أكثرت فيها النقول و إن كانت من البديهيات التى لا تخفى عن العوام فضلا عن العلماء بذلا للنصيحة لمن تشبثوا فى هذه الأزمنة بالإنكار و الجحود بمشروعيته، و إقناعا لهم لعل الله أن يهدى بذلك أقواما منهم فيسلموا من ورطة هذا الاعتقاد الخطير، و أرجو من الله أن ينتفع بما ذكرته كل من ألقى إليه سمعه و هو شهيد أو تأمل فيه بعين الإنصاف، و أما المتعسف المتعصب المتصمم عن سماع كل شىء يأتى إليه من غير طائفته فلا كلام لنا معه إذ لا تنفعه الأدلة و البراهين.

المقصد الرابع:

في التوسل و الاستغاثة برسول الله ﷺ و بالصالحين

لقد ذكرنا أن من آداب زيارته ﷺ التوسل و الاستغاثة به ﷺ، و قد انتشر فی عصرنا منع ذلك وعدّه من المحرمات و الشركيات، و رأيت كتبا كثيرة ألفت فی ذلك، و لقيت من يعتقد ذلك و يدعو الناس إلى رأيه هذا، فأحببت أن ألحق بباب التبرك بزيارة قبور الصالحين باب بجواز التوسل و الاستغاثة به ﷺ وبغيره من الأنبياء و الأولياء و العلماء و الصالحين، و ذلك إقناعا للمنصفين من هؤلاء المنكرين، و إفحاما للمتعسفين المتعصبين إلى أفكار أحزابهم و أهوائهم، و تحذيرا لمن قد تقرع بأسماعه هذه الادعاءات و التقولات فيتأثر بذلك قلبه، فإني رأيت بعض الشبان ممن ينسب إليه العلم قد انخدع و اغتر به، فقلت و على الله التكلان و الاعتماد، و به التوفيق و الاستناد:

باب بجواز التوسل و الاستغاثة بالأنبياء و سائر الصالحين

و اعلم أن الاستغاثة و التوسل و التشفع و الاستنصار و الاستمداد و الاستفتاح و التوجه و الالتجاء و اللياذ و التوجه و ألفاظ متقاربة، يراد منها فی هذا الباب معنى واحد، و كذلك التبرك أيضا فی بعض أحواله.

و المقصود من ذلك كله كما يؤخذ مما قاله السبكی فی (شفاء السقام) و غيره هو سؤال العبد ربه بمن يقطع أن له عند الله قدرا و مرتبة، و التوسل و الاستغاثة بالصالحين جائز، و لم يمنع ذلك أحد من العلماء من عهد رسول



الله ﷺ و أصحابه إلى القرن الثامن الهجرى، فالسلف الصالح ﷺ و من بعدهم من المتأخرين مضوا على هذا الجوز قولا و فعلا، و هذا هو المشهور و المعلوم عند كل من له اطلاع فى علوم الشريعة و تاريخ العلماء، و قد ألفت فى ذلك مصنفات كثيرة مختصرة و مطولة، و فيها الكفاية لمن شاء الله له الهداية، فلهذا لا أطيل فى ذكر الأدلة، و إنما أذكر إن شاء الله قليلا منها و أعقد فى ذلك فصولا.

الفصل الأول: فى أن مسألة التوسل فقهية لا اعتقادية.

الفصل الثانى: فى أول من منع التوسل من هذه الأمة.

الفصل الثالث: فى ثبوت مشروعية التوسل و جوازه بالأدلة و الحجج النقلية.

الفصل الرابع: فى ذكر عدد من القائلين بجواز التوسل و الاستغاثة و نحوهما.

الفصل الخامس: فى المتوسلين من الأنبياء عليهم السلام.

الفصل السادس: فى المتوسلين من الصحابة رضوان الله عليهم.

الفصل السابع: فى المتوسلين من التابعين و من بعدهم من الأئمة و العلماء العاملين.

الفصل الأول في مسألة التوسل من مسائل الفروع الفقهية

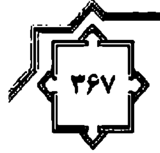
اعلم أن مسألة التوسل من مسائل الفروع التي تبحث فى كتب الفقه، و يذكرها الفقهاء فى مناسك الحج، و ليس لها تعلق أصلا بفن العقيدة و التوحيد، فإن علماء هذا الفن إنما يتكلمون عما يجب لله و ما يجوز فى حقه تعالى و ما يستحيل عليه جل جلاله، و عن مثل ذلك لرسله تعالى و أنبيائه عليهم الصلاة و السلام، و ما يشبه ذلك من أصول الدين و أمور البرزخ و الآخرة و يقررون

ذلك بقواطع البراهين النقلية و العقلية كما لا يخفى على من له أدنى معرفة بالعلوم الدينية و فنونها.

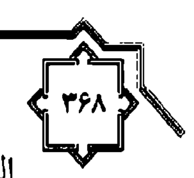
و لا يخفى أن أدلة الفقه ظنية، فيكتفى فيه أحاديث الآحاد و القياس، و اختلاف الأئمة المجتهدين فى المسائل الفقهية أمر معلوم مشهور لا يخفى عن العوام فضلا عن العلماء، و هو اختلاف جائز لا يضر بل هو رحمة للأمة، و كل من المختلفين منهم فى ذلك مثاب مأجور، لكن الاختلاف فى العقائد خطير، فقد قال الإمام الشافعى ما معناه: يقال لمن أخطأ فى الفروع: أخطأت، وفى العقائد كفرت، فمن العجيب إلحاق التوسل بباب العقائد وعده من مسائل فن التوحيد!! و يظهر أنهم إنما فعلوا ذلك للتمكن من نسبة الكفر و الشرك إلى كل من خالف هواهم بادعاء أن من خالفهم فى ترهاتهم يكون مخطئا فى الاعتقاديات، و الخطأ فيها قد يوجب الوقوع فى الشرك فيستبيحون بذلك الحكم على مخالفيهم بالكفر. و هكذا فعلوا فى النذر و غيره فنقلوه من الفقه إلى العقائد، و فى ذلك تلبيس و تضليل للعوام. و فى (رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل و الزيارة) للشيخ محمود سعيد ممدوح: الخلاف فى مسألة التوسل هو خلاف فى الفروع و مثله لا يصح أن يشنع به أخ على أخيه أو يعيبه به، فالخلاف فى الفروع لا يحتمل هذا الإفراط اهـ.

الفصل الثاني: في أول من منع التوسل من هذه الأمة

قال الإمام الحافظ السبكى فى كتابه (شفاء السقام) ص١٦٠: اعلم أنه يجوز و يحسن التوسل و الاستغاثة و التشفع بالنبى ﷺ إلى ربه سبحانه و تعالى، و جواز ذلك و حسنه من الأمور المعلومة لكل ذى دين، المعروفة من فعل الأنبياء و المرسلين و سير السلف الصالحين و العلماء و العوام من المسلمين، و لم ينكر



أحد ذلك من أهل الأديان، و لا سمع به فى زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء و الأغمار، و ابتدع ما لم يسبق إليه فى سائر الأعصار. ثم قال بعد ذلك: إن إنكار ابن تيمية للاستغاثة و التوسل قول لم يقله عالم قبله، و سار به بين أهل الإسلام مثلة. و قال فى موضع آخر منه ص١٧٢: و هذا التوسل شيء لم ينكره مسلم بل و لا متدين بملة من الملل. و قال العلامة الفقيه المحدث أحمد بن حجر الهيتمى فى كتابه (الجواهر المنظم) ص٦١: من خرافات ابن تيمية التى لم يقلها عالم قبله و صار بها بين أهل الإسلام مثلة أنه أنكر الاستغاثة و التوسل به ﷺ، و ليس ذلك كما أفتى، بل التوسل به حسن فى كل حال قبل خلقه و بعد خلقه فى الدنيا و الآخرة. و قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى فى (شواهد الحق) ص١٤٣ لا يخفى على أحد من المسلمين بل و غير المسلمين عنده أدنى إلمام بمعرفة هذا الدين المبين، و أحوال من اتبعه من المؤمنين، أن جمهور الأمة المحمدية من الفقهاء و المحدثين و المتكلمين و الصوفية و غيرهم من الخواص و العوام من جميع مذاهب الإسلام متفقون بالقول و الفعل على استحسان الاستغاثة و التوسل و التشفع بالنبى ﷺ إلى الله تعالى لقضاء الحوائج الدنيوية و الأخروية، و استحباب شد الرحال و السفر لزيارته ﷺ من الأقطار البعيدة و القريبة، حتى صار ذلك عندهم بمنزلة الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، بحيث لا يجهله و لا يتصور خلافه أحد، بل و لا يجوزون أنه يوجد مخالف من المسلمين فى استحسان ذلك، و ما زالت الأمة بحمد الله كذلك يتلقاه المتأخرون عن المتقدمين، و يعتقدون كما هو الواقع أن ذلك من أفضل الطاعات و أكمل القربات إلى أن شذ عنهم أقل من القليل من بعض العلماء أشهرهم فى ذلك ابن تيمية و تلميذاه يعنى ابن القيم و ابن عبد الهادى.



و قال مفتى الحرمين الشريفين السيد أحمد زينى دحلان فى كتابه (الدرر السنية في الرد على الوهابية) ص٣١: من تتبع أذكار السلف و الخلف و أدعيتهم و أورادهم وجد فيها شيئا كثيرا فى التوسل، و لم ينكره عليهم أحد فى ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون، و لو تتبعنا ما وقع من أكابر الأمة فى التوسل لامتلأت بذلك الصحف، و التوسل من الأسباب العادية التى لا تأثير لها، و المؤثر هو الله تعالى وحده لا شريك له، فكما أن الله تعالى جعل الطعام و الشراب سببين للشبع و الرى، و المؤثر هو الله تعالى، جعل التوسل بالأخيار الذين عظمهم الله و أمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات، و ليس فى ذلك كفر و لا إشراك اهـ.

و فى موضع آخر منه ص٣٠: هذا الأمر أعنى التوسل لم ينكره أحد قط من السلف و الخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون.

و قال الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى كتابه (محقق التقول) ص١٨: و قد جرى عمل الأمة على التوسل و الزيارة إلى أن ابتدع إنكار ذلك الحرانى ابن تيمية، فرد أهل العلم كيده فى نحره، و دامت فتنته عند جاهلى بلاياه.

و تكلم الشيخ المعاصر محمد سعيد رمضان البوطى فى كتابه (فقه السيرة) ص٣٢٥ ـ ٣٢٧ عن التوسل به ﷺ، و استدل لمشروعيته بأدلة كثيرة، ثم قال: إن ذلك أى التوسل به ﷺ مما أجمع عليه جمهور الأمة و الفقهاء بما فيهم الشوكانى و ابن قدامة الحنبلى و الصنعانى و غيرهم، و الفرق بعد هذا بين حياته ﷺ و موته خلط عجيب و غريب فى البحث لا مسوغ له.

و قال المحدث العلامة محمود سعيد ممدوح فى (رفع المنارة) ص١٨ ما معناه: إن من التوسل نوعا اختلف فيه و هو السؤال بالنبى أو بالولى أو بالحق أو بالجاه أو بالحرمة أو بالذات و ما فى معنى ذلك، و الخلاف فيه ضعيف و



مبتدع، و هذا النوع لم ير المتبصر في أقوال السلف من قال بحرمته، أو أنه بدعة ضلالة، أو شدد فيه و جعله من موضوعات العقائد كما نرى الآن، و لم يقع هذا التشدد إلا في القرن السابع و ما بعده، و قد نقل من السلف توسل من هذا القبيل.

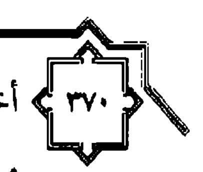
و في (الدرر الكامنة) لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ج١ ص١٥٥: و من العلماء من ينسب إلى ابن تيمية الزندقة لقوله: إن النبي ﷺ لا يستغاث به، و إن في ذلك تنقيصا و منعا من تعظيم النبي ﷺ.

الفصل الثالث في مشروعية التوسل

لقد ذكرنا أن كثيرا من العلماء استدلوا على جواز التوسل به ﷺ بقول الله سبحانه و تعالى: و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما. و استدل كثير منهم بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ الله مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ الله عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

و في (المفاهيم) ص٥١: قال القرطبي في (تفسيره): قال ابن عباس: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت اليهود فدعت اليهود بهذا الدعاء، و قالوا: إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان أن تنصرنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبي ﷺ كفروا، فأنزل الله تعالى: و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفرو أي بك يا محمد إلى قوله: فلعنة الله على الكافرين.

و في (رفع المنارة) ص١٣٣ ـ ١٣٥: روى ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، و أسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم



أخرج أشرا و لا بطرا و لا رياء و لا سمعة، و خرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار و أن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه و يستغفر له سبعون ألف ملك. و رواه أحمد في (المسند) و ابن خزيمة في (التوحيد) و الطبراني في (الدعاء) و ابن السني في (عمل اليوم و الليلة) و البيهقي في (الدعوات الكبير) و ابن أبي شيبة في (المصنف) و إسناد هذا الحديث من شرط الحسن، و قد حسنه جمع من الحفاظ منهم: الحافظ الدمياطي في (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح) و الحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في (الترغيب و الترهيب) و الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، و الحافظ ابن حجر العسقلاني في (أمالي الأذكار)، و قال الحافظ البوصيري في (مصباح الزجاجة): رواه ابن خزيمة في صحيحهفهو صحيح عنده.

فهؤلاء خمسة من الحفاظ ﷺ صححوا أو حسنوا الحديث، و قولهم حقيق بالقبول و الوقوف عنده و الإذعان له.

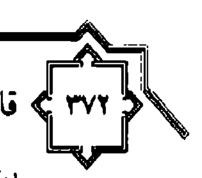
و من أدلة التوسل:

١. حديث عثمان بن حنيف ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ و جاءه رجل ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره فقال يا رسول الله: ليس لي قائد و قد شق علي، فقال رسول الله ﷺ ائت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ و نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي، فيجلي لي عن بصري، اللهم شفعه في و شفعني في نفسي، قال عثمان: فوالله ما تفرقنا و لا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل و كأنه لم يكن به ضر، رواه الترمذي في آخر السنن في أبواب الدعوات و قال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

و فى (محقق التقول فى مسألة التوسل) إن هذا الحديث أخرجه البخارى فى تاريخه الكبير، و ابن ماجه فى صلاة الحاجة من سننه، و فيه نص على صحة الحديث، و رواه النسائى فى (عمل اليوم و الليلة) و أبو نعيم فى (معرفة الصحابة) و البيهقى فى (دلائل النبوة) و غيرهم على خلاف يسير فى غير موضع الاستشهاد، و صححه جماعة من الحفاظ يقارب عددهم خمسة عشر حافظا، فمنهم سوى المتأخرين: الترمذى، و ابن حبان، و الحاكم، و الطبرانى و أبو نعيم، و البيهقى و المنذرى اهـ..

قلت: قال فى (الرد المحكم المتين) ص١٥٠: و ممن وافق على تصحيح هذا الحديث الإمام النووى رحمه الله فى باب أذكار صلاة الحاجة من كتاب (الأذكار)، و الحافظ العسقلانى فى (أمالى الأذكار) و الحافظ السيوطى فى (الخصائص الكبرى) و ابن تيمية فى غير موضع من كتبه، و الحافظ الهيتمى فى باب الصلاة الحاجة من (مجمع الزوائد) اهـ..

و قال السبكى فى (شفاء السقام) ص١٦٧: روى الطبرانى فى (المعجم الكبير) بسنده عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فى حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت و لا ينظر فى حاجته، فلقى ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إنى أسألك و أتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه إليك إلى ربك فيقضى حاجتى، و تذكر حاجتك، و روح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته و قضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، و



قال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها، ثم أن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف، و قال له: جزاك الله خيرا ما كان ينظر فى حاجتى و لا يلتفت إلى حتى كلمته فى، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله عليه و سلم و أتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبى ﷺ: أو تصبر؟ فقال يا رسول الله: إنه ليس لى قائد و قد شق على، فقال له النبى ﷺ: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات، فقال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كان لم يكن به ضرر قط اهـ.

قلت: و حنيف والد عثمان بضم الحاء كزبير كما فى (القاموس).

٢. و مما يصرح بجواز التوسل و الاستنصار بذوات الصالحين ما قدمناه فى باب التبرك برؤيته ﷺ من حديث أبى سعيد الخدرى الذى رواه الشيخان، و لفظه عند مسلم: عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: يأتى على الناس زمان يبعث منهم البعث، فيقولون: انظروا هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب النبى ﷺ؟ فيوجد الرجل فيفتح لهم به، ثم يبعث البعث الثانى فيقولون: هل فيهم من رأى أصحاب النبى ﷺ؟ فيفتح لهم به ـ إلى آخر الحديث.

٣. و فى (رفع المنارة) ص١٨٧ ـ ١٨٩: روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده ج٤ ص١٣٢ عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال: هل فيكم أحد صحب محمدا فتستنصرون به؟ فتنصروا، ثم يقال: هل فيكم من صحب محمدا، فيقال: لا، فمن صحب أصحابه؟ فيقال: لا، فيقال: من رأى من صحب أصحابه، فلوا سمعوا به من وراء البحر لأتوه. قال فى (رفع المنارة): إسناد صحيح. و رواه أبو يعلى أيضا فى مسنده ج٤ ص٢٠٠ بلفظ مقارب و هو: عن جابر قال: سمعت رسول



الله ﷺ يقول: يبعث بعث فيقال لهم: هل فيكم أحد صحب محمدا؟ فيقال: نعم، فيلتمس فيوجد الرجل فيستفتح فيفتح عليهم، ثم يبعث بعث فيقال: هل فيكم من رأى أصحاب محمد؟ فيلتمس فلا يوجد حتى لو كان من وراء البحر لأتيتموه، ثم يبقى قوم يقرأون القرآن لا يدرون ما هو. قال في (رفع المنارة): و سنده صحيح.

و قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ج١٠ ص١٨ رواه أبو يعلى من طريقين، و رجالها رجال الصحيح اهـ..

و هذا الحديث الصحيح فيه استحباب التوسل بذوات الصالحين.

تنبيه:

و كما ينتصر بأصحاب رسول الله ﷺ كذلك ينتصر بالأبدال.

ففي (الحاوي للفتاوى) للحافظ السيوطي ج٢ ص٤٥٦ قال الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده): حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي ابن أبي طالب و هو بالعراق، فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأبدال بالشام و هم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا، يسقى بهم الغيث و تنصر بهم على الأعداء، و يصرف عن أهل الشام بهم العذاب. و رجاله رجال الصحيح غير شريح بن عبيد و هو ثقة. و رمز له السيوطي في (الجامع الصغير) علامة الحسن.

و روى ابن عساكر في (تاريخه) بسنده عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب، فقالوا: يا أمير المؤمنين العنهم، فقال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الأبدال بالشام يكونون، و هم أربعون رجلا بهم تسقون الغيث و بهم تنتصرون على أعدائكم و يصرف عن أهل



الأرض البلاء و الغرق. قال ابن عساكر هذا منقطع بين شريح و علی فإنه لم يلقه اهـ..

و قال القرطبی فی تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾: اختلف العلماء فی الناس المدفوع بهم الفساد فقيل: هم الأبدال، و هم أربعون رجلا كلما مات واحد بدله الله آخر، فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم، و روى عن علی ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الأبدال يكونون بالشام، و هم أربعون رجلا كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلا، يسقى بهم الغيث و ينصر بهم على الأعداء، و يصرف بهم عن أهل الأرض البلاء، ذكره الترمذی الحكيم فی (نوادر الأصول). و خرج أيضا عن أبی الدرداء قال: إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض، فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد ﷺ يقال لهم: الأبدال، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم و لا صلاة و لكن بحسن الخلق و صدق الورع و حسن النية و سلامة القلوب لجميع المسلمين و النصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر و حلم و لب و تواضع فی غير مذلة، فهم خلفاء الأنبياء، قوم اصطفاهم الله لنفسه و استخلصهم بعلمه لنفسه و هم أربعون صديقا منهم ثلاثون رجلا على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن يدفع الله بهم المكاره عن أهل الأرض و البلايا عن الناس، و بهم يمطرون و يرزقون، لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه.

و قال ابن كثير فی تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾: روى ابن مردويه بسنده عن ثوبان حديثا مرفوعا قال: لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون و بهم تمطرون، و بهم ترزقون حتى يأتی أمر الله.

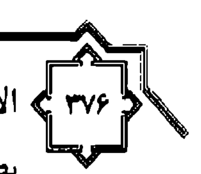
و روى ابن مردويه أيضا بسنده عن عبادة بن الصامت قال رسول الله ﷺ الأبدال فی أمتی ثلاثون، بهم ترزقون، و بهم تمطرون، و بهم تنصرون. قال قتادة: إنی لأرجو أن يكون الحسن منهم اهـ. يعنی الحسن البصری.

و فى (الجامع الصغير) ج١ ص١٢٢: روى أحمد فى مسنده عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ الأبدال فى هذه الأمة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا. و رمز له علامة الصحة. و قال المناوى فى (فيض القدير): قال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح، غير عبد الواحد بن قيس، و قد وثقه العجلى و أبو زرعة، وضعفه غيرهما. و قال السيوطى فى (الدرر المنتشرة فى الأحاديث المشتهرة): إنه حسن، و له شواهد كثيرة بينتها فى (التعقبات على الموضوعات) اهـ.

و فى (كشف الخفا) للعجلونى ج١ ص٢٥: قال الزركشى: إنه حسن.

و فى (الجامع الصغير) أيضا: روى الطبرانى عن عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال: الأبدال فى أمتى ثلاثون، بهم تقوم الأرض، و بهم تمطرون، و بهم تنصرون. و رمز له علامة الصحة أيضا. و روى الطبرانى أيضا عن عوف بن مالك: الأبدال فى أهل الشام، و بهم ينصرون، و بهم يرزقون. و رمز له علامة الحسن. و روى الخلال فى (كرامات الأولياء) و الديلمى فى (مسند الفردوس) عن أنس: الأبدال أربعون رجلا و أربعون امرأة، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا، و كلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة اهـ.

و فى (الفتاوى الحديثية) ص٢٧٨ روى ابن أبى الدنيا مرسلا، علامة أبدال أمتى أنهم لا يلعنون شيئا أبدا. و روى البيهقى: إن أبدال أمتى لم يدخلوا الجنة بأعمالهم، و لكن إنما دخلوها برحمة الله و سخاوة الأنفس و سلامة الصدر و رحمة لجميع المسلمين. و روى ابن عدى فى (كامله) الأبدال أربعون، اثنان و عشرون بالشام و ثمانية عشر فى العراق، كلما مات منهم أحد أبدل الله مكانه آخر، فإنما جاء الأمر قبضوا كلهم، فعند ذلك تقوم الساعة. و روى أبو نعيم فى (الحلية) ج٤ ص١٧٣: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال أربعون رجلا من أمتى قلوبهم على قلب إبراهيم، يدفع الله بهم عن أهل



الأرض، يقال لهم: الأبدال، فقال رسول الله ﷺ: إنهم لم يدركوها بصلاة و لا بصيام و لا بصدقة، قالوا يا رسول الله فبم أدركوها؟ قال: بالسخاء و النصيحة للمسلمين. حديث غريب اهـ.. و قال المناوى فى (فيض القدير شرح الجامع الصغير): طعن ابن الجوزى أحاديث الأبدال واحدا واحدا، و تعقبه المصنف (أى السيوطى) بأن خبر الأبدال صحيح، و إن شئت قلت: متواتر. و قال الحافظ ابن حجر فى فتاويه: وردت فى الأبدال عدة أخبار، منها ما يصح و ما لا. ثم قال المناوى: و هذه الأخبار و إن فرض ضعفها لكن لا ينكر تقوى الحديث الضعيف بكثرة طرقه و تعدد مخرجيه إلا جاهل بالصناعة الحديثية أو معاند متعصب اهـ..

و قال العجلونى فى (كشف الخفا): أقول يتقوى حديث الأبدال بتعدد طرقه الكثيرة اهـ.. و ألف فى الأبدال السخاوى كتبا سماه (نظم اللآل). و ألف الحافظ السيوطى جزءا بنحو ثمانية عشر صفحة فيهم و فى غيرهم، و سماه (الخبر الدال على وجود القطب و الأوتاد و النجباء و الأبدال) فمما قال فيه: قد بلغنى عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالا و نقباء و نجباء و أوتادا و أقطابا. و قد وردت الأحاديث و الآثار بإثبات ذلك، فجمعتها فى هذا الجزء لتستفاد و لا يعول على إنكار أهل العناد. ثم قال: ورد ذلك مرفوعا و موقوفا من حديث عمر بن الخطاب و على بن أبى طالب و أنس و حذيفة بن اليمان و عبادة بن الصامت و ابن عباس و عبد الله بن عمر و عبد الله بن مسعود و عوف بن مالك و معاذ ابن جبل و واثلة بن الأسقع و أبى هريرة و أبى سعيد الخدرى و أبى الدرداء و أم سلمة رضي الله عنهم. و من مرسل الحسن و عطاء و بكر بن خنيس، و من الآثار عن التابعين و من بعدهم ما لا يحصى اهـ..



و لا يخفى أن عدد الأبدال في الأحاديث المذكورة مختلفة، و تكلم في توجيه ذلك ابن حجر الهيتمي في (الفتاوى الحديثية) فارجع إليه إن شئت.

و قد ثبت بما ذكرناه أن لله عبادا ينزل المطر ببركتهم و بجاههم، و بهم يرزق الخلق، و بهم ينصر للمسلمين على أعدائهم، فتحقق بذلك الانتفاع ببركة الصالحين و جاههم عند الله تعالى و بطل ادعاء ما يخالف ذلك والله الموفق.

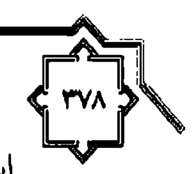
الفصل الرابع في القائلين بجواز التوسل و الاستغاثة و نحوهما

لقد ذكرنا بعض الأحاديث الواردة في جواز ذلك، و يأتي بعضها إن شاء الله، فالنبي ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى هو الذى بين لنا جواز ذلك، و هو المقتدى به في ذلك، و في كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من امتثال مأمور به أو ترك منهى عنه، و قد ذكرنا أيضا أن الخلاف في التوسل حدث في القرن السابع، و قبله كان أهل العلم متفقين على الجواز، فمنهم من صرح ذلك في تآليفه، و منهم من لم يتكلم عنه، فنذكر قليلا ممن صرحوا بجواز التوسل و استحسانه، ثمن ذكر إن شاء الله بعض المتوسلين من الأنبياء و الصحابة و من بعدهم، فأقول:

منهم سيدنا باب العلم أبو تراب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه،

روى الحافظ ابن السنى في (عمل اليوم و الليلة) ص١٦٩ في باب ما يقول إذا خاف السباع بسنده عن على بن أبي طالب أنه قال: إذا كنت بواد تخاف فيه السباع فقل أعوذ بدانيال و بالجب من شر الأسد اهـ..

و في (البداية و النهاية) لابن كثير ج٢ ص٣٤٤ ما لفظه: روى الخرائطى من طريق إبراهيم ابن إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس عن على قال: إذا كنت بواد تخاف السبع فقل: أعوذ بدانيال و الجب من شر الأسد اهـ..



و فى (البداية و النهاية) أيضا ج٢ ص٤١: قال ابن أبى الدنيا حدثنى إبراهيم بن عبد الله حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال: رأيت فى يد ابن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى خاتما، نقش فصه أسدان، بينهما رجل يلحسان ذلك الرجل، قال أبو بردة: هذا خاتم ذلك الرجل الميت الذى زعم أهل هذه البلدة أنه دانيال، أخذه أبو موسى يوم دفنه، قال أبو بردة: فسأل أبو موسى علماء تلك القرية عن نقش ذلك الخاتم، فقالوا: إن الملك الذى كان دانيال فى سلطانه جاءه المنجمون و أصحاب العلم، فقالوا له: إنه يولد ليلة كذا و كذا غلام يعور ملكك و يفسده، فقال الملك والله لا يبقى تلك الليلة غلام إلا قتلته، إلا أنهم أخذوا دانيال فألقوه فى أجمة الأسد، فبات الأسد و لبوته يلحسانه و لم يضراه، فجاءت أمه فوجدتهما يلحسانه، فنجاه الله بذلك حتى بلغ ما بلغ، قال أبو بردة: قال أبو موسى: قال علماء تلك القرية: فنقش دانيال صورته و صورة الأسدين يلحسانه فى فص خاتمه لئلا ينسى نعمة الله عليه فى ذلك، ثم قال الحافظ ابن كثير: هذا إسناد حسن.

و فى (البداية و النهاية) أيضا: قال ابن أبى الدنيا: حدثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيبانى قال: إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان فحدثنى بعض أصحابنا عنه عن الأجلح الكندى عن عبد الله ابن أبى الهذيل قال: ضرا بختنصر أسدين فألقاهما فى جب، و جاء بدانيال فألقاه عليهما، فلم يهيجاه فمكث ما شاء الله اهـ.. و قوله يعور ملكك: أى يفسده فعطف يفسده عليه عطف تفسير، أو يجعل فيه الخلل أو يقبحه كما يؤخذ من شرح (القاموس) و قوله: ضرا بختنصر أسدين أى أغراهما، ففى (القاموس) و شرحه ضراه تضرية: عوده و ألهجه و أغراه، و فيهما أيضا ألهج أغرى به و أولع فثابر عليه و اعتاده.

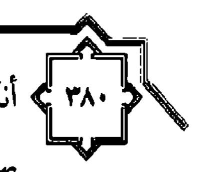


قلت: كأن الحكمة في التعوذ بدانيال عليه السلام ـ والله أعلم ـ هي تلك العلاقة و الصحبة التي جرت بينه و بين الأسد، فكأن الله ألهم أسد أن يرعى حق تلك الصحبة و لا يضر من استعاذ به منه احتراما للصحبة القديمة، و وفاء للعهود المنعقدة بلسان الحال بينهما، و قد يوجه أيضا بأن الله تعالى شرف دانيال عليه السلام بحفظ من استعاذ به من الأسد فلا تستطيع الأسود بضر من استعاذ به لصبره بما امتحن به من إلقائه في جب فيه أسدان و في أجمة الأسد، فجازاه الله بذلك لتكون آثار صبره باقية خالدة، فيكون نظير ابتلاء أم اسماعيل و صبرها لما تركها نبي الله إبراهيم خليل هي و ابنها عند الكعبة المشرفة وحيدين لا أنيس لديهما و لا معين لهما، فسعت و تكررت مهمومة بين الصفا و المروة سبع مرات، فسن الله السعي بينهما، و جعله ركنا من أركان الحج و العمرة إبقاء لجميل صنيعها، و تذكيرا لعظيم صبرها بمن يأتي بعدها إلى الأبد، و يحتمل غير ذلك من الحكم و الأسرار، والله تعالى وحده أعلم بالسر في ذلك.

و منهم: سيدتنا زوجة رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها

عقد الحافظ ابن الجوزي بابا في الاستسقاء بقبره ﷺ فقال في كتاب (الوفا بأحوال المصطفى): الباب التاسع و الثلاثون في الاستسقاء بقبره ﷺ و عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطا شديدا، فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر رسول ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف، قال: ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب و سمنت الإبل حتى فتقت فسمى عام الفتق اهـ..

قال في (الرد المحكم المتين): فهذه عائشة أمرتهم أن يلجأوا إلى النبي ﷺ في قبره، و يجعلوا من قبره كوى إلى السماء مبالغة في الاستشفاع به ﷺ، و بالضرورة كان بالمدينة إذ ذاك صحابة و تابعون، فلم ينقل عن أحد منهم أنه



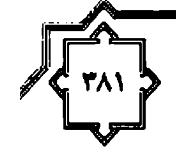
أنكر عليها ذلك. و روى هذا الحديث الدارمى فى سننه، و رجال سنده لا بأس بهم، و سعيد بن زيد و إن كان متكلما فيه فهو من رجال مسلم، و قد وثقه ابن معين و غيره انتهى. فلا يخفى أن عائشة ﵂ لم تأمرهم بذلك إلا و هى تعتقد بجوازه و مشروعيته، فهى إذن من القائلين بجواز التوسل. و الكوى جمع كوة، ففى (المصباح المنير): الكوة تفتح و تضم: الثقبة فى الحائط، و جمع المفتوح كوات مثل حبة و حبات، و جمع المضموم كوى بالضم و القصر مثل مدية و مدى.

و منهم الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة

روى القاضى عياض فى (الشفاء) بسنده فى فصل و اعلم أن حرمته ﷺ بعد موته لازم كما كان حال حياته: أن أميرالمؤمنين أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك بن أنس: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة و أدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم ﵇ إلى الله يوم القيامة، بل استقبله و استشفع به فيشفعك الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ الآية. قال الشهاب الخفاجي فى شرحه (نسيم الرياض) ج٣ ص٣٩٨: و سند القاضى عياض على هذه القصة صحيح، و القصة فيها طول.

و منهم الإمام أحمد

و فى كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) ص٥٨ ما نصه: قال ابن تيمية فى فتاويه ج١ ص١٤٠ : قال أحمد فى منسكه الذى كتبه للمروزى صاحبه: إنه يتوسل بالنبى ﷺ فى دعائه، و لكن غير أحمد قال: إن هذا إقسام على الله به و لا يقسم على الله بمخلوق، و أحمد فى إحدى الروايتين قد جوز القسم به



فلذلك جوز التوسل به اهـ.. و مثله فى (الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين) ص٥٢.

و قد قال الشيخ محمود سعيد ممدوح فى (رفع المنارة) ص١٥: قال الإمام أحمد بن حنبل فى (منسك المروزى) بعد كلام ما نصه: وسل الله حاجتك متوسلا إليه بنبيه ﷺ تقض من الله عز وجل اهـ.. ثم قال ممدوح: هكذا ذكره ابن تيمية فى (الرد على الأخنائى) ص١٦٨.

و منهم الإمام الغزالى

فقد قال فى كتابه (إحياء علوم الدين) ج١ ص٢٦٦ فى باب زيارة المدينة و آدابها: يقول زائر قبره ﷺ: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبى الله، إلى أن قال: ثم يقول: اللهم إنك قد قلت و قولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ ـ الآية، اللهم إنا قد سمعنا قولك و أطعنا أمرك و قصدنا نبيك مستشفعين به إليك فى ذنوبنا فتب اللهم علينا و شفع بنبيك هذا فينا و ارفعنا بمنزلة عندك اهـ..

و منهم أبو الحسن الشاذلى

ففى (الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية) للمناوى ج٢ ص١٠٢ و (شواهد الحق) للنبهانى ص١٦٦ أن العارف بالله الشيخ أبا الحسن الشاذلى قال: من كانت له إلى الله حاجة فليتوسل إلى الله بالغزالى. و قال ابن العماد فى (شذرات الذهب) ج٤ ص١٢ بعد كلام نقلا عن الأسنوى: انتقل الغزالى إلى رحمة الله و هو قطب الوجود، و بركته الشاملة لكل موجود، يتقرب إلى الله تعالى به كل صديق، و لا يبغضه إلا ملحد أو زنديق اهـ..

و منهم الحافظ البيهقى

فقد ذكرنا أنه ذكر فى (دلائل النبوة) استنصار خالد بن الوليد بشعر رسول الله ﷺ، فهذا يدل على أنه من القائلين بمشروعية التوسل و استحسانه.

و منهم ابن الحاج

قال فى (المدخل) ج١ ص٢٦٠: من جاءه ﷺ و وقف ببابه و توسل به وجد الله توابا رحيما. و قال فى موضع آخر: من توسل به ﷺ أو استغاث به أو طلب حوائجه منه فلا يرد، و من اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، اهـ.. و قد ذكرت عبارته بكمالها فى آداب زيارة قبر رسول الله ﷺ.

و منهم الإمام السبكى

قال الإمام الحافظ تقى الدين على بن عبد الكافى فى كتابه (شفاء السقام) ص١٦٠: اعلم أنه يجوز و يحسن التوسل و الاستغاثة و التشفع بالنبى ﷺ إلى ربه سبحانه و تعالى، و قد ذكرنا عبارته فى الفصل الثانى. و سيأتى أنه توسل به ﷺ.

و منهم ابن قدامة الحنبلى

فقد ذكر مستحسنا فى كتابه (المغنى) قصة العتبى رحمه الله ج٣ ص٥٥٦ ـ ٥٥٨، و فيه أيضا ٥٥٨: ثم تأتى القبر فتولى ظهرك القبلة و تستقبل وسطه، و تقول: السلام عليك أيها النبى إلخ، و ذكر فى جملة ما يقول الزائر قد أتيتك مستغفرا من ذنوبى، مستشفعا بك إلى ربى إلخ.



و منهم الإمام النووى

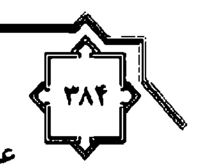
فقد قال فى كتابه (الإيضاح فى مناسك الحج): و يتوسل به ﷺ الزائر فى حق نفسه و يتشفع به إلى ربه سبحانه و تعالى، و من أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له، قال: كنت جالسا عند قبر النبى ﷺ، فجاء أعرابى فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾، و قد جئتك مستغفرا من ذنبى متشفعا بك إلى ربى، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه — فطاب من طيبهن القاع و الأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه — فيه العفاف و فيه الجود و الكرم
أنت الشفيع الذى ترجى شفاعته — على الصراط إذا ما زلت القدم
و صاحباك فلا أنساهما أبدا — منى السلام عليكم ما جرى القلم

قال: ثم انصرف، فغلبتنى عيناى فرأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقال: يا عتبى الحق الأعرابى فبشره بأن الله تعالى قد غفر له اهـ.. و ذكر النووى قصة العتبى أيضا فى (الأذكار) ص١٨٥.

و قال الحافظ القسطلانى فى (المواهب اللدنية) فى الفصل الثانى فى زيارة قبره الشريف و مسجده المنيف: حكى جماعة الحكاية المشهورة عن العتبى رحمه الله منهم: الإمام أبو نصر ابن الصباغ فى (الشامل) و ذكرها ابن النجار و ابن عساكر و ابن الجوزى و توفى العتبى فى سنة ٢٢٨هـ. و اسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبى سفيان صخر بن حرب اهـ. ما فى (المواهب).

و العتبى بضم العين و سكون التاء كما فى (الزرقانى شرح المواهب اللدنية) ج١٢ ص١٩٨.



و فى (اللباب) لابن الأثير أن اسمه محمد بن عبد الله بن عمر بن معاوية بن عمر إلخ حدث عن أبيه و ابن عيينة وحدث عنه أبو حاتم السجستانى اهـ. ما فى (اللباب) و قال الهيتمى فى (الجور المنظم): عدّه بعضهم فى مشايخ الشافعى ﷺ.

و منهم الحافظ القسطلانى

فقد ذكر فى مواضع من (المواهب اللدنية) جواز التوسل و الاستغاثة و التشفع به ﷺ، و قد ذكرنا بعض عباراته فى آداب الزيارة. و القسطلانى بضم القاف و الطاء و سكون السين و تشديد اللام كما فى (منتهى السول على وسائل الوصول) للعلامة عبد الله بن سعيد اللحجى ج١ ص٨١.

و فى (القاموس) قسطلة و قسطيلية بلدة بالأندلس، و فى (تاج العروس): أو هى من إقليم إفريقية، و النسبة قسطلانى قاله ابن فرحون، و قال القطب الحلبى: فى (تاريخ مصر) القسطلانى كأنه منسوب إلى قسطيلة بضم القاف من أعمال إفريقية بالمغرب اهـ..

قلت: وقد سمعت من بعض مشايخنا أن الحافظ القسطلاني كان يكنى ـ بابن حجر ـ كما يكنى بذلك

شيخ الإسلام الحافظ العسقلانى و العلامة الهيتمى، و أيضا رأيت فى كتاب (السنة قبل التدوين) للشيخ محمد عجاج الخطيب ص٤٤٨ تكنيته بابن حجر، لكنى لم أرها فى غيره مما لدى من الكتب التى ترجمت به. و سمعت أن بعضهم ينكر ذلك و لم أقف لإنكاره على مستند فالله أعلم.

و منهم شهاب الدين الخفاجى

قال فى كتابه (نسيم الرياض شرح شفاء القاضى عياض) ج٣ ص٥١٧: يستحب لمن زاره ﷺ أن يدعو و يستشفع به و يتضرع.



و منهم العلامة المحقق سعد الدين التفتازانى

نقل الزاهد الكوثرى فى (محق التقول) ص٨: أن التفتازانى قال فى شرح (المقاصد) بعد كلام: ينتفع بزيارة القبور و الاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات، فى استنزال الخيرات و استدفاع الملمات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقا ما بالبدن و بالتربة التى دفن فيها، فإذا زار الحى تلك التربة و توجهت نفسه تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقات و إفاضات.

و منهم شمس الدين محمد الرملى

ففى (فتاويه) المطبوع على هامش (الفتاوى الفقهية الكبرى) للهيتمى ج٣ ص٣٨٢ سئل ـ أى الشيخ الرملى ـ عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد يا شيخ فلان يا رسول الله و نحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء و المرسلين و الأولياء و العلماء و الصالحين، فهل ذلك جائز أم لا؟ فأجاب بأن الاستغاثة بالأنبياء و المرسلين و الأولياء و العلماء و الصالحين جائزة، و للرسل و الأنبياء و الأولياء و الصالحين إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء و كرامات الأولياء لا تنقطع بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء فى قبورهم يصلون و يحجون كما وردت به الأخبار، و تكون الإغاثة منهم معجزة لهم، و الشهداء أيضا أحياء شوهدوا نهارا جهارا يقاتلون الكفار، و أما الأولياء فهى كرامة لهم فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد و بغير قصد أمور خارقة للعادة، يجريها الله تعالى بسببهم، و الدليل على جوازها أنها أمور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال، و كل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع، و على الوقوع قصة مريم و رزقها الآتى من عند الله على ما نطق به التنزيل، و قصة أبى بكر و أضيافه كما فى الصحيح، و جريان النيل بكتاب عمر، و رؤيته و هو على المنبر بالمدينة جيشه بـ(نهاوند) حتى قال

لأمير الجيش: يا سارية ـ الجبل ـ محذرا له من وراء الجبل لكمين العدو هناك، و سماع سارية كلامه، و بينهما مسافة شهرين، و شرب خالد السم من غير التضرر به. و قد جرت خوارق على أيدى الصحابة و التابعين و من بعدهم لا يمكن إنكارها لتواتر مجموعها. و بالجملة ما جاز أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى، لا فارق بينهما إلا التحدى.

و منهم الشيخ الإسلام زكريا الأنصارى

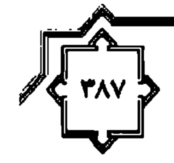
فقد ذكر ذلك فى (شرح المنهج) فى كتاب الحج و عبارته: و يتوسل به ﷺ الزائر فى حق نفسه و يستشفع به إلى ربه. و قد ذكرنا ذلك فى آداب الزيارة. و كذلك تلاميذه الخطيب الشربينى و الرملى و الهيتمى، ذكروا كلهم ذلك فى شروحهم على (منهاج الطالبين) فى كتاب الحج. و قد ذكرنا أيضا عبارة ابن حجز الهيتمى فى (الجواهر المنظم فى زيارة قبر النبى المعظم).

و منهم: الإمام المحلى

ذكر ذلك أيضا (فى شرحه على المنهاج) فى كتاب الحج.

و منهم: الإمام الحافظ السخاوى

قال فى (القول البديع) ص٢٩: من تشفع بجاهه ﷺ و توسل بالصلاة عليه بلغ مراده و أنجح قصده، و لو قيل: إن إجابة المتوسلين بجاهه عقب توسلهم يتضمن معجزات كثيرة بعدد توسلاتهم لكان أحسن. و حسبك قصة المهاجرة التى مات ولدها ثم أحياه الله عز و جل لها لما توسلت بجنابه الكريم اهـ.



و منهم: الحافظ عماد الدين ابن كثير

فقد ذكر فى (البداية و النهاية) ج١ ص٨١ نقلا عن الحاكم و البيهقى و ابن عساكر قصة توسل آدم بالنبى ﷺ، و ذكر أيضا فى ج٧ ص٩١ قصة الرجل الذى جاء إلى قبر النبى ﷺ و توسل به، و قال: إسنادها صحيح، و ذكر أيضا أن شعار المسلمين فى قتال مسيلمة يا محمداه كما فى ج٦ ص٣٢٤ اهـ..

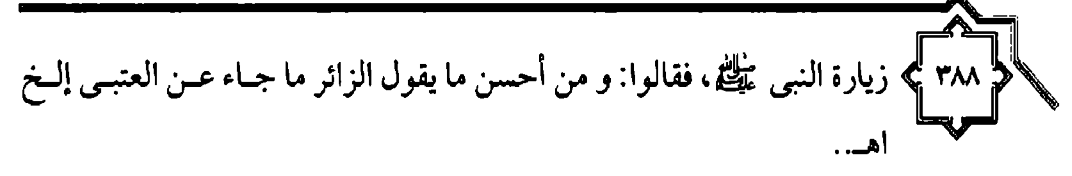
قلت: و ذكر عقب تفسير قوله تعالى:)و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله) ـ الآية قصة العتبى مع الأعرابى، و نص عبارته: و قد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو نصر بن الصباغ فى كتابه (الشامل) الحكاية المشهورة عن العتبى قال: كنت جالسا عند قبر النبى ﷺ فجاء أعرابى فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما، و قد جئتك مستغفرا لذنبى، متشفعا بك إلى ربى، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع و الأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

ثم انصرف الأعرابى، فغلبتنى عيناى فرأيت النبى ﷺ فى النوم فقال: يا عتبى الحق الأعرابى فبشره أن الله قد غفر له اهـ..

تنبيه:

و فى (شواهد الحق) ص١٦١ قال السيد السمهودى فى (خلاصة الوفاء): ليس محل الاستدلال برؤيا العتبى، فإن الأحكام لا تثبت بالرؤيا، و إنما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا للزائر الإتيان بما قاله الأعرابى. و ذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة فى كتب المناسك قصة الأعرابى و العتبى عند ذكرهم



زيارة النبى ﷺ، فقالوا: و من أحسن ما يقول الزائر ما جاء عن العتبى إلخ اهـ..

قلت: بل ما زال المتقدمون و المتأخرون يستحسنون تلك الأبيات إلى عصرنا هذا، فإنى رأيت مرارا أبيات ذلك الأعرابى مكتوبة فى جدار الحجرة الشريفة النبوية صلى الله على ساكنها و سلم، و كان أول ما رأيت مكتوبة بنحاس صيغ أو نحوها، ثم رأيت بعد ذلك مكتوبة بخط واضح حسن جدا، و كان آخر ذلك سنة ١٤١٨هـ..

و منهم كما فى (المفاهيم) ص٧٦ الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم فى كتابه (المستدرك)، فقد ذكر فيه حديث توسل آدم بالنبى ﷺ و صححه.

و منهم إمام القراء الحافظ شمس الدين محمد بن محمد الجزرى

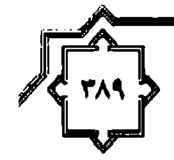
فقد قال فى كتابه (عدة الحصن الحصين) فى فصل آداب الدعاء: و يسأل الله بأسمائه العظام الحسنى، و يتوسل إلى الله بأنبيائه و الصالحين اهـ..

و منهم الحافظ العسقلانى

ذكر فى (فتح البارى) ج٢ ص٤٨٥ قصة الذى جاء إلى قبره ﷺ و توسل به و صحح سندها.

و منهم الإمام المفسر القرطبى

فقد ذكر فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾. الآية. قصة الأعرابى الذى قدم بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبره ﷺ وحثا على رأسه من ترابه. و قد ذكرناها بكمالها فى (آداب زوار ضريحه ﷺ) اهـ.



و منهم الماوردى

ذكر الإمام أقضى القضاة الماوردى قصة العتبى فى كتابه (الأحكام السطلانية) ص١٢٤

و منهم: نابت بن إسماعيل بن على بن محمد المكى الشافعى

ففى (الضوء اللامع) للسخاوى ج١٠ ص١٩٥: أن له نظما كثيرا منه قوله:

تشفع يا مسىء بذى المعالى إمام الرسل خير الأنبياء
كريم الأصل طه من أتاه يروم الأمن حُلَّ عن الشقاء
عليه صلاة ربى كل حين و سلم فى الصباح و فى المساء

و كان الشيخ نابت بن إسماعيل قد حفظ القرآن و البهجة و الإرشاد، و قرأ على الخطيب أبى الفضل النويرى البخارى و غيره. توفى ﷺ سنة ٨٨٧هـ..

و منهم الشيخ العلوى بن السقاف

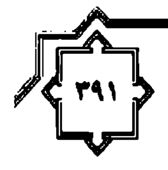
و قال العلامة عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن عمر المشهور با علوى مفتى الديار الحضرمية فى (بغية المسترشدين) ص٢٩٧ نقلا عن الشيخ العلوى بن السقاف بن محمد الجعفرى ما نصه: التوسل بالأنبياء و الأولياء فى حياتهم و بعد وفاتهم مباح شرعا، كما وردت به السنة الصحيحة كحديث آدم عليه السلام حين عصى، و حديث من اشتكى عينيه، و أحاديث الشفاعة، و الذى تلقيناه عن مشايخنا و هم عن مشايخهم و هلم جرا أن ذلك جائز ثابت فى أقطار البلاد، و كفى بهم أسوة، و هم الناقلون لنا الشريعة، و ما عرفنا إلا بتعليمهم لنا، فلو قدرنا أن المتقدمين كفروا كما يزعمه هؤلاء الأغبياء لبطلت الشريعة المحمدية. و قول الشخص المؤمن يا فلان عند وقوعه فى شدة داخل فى التوسل بالمدعو إلى

الله تعالى، و صرف النداء إليه مجاز لا حقيقة، و المعنى يا فلان أتوسل بك إلى ربى أن يقيل عثرتى أو يرد غائبى مثلا، فالمسؤول فى الحقيقة هو الله تعالى، و إنما أطلق الاستعانة بالنبى أو الولى مجازا، و العلاقة بينهما أن قصد الشخص التوسل بنحو النبى صار كالسبب، و إطلاقه على المسبب جائز شرعا و عرفا، وارد فى القرآن و السنة كما هو مقرر فى علم المعانى و البيان، نعم ينبغى تنبيه العوام على الفاظ تصدر منهم، تدل على القدح فى توحيدهم، فيجب إرشادهم و إعلامهم بأن لا نافع و لا ضار إلا الله تعالى، لا يملك غيره لنفسه ضرا و لا نفعا إلا بإرادة الله تعالى، و قال تعالى لنبيه عليه الصلاة و السلام: قل إنى لا أملك لكم ضرا و لا رشدا. (فائدة) سئل السيد عمر البصرى عن قول الشخص «شى لله يا فلان» إلخ فأجاب: قول العامة يا فلان شى لله غير عربية، لكنها من مولدات أهل العرف، و لم يحفظ لأحد من الأئمة نص فى النهى عنها، و ليس المراد بها فى إطلاقهم شيئا يستدعى مفسدة الحرام أو المكروه، لأنهم إنما يذكرونها استمدادا أو تعظيما لمن يحسنون فيه الظن اهـ.

الفصل الخامس في المتوسلين من الأنبياء عليهم الصلا و السلام

توسل أبينا آدم عليه و على نبينا الصلاة و السلام

و فى (شفاء السقام) للإمام السبكى ص١٦١ ـ ١٦٢: و (الجوهر المنظم) للهيتمى ص٦١: أن الحاكم أبا عبد الله بن البيع روى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما اقترف آدم عليه السلام بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لى، فقال الله: يا آدم و كيف عرفت محمدا و لم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك و نفخت فى من روحك رفعت



رأسي، فرأيت على قوائم العرض مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، و لولا محمد ما خلقتك. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. و في نسخة: لما اعترف آدم عليه السلام، و رواه البيهقي أيضا في (دلائل النبوة) و ذكره الطبراني و زاد فيه: و هو آخر الأنبياء من ذريتك.

و اعلم أن هذا الحديث روى مرفوعا و موقوفا بطرق كثيرة، و اختلفت أقوال العلماء في درجته، فصححه الحاكم كما مر، و حسنه بعضهم و ضعفه آخرون، بل قال بعضهم: إنه باطل موضوع، و قالوا تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واتهموه بالوضع.

و قال الشيخ محمود سعيد ممدوح في (رفع المنارة) ص١٤٧ ـ ١٤٩: وجدت لهذا الحديث شاهدا قويا، فقد أخرج الحافظ أبو الحسن بن بشران قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح حدثنا محمد بن صالح ثنا محمد بن سنان العوقي ثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة قال: قلت يا رسول الله: متى كنت نبيا؟ قال: لما خلق الله الأرض و استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات، و خلق العرش كتب على ساق العرش: محمد رسول الله خاتم الأنبياء، و خلق الله الجنة التي أسكنها آدم و حواء فكتب اسمي على الأبواب و الأوراق و القباب و الخيام و آدم بين الروح و الجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرض فرأى اسمي فأخبره الله أنه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان تابا و استشفعا باسمي إليه و أخرجه ابن الجوزي في (الوفا بفضائل المصطفى) و نقله عنه ابن تيمية في (الفتاوى) ج٢ ص١٥٠ مستشهدا به، و ذكره شيخنا العلامة المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري

نور الله مرقده في (الرد المحكم المتين) ص١٣٩ و قال: إسناد هذا الحديث قوى، و هو أقوى شاهد وقفت عليه لحديث عبد الرحمن بن زيد اهـ. ثـم قـال الـشيخ محمود سعيد ممدوح: إسناد هذا الحديث مسلسل بالثقـات مـا خـلا راو واحـد صدوق. فالصواب أن إسناد هذا الحديث من شرط الحسن علـى الأقـل انتهـى باختصار. و ما نقلناه من (رفع المنارة) محذوف من بعض النسخ، فتنبه لذلك.

فعلم مما ذكرناه ثبوت توسل أبينا آدم بنبينـا محمـد علـيهما أفـضل الـصلاة و السلام، و تبين أن من جعل هذا الحديث موضوعا لا يعول على قوله هـذا و إن كان إماما فاضلا، فإن الله يظهر الحق على لسان من شاء من عباده و الحق أحـق أن يتبع.

توسل سيدنا رسول الله محمد ﷺ

و فـي (الـرد المحكـم المتـين) أن الطبرانـي روى فـي معجميـه (الكبـير) و (الأوسط) بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمـة بنـت أسـد أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: رحمـك الله يـا أمي كنت أمي بعد أمي، تجوعين و تشبعيني و تعرين و تكسيني و تمنعين نفـسك طيبا و تطعميني تريدين لذلك وجه الله و الدار الآخرة، ثم أمر أن تغـسل ثلاثـا ثلاثا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه و كفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد و أبا أيوب الأنصاري و عمر بن الخطاب و غلاما أسود يحفـرون، فحفـروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، و أخرج ترابه بيده، فلما فـرغ دخل فيه رسول ﷺ فاضطجع فيه و قال: الله الذي يحيي و يميت و هو حـي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها و وسع عليهـا مـدخلها بحـق



نبيك و الأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين، و كبر عليها أربعا، و أدخلها اللحد هو و العباس و أبو بكر رضي الله عنهما.

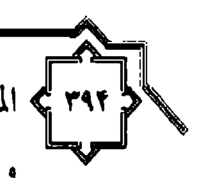
قال الحافظ نور الدين الهيثمى فى (مجمع الزوائد): رجاله الصحيح غير روح بن صلاح، و قد وثقه ابن حبان و الحاكم و فيه ضعف، و قد أطال الشيخ محمود سعيد ممدوح الكلام فى روح ابن صلاح ثم قال فى آخر كلامه: و حاصل ما تقدم أن روح بن صلاح صدوق و الحديث حسن الإسناد، فانظر كتابه (رفع المنارة) ص١٤٧ ـ ١٥٥ ففيه ما يقتنع به طالب الحق المنصف إذا كانت له أدنى معرفة بعلم الجرح و التعديل والله الموفق.

و فى (الرد المحكم المتين) ص١٩٧ أن الطبرانى روى عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قال: كان النبى ﷺ يستفتح بصعاليك المسلمين. قال الحافظ المنذرى: رواته رواة الصحيح و هو مرسل اهـ..

و فى (رفع المنارة) لمحمود سعيد ممدوح ص٢٣٣ أن الطبرانى روى بعدة طرق ما لفظه: كان رسول الله ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين، و أن الحافظ الهيثمى قال: فى (مجمع الزوائد) ج١٠ ص٢٦٢ رواه الطبرانى و رجال الرواية الأولى رجال الصحيح اهـ..

و فى (جامع الصغير) كان ﷺ يستفتح و يستنصر بصعاليك المسلمين رواه ابن أبى شيبة و الطبرانى فى (الكبير)

و فى (رياض الصالحين) ص١٣٩ عن أبى الدرداء عويمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: ابغونى الضعفاء فإنما تنصرون و ترزقون بضعفائكم. رواه أبو داود بإسناد جيد اهـ.. و قوله ابغونى: أى اطلبو لى صعاليك المسلمين أستعين بهم على أعدائكم. فثبت بما ذكرناه أن رسول الله ﷺ توسل بحق ذاته الشريفة و الأنبياء من قبله، و أنه استنصر بصعاليك



المسلمين و المهاجرين، و بذلك انحلت عقدة الخلاف و النزاع فى جواز التوسل و منعه إذاً لا يقول مؤمن بالله و اليوم الآخر: إن رسول الله ﷺ أخطأ فى ذلك التوسل لاجماع الأمة على عصمته، و أنه القدوة و الأسوة. فليقتنع المنصف بذلك و ليتحرر عن التعصب، و ليختر لنفسه ما ينفعه لدى وقوفه أمام ربه.

و قد وردت أحاديث أخرى فى أن النصر و الرزق بضعفاء المسلمين، ففى (رياض الصالحين) أيضا روى البخارى فى صحيحه مرسلا عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: رأى سعد أن له فضلا على من دونه، فقال النبى ﷺ: هل تنصرون و ترزقون إلا بضعفائكم. و رواه الحافظ أبو بكر البرقانى فى صحيحه متصلا عن مصعب عن أبيه رضي الله عنه.

و ذكر البخارى هذا الحديث فى كتاب الجهاد فى باب من استعان بالضعفاء و الصالحين فى الحرب، و قال الحافظ العسقلانى فى (فتح البارى) ج٦ ص٨٨: أى استعان ببركتهم و دعائهم، و فى رواية النسائى إنما نصر الله هذه الأمة بضعفتهم بدعواتهم و صلاتهم و إخلاصهم، و فى رواية أخرى ينصر المسلمون بدعاء المستضعفين. و أخرجه أبو نعيم فى الحلية اهـ..

و قال ابن علان فى (دليل الفالحين شرح رياض الصالحين) ج٢ ص٧٥ قوله ترزقون: أى ترزقون المطر و الفىء و غيرهما مما تنتفعون به، و قوله و تنصرون بضعفائكم: أى ببركة وجود صعاليك المسلمين و دعائهم لكم اهـ..

الفصل السادس في المتوسلين من أصحاب رسول الله ﷺ

منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روى البخارى عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، و إنا نتوسل إليك



بعم نبينا فأسقنا قال: فيسقون. و فى (فتح البارى) ج٢ ص٤٩٧: أخرج الزبير بن بكار عن ابن عمر قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب فذكر الحديث، و فيه فخطب الناس عمر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ فى عمه العباس و اتخذوه وسيلة إلى الله. و ذكر ابن سعد و غيره أن عام الرمادة كان سنة ١٨.

و منهم معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى (تلخيص الحبير): روى أبو زرعة الدمشقى فى تاريخه بسند صحيح أن معاوية استسقى بيزيد بن الأسود. و رواه أيضا أبو القاسم اللالكائى فى (السنة) فى كرامات الأولياة منه. و روى ابن الجوزى فى (صفة الصفوة) ج٤ ص٢٠٢: عن سليم بن عامر الخبائرى أن الشام قحطت فخرج معاوية بن أبى سفيان و أهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشى؟ فناداه الناس فأقبل يتخطى، فأمره معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه، و رفع الناس، فما كان أوشك أن ثارت سحابة فى الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم. و ذكر توسل معاوية بيزيد بن الأسود الحافظ الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٤ ص١٣٧ باختلاف يسير فى اللفظ. و قال الحافظ العسقلانى فى (تلخيص الحبير) روى الإمام أحمد فى الزهد أن معاوية استسقى بأبى مسلم الخولانى. و قال الرافعى رحمه الله فى (فتح العزيز بشرح الوجيز) فى باب الاستسقاء: من آداب الاستسقاء أن يستسقى

بالأكابر و أهل الصلاح سيما من أقارب رسول الله ﷺ، استسقى عمر بالعباس و معاوية بيزيد بن الأسود.

و منهم خالد بن الوليد سيف الله المسلول ؓ

فقد سبق فى باب التبرك بشعره ﷺ أن البيهقى عقد بابا لاستنصار خالد يوم اليرموك بشعر ناصيته ﷺ. و قال ابن كثير (فى البداية و النهاية) ج٧ ص١١٣: و قد روى أن خالدا سقطت قلنسوته يوم اليرموك و هو فى الحرب، فجعل يستحث فى طلبها فعوتب فى ذلك، فقال: إن فيها شيئا من شعر ناصية رسول الله ﷺ، و إنها ما كانت معى فى موقف إلا نصرت بها اهـ.. و قال النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات): كان فى قلنسوة خالد شعر من شعر رسول الله ﷺ يستنصر به و يتبرك به فلا يزال منصورا اهـ..

و منهم بلال بن الحارث المزنى ؓ

روى الإمام السبكى فى (شفاء السقام) بسنده عن مالك الدار قال: أصاب الناس قحط فى زمان عمر بن الخطاب ؓ، فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله فى المنام فقال: ائت عمر فاقرأه السلام و أخبره أنهم مسقون، و قل له: عليك الكيس الكيس، فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر ؓ ثم قال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه. و الكيس الرفق، ففى (تاج العروس) الكيس فى الأمور يجرى مجرى الرفق فيها.و قال ابن كثير فى (البداية و النهاية) ج٧ ص٩١: روى الحافظ أبو بكر البيهقى بسنده عن مالك أصاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. ثم قال الحافظ ابن كثير: و هذا إسناد صحيح. و قال الحافظ



العسقلاني في (فتح الباري) ج٢ ص٤٩٥ ـ ٤٩٦: روى هذا الحديث ابن أبي شيبة بإسناد صحيح. والذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة اهـ.. و قال المحدث محمد زاهد الكوثري في كتابه (محق التقول) ص١١ ـ ١٢: أخرج هذا الحديث البخاري في تاريخه مختصرا، و أخرجه ابن أبي خيثمة مطولا. و قال الكوثري أيضا: و هذا الحديث نص على عمل الصحابة في الاستسقاء به ﷺ بعد وفاته حيث لم ينكر على بلال أحد منهم مع بلوغ الخبر إليهم و ما يرفع إلى أمير المؤمنين يذيع و يشيع فهذا يقطع ألسنة المتقولين.

و قال السبكي أيضا في (شفاء السقام) ص١٧٤: و محل الاستشهاد من هذا الأثر طلب بلال ابن الحارث المزني الاستسقاء من النبي ﷺ بعد موته في مدة البرزخ، و لا مانع من ذلك فإن دعاء النبي ﷺ لربه تعالى في هذه الحالة غير ممتنع اهـ..

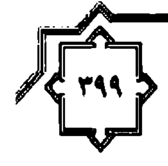
و في (تهذيب الأسماء و اللغات) أن عقبة بن عامر الصحابي رضي الله عنه شهد فتوح الشام، و هو كان البريد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح دمشق، و وصل المدينة في سبعة أيام و رجع منها إلى الشام في يومين و نصف بدعائه عند قبر رسول الله ﷺ و تشفعه به في تقريب طريقه. توفي رضي الله عنه بمصر سنة ٥٨ ثمان و خمسين اهـ..

و منهم الحارث بن حسان الصحابي و يقال: الحارث بن يزيد البكري

و في (البداية و النهاية) ج١ ص١٢٧ ـ ١٢٨ ماحاصله: أن الإمام أحمد روى بسنده عن أبي وائل أن الحارث بن حسان خرج إلى رسول الله ﷺ، فمر بالربذة فإذا عجوز من بني تميم، فقالت له: يا أبا عبد الله، إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة فهل أنت مبلغي إليه؟ فحملها فأتى المدينة، و إذا راية سوداء

تخفق، و بلال متقلد السيف بين يدى رسول الله ﷺ، فقال: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها، قال: فجلست فاستأذنت عليه، فأذن لى فدخلت و سلمت، فقال: هل كان بينكم و بين بنى تميم شيء؟ فقلت: نعم، و كانت لنا الدبرة عليهم، و مررت بعجوز من بنى تميم فسألتنى أن أحملها إليك و ها هى بالباب، فأذن لها فدخلت، ثم خاصمته بين يدى رسول الله ﷺ فى (الدهناء)، تدعى أنها لبنى تميم قبيلتها، و يدعى هو أنها لعشيرته، قال الحارث: فقلت: إن مثلى ما قال الأُوَل (معزاء حملت حتفها) حملت هذه الأمة و لا أشعر أنها كانت لى خصما، أعوذ بالله و برسوله أن أكون كوافد عاد، قال: هيه و ما وافد عاد؟ قلت: إن عادا قحطوا فبعثوا وافدا لهم يقال له: (قيل) فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر و يغنيه جاريتان يقال لهما: الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة، فقال: اللهم إنك تعلم أنى لم أجئ إلى مريض فأداويه، و لا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه، فمرت به سحابات سود، فنودى منها اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودى منها خذها رمادا رمددا، لا تبقى من عاد أحدا، قال أبو وائل: و كانت المرأة و الرجل إذا بعثوا وافدا لهم قالوا: لا تكن كوافد عاد. و هكذا رواه الترمذى و النسائى و ابن ماجه، و أورد هذا الحديث غير واحد من المفسرين كابن جرير و غيره، انتهى ما فى (البداية و النهاية) بمعناه و حذف يسير.

قوله وجها يعنى جهة و ناحية كما فى (معجم الوسيط)، و قوله الدبرة فى (معجم الوسيط) الدبرة الظفر و النصرة، و فى (القاموس) و شرحه (تاج العروس) يقال: جعل الله عليهم الدبرة أى الهزيمة فى القتال، و قوله رمادا رمددا فى (القاموس) و شرحه (تاج العروس) رمادا رمددا كزبرج و درهم أى كثير دقيق جدا. و قال ابن الأثير فى (النهاية): الرمدد بالكسر المتناهى فى



الإحتراق و الدقة. و فى (القاموس) (الدهناء) موضع لتميم بنجد، و يقصر، و (الدهناء) أيضا موضع أمام ينبع. و فى (معجم البلدان) الدهناء بفتح أوله و سكون ثانيه قال أبو منصور: (الدهناء) من ديار بنى تميم معروفة، تقصر و تمد، قال: و هى سبعة أجبل، و قال الهيثم بن عدى: الوادى الذى فى بلاد بنى تميم ببادية البصرة فى أرض بنى سعد يسمونه الدهناء. و ذكر ابن كثير أيضا هذا الحديث فى تفسير سورة الأحقاف من تفسيره المشهور.

و قال الحافظ فى (فتح البارى) ج۸ ص۵۷۸ ـ ۵۷۹: أخرج أحمد بإسناد حسن عن الحارث ابن الحسان البكرى قال: خرجت أنا و العلاء بن الحضرمى إلى رسول الله ﷺ ـ الحديث، و فيه فقلت: أعوذ بالله و برسوله أن أكون كوافد عاد، قال: و ما وافد عاد؟ إلخ اهـ.. قلت: روى الإمام أحمد هذا الحديث بطريقين فى مسنده ج۳ ص۵۸۵، و رواه أيضا كما فى (أسد الغابة) أبو بكر بن أبى شيبة.

فاستعاذة الحارث الصحابى برسول الله ﷺ مع تقرير النبى ﷺ له على ذلك نص صريح فى جواز الاستعاذة برسول الله ﷺ، و الحديث حسن كما صرح به أبو الفضل الحافظ العسقلانى، فليقتنع بهذا النص المنكرون على جواز التوسل بذاته ﷺ. و الله الهادى إلى الصراط المستقيم.

و منهم عبد الله بن الزبير

و فى (وفيات الأعيان و أنباء الزمان) لابن خلكان ج۳ ص۲۹: حكى سفيان الثورى عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبى قال: لقد رأيت عجبا، كنا بفناء الكعبة أنا و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير و مصعب بن الزبير و بعد الملك بن مروان، فقال القوم بعد ما فرغوا من صلاتهم: ليقم رجل منكم فليأخذ

الركن اليماني و ليسأل الله حاجته فإنه يعطى من ساعته، قم يا عبد الله بن الـزبير فإنك أول مولود فى الهجرة، فقام و أخذ بالركن اليماني، ثـم قـال: اللهـم إنـك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة عرشك و حرمة وجهك و حرمـة نبيـك عليه الصلاة و السلام أن لا تميتنى حتى توليني الحجاز و يسلم عليّ بالخلافة، و جاء حتى جلس، فقال: قم يا مصعب، فقام حتـى أخـذ الـركن اليمانـى، فقـال: اللهم إنك رب كل شيء و إليك بصير كل شيء أسألك بقدرتك على كل شيء أن لا تميتنى من الدنيا حتى توليني العراق و تزوجنى سكينة بنت الحسين، و جاء حتى جلس فقال: قم يا عبد الملك، فقام و أخذ بالركن اليماني و قال: اللهم رب السموات السبع، و رب الأرض ذات القفر، أسألك بحقك على جميع خلقك و بحق الطائفين حول بيتك أن لا تيمتنى من الدنيا حتـى تـوليني شرق الأرض و مغربها و لا ينازعنى أحد إلا أتيت برأسه، ثم جاء حتى جلس فقال: قم يـا عبـد الله بن عمر فقام حتى أخذ بالركن اليماني، ثـم قـال: اللهـم إنـك رحمـن رحيم أسألك برحمتك التى سبقت غضبك و أسألك بقدرتك على جميع خلقـك أن لا تميتنى من الدنيا حتى توجب لى الجنة. قال الشعبى: فما ذهبت عيناى من الـدنيا حتى رأيت لكل رجل ما سأل، و بشر عبد الله بن عمر بالجنة و رؤيت له اهـ..

الخلاصة

لقد ذكرنا من الصحابة المتوسلين أمير المؤمنين عمر بـن الخطـاب، و معاويـة أبى سفيان، و سيف الله خالد بن الوليد، و بلال بن الحارث المزنى، و عقبـة بـن عامر، و الحارث بن حسان ﷺ أجمعين. فهؤلاء الصحابة ثبت عنهم التوسـل بنقل العدول الثقات من أعيان العلماء الراسخين فى العلـم و أئمـة المـسلمين و قادتهم من الحفاظ و الفقهاء و المفسرين كالإمام البخـارى و البيهقـى، و الإمـام



السبكى، و الإمام النووى، و شيخ الإسلام الحافظ بن حجر العسقلانى، و الحافظ ابن كثير، و أبى القاسم اللالكائى، و أبى زرعة الدمشقى، و غيرهم ممن ذكرناهم أو لم نذكرهم، أفيرى منكرو التوسل بذوات الصالحين أن هؤلاء الأئمة تواطئوا و اتفقوا على اختلاق الكذب على أصحاب رسول الله ﷺ و نسبتهم إلى ما هم بريئون منه من التوسل بذوات الصالحين افتراء عليهم، أو يعتقد المنكرون أن الأئمة صدقوا فى نسبة التوسل إلى الصحابة لكنهم ﷿ أخطأوا فى ذلك و ابتدعوا و ارتكبوا فى ذلك الفسق و الشرك، كلا، إن المسلم ليستحيى أن يتفوه بمثل هذا أو يعتقده فى أصحاب رسول الله ﷺ، و فى هؤلاء الأئمة، فإذا انتفى هذا أعنى كذب هؤلاء الحفاظ و الأئمة و ابتداع الصحابة و ارتكابهم المعاصى فى التوسل لم يبق حينئذ إلا الانقياد للحق، و الاعتراف به، و هو جواز التوسل و إباحته، و كيف لا يكون مشروعا و قد ثبت أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة و السلام كانوا يتوسلون بذوات الصالحين كما ذكرناه آنفا.

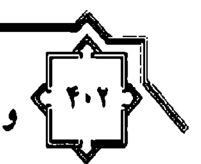
الفصل السابع في المتوسلين من التابعين و من بعدهم

اعلم أن المتوسلين من التابعين فمن بعدهم لا يحصيهم إلا الله تعالى.

منهم الإمام أبو حنيفة

ففى الرسالة المسماة (هل نحتفل لمولد الرسول) نقل الإمام الجليل الكمال بن الهمام الحنفى صاحب (فتح القدير فى مناسك الفارس) و (شرح المختار من السادة الأحناف) لما زار أبو حنيفة المدينة وقف أمام القبر الشريف و قال:

يا أكرم الثقلين يا كنز الورى	جُدلى بجودك و ارضى برضاك
أنا طامع في الجود منك ولم يكن	لأبى حنيفة فى الأنام سواك

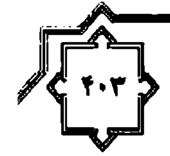


و منهم الضحاك بن قيس المعروف بالأحنف

و فى (تلخيص الحبير) للحافظ العسقلانى: روى ابن بشكوال عن ابن أبى حلمة قال: أصاب الناس قحط بدمشق فخرج الضحاك بن قيس يستسقى فقال: أين يزيد بن الأسود؟ فقام و عليه برنس ثم حمد الله و أثنى عليه ثم قال: أى رب إن عبادك تقربوا إليك فاسقهم، قال: فما انصرفوا إلا و هم يخوضون فى الماء.

و روى ابن الجوزى فى (صفة الصفوة) ج٤ ص٢٠٢ ـ ٢٠٣: عن على بن أبى جملة قال: أصاب الناس قحط بدمشق و على الناس الضحاك بن قيس الفهرى، فخرج بالناس يستسقى فقال: أين يزيد بن الأسود الجرشى؟ فلم يجبه أحد، ثم قال: أين يزيد بن الأسود الجرشى؟ فلم يجبه أحد، ثم قال أين يزيد بن الأسود الجرشى؟ عزمت عليه إن كان يسمع كلامى إلا قام، فقام و عليه برنس فاستقبل الناس بوجهه و رفع جانبى برنسه على عاتقيه، ثم رفع يديه ثم قال: الله يا رب إن عبادك تقربوا إليك فاسقهم، قال: فانصرف الناس و هم يخوضون الماء، فقال: اللهم إنه قد شهرنى فأرحنى منه، قال: فما أتت عليه إلا جمعة حتى قتل الضحاك. قال الحافظ الذهبى (فى سير أعلام النبلاء) ج٤ ص١٣٧: قال سعيد بن عبد العزيز و غيره: استسقى الضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود فما برحوا حتى سقوا.

و فى (الإصابة) للحافظ العسقلانى ج٦ ص٦٩٨ أن الضحاك بن قيس خرج يستسقى بالناس فقال ليزيد بن الأسود: قم يا بكاء اهـ.. و البرنس بضم الباء و النون و إسكان الراء قلنسوة طويلة و الجمع البرانس.

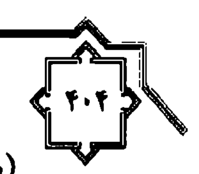


نبذة يسيرة من ترجمة يزيد بن الاسود

لقد ذكرنا أن أميرالمؤمنين معاوية بن أبي سفيان ﷺ و الضحاك بن قيس المشهور بالأحنف بن قيس توسلا بيزيد بن الأسود، فنذكر طرفاً يسيراً من ترجمته ﷺ، قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ج٤ ص١٣٦: إن يزيد بن الأسود الجرشي من سادة التابعين بالشام يسكن بالغوطة بقرية (زبدين) أسلم في حياة النبي ﷺ. و فيه أيضا: روى الحسن بن محمد بن بكار عن عبد الله بن يزيد قال: حدثني بعض المشيخة أن يزيد بن الأسود الجرشي كان يسير في أرض الروم هو ورجل فسمع هاتفا يقول: يا يزيد إنك لمن المقربين، و إن صاحبك لمن العابدين، و ما كنا بكاذبين.

و قال ابن عساكر: بلغني أنه كان يصلي العشاء الآخرة بمسجد دمشق، و يخرج إلى (زبدين) فتضيء إبهامه اليمنى حتى يمشي في ضوئها إلى القرية اهـ..

و في (الإصابة في تمييز الصحابة) ج٦ ص٦٩٨: أخرج ابن أبي الدنيا من طريق هشام بن الغار قال: قال لي حبان بن النظر: قال لي واثلة بن الأسقع: قدمني إلى يزيد بن الأسود، فدخل عليه فمديده فجعل يمس بها، و يمرها على صدره مرة و على وجهه لموضع كف واثلة من يد رسول الله ﷺ انتهى باختصار. و قد ذكرنا هذه القصة في باب التبرك بيد من مس رسول الله ﷺ نقلا عن (حلية الأولياء) لأبي نعيم. و قال ابن كثير في (البداية و النهاية) ج٨ ص٣٢٤: إن يزيد بن الأسود مختلف في صحبته، و له روايات عن الصحابة، و كان أهل الشام يستسقون به إذا قحطوا، و قد استسقى به معاوية و الضحاك بن قيس، و كان يجلسه معه على المنبر. و ذكروا أنه لم يدع شجرة في قرية (زبدين) إلا صلى عندها ركعتين و مات عام ٧١.



قلت: ويشبه ما ذكرته من استسقاء الضحاك بيزيد بن الأسود ما في (طبقات الشافعية الكبرى) ج٣ ص٢٨٣ من أن الشيخ عبد الواحد بن أحمد بن الحسين الدسكرى حج و أنفق مالا صالحا على المجاورين الفقراء بالحرمين، و حكى أن الحجاج عطشوا فى تلك السنة فسألوه أن يستسقى لهم فتقدم و قال: اللهم إنك تعلم أن هذا بدن لم يعصك قط فى لذة ثم استسقى فسقي الناس، قال ابن السمعانى: كان فقيها صالحا دينا ورعا برع فى الفقه و كانت له معرفة بالأدب و ارتقت درجته و ارتفعت، مات سنة ست و ثمانين و أربعمائة.

نبذة عن حياة الضحاك بن قيس المتوسل بيزيد بن الأسود

و فى (تهذيب تاريخ ابن عساكر) و (سير أعلام النبلاء) و (الإصابة فى تمييز الصحابة): أن الأحنف بن قيس أدرك زمن النبى ﷺ و لم يره فليس بصحابى و إن كان قد أسلم فى حياته ﷺ لعدم اجتماعه به ﷺ، و قد قال على بن المدينى: الأحنف ليس له صحبة. و دعا له ﷺ.

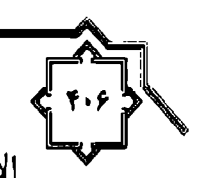
ففى (سير أعلام النبلاء) ج٤ ص٨٨: روى الإمام أحمد فى مسنده عن الأحنف بن قيس قال: بينا أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان إذ لقيني رجل من بني ليث فأخذ بيدى فقال: ألا أبشرك؟ قلت بلى، قال: أما تذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك بنى سعد أدعوهم إلى الإسلام فجعلت أخبرهم و أعرض عليهم، فقلت: إنه يدعو إلى خير و ما أسمع إلا حسنا، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال: اللهم اغفر للأحنف، فكان أحنف يقول: فما شيء أرجى عندى من ذلك. قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٤ ص٨٧ ـ ٩٦: اسمه ضحاك و قيل: صخر، و شهر بالأحنف بن قيس لحنف رجليه و هو العوج و الميل، كان سيد تميم، أسلم فى حياة النبى ﷺ و وفد على عمر، وروى قتادة



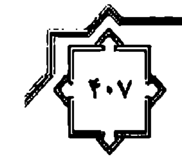
عن الحسن قال: ما رأيت شريف قوم كان أفضل من الأحنف، و قال خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف و الشرف يتبعه. و قيل للأحنف: إنك كبير و الصوم يضعفك قال: إنى أعده لسفر طويل. و قيل: كانت عامة صلاة الأحنف بالليل، وكان يضع أصبعه على المصباح ثم يقول: حس ويقول: ما حملك يا أحنف على أن صنعت كذا يوم كذا؟ و قال عبد الله بن بكر المزنى عن مولى الأصفر: سمع الأحنف يقول: اللهم إن تغفر لى فأنت أهل ذلك، و إن تعذبنى فأنا أهل ذلك. و قوله «حس» أى اشعر بحرارة المصباح، و حواس الإنسان مشاعره الخمسة. و روى مسلم ابن إبراهيم حدثنا أبو كعب صاحب الحرير حدثنا أبو الأصفر أن الأحنف استعمل على خراسان، فأجنب فى ليلة باردة فلم يوقظ غلمانه و كسر ثلجا و اغتسل. و قال مغيرة: ذهبت عين الأحنف فقال: ذهبت من أربعين سنة ما شكوتها إلى أحد. و روى ابن عون عن الحسن قال: ذكروا عند معاوية شيئا فتكلموا و الأحنف ساكت فقال: يا أبا بحر مالك لا تتكلم؟ قال: أخشى الله إن كذبت و أخشاكم إن صدقت. و قال الأحنف: عجبت لمن يجرى فى مجرى البول مرتين كيف يتكبر. و روى هشام عن الحسن قال: رأى الأحنف فى يد الرجل درهما فقال: لمن هذا؟ قال: لى، قال: ليس هو لك حتى تخرجه فى أجر أو اكتساب شكر و تمثل:

أنت للمال إذا أمسكته   و إذا أنفقته فالمال لك

و روى عبد الرحمن بن القاسم المصرى الفقيه عن أبى شريح المغافرى عن عبد الرحمن بن عمارة ابن عقبة قال: حضرت جنازة الأحنف بالكوفة، فكنت فيمن نزل فى قبره، فلما سويته رأيته قد فسح له مد بصرى، فأخبرت بذلك أصحاب فلم يروا ما رأيت.



و في (تهذيب تاريخ دمشق): أن أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب قال في الأحنف: هذا والله السيد. و قيل بم سدت قومك؟ فقال: لو عاب الناس الماء لم أشربه. و قال سفيان: ما وزن عقل الأحنف بعقل أحد إلا وزنه، و كان عامة صلاته الدعاء، و كان من دعائه: اللهم هب لي يقينا تهون به على مصيبات الدنيا، و كان كثير النظر في المصحف، و شتمه رجل فقام إلى منزله فتبعه الرجل يسبه و يشتمه حتى بلغ منزله، فالتفت إليه الأحنف و قال له: حسبك الآن ثم دخل، و قال: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. و جاءه رجل فشتمه فسكت عنه فأعاد عليه و ألح و الأحنف ساكت، فقال الرجل: و الهفاه ما يمنعه من الرد إلا هواني عليه. و قال: لست بحليم ولكني أتحالم. و قال: قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل. و قال: خير القول ما صدقه الفعل. و قال: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة، شريف من دنيء، و بر من فاجر، و حليم من أحمق، و قال: الأخ الموافق خير من الولد المخالف. وقال العتاب مفتاح التقالي، والعتاب خير من الحقد. قال يعقوب بن شيبة: كان الأحنف سيدا جوادا حليما. و قال هشام بن عتبة أخو ذي الرمة الشاعر: شهدت الأحنف و قد جاء إلى قوم في دم و قد طلبوا بدل الدية الواحدة ديتين، فتكلم فقال: احتكموا، فقالوا: نحكم بديتين، فقال: ذلك لكم، فلما سكتوا قال: أنا أعطيكم ما سألتم غير أني قائل لكم شيئا: إن الله عز و جل قضى بدية واحدة، و إن النبي قضى بدية واحدة، و إن العرب تتعاطى بينها دية واحدة، و أنتم اليوم تطالبون، و أخشى أن تكونوا غدا مطلوبين، فلاترضى الناس منكم إلا بمثل ما شئتم على أنفسكم، فقالوا: فردها إلى دية واحدة. و لما مات الأحنف مشى مصعب بن الزبير في جنازته متقلدا سيفا ليس عليه رداء و هو يقول: ذهب اليوم الحزم و الرأي اهـ. ملفقا. توفي سنة تسع و ستين أو سبع و ستين أو ثنتين و سبعين.



و منهم التابعی الجلیل محمدبن المنكدر الإمام القدوة شیخ الإسلام أبو عبد الله القرشی التیمی المدنی

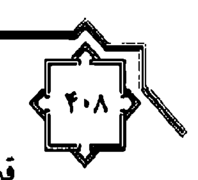
قال الحافظ الذهبی فی (سیر أعلام النبلاء) ج٥ ص٣٥٨: قال مصعب بن عبد الله حدثنا إسماعیل بن یعقوب التیمی كان ابن المنكدر یجلس مع أصحابه فكان یصیبه صمات، فكان یقوم كما هو حتی یضع خده علی قبر النبی ﷺ ثم یرجع، فعوتب فی ذلك فقال: إنه یصیبنی خطر فإذا وجدت ذلك استعنت بقبر النبی ﷺ. ولد ابن المنكدر سنة بضع و ثلاثین، و حدث عن عائشة و أبی هریره و ابن عمر و جابر و ابن عباس و ابن الزبیر و خلائق من الصحابة ﷺ أجمعین، مات ابن المنكدر سنة ثلاثین و مائة أو إحدی و ثلاثین هـ..

المتوسلون من أتباع التابعین فمن بعدهم

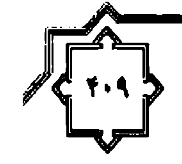
و المتوسلون من أتباع التابعین فمن بعدهم كثیرون جدا، لكننا نذكر قلیلا منهم علی ترتیب حروف المعجم و نبدأ تبركا بمن اسمه محمد

فمنهم الإمام الشافعی

قال الشیخ شهاب الدین أحمد بن حجر الهیتمی المكی فی كتابه (الخیرات الحسان فی مناقب الإمام الأعظم أبی حنیفة النعمان) ص٩٤: اعلم أنه لم یزل العلماء و ذوو الحاجات یزورون قبره، و یتوسلون عنده فی قضاء حوائجهم، و یرون نجح ذلك، منهم الإمام الشافعی ﷺ لما كان ببغداد، فإنه جاء عنه أنه قال: إنی لأتبرك بأبی حنیفة و أجیء إلی قبره فإذا عرضت لی حاجة صلیت ركعتین و جئت إلی قبره و سألت الله عنده فتقضی سریعا.



و ذكر بعض المتكلمين على (منهاج النووى) أن الشافعى صلى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له: لم؟ قال: تأدبا مع صاحب هذا القبر، و ذكر ذلك غيره أيضا وزاد أنه لم يجهر بالبسملة، و لا إشكال فى ذلك خلافا لمن ظنه، لأنه قد يعرض للسنة ما يرجح ترك فعلها لكونه الآن أهم منها، و لا شك أن الإعلام برفعة مقام العلماء أمر مطلوب متأكد، و أنه عند الاحتياج إليه لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل أفضل من مجرد فعل القنوت و الجهر بالبسملة للخلاف فيهما و عدم الخلاف فيه، و لأن نفعه متعد و نفع ذينك قاصر، و لا شك أيضا أن الإمام أبا حنيفة كان له حساد كثيرون فى حياته و بعد مماته حتى رموه بالعظائم، و سعوا فى قتله تلك القتلة الشنيعة، و لا شك أيضا أن البيان بالفعل أظهر منه بالقول، لأن دلالة الفعل عقلية و دلالة القول وضعية، و هى يتصور فيها التخلف عن مدلولها بخلاف الدلالة الفعلية إذ الدلالة على كرم زيد بفعله للكرم لا يشبهها الدلالة على كرمه بقوله إنى كريم، و إذا تمهدت هذه الدواعى اتضح أن فعل الشافعى لذلك أفضل من فعله للقنوت و الجهر إظهارا لمزيد التأدب مع هذا الإمام، و لمزيد شرفه و علوه و أنه من أئمة المسلمين الذين يقتدى بهم و يجب عليهم توقيرهم و تعظيمهم، و أنه ممن يستحى منه و يتأدب معه من أن يفعل بحضرته خلاف قوله بعد وفاته فكيف فى حياته اهـ.. و فى (تاريخ بغداد) للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ج١ ص١٢٣: أخبرنا القاضى أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد الصيمرى قال: أنبأنا عمر بن إبراهيم المقرئ قال: نبأنا مكرم بن أحمد قال: نبأنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم قال: نبأنا على بن ميمون قال: سمعت الشافعى يقول: إنى لأتبرك بأبى حنيفة و أجيء إلى قبره فى كل يوم يعنى زائرا، فإذا عرضت لى حاجة صليت ركعتين و جئت إلى قبره و سألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عنى حتى تقضى. و



قال العلامة المحدث محمد زاهد الكوثرى المتوفى ١٣٧١هـ. فى كتابه (محق التقول فى مسألة التوسل) ص٥: إن توسل الإمام الشافعى بأبى حنيفة مذكور فى (تاريخ بغداد) للخطيب بسند صحيح.

و ذكر الحافظ البيهقى فى كتابه (مناقب الإمام الشافعى) و العلامة ابن حجر الهيتمى فى كتابه (الصواعق المحرقة لإخوان الضلال و الزندقة) أن الإمام الشافعى ﷺ توسل بأهل البيت حيث قال:

آل النبـي ذريعتـي — وهـمـو إليـه وسـيلتى

أرجو بهم أعطى غـدا — بيدي اليمين صحيفتي

و منهم الكلاباذى

و هو الشيخ تاج الاسلام حمد بن إسحاق البخارى الحنفى الكلاباذى، قال فى كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف) ما لفظه: و بالله أستعين و عليه أتوكل، و على نبيه أصلى و به أتوسل اهـ.

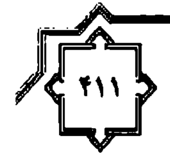
و منهم ابن كبّن

قال الحافظ السخاوى فى (الضوء اللامع) ج٧ ص٢٥٠ ـ ٢٥٣ إن محمد بن سعيد بن على بن محمد بن كبن ـ بفتح الكاف ثم موحدة مشددة و آخره نون ـ القرشى الطبرى الأصل اليمانى العدنى الشافعى القاضى ربيب القاضى محب الدين الطبرى و يعرف بابن كبن، ولد سنة ٧٧٦ بـ(عدن) من اليمن و نشأ بها، و قرأ فنونا شتى حتى صار إماما عالما فاضلا مشاركا فى علوم كثيرة، و مهر فى الفقه و تصدى للتدريس و الإفتاء، و صنف (الدر النظيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم) و (الفخاوى) و هو نكت على (الحاوى الصغير) مفيد، إلى

غيرهما من نظم و نثر، و كان مجتهدا فى خدمة العلم بحيث لا ينام من الليل إلا قليلا، و كان معتقدا فى بلاد اليمن بأسره فى التدريس و الفتوى و الحديث، شديد التحرز فى النقل جيد القريحة، مات رحمه الله سنة ٨٤٢هـ.. بعدن فى اليمن و من نظمه:

ما لى سوى جاه النبى محمد ... جاه به أحمى و أبلغ مقصدى
فلكم به زال العناعنى و قد ... أعدمت فى ظن العذول المعتدى
و لكم به نلت المنا من كل ما ... أبغيه من نيل العلى و السودد
يا عين كفى الدمع لا تذرينه ... من ذا الأوان واحبسي بل اجمدى
يا نفس لا تأسى أسا و تأسفا ... فلنعم وصف الصابر المتجلد
يا قلب لا تجزع و كن خير امرئ ... أضحى يرجى غارة من أحمد
فعسى توافيك الغوائر ممسيا ... و لعل تأتيك البشائر فى غد

قال السخاوى: و حكى لى عن صاحب الترجمة أنه ورد إلى القاضى وجيه الدين عبد الرحمن ابن جميع قاصد من جهة المنصور عبد الله بن الناصر أحمد بن إسماعيل بالقبض على، و يؤخذ منى ألف دينار، ثم ضيق على فى طلب المال فالتجأت إلى الله و أنا متوجه إلى القبلة و نظمت هذه الأبيات يعنى المذكورة آنفا، قال صاحب الترجمة: لما فرغت من نظمها و الورقة فى يدى ألقي علىّ نوم غالب، فرأيت النبى صلى الله عليه وآله و صاحبيه أبا بكر و عمر رضي الله عنهما و قد دخلا على، فقبلت يد النبى صلى الله عليه وآله اليمنى فرفع بيده اليمنى رأسى من تحت ذقنى و أطرقت، ثم قال و هو قائم: قد جئناك مغيرين، و الزم الصلاة على فى كل ليلة ألف مرة. فانتبهت فرحا مسرورا، فما مضى النار حتى وصل أن المنصور أمر الحكام بالثغر بإطلاق المحبوسين ظلما، و فرج الله عنى ببركة النبى صلى الله عليه وآله، و لم يلبث المنصور أن مات بعد ثلاثة أيام أو نحوها اهـ. باختصار و تصرف يسير. قوله فى الأبيات



غارة و غوائر: الغارة النصر و الغوث و الإعطاء و النفع، و الغوائر جمعها، و كذلك قوله ﷺ في المنام مغيرين أي مغيثين ناصرين هذا ما ظهر ففي (القاموس) اللهم غرنا بغيث أغثنا به وغارهم الله تعالى و يغيرهم أصابهم بخصب و مطر، و غارهم بخير أعطاهم و غار فلانا نفعه.

و منهم الشيخ محمد بن سليمان الكردي الإربلي الشافعي

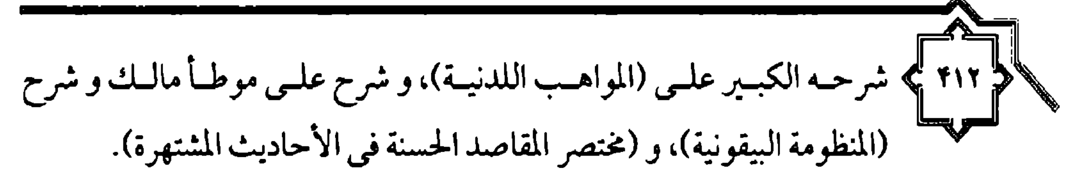
فقد قال في آخر كتابه (تنوير القلوب): نسأله تعالى الحياة على السنة السنية، و الوفاة على هذه الملة المرضية، بجاه الخلق عليه و على آله أكمل صلاة و أتم تحية.

و منهم العلامة محمد بن سليمان حسب الله الفقيه الشافعي

فقد قال في آخر كتابه (الرياض البديعة): و نسأله سبحانه و تعالى و نتوسل إليه بجاه أكرم خلقه عليه أن يعاملنا برضاه عنا في الدنيا و الآخرة اهـ..

و منهم الزرقاني

العلامة المحدث محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان المصري المتوفى ١١٢٢هـ. الأزهري المالكي، فإنه قال في آخر شرحه على (المواهب اللدنية): منّ الله سبحانه عليّ مع عجزي و ضعفي بإتمام هذا الشرح سنة ١١١٧هـ، و الله أسأل من فضله متوسلا إليه بأشرف رسله أن يجعله لوجهه خالصا اهـ. بمعناه. و قال أيضا في أول (شرح الموطأ) لإمام دار الهجرة مالك بن أنس: والله أسأل من فضله العظيم، متوسلا إليه بحبيبه الكريم، أن يجعله خالصا لوجهه. و قال أيضا في آخر هذا الشرح: أسألك من فضلك، متوسلا إليك بأشرف رسلك، أن تجعله خالصا لوجهك اهـ.. و له تآليف كثيرة منها:



شرحه الكبير على (المواهب اللدنية)، و شرح على موطأ مالك و شرح (المنظومة البيقونية)، و (مختصر المقاصد الحسنة فى الأحاديث المشتهرة).

و منهم ابن علان

فقد قال و هو المحدث الكبير محمد بن علان الصديقى الشافعى فى آخر كتابه (دليل الفالحين شرح رياض الصالحين) ما حاصله: الله إنا نسألك خفى لطفك، و دوام جودك، و امتنانك و غفرانك، بجاه نبيك سيد المرسلين، ﷺ انتهى المراد منه.

و منهم محمد بن على الشنوانى

فإنه قال فى آخر حاشيته على (مختصر ابن أبى جمرة): الله اختم لنا بخاتمة السعادة، واجعلنا من الذين لهم الحسنى و زيادة، بجاه سيدنا محمد ﷺ.

و منهم القاهرى

قال السخاوى فى (الضوء اللامع) ج٨ ص٢٦٧: إن محمد بن عمر بن محمد القاهرى الشافعى ولد سنة ٧٦٣هـ. و كان قد حفظ (التنبيه) و عرضه على البلقينى و ابن الملقن و أجازا له، و اشتغل فى الفقه على النور بن قبيلة و غيره، و سمع من الزين العراقى و من الهيثمى، و أخذ الفرائض و الحساب عن عمه الفخر عثمان، واجتمع فى اليمن بالمجد الفيروزآبادى، ولقى بمكة التاج عبد الوهاب بن العنيف اليافعى، و حمل عنه أشياء من تصانيف أبيه كـ(روض الرياحين) و غيرها، و كان محبا فى العلم، و كان ذا نظم متوسط بارعا فى الفرائض و الحساب، محبا فى لقاء الصالحين، راغبا فى التبرك بآثارهم بحيث



كانت عنده طاقية يذكر أنها لأبى بكر الشاذلى، و سجادة للشهاب أحمد الزاهد، مع كثرة العبادة و الاحتياط فى الطهارة و من نظمه:

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي   و انظر بفضلك في أمري و في أملي

إلى أن قال:

جرائمي عظمت أجرامها ولقد   أربت على الراسيات الصم في العظم

و توفى رحمه الله سنة ٨٥٥هـ..

و منهم محمد بن عمر نووى الجاوى

فقد قال فى آخر كتابه (كاشفة السجا): و الله أسأل و بنبيه أتوسل أن أحل محل القبول، إنه خير مأمول، و أكرم مسؤول. و قال أيضا فى زيادته فى آخر (سفينة النجا) ما لفظه: نسأل الله الكريم، بجاه نبيه الوسيم، أن يخرجنى من الدنيا مسلما.

و منهم عواد

الشيخ محمد عواد، فقال فى آخر كتابه (حياة الإسلام): أسألك اللهم حسن الختام بجاه سيدنا محمد خاتم الرسل الكرام.

و منهم محمد بن قاسم بن محمد بن محمد أبو عبد الله شمس الدين الغزى

فقد قال فى آخر كتابه (فتح القريب المجيب): نسأل الله الكريم المنان الموت على الإسلام و الإيمان، بجاه نبيه سيد المرسلين، و خاتم النبيين و حبيب رب العالمين، محمد بن عبد الله ﷺ. و (غزة) بفتح أوله و تشديد ثانيه و فتحه مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، و فيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول

الله ﷺ و بها قبره، و ولد فيها الإمام الشافعي. ذكر ذلك الحموى فى (معجم البلدان) و قال ابن الأثير فى (اللباب فى تهذيب الأنساب) الغزى بفتح أولها و لم يذكر حركة ثانيها.

و منهم الترمسى

العلامة محمد بن محفوظ بن عبد الله الترمسى، قال فى خطبة (منهج ذوى النظر فى شرح منظومة علم الأثر) للحافظ السيوطى: أسأل الله الكريم، بجاه النبى العظيم الرؤوف الرحيم، أن يوفقنى لإتمامه مع الصواب و أن يجعله خالصا لوجهه.

و منهم المدنى المالكى

قال الحافظ السخاوى فى (الضوء اللامع) ج٩ ص١١٥: قال محمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم المدنى المالكى: نظما و قال فيه:

بجاه النبى المصطفا أتوسل ... إلى الله فيها أبتغى و أؤمل
و أقصد باب الهاشمى محمد ... و فى كل حاجتى عليه أعول
حللت حمى من لا يضام نزيله ... فعنه مدى ما دمت لا أتحول
إذا مسنى ضيم أنوه باسمه ... فيدفع ذاك الضيم عنى و ينقل
أقول حبيبى يا محمد سيدى ... ملاذى عياذى من به أتوسل
عسى نفحة يا سيد الخلق أهتدي ... بها من ضلالى إننى متعطل

ولد هذا الشيخ بالمدينة فى سنة ٨٥٩ و حفظ بها القرآن وعدة رسائل و مات سنة ٨٨٥ اهـ. و عمره ست و عشرون سنة فقط.



و منهم أبو عبد الله المغربي

قال السخاوى فى (الضوء اللامع) ج٩ ص٢٠٣ ـ ٢٠٤: إن الشيخ محمد بن محمد بن محمد ابن إسماعيل أبا عبد الله المغربى الأندلسى القاهرى المالكى ولد بـ(غرناطة) من بلاد الأندلس فى سنة ٧٨٢ تقريبا، و نشأ بها و أخذ العلم عن مشايخ منهم أبو جعفر أحمد بن إدريس بن سعيد الأندلسى، أخذ عنه الفقه و أصوله و العربية. و أجاز له أبو الحسن على بن عبد الله الجذامى و قاسم بن سعيد العقبانى و آخرون من المغرب و المشرق، و دخل القاهرة فى سنة ٨٢٥ فحج و استوطنها، و تصدى للإقراء فانتفع به الناس طبقة بعد طبقة لا سيما فى العربية، و شرح كلا من (الألفية) و (الجرومية) و (القواعد) و غيرها مما حمله عنه الفضلاء، و أنشد قبيل موته بشهر فى حال صحته بعض أصحابه من نظمه:

أفكر فى موتى و بعد فضيحتى ... فيحزن قلبى من عظيم خطيئتى
و تبكى دما عينى و حق لها البكا ... على سوء أفعالى و قلة حيلتى
و قد ذاب أكبادى عناء و حسرة ... على بعد أوطانى و فقد أحبتى
فما لى إلا الله أرجوه دائما ... و لا سيما عند اقتراب منيتى
فنسأل ربى فى وفاتى مؤمنا ... بجاه رسول الله خير البرية

و توفى ﷺ سنة ٨٥٣ اهـ..

و منهم محمد بن محمد الملقب فى الشام بالشمس ابن الشمس الدمشقى المولود سنة ٨٣٨

قال الحافظ السخاوى فى (الضوء اللامع) ج٩ ص٢٤٥: قال محمد بن محمد بن محمد بن على مادحا الرسول عليه أفضل الصلاة و السلام:

كل قلب بك يا نشر الصبا ... عاش بعد الموت فيهم وصبا



و نسيم القرب نادى منشدا	إن تكن من حيهم يا مرحبا
إن أمت فى حبهم وجدا بهم	يرقص الكون لموتى طربا
سادة سيدهم لاغرو أن	جمع السؤدد فهو المجتبى
أشرف الخلق إلى الله به	وصل القوم و كان السببا
يا رسول الله يا من مدحه	أعجز العجم و أعيا العربا
غث خطيبا لك فى حان الوفا	بشراب الأنس ينشى الخطبا

و منهم ابن الحاج محمد بن محمد

فقد قال فى (المدخل) ج١ ص٢٦٤: اللهم لا تحرمنا شفاعته، ﷺ و لا عنايته، فى الدنيا و الآخرة بجاهه عندك، فإن جاهه عندك عظيم اهـ. و ذكرنا عبارته بكمالها فى التبرك بزيارة قبره ﷺ.

و منهم سبط الماردينى

الشيخ محمد بن محمد سبط الماردينى، قال فى آخر شرحه على (الرحبية): نسأل الله تعالى أن يختم لنا بخاتمة السعادة و أن يعفو عنا و أن يعاملنا بجميل أحسانه، و أن يدخلنا الجنة بفضله و امتنانه، من غير سابقة عذاب و لا عتاب، بجاه سيدنا محمد و الآل و الأصحاب اهـ. بلفظه.

و منهم الحافظ مرتضى الزبيدى

قال الكتانى فى (فهرس الفهارس): إن نقش خاتم الشيخ الإمام الحافظ محمد بن محمد بن محمد مرتضى الزبيدى الحفنى:

محمد مرتضى يرجو الأمان غدا	بجده و هو أوفى الخلق بالذمم



و منهم الشيخ محمد بن محمود الشهير بأبى ريمة

فقد قال فى خطبة كتابه (هداية المستفيد فى أحكام التجويد): والله الكريم أسأل، و بجاه النبى الكريم أتوسل، أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

و منهم السنوسى

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف الحسنى السنوسى فى خطبة شرحه على (أم البراهين): هذا أوان الشروع فى هذا الشرح المبارك بفضل الله الكريم الوهاب، نسأله سبحانه و تعالى أن يعيننى على الصواب، بجاه سيدنا محمد ﷺ. و قال أيضا فى آخر هذا الشرح: نتوسل إليك يا مولانا فى هذه المطالب كلها بذاتك العلية، ثم بنبيك و رسولك سيدنا و مولانا محمد ذى النفس الزكية، و الشفيع المشفع، و ذكر السنوسى التوسل بالنبى صلى الله فى موضع آخر من هذا الشرح.

حرف الهمزة

و منهم الباجورى العلامة إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجورى

قال فى آخر حاشيته على (شرح العلامة ابن القاسم الغزى) ما نصه: نسأله سبحانه حسن الختام، بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام. ثم قال مستمدا من رسول الله و من أهل بيته: مددك يا رسول الله ثلاث مرات، ثم قال: مددك يا أهل البيت رضى الله عنكم ثلاث مرات. و توسل به ﷺ فى أول حاشيته على (السلم فى فن المنطق).

و منهم أبوبكر البكرى

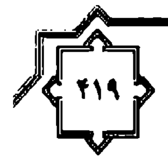
و هو العلامة الفاضل الصالح الكامل السيد أبو بكر المشهور بالسيد البكرى فقد قال فى أول كتابه (إعانة الطالبين): اللهم إنا نسألك بالطاهر النسب، الكريم الحسب، خير العجم و العرب، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، أن تمحو من صحائفنا ما زل به البنان، و أخل به البيان. و قال فى آخره: أرجو من الله الكريم المنان، بجاه سيدنا محمد سيد ولد عدنان، أن يرزقنا رضاه، و أن يصحح منا ما أفسدناه اهـ. و قال أيضا فى (كفاية الأتقياء شرح هداية الأذكياء): اللهم إنى أسألك و أتوسل إليك و أتشفع عندك بنبيك الطاهر الكريم الحسب ـ إلخ.

و منهم الحافظ الشرجى

و هو الإمام الحافظ الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الشرجى مؤلف (التجريد الصريح مختصر صحيح البخارى) فقد قال فى آخر كتابه (طبقات الخواص): أتوسل إلى الله بالسادة المذكورين فى هذا الكتاب أن ينفعنا بهم و بحبهم فى الدنيا و الآخرة، و أن يلحقنا بهم فى عافية، و أن يعيد علينا من بركات أنفاسهم الزكية بجاه سيدنا محمد و آله و صحبه اهـ. بمعناه.

و منهم الجاوری

الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الجاوى الشافعى، فإنه قال فى ختام حاشيته (النفحات على شرح الورقات) ما حاصله: قد تم تسويد هذه الحاشية المباركة فى اليوم الخامس و العشرين من سنة ١٣٠٦هـ. و أنا الفقير إلى الله المجيب، المرتجى منه العفو و الغفران بجاه رسوله الحبيب، ﷺ.



و منهم المرادى أحمد بن عبد الله المرادى الحنبلى

فإنه قال في آخر كتابه (اللآلي البهية شرح لامية ابن تيمية) ما لفظه: نسأل الله العظيم باسمه العظيم، و بجاه نبيه الكريم، أن يسلك بنا صراطه المستقيم. ثم قال: فرغت من جمع هذا الشرح و تعليقه ضحوة الثلاثاء نهار ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٢٦٣هـ. من الهجرة على مهاجرها أفضل الصلاة و السلام اهـ..

و منهم أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهورى

و هو العلامة أحمد الدمنهورى، فقد قال في آخر (شرح الجوهر المكنون): نسأله سبحانه و تعالى أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، و أن يدخلنا دار كرامته و محبينا، من غير محنة بجاه حبيبه لديه، تفضلا منه لا وجوبا عليه، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم.

و منهم الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى

و في (شواهد الحق) ص٣٥٢، و (الإغاثة بأدلة الإستغاثة) للشيخ حسن بن على السقاف ص٢١ و ٢٩ أن الحافظ ابن حجر العسقلانى قال كما في ديوانه بخط القلم:

نبى الله يا خير البرايا ... بجاهك أتقى فصل القضاء
و أرجو يا كريم العفو عما ... جنته يداى يا رب الحباء
فقل يا أحمد بن على اذهب ... إلى دار النعيم بلا شقاء
عليك سلام رب الناس يتلو ... صلاة في الصباح و في المساء

و في تعليق على كتاب (الإغاثة) المذكور ما نصه: و على أولئك الذين ينتقدون أبيات البردة للإمام البوصيرى أن ينتقدوا بعد اليوم أبيات الحافظ ابن حجر و غيره من الحفاظ الذين يقولون مثل ما يقول البوصيرى، بل أكثر من ذلك اهـ..

و منهم أحمد بن عمر بن محمد بن السيفي المعروف بالمزجد

و في (النور المسافر عن أخبار القرن العاشر) ص١٣٨ أن الإمام أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي الشهير بالمزجد مؤلف (العباب) قال في وصف كتابه هذا:

ألا إن العباب أجل سفر ... من الكتب القديمة و الجديدة
كتاب قد تعبت عليه دهرا ... و خضت لجمعه كتبا عديدة
و قربت القصي لطالبيه ... و قد كانت مسافته بعيدة
وغصت على الخبايا في الزوايا ... فها هي فيه بارزة عتيدة

إلى أن قال:

إلهي اجعله لي ذخرا وضاعف ... ثوابي من عطاياك الحميدة
وجد بقبوله واجعل جزائي ... رضاك وجنة الخلد المشيدة
بجاه محمد خير البرايا ... و تنقذهم من الكرب الشديدة
و صل مسلما أبدا عليه ... و عم جميع عترته السعيدة

قلت: قوله و تنقذهم كذا في نسختي و لعله و تنقذني.

قال في (النور السافر): توفي شيخ الإسلام العلامة ذو التصانيف المفيدة، و الفتاوى السديدة، المجمع على جلالته و تحريه و ورعه، أوحد عباد الله الصالحين، أبو السرور أحمد بن عمر المزجد سنة ٩٣٠هـ، و كان من العلماء المشهورين، و أحد المحققين المعتمدين، و لم يخلف بعده مثله، و من مصنفاته (العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي و الأصحاب) و (تحفة الطلاب) و (منظومة الإرشاد) في خمسة آلاف و ثمانمائة و أربعين بيتا، و زاد على الإرشاد كثيرا من المسائل و القيود، و فتاوى جمها ولده حسين بن أحمد، وله غير ذلك، و



تفقه به خلائق كثيرون، منهم أبو العباس الطنبداوى، و ابن زياد، و الحافظ الديبع، و محمد بن عمر بحرق، و غيرهم، له شعر حسن منه:

قلت للفقر أين أنت مقيم　　قال لى فى محابر العلماء
أن بينى و بينهم لإخاء　　و عزيز على قطع الإخاء

و قوله: المزجد بميم مضمومة ثم زاى مفتوحة ثم جيم مشددة مفتوحة و دال مهملة اهـ..

و منهم الإمام أحمد بن محمد بن حنبل

و فى كتاب (حقيقة التوسل و الوسيلة على ضوء الكتاب و السنة) ص٥١ و (الدرر السنية فى الرد على الوهابية) ص٣٠: قد ثبت أن الإمام أحمد بن حنبل توسل بالإمام الشافعى رضي الله عنه حتى تعجب ابنه عبد الله فقال له الإمام أحمد: إن الشافعى كالشمس للناس و كالعافية للبدن.

و منهم الحافظ أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلانى

قال فى (المواهب اللدنية) ج٤ ص٥٩٥: لقد كان حصل لى داء أعيا دواؤه الأطباء، و أقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن و العشرين من جمادى الأولى سنة ٨٩٣ بمكة زادها الله شرفا، و منّ على بالعودة فى عافية بلا محنة، فبينما أنا نائم جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء لداء أحمد بن القسطلانى من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوى، ثم استيقظت فلم أجد بى والله شيئا مما كنت أجده، و حصل الشفاء ببركة النبى صلى الله عليه وسلم. و وقع لى أيضا فى سنة ٨٨٥هـ. فى طريق مكة بعد رجوعى من الزيارة الشريفة لقصد مصر أن صرعت خادمتنا غزال الحبشة، و استمر بها أياما فاستشفعت به صلى الله عليه وسلم

فى ذلك، فأتانى آت فى منامى و معه الجنى الصارع لها فقال: لقد أرسله لك النبى ﷺ، فعاتبته و حلفته أن لا يعود إليها، ثم استيقظت و ليس بها قلبة كأنها نشطت من عقال، و لا زالت فى عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة سنة ٨٩٤هـ. و الحمد لله رب العالمين. و القبلة داء و تعب كما فى (القاموس).

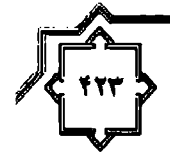
و منهم الصاوى

الشيخ أحمد بن محمد الصاوى المالكى، فقد قال فى خطبة حاشيته على (شرح الخريدة البهية فى علم التوحيد) ما حاصله: شرعت الآن فى هذه الحاشية راجيا من الله بلوغ المطالب، فى حصول المآرب، متوسلا بأستاذى إلى النبى ﷺ و بالنبى إلى الله تعالى.

حرف الحاء

و منهم شيخ الحنابلة الخلال

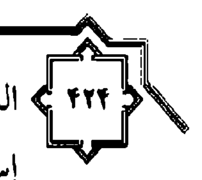
قال الحافظ الخطيب البغدادى فى كتابه (تاريخ بغداد) أخبرنا القاضى أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الاستراباذى قال: أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعى قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا على الخلال يقول: ما همنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله به تعالى ما أحب اهـ. و هذا السند يصح الاحتجاج به، فقد قال الخطيب فى (تاريخ بغداد) ج٧ ص٣٠٠: و كان أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الاستراباذى صدوقا فاضلا صالحا، و من مشايخه القطيعى، و كان يفهم الكلام على مذهب الأشعرى، و الفقه على مذهب الإمام الشافعى، مات سنة ٤١٢ ببغداد اهـ. و ذكره ابن السبكى فى (طبقاته الكبرى) ج٣ ص١٣٣ فنقل عبارة



الخطيب المذكورة، و زاد أنه سافر الكثير و لقى شيوخ الصوفية. و قال ابن كثير فى (البداية و النهاية): ج١٢ ص١١: نزل بغداد وحدث بها عن الإسماعيلى و غيره كان شافعيا كبيرا فاضلا صالحا.

و أما القطيعى فهو أحمد ن جعفر بن حمدان بن مالك أبو بكر القطيعى، كان يسكن (قطيعة الدقيق) فإليها نسب، و لد فى سنة ٢٧٤ و توفى سنة ٣٦٨.

قال الحافظ الخطيب البغداى فى تاريخه ج٤ ص٧٣ كان كثير الحديث روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل (المسند) و (الزهد) و (التاريخ) و (المناسك) و (المسائل) و غير ذلك، و كان بعض كتبه غرق و استحدث نسخها من كتاب لم يكن فيه سماع، فغمزه الناس إلا أنا لم نر أحد امتنع من الرواية عنه و لا ترك الاحتجاج به. و عن أبى الحسن بن أبى الفرات قال: كان ابن مالك القطيعى منورا مستورا صاحب سنة كثير السماع إلا أنه اختلط فى آخر عمره، و كف بعده و خرق حتى كان لا يعرف شيئا مما يقرأ عليه. و قال محمد بن أبى الفوارس: و لم يكن فى الحديث بذاك، سمعت أبا بكر البرقانى و سئل عن ابن مالك: فقال كان شيخا صالحا غرقت قطعة من كتبه فنسخها من كتاب ذكروا أنه لم يكن فيه سماعه فغمزوه لأجل ذلك و إلا فهو ثقة. و حدثنى البرقانى قال: كنت شديد التنفير عن حال ابن مالك حتى ثبت عندى أنه صدوق لا يشك فى سماعه، و إنما فيه بله، و لما اجتمعت مع الحاكم أبى عبد الله ابن البيع بنيسابور ذكرت له ابن مالك وليّنتهُ فأنكر عليّ و حسن حاله أو كما قال انتهى ما لخصته من (تاريخ بغداد). و فى(سير أعلام النبلاء) ج١٦ ص٢١٠ كان أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعى شيخا عالما محدثا مسند الوقت. و قال السلمى سألت الدارقطنى عنه فقال: ثقة زاهد قديم، سمعت أنه مجاب الدعوة. و قال الحافظ السخاوى فى (فتح المغيث) ج٣ ص٢٩٠: قال الحالكم: إنه ثقة مأمون. و قال



الذهبی: إنه صدوق فی نفسه مقبول. و ما ذكره أبو الحسن بـن الفـرات غلـو و إسراف، و قد كان أبو بكر أسند أهل زمانه.

قال السيوطی فی (تدريب الراوی) ج۲ ص۳۸۰: قال العراقی: و ما ذكـره ابن الفرات لم يثبت إسناده إلی اهـ.. و قـال الحـافظ ابـن كثـير فـی (البدايـة و النهاية) ج۱۱ ص۲۹۳: كان أحمد بن جعفر القطيعی ثقة كثير الحـديث، حـدث عنه الدارقطنی و ابن شاهين و البرقانی و أبو نعيم و الحاكم و لم يمتنع أحـد مـن الرواية عنه، و لا التفتوا إلی ما طعن عليه بعضهم و تكلم فيه بسبب غـرق كتبـه فاستحدث بعضها من نسخ أخری، و هذا ليس بشیء اهـ.. فاتضح ممـا ذكرنـاه أن هذا السند صالح للاحتجاج به. فثبت و تحقق بذلك توسل الإمام أبـی علـی الخلال، و هو المحدث الحافظ شيخ الخطيب و البيهقـی و الـشيخ أبـی إسـحاق الشيرازی و غيرهم الذی وصفه الخطيب بأنه كان أشعريا صـدوقا، و نقـل عـن أبی القاسم الأزهری أنه أوثق من برأ الله فـی الحـديث، و مـن أبـی الحـسن بـن زرقويه أنه ثقة.

و قال الخطيب أيضا فی (تاريخ بغداد): حدثنا محمد بن يحيی الكرمانی قال: كنا يوما بحضرة أبی علی بن شاذان يعنی الخلال، فدخل علينـا رجـل شـاب لا يعرفه منه أحد فسلم ثم قال: أيكم أبو علی بن شاذان؟ فأشرنا له إليه فقـال لـه: أيها الشيخ رأيت رسول الله ﷺ فی المنام فقال لی: سل عن أبی علی بن شاذان فإذا لقيته فاقرأه منی السلام ثم انصرف الشاب، فبكی أبو علی: و قال لا أعرف لی عملا أستحق به هذا، اللهم إلا أن يكون صبری علی قراءة الحـديث علـي، و تكرير الصلاة علی النبی ﷺ كلما جاء ذكره. فـإذا علمـت توسـل هـذا الإمـام الجليل علمت يقينا مشروعية التوسل، إذ لو لم يكن مشروعا بل حراما أو شركـا



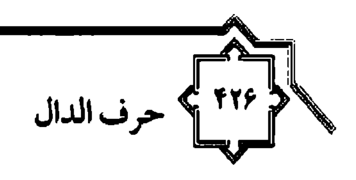
كما يدعيه المانعون لما تجاسر عليه، فإن من اجترأ على فعل الحرام فضلا عن الشرك تسقط عدالته، و قد علمت أنهم وصفوه بالعدالة و الثقة، و لما كتب الأئمة المذكورون و غيرهم عنه الحديث كما لا يخفى على من له أدنى إلمام بالصناعة الحديثية.

و منهم حمزة بن القاسم

قال الشيخ الإمام على بن عبد الكافى تقى الدين السبكى فى (شفاء السقام فى زيارة خير الأنام) ص۱۷۲ ما نصه: استسقى حمزة بن القاسم الهاشمى ببغداد فقال: اللهم أنا من ولد ذلك الرجل الذى استسقى بشيبته عمر بن الخطاب فسقوا، فما زال يتوسل بهذه الوسيلة حتى سقوا اهـ.. و نقل هذه القصة الحافظ الذهبى فى سيره ج۱۵ ص۳۷۵ عن الخطيب البغدادى، و قال: قال الخطيب البغدادى: كان ـ حمزة ـ ثقة مشهورا بالصلاح، استسقى للناس فقال: اللهم إن عمر بن الخطاب استسقى بشيبة العباس و سقى و هو أبى، و أنا أستسقى به، قال: فأخذ يحول رداءه، فجاء المطر و هو على المنبر، توفى حمزة سنة خمس و ثلاثين و ثلاثمائة اهـ.. و ذكر الخطيب ذلك فى (تاريخ بغداد) ج۸ ص۱۸۱ ـ ۱۸۲.

و منهم نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابورى

قال فى أواخر تفسير (غرائب القرآن و رغائب الفرقان): و إنى أرجو من فضل الله العظيم، و أتوسل إليه بوجهه الكريم، ثم بنبيه القرشى الأبطحى، و وليه المعظم العلى، و سائر أهله الغر الكرام، و أصحابه الزهر العظام،و بكل من له عنده مكان، ولديه قبول و شأن أن يمتعنى بتلاوة كتابه فى كل حين و أوان.



و منهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن السلطان بن عيسى

قال الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ج٢٣ ص٣٨١: إن السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبا المفاخر داود بن السلطان الملك المعظم عيسى العادل حج و تشفع بالنبي ﷺ منشدا قصيدة، و كان السلطان داود فقيها حنفيا ذكيا مناظرا أديبا شاعرا بديع النظم مشاركا في علوم و توفي سنة ٦٥٦هـ.

حرف السين

و منهم الحفاظ الثلاثة سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني و ابن المقرئ و أبو الشيخ

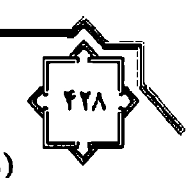
فقد صرح كثير من العلماء بأنهم استغاثوا برسول الله ﷺ حينما أصابهم الجوع في حرم المدينة، ففي (تذكرة الحفاظ) للذهبي كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا و الطبراني و أبو الشيخ بالمدينة فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت القبر و قلت: يا رسول الله الجوع، فقال لي الطبراني: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا و أبو الشيخ فحضر الباب علوي، ففتحنا له فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير و قال: شكوتموني إلى النبي ﷺ، رأيته في النوم فأمرني بحمل شيء إليكم اهـ. ص٩٧٤اهـ. و مثله في (سير أعلام النبلاء) ج١٦ ص٤٠٠. و قال الحافظ ابن الجوزي في (الوفا بأحوال المصطفى): أن الإمام الحافظ الثقة أبا بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زادان المشهور بابن المقرئ: قال كنت أنا و الطبراني و أبو الشيخ في حرم رسول الله ﷺ و كنا على حالة، فأثر فينا الجوع فواصلنا ذلك اليوم، فلما



كان وقت العشاء حضرت قبر رسول ﷺ و قلت: يا رسول الله الجوع الجوع و انصرفت، فقال لى أبو الشيخ: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت، قال أبو بكر: فنمت أنا و أبو الشيخ و الطبرانى جالس ينتظر فى شىء فحضر بالباب علوى فدق الباب فإذا معه غلامان مع كل واحد منهما زنبيل كبير فيه شىء كثير، فجلسنا و أكلنا و ظننا أن الباقى يأخذه الغلام، فولى و ترك عندنا الباقى،فلما من الطعام، قال العلوى: يا قوم أشكوتم إلى رسول الله ﷺ؟ فإنى رأيت رسول الله ﷺ فى النوم فأمرنى بحمل شىء إليكم اهـ..

و قد كان الإمام الطبرانى إماما حافظا ثقة رحالا محدث الإسلام، و هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى الشامى الطبرانى صاحب المعاجم الثلاثة (المعجم الكبير) و (المعجم الأوسط) و (المعجم الصغير) و أطال فى ترجمته الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) و قال: كان مولده سنة ٢٦٠هـ. و توفى سنة ٣٦٠هـ.. و استكمل مائة عام و عشرة أشهر، و من تصانيفه أيضا (كتاب السنة) و (كتاب الدعاء) و (كتاب التفسير) كبير جدا و (دلائل النبوة) و (كتاب النوادر) و غيرها. و حدث الطبرانى عن ألف شيخ أو يزيدون.

و أما أبو الشيخ ابن حيان فهو الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهانى، ولد سنة ٢٧٤، و توفى سنة ٣٦٩، قال فيه الذهبى: كان إماما حافظا صادقا من العلماء العاملين صاحب التصانيف، و قال: قال أبو بكر الخطيب كان أبو الشيخ حافظا ثبتا متقنا، و قال السيوطى فى (طبقات الحفاظ): كان أبو الشيخ أحد الأعلام صالحا خيرا قانتا صدوقا مأمونا ثقة متقنا، حافظ أصبهان و مسند زمانه اهـ. صنف أبو الشيخ التفسير و الكتب الكثيرة فى الأحكام و غيرها منها كتاب (العظمة) و (السنن) و (ثواب الأعمال) فى خمس مجلدات.



و أما ابن المقرئ فقد ترجم لـه ابـن الأثـير فـى (اللبـاب) و الـسيوطى فـى (طبقات الحافظ) و ابن العماد فى (شذرات الـذهب) و قـالوا كلهـم، كـان ابـن المقرئ حافظا ثقة، و قال الذهبى: قيل للصاحب بن عباد: أنت رجل معتزلـى و ابن المقرئ محدث و أنت تحبه؟ قال: لأنه كان صديق والدى، و قيل: مودة الآباء قرابة الأبناء، و لأنى كنت نائما فرأيت النبى ﷺ فى النوم يقول لى: أنـت نـائم وولى من أولياء الله على بابك، فانتبهت فدعوت البواب و قلت: مـن بالبـاب؟ قال: أبو بكر بن المقرئ اهـ..

و قال ابن الأثير: المقرئ بضم الميم و سكون القاف و فـى آخرهـا راء، هـذه النسبة إلى قراءة القرآن و إقرائه. توفى الحافظ ابن المقـرئ سـنة ٣٨١، و عمـره ٩٦ سنة

و منهم الجمل

و هو الشيخ سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمـل، فقـد قـال فـى آخـر (الفتوحات الأحمدية فى المنح المحمدية حاشية المهمزية) للبوصيرى ما حاصله: وافق الفراغ من جمع هذه الحواشى سنة ١١٨٨هـ. تجاه القطب البدوى أمدنا الله من مدده، و أعاد علينا من نفحاته و على المسلمين اهـ..

حرف العين

و منهم عبد الحميد بن محمد

و هو الشيخ عبد الحميد بن محمد على قدس بن عبد القـادر الخطيـب، فقـد قال فى خطبة شرحه (الأنوار السنية): أسأل الله تعالى بجـاه النبـى الأمـين، أن يسرنى به ـ أى بشرحه ـ دنيا والدين، و أن يمنحنا جميعا فى الدارين الـسعادة، و



قال في موضع آخر: و ليس لي فيما أرجوه من الله تعالى من الأوطار، وسيلة إلا الشفيع المختار، و قال أيضا في آخر شرحه المذكور: أبتهل إلى الله عز سلطانه و جل شأنه أن يمن علينا بحسن الختام، بجاهه عليه الصلاة و السلام.

و منهم العلامة عبد الحميد الشرواني

قال في آخر حاشيته على (التحفة): و نسأل الله حسن الختام، بجاه سيدنا محمد عليه و آله و صحبه الصلاة و السلام.

و منهم الحافظ السيوطي

فقد ذكر في (حسن المحاضرة) ج١ ص٦٠٣ أنه كان في عصره أمير يقال له ازدمر الطويل، اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم يعني الحاكم الجبار الذي ادعى الربوبية، و كان يروم أن يتولى المملكة، فلو قدر الله له بذلك فعل نحو ما فعله الحاكم، و قد أطلعني على ما في ضميره و طلب مني أن أكون معه على هذا الاعتقاد في الباطن إلى أن يؤول إلى السلطنة، فيقوم بالخلق بالسيف حتى يوافقوه على اعتقاده، فضقت بذلك ذرعا، و ما زلت أتضرع الى الله تعالى في هلاكه، و أن لا يوليه على المسلمين، و أستغيث بالنبي ﷺ و أسأل فيه أرباب الأحوال حتى قتله الله، فلله الحمد على ذلك اهـ.. و قال السيوطي أيضا في ختام كتابه (تاريخ الخلفاء): أسأل الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة بجاه محمد صلى الله عليه و على آله و صحبه أجمعين.

و منهم الحافظ ابن الجوزي

و هو الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، فقد قال في كتابه (التذكرة في الوعظ) ص١٦٢ ما لفظه: لا قوة لنا على إقامة هذا الدين المتين، فالواجب

علينا أن نستغيث بمراحم العزيز الرحيم، و نستشفع إليه بجاه نبيه الكريم، الذى أذن له فى إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

و منهم قاضى القضاة عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر

قال ابن السبكى فى (طبقات الشافعية) ج٥ ص٦٤ ـ ٦٥: إن قاضى القضاة عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر جرت له محنة حاصلها: أن وزير السلطان الملك الأشرف عزله و حبسه ظلما، ثم أخرج من الحبس و أقام بالقرافة مدة، ثم توجه إلى الحجاز و مدح سيدنا رسول الله ﷺ بقصيدة دالية منها:

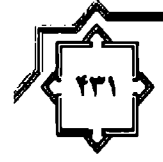
ما في قوى الأذهان حصر صفاتك الـ ـعليا و ما لك من كريم المحتد

و تفاوت المداح فيك بقدر ما بصروا به من نورك المتوقد

و سمعت من يقول: إن هذا القاضى كشف رأسه و وقف بين يدى الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة و السلام، و استغاث بالنبى ﷺ، و أقسم عليه أن لا يصل إلى موطنه إلا و قد عاد إلى منصبه، فلم يصل إلى القاهرة إلا و السطان الأشرف قد قتل و كذلك وزيره، فأعيد إلى القضاء، و وصل إليه الخبر بالعود قبل وصوله إلى القاهرة. روى عن الحافظين المنذرى و العطار و كتب عنه الحافظ الدمياطى و أبو حيان، و كان فقيها نحويا أديبا دينا من أحسن القضاة سيرة جمع بين القضاء و الوزارة، و ولى خطابة جامع الأزهر، و تدريس المشهد الحسينى و غيره، و توفى بالقاهرة سنة ٦٩٥هـ. انتهى باختصار.

و منهم الحافظ الديبعى وجيه الدين أبو محمد عبد الرحمن بن على الزبيدى الشافعى

فقد قال فى آخر مولده: اللهم بحرمة هذا النبى الكريم، و آله و أصحابه السالكين علىنهجه القويم، اجعلنا من خيار أمته، و استرنا بذيل حرمته، و فى مكان آخر قال: و اغفر اللهم بجاهه ﷺ لنا و لوالدينا.



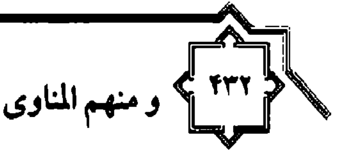
و قال ابـن العـماد الحنبلـى فـى (شـذرات الـذهب) ج٨ ص٢٥٥ ـ ٢٥٦ و الشوكانى فى (البدر الطالع) ج١ ص٣٣٥ ـ ٣٣٦: هـو الإمـام الحـافظ الحجـة المتقن شيخ الإسلام علامة الأنام الجهبذ الإمام مسند الـدنيا أمـير المـؤمنين فـى حديث سيد المرسلين، خاتمة المحققين، ملحـق الأواخـر بالأوائـل، و كـان ثقـة صالحا حافظا للأخبار و الآثار متواضعا، تقـصده الطلبـة مـن نـواحى الأرض، أخذ عمن لا يحصى، و أخذ عنه الأكابر كالعلامـة ابـن زيـاد، و الـسيد الحـافظ الطاهر بن الحـسين، الأهـدل و الـشيخ أحمـد بـن المزجـاجى و غـيرهم. و مـن مصنفاته (تيسير الوصول إلى جـامع الأصـول) و (مـصباح المـشكاة) و (بغيـة المستفيد) و (المولد الشريف النبوى) و غير ذلك ولد فى سنة ٨٦٦هــ. و مـات ٩٤٤هــ..

و منهم البحرانى الشافعى العلامة عبد الغنى بن أحمد البحرانى

قال فى آخر كتابه (قرة العـين فـى ضـبط أسـماء رجـال الـصحيحين): والله المسؤول أن يشملنا جميعا بالعفو و حـسن الختـام، و يجعلنـا جميعـا بجـوار سـيد الأنام، بحق سيدنا محمد و آله هداة دار الـسلام، و لا حـول و لا قـوة إلا بـالله. انتهى تحريره ليلة الاثنين فى شهر شوال سنة ١١٧٤هـ.

و منهم الحافظ عبد الغنى المقدسى

و فى (محق التقول) للمحدث محمد زاهد الكوثرى: أن الحـافظ عبـد الغنـى المقدسى الحنبلى تمسح بقبر أحمد للاستشفاء لدمل أعيا الأطباء كما ذكره الحـافظ الضياء المقدسى الحنبلى فى كتاب (الحكايات المنثورة).



و منهم المناوى

قال الشيخ عبد الرؤف المناوى فى آخر شرحه على (الجامع الصغير): أسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، و يعم النفع ببركة النبى العظيم.

و منهم الإمام عبد الله بن أسعد اليافعى

لقد توسل الشيخ اليافعى كثيرا برسول الله ﷺ و بالصالحين من أمته.

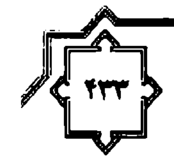
فمما قال فى قصيدته العينيه الطويلة التى ختم بها كتابه (روض الرياحين فى حكايات الصالحين) بعد كلام يتعلق بزيارته ﷺ و هو يخاطب نفسه:

فبالله قبّل لى ثرى أرض ربعه وسلم وقل بعد البكا والتضرع

عبيدك ذاك اليافعى مؤمل نداك الذى قد عم للخلق أجمع

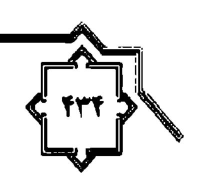
و قال فى آخر كتابه (مرآة الجنان): نسأل الله الكريم بالآيات و الذكر الحكيم، و برسوله عليه أفضل الصلاة و السلام، و أن يجمع بيننا و بين أحبابنا فى جنات النعيم اهـ..

و للشيخ اليافعى قصيدة طويلة تبلغ ٧٧ بيتا تسمى الغوثية، مطبوعة فى آخر كتابه (مرآة الجنان) أطال فيها التوسل و الاستغاثة برسول الله ﷺ و بعترته و أزواجه، و بكثير من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، و ببعض رؤساء الملائكة عليهم السلام، و بالعشرة المبشرين لهم بالجنة، بأئمة المذاهب الأربعة، و بالقراء السبعة، و بكثير من الأولياء العارفين و أكابر الصالحين، و بالعرش و الكرسى و اللوح و القلم، و بالكعبة المشرفة و مكة المكرمة و مسجد رسول الله ﷺ، و بحجر إسماعيل و الحجر الأسود و عرفة و غيرها من مواضع النسك، و بالصلوات و شهر الصيام و ليلة القدر و العيدين و الأشهر الحرم و غير ذلك من مواضع الخيرات و أوقاتها، و من أبيات تلك القصيدة و هى من بحر



البسيط:

يــا ســيد العــرب العربــاء قاطبــة و خيرة الخلق من عرب و من عجم
إنـــى بجاهـــك أدعـــو الله متثقـــا أن الإجابـة تـأتى قبـل نطـق فمـى
بــصاحبيك أبــى بكــر و صــاحبه أبــر بــر و أقــوى بطــش منــتقم
بحــق صــهريك عــثمان و حيــدرة الحــائزين لفــضل منــك مكتــتم
بحق سبطيك من قـد شـاع فـضلها فى الناس أشهر من نـار علـى علـم
بطلحـــة بـــزبير بـــابن عـــوفهم و بـالأمين ابــن جـراح و سـعدهم
بـــإبن زيـــد بعبـــاس بحمـــزتهم بالـــصالحين بنـــى الزهـــرا بـــأمهم
بجعفـــر ببنيـــه بـــل بيـــاقرهم بـــابن الحــسين علــى بــل بزيــدهم
بالكاظمى بالرضا بالفـاطمى فلهـم حب جرى حيث يجري في العروق دمى
أستـــشفع الله بالهـــادى و عترتـــه و الأنبيــاء فيــا طــوبى لــذكرهم
بـــآدم ثــم شــيث ثــم نــوحهم بالأنبيـــاء جميعـــاً ثـــم صـــحبهم
بحـق عيـسى بيحيـى بـل بـوارثهم أعنـى سـليمان رب الملـك و الكـرم
بفتية الكهف بالكهف الـذى نزلـوا بـــدانيال و لقـــمان بخـــضرهم
بمـــريم ابنـــت عمـــران بآســـية بفــاطم بخــديج أفــضل الحــرم
بعــائش ثــم أزواج النبــى و مــن بايعنــه ببنــات المــصطفى الحــرم
و اذكـر نفيـسة و استـشفع برابعـة و كـل صـالحة مـن سـائر الأمـم
ببيت لحـم ببيـت القـدس بـل بقبـا بمـــسجد لرســـول الله محـــترم
ببكـــة بـــل ببطحاهـــا بغـــار حـــرا بـــالطور بـــالتين بـــالزيتون بالقـــسم
بـالحِجْر بـالحجر الأسـود ثـم بمـن يلـوذ مـن طـائف مـنهم و مـستلم
بموقف الناس يـوم الحـج بـل بهـم بمـروة بالـصفا بالبيـت و الحـرم
بليلة القدر مع شـهر الـصيام و بالــ ـعيدين مـع جُمـع و الأشـهر الحرم



بحق عرش و أملاك ثمانية ... بالروح باللوح بالكرسي بالقلم
بحق فرقان ألذكر الحكيم و بالـ ... ـسبع المثاني و ما فيها من الحكم
بنافع بأبي عمر بحمزتهم ... بعاصم ثم عبد الله بعدهم

يعني عبد الله بن كثير مقرئ مكة و أحد القراء السبعة.

بحق فضل الكسائي بابن عامرهم ... و من روى لهم و المقتدي بهم
بالشافعي بنعمان و مالكهم ... بأحمد بل بأهل الرأي كلهم
بالتابعين فلا تهمل أو يسافها ... للنائبات كمولانا أويسهم
بحق قطب و أبدال هم أملى ... وهم لدى الخطب بعد الله معتصمي
بالبيهقي بأصحاب الحديث معا ... بمن به منهم الدين الحنيف حمى
بحق شيخي و أشياخ له فهم ... غوثي وعوني ومقصودي ومعتصمي
بذي (سفال) حماها الله من بلد ... و بل منها الحيا و القاع و الأكم
و في (ظفار) رجال يستغاث بهم ... و يستعان بهم بالدفع في النقم

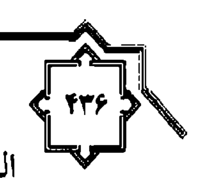
قال ياقوت الحموي في (معجم البلدان): (سفال) بفتح أوله و يكسر، بلدة من قرى اليمن، و (ظفار) بفتح أوله و البناء على الكسر مثل قطام و حذار مدينة باليمن اهـ..

ثم قال في أواخرها:

حوائجي إقضها واقض الديون ولا ... ألجأ بجاهك من خصمي إلى لزم
و أسبل الستر يا ربي على إذا ... ما جئت يا رب كن حصني من الألم
واغفر لأهلي وأولادي وما ولدوا ... والآل مني وأصحابي وذي الرحم
و وسع الفضل للجيران إن لهم ... حقا على و أنت الواسع الكرم
جيران بيتي و جيراني بمقتى ... يا من يقابل ذا الأرحام بالنعم



و قال ابن السبكى فى (الطبقات الكبرى): اليافعى هو الرجل الصالح صاحب المصنفات الكثيرة و النظم الكثير، اجتمعت به فى منى سنة ٧٤٧ و توفى بمكة سنة ٧٦٧ فى جمادى الأولى منها اهـ.. و قال ابن شهبة فى (طبقات الشافعية) ج٢ ص٢٤٦: عبد الله بن أسعد بن على ابن سليمان بن فلاح الشيخ الإمام القدوة العارف الفقيه العالم شيخ الحجاز عفيف الدين أبو محمد اليافعى، كان من صغره ملازما لبيته، تاركا لما يشتغل به الأطفال من اللعب، فلما رأى والده آثار الفلاح عليه بعث به إلى (عدن) فاشتغل بالعلم و لزمه، و حفظ (الحاوى الصغير) و (الجمل) للزجاجى، و سمع الحديث، و قال فيه الأسنوى فى طبقاته: كان إماما يسترشد بعلومه و يقتدى، و علما يستضاء بأنواره و يهتدى، صنف تصانيف كثيرة إلا أن غالبها صغير الحجم، و كثير من تصانيفه نظم، فإنه كان يقول الشعر الحسن الكثير بغير كلفة، و من تصانيفه قصيدة مشتملة على قريب من عشرين علما، و قال ابن رافع: اشتهر ذكره و بعد صيته فى التصوف و أصول الدين، و كان يتعصب للأشعرى، و له كلام فى ذم ابن تيمية، و لذلك غمزه بعض من تعصب لابن تيمية من الحنابلة و غيرهم. توفى سنة ٧٦٨اهـ.، و ترجم له شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى فى (الدرر الكامنة) ج٢ ص٢٤٨ فمما قال فيه: ولد اليافعى قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث، و نشأ على خير و صلاح، و لم يكن فى صباه يشتغل بغير القرآن و العلم، و جاور مكة من سنة ٧١٨ و لازم مشايخ العلم، و سمع الحديث من الرضى الطبرى ثم فارق ذلك، و تجرد عشر سنين يتردد فيها بين الحرمين، و رحل إلى القدس و دخل دمشق ثم دخل مصر و زار الشافعى، أثنى عليه الأسنوى فى طبقاته. و كان اليافعى كثير الإيثار للفقراء، كثير التواضع مترفعا عن الأغنياء، معرضا عما بأيدهم نحيفا ربعة كثير الإحسان للطلبة، و كان منقطع القرين فى الزهد انتهى باختصار.



و قال الحافظ العسقلاني في (الإصابة) ج٢ ص٣٣٥: و ذكر لي الحافظ أبو الفضل العراقي ابن الحسين شيخنا أن الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي كان يعتقد أن الخضر حي، قال: فذكرت له ما نقل عن البخاري و الحربي و غيرهما من إنكار ذلك فغضب و قال: من قال: إنه مات غضبت عليه، قال: فقلنا: رجعنا عن اعتقاد موته اهـ.. و ذكر ترجمته الشرجي في (طبقات الخواص) ص١٧٢ فمما قال فيه: شهرته تغني عن إقامة البرهان، كالشمس لا يحتاج واصفها إلى بيان، شيخ الطريقين و إمام الفريقين، و أطال في ذكر أحواله و محاسنه. و ذكر ابن العماد في (شذرات الذهب) أنه صنف كتبا منها (مرهم العلل المعضلة في أصول الدين) و (الإرشاد) و (التطريز) في التصوف، و كتاب (نشر المحاسن)، و كتاب (نشر الروض العطر في حياة سيدنا أبي العباس الخضر)، و غير ذلك اهـ..

ملاحظة:

لقد علمت مما ذكرناه أن اليافعي من أساطين العلم و أئمة المسلمين، و أن كثيرا من حفاظ الحديث و الفقهاء أثنوا عليه، و اتفقوا على تزكيته و تعديله، و شهدوا على تقدمه في العلم و العمل الصالح، بل قال بعض علماء الشافعية فيه: الحمد لله الذي ابتدأ مذهبنا بالشافعي و اختتمها باليافعي، و علمت أيضا هيبة الحافظ العراقي منه حتى رجع حالا من اعتقاده، و وافقه في حياة الخضر عليه السلام. و هذا كله بينة شاهدة على جلالته و إمامته، و قد علمت إطالته و مبالغته في التوسل و الاستغاثة بالأنبياء و الصالحين، بل و بالأماكن المقدسة و الأزمان المشرفة، أفيليق بعد اتفاق هؤلاء على تزكيته و تعديله أن يعتقد مسلم فيه وفي أمثاله من المستغيثين المتوسلين اعتقادا سيئا، فيظن أنهم من الجاهلين عن أصول الدين و فروعه، أو أنهم يرتكبون عمدا على ما يستحقون به مقت ربهم حاشاهم عن ذلك.



فليجتهد العاقل المسلم أن يعرف حقيقة هذه المسئلة و لا يلتبس عليه الحق بالباطل.

و ينبغي لمن يوقن بوقوفه أمام ربه أن لايتساهل ذلك، فقد زلت فيه أقدام كثير من الناس، و تأثرت قلوبهم بما ألقى فيها الوسواس الخناس، فسموا من عند أنفسهم المتوسلين بأحباب الله أسماء اخترعوها، و ألقابا ابتكروها، مثل، الخرافى، و القبورى، و غير ذلك.

و منهم عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبى جمرة

و هو الشيخ العارف بالله أبو محمد عبد الله بن أبى جمرة الأندلسى، فقد قال فى آخر كتابه (بهجة النفوس) شرح مختصره المسلمى (جمع النهاية فى بدء الخير و الغاية) ما لفظه: أتوسل إليك بجاه من على رسلك اصطفيته، و المقام المحمود وعدته، أن تنعم علينا بما فيه رغبتنا إلخ و توفى ؒ سنة ٦٩٩ اهـ..

و منهم الشاذلى الأزهرى

و هو الشيخ عبد الله بن الحسينى المالكى الشاذلى الأزهرى من علماء القرن الرابع عشر، قال فى آخر كتابه (لقط الدرر شرح نخبة الفكر): أسال الله العظيم، متوسلا إليه بوجاهة وجه نبيه الفخيم، أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

و منهم أبو الحسن عبد الله بن محمد الفقيه

و فى (طبقات الشافعية الكبرى) لا بن السبكى: قال الحاكم: سمعت أبا الحسن عبد الله بن محمد الفقيه يقول: ما وقعت على ورطة قط ولا وقع لى أمر مهم فقصدت قبر أبى الوليد و توسلت به إلى الله تعالى إلا استحاب الله لى. و

أبو الوليد هو الامام الجليل أحد أئمة الدنيا، حسان بن محمد بن أحمد بن هارون القرشي الشافعي توفى سنة ٣٤٩ بنيسابور اهـ. وقال الذهبى فى (تذكرة الحفاظ): توفى أبو الوليد سنة ٣٤٤هـ. عن ٧٢ سنة. ولم أقف على تاريخ وفاة أبى الحسن عبد الله بن محمد الفقيه.

و منهم العلامة تاج الدين السبكى

و هو الإمام العلامة تاج الدين أبن و نصر عبدالوهاب بن الإمام تقى الدين على بن عبدالكافى السبكى. ففى (طبقات الشافعية الكبرى) ج٢ص٢٦٤ـ ٢٦٥ أنه قال فى قصيدة نونية جمع فيها المسائل الاعتقادية التى اختلف فيها الأشاعرة و أبو حنيفة ﷺ أجمعين:

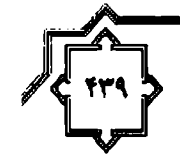
و نبينا خير الخلائق أحمد ... ذو الجاه عند الله ذى السلطان
وله الشفاعة والوسيلة و الفضيـ ... ـلة واللواء و كوثر الظمآن
فاسئل إلهك بالنبى محمد ... متوسلا تظفر بكل أمان
لا خلق أفضل منه لا بشر ولا ... ملك و لا كون من الاكوان
ما العرش ما الكرسي ما هذي السماء ... عند النبى المصطفى العدنان

ثم قال فى أواخرها:

فأجارنا الرحمن بالهادى النبـ ... ـى محمد من ناره بأمان

و هذه القصيدة طويلة مفيدة جدا. قال مؤلفها ابن السبكى: قد ولع كثير من الناس بحفظها.

و قال العلامة مرتضى الزبيدى فى (إتحاف السادة المتقين) ج٢ ص١٠: هذه القصيدة على وزان قصيدة لابن زفيل و هى ستة آلاف بيت ردّ فيها على الأشعرى و غيره من أئمه السنة و جعلهم جهمية تارة و كفارا أخرى، و قد ردّ



عليها شيخ الاسلام التقى السبكى فى كتاب سماه (السيف الصقيل). و ما أظن ولده التاج أراد فى قوله:

كذب ابن فاعلة يقول بجله — الله جسم ليس كالجسمان

إلا هذا الرجل و إن لم يصرح به.

قلت: و الاحتياج إلى حفظها أشد فى عصرنا مما كان فى عصره، فإننا فى زمان انتشر فيه الجهل و العناد و الافتراء على الأئمة، خصوصا على رئيسهم و حامل رايتهم فى العقيدة أبى الحسن على ابن إسماعيل الأشعرى، و اغتر كثير من الشبان بما فى قصيدة ابن زفيل و ما يماثلها فأحببت أن أنبه على أن الأشاعرة و الماتريدية هما أهل السنة و الجماعة، و أن الخلاف بينهما قليل.

مهمة:

قد بين ابن السبكى رحمه الله أنه لا خلاف بين الأشاعرة و بين الماتريدية أصحاب أبى حنيفة إلا ثلاثة عشر مسألة ست منها خلافها معنوى، و الباقى لفظى، و هذه المخالفة لا تقتضى تكفيرا و لا تبديعا بينهما، فمما قال فيها:

يا صاح إن عقيدة النعمان — و الأشعرى حقيقة الإتقان
فكلاهما والله صاحب سنة — بهدى نبى الله مقتديان
لا ذا يبدع ذا ولا هذا و إن — تحسب سواه وهمت في الحسبان
من قال إن أبا حنيفة مبدع — رأيا فذلك قائل الهذيان
أو ظن أن الأشعرى مبدع — فلقد أساء و باء بالخسران
والخلف بينهما قليل أمره — سهل بلا بدع ولا كفران

اهـ.

و من أشهر كتب الحنفية التى ألفت فى العقيدة كتاب الإمام أبى جعفر الطحاوى الحنفى المتوفى سنة ٣٢١هـ. المعروف بالعقيدة الطحاوية. و كل ما فيه

من المسائل الاعتقادية موافق لمعتقد الإمام أبي الحسن إلا ثلاثة مسائل فقط كما حققه التاج السبكي، و عبارته: سمعت الشيخ الإمام الوالد ﵀ يقول: ما تضمنته العقيدة الطحاوية هو ما يعتقده الأشعرى لا يخالفه إلا فى ثلاث مسائل اهـ. و أذكر المسائل الثلاث عشرة مسردة، وهى: تعذيب المطيع و إثابة العاصى، و معرفته تعالى، و صفات الأفعال، و المكتوب فى المصحف الشريف، و تكليف ما لا يستطاع، ووقوع الصغائر من الأنبياء عليهم الصلاة و السالم، و كسب العبد و اختياره، و السعيد و الشقى، و نعمة الكافر، و قول الشيخ: أنا مؤمن إن شاء الله، و انقطاع الرسالة بالموت، و اتحاد الارادة و الرضا، و إيمان المقلد، و هذه المسائل الثلاث عشرة منقسمة إلى معنوية ولفظية، فالمعنوية ستة واللفظية سبعة. والستة المعنوية منقسمة إلى ما ليس فيه خلاف بين كل فرقة من الفرقتين و إلى ما فيه خلاف بين كل منهما، فالقسم الأول ثلاثة، الأول أن تعذيب المطيع و إثابة العاصى جائز فى حقه تعالى كما قالته الأشاعرة و خالفتهم الحنفية فقالوا: بعدم جواز ذلك في حقه تعالى و قالوا: يجب تعذيب العاصى و إثابة المطيع و يمتنع العكس، الثانى قالت الأشاعرة: إن وجوب معرفته تعالى تثبت بالشرع لا بالعقل، وقالت الحنفية: بوجوب معرفة الله بالعقل قال ابن السبكى:

و وجوب معرفة الإله الأشعرى يقول ذاك بشرعة الدّيان
و العقل ليس بحاكم لكن له الـ ـإدارك لا حكم على الحيوان
وقضوا بأن العقل يوجبها و فى كتب الفروع لصحبنا وجهان

الثالث قالت الأشاعرة: إن صفات الأفعال حادثة و عند الحنفية قديمة، قال فى بدء الآمال:

صفات الذات و الأفعال طرا قديمات مصونات الزوال

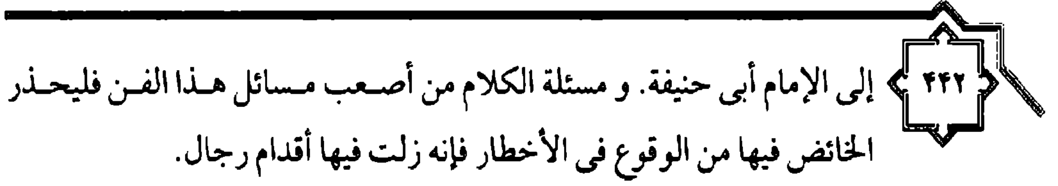


و القسم الثانى ثلاثة أيضا، الأولى منها: منعت الحنفية تكليف ما لا يطاق، و وافقهم فى ذلك من الأشاعرة الشيخ أبو حامد الإسفراينى شيخ العراقيين، و حجة الإسلام الغزالى، و شيخ الإسلام المجتهد محمد بن على بن دقيق العيد، و أما غيرهم من الأشاعرة فيقول بجواز تكليف ما لا يستطاع.

الثانية: اختلفوا فى وقوع الصغائر من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فمنعت ذلك الحنفية و عند الأشاعرة قولان، فالإمام الأشعرى و كثير من أتباعه قالوا: بجواز وقوع الصغائر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكن خالفهم الأستاذ، و القاضى عياض، و التقى السبكى، وابنه التاج عبدالوهاب، فوافقوا الحنفية، و رجع ذلك ابن السبكى فيطبقاته فقال:

قالوا و تمتنع الصغائر من نبـ ـــى للإلـه وعندنا قـولان
و المنع مروى عن الأستاذ والـ ـقاضي عياض وهو ذو رجحان
و به أقول و كان مذهب والدى رفعا لرتبتهم عن النقصان
و الأشعرى إمامنا لكننا فى ذا نخالفه بكل لسان
و نقول نحن على طريقته ولـ ـكن صحبه فى ذاك طائفتان
بل قال بعض الأشعرية إنهم برآء معصومون من نسيان
والكل معدودون من أتباعه لايخرجون بذا عن الإذعان
و أبوحنيفة هكذا مع شيخنا لا شىء بينهما من النكران
متناصران و ذا اختلاف هين عار عن التبديع و الخذلان

الثالث: قالت الحنفية: إن المكتوب فى المصاحف عين كلام الله، وخالفتهم فى ذلك الأشاعرة فقالوا: إن المكتوب فى المصاحف كلام الله تعالى و الفريقان متفقان فى أن كلام الله قديم خلافا للمعتزلة لكن بعض الحنفية أنكر ما نسب



إلى الإمام أبى حنيفة. و مسئلة الكلام من أصعب مسائل هذا الفن فليحذر الخائض فيها من الوقوع فى الأخطار فإنه زلت فيها أقدام رجال.

و هذه هى المسائل الستة التى اختلفت فيها الأشاعرة و الماتريدية اختلافا حقيقيا معنويا، وقد علمت أن بعض الحنفية أنكروا نسبة المسئلة السادسة إلى إمامهم أبى حنيفة، فيكون ما اختلفوا فيه على هذا خمسة مسائل فقط، وقد علمت أيضا أن بعض الأشاعرة موافق للحنفية فى مسئلتى تكليف ما لا يستطاع، ووقوع الصغائر من الأنبياء، فالباقى بعد إسقاط هذين أيضا ثلاثة مسائل فقط.

فبهذا يتضح لك أيضا أن الخلاف المعنوى بين هذين الطائفتين الذين هما أهل السنة و الجماعة قليل و أما المسائل السبعة التي خلافها لفظى فهى:

١ـ كسب العبد و اختياره فقد اتفقت الأشاعرة على أن للعبد كسبا فى أعماله الاختيارية، و اتفقت الحنفية على أن له اختيارا فيها و الخلاف بينهما لفظى.

٢ـ الأشعرى يقول: السعيد من كتب فى بطن أمه سعيدا، و الشقى من كتبفى بطن أمه شقيا لا يتبدلان، و أبو حنيفة يقول: قد يكون سعيدا ثم ينقلب و العياذ بالله شقيا و بالعكس، و الخلاف بينهما لفظى لا يترتب عليه فائدة، فهاتان المسألتان اتفقت فيها أصحاب كل فرقة منهما فيما بينها.

٣ـ يقول الأشعرى: ليس على الكافر نعمة، و كل ما يتقلب فيه استدراج و أبو حنيفة يقول: عليه نعمة، ووافقه من الأشاعرة القاضى أبو بكر الباقلانى فهو مع الحنفية فى هذهو.

٤ـ قول الشخص: أنا مؤمن إن شاء الله منعه أبو حنيفة و أجازته الأشاعرة، ووافقهم الماتريدى، فهو مع الأشاعرة فى هذه المسئلة، و الخلاف فى هاتين المسئلتين لفظى أيضا لكن اختلفت فيهما كل فرقة فيما بينها.



٥ـ انقطاع الرسالة بالموت، فقد قيل: إن الأشعرى يقول بانقطاع الرسالة بالموت و خالفه أبو حنيفة فى ذلك، لكن نسبة ذلك إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى كذب و افتراء عليه و كتبه و كتب أصحابه قد طبقت الارض و ليس فيها شيء من ذلك بل فيها خلافه، و من عقائد الاشاعرة أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام أحياء فى قبورهم، و قد أنكر نسبة هذه المسئلة إلى أبى الحسن الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى كتابه (شكاية أهل السنة)، و بين أنها مختلقة عليه، و كذلك بين ذلك غيره و اشتد نكير الأشاعرة على من نسب هذا القول إلى الشيخ، و قالوا: قد افترى عليه و بهته.

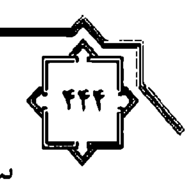
٦ـ و الإرادة و الرضا مفترقان عند الأشاعرة، فقد يريد تعالى ما لا يرضى به كالكفر و العياذ بالله منه، فإنه بإرادته تعالى و هو لا يرضى لعبادته الكفر، قال اللقانى من الأشاعرة فى (جوهرة التوحيد):

فقدرة إرادة و غايرت   أمرا و علما و الرضا كما ثبت

و نسبوا إلى الإمام أبى حنيفة أن الإدارة و الرضا متحدان لكن لم يثبت هذا عنه بل هو افتراء عليه.

٧ـ إيمان المقلد، قال أبوحنيفة: يصح، و نسبوا إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى أن إيمان المقلد لا يصح و هو افتراء عليه، و ممن صرح ذلك الأستاذ أبو القاسم القشرى فى كتابه (شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة)، فقد قال فيه: و أما ما قالوه من أن الأشعرى يقول بتكفير العوام فهو كذب وزور، وقصد من يتعنت بذلك تحريش الجهلة و الذين لا تحصيل لهم عليه.

فقد علمت أن المسائل الثلاث لم تثبت عن الإمامين و أن نسبة ذلك إليهما بهتان و افتراء عليهما، فيسقط من المسائل السبعة هذه الثلاثة و يكون الباقى من المسائل اللفظية أربعة فقط، و معلوم أن الخلاف اللفظى لا معنى له، فلا يعد خلافا فى الحقيقة فتسقط على هذا الأربعة الباقية من السبعة أيضا.



فالحاصل مما ذكرناه أن ما اتفقت فيه كل فرقة من الأشاعرة و الماتريدية فيما بينها و خالفت فيه الفرقة الأخرى خلافا حقيقيا معنويا ثلاث مسائل فقط، و هذا خلاف يسير لا يقتضي التبديع و التكفير، كما أن الخلاف بين الأشاعرة فى بعض المسائل لا يقتضى التقاطع و التناكر، و لا شك أن بينهم خلافا فى كثير من المسائل، وقد سبق لنا بعضه قال ابن السبكى فى طبقاته:

الأشعرية بينهم خلف إذا ... عدت مسائله على الإنسان
بلغت مثين و كلهم ذو سنة ... أخذت عن المبعوث من عدنان
و غدا ينادى كلنا من جملة الا ... تباع للأسلاف بالإحسان
و الأشعرى أمامنا و السنة الـ ... ـغراء سنتنا مدى الأزمان
وكذاك أهل الرأي مع أهل الحديـ ... ـث فى الاعتقاد الحق متفقان
ما إن يكفر بعضهم بعضا ولا ... أزرى عليه و سامه بهوان
إلا الذين تمعزلوا منهم فهم ... فيه تنحت عنهم الفئتان

و قوله تمعزلوا أى صاروا معتزلة ثم قال:

هذا الصواب فلا تظن غيره ... واعقد عليه بخنصر و بنان
هذا صراط الله فاتبعه تجد ... في القلب برد حلاوة الإيمان
و تراه يوم الحشر أبيض واضحا ... يهدى إليك رسائل الغفران
و عليه كان السابقون عليهم ... حلل الثناء و ملبس الرضوان
و الشافعى و مالك و أبوحنـ ... ـفة و ابن حنبل الكبير الشأن
درجوا عليه و خلفونا إثرهم ... إن نتبعهم نجتمع بجنان
أو نبتدع فلسوف نصلي النار مذ ... مومين مأخوذين بالعصيان
و الكفر منفى فلست مكفرا ... ذا بدعة شنعاء فالنيران



هذا ما لخصناه مما ذكره التاج السبكى فى طبقاته الكبرى مع زيادات قليلة.

و ذكر الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى فى كتاب (التعرف فى الأصلين و التصوف) أن المسائل التى اختلفت فيها الأشاعرة و الماتريدية نحوعشرين مسألة. وقال مرتضى الزبيدى فى شرح الأحياء ج٢ ص١٢: ما ذكره التاج السبكى من أن الاختلاف بين الفريقين ثلاثة عشر مسألة باعتبار الإجمال، و أما بالتفصيل فهى تبلغ إلى خمسين مسألة كما ذكره العلامة ابن البياضى فى كتابه (إشارات المنام)، ثم ذكرها الزبيدى تفصيلا اهـ.

و الحامل على إطالة الكلام هنا فى الخلاف بين طائفتى أهل السنة و الجماعة مع كونه خارجا عن موضوع الكتاب مسيس الحاجة إلى تبين ذلك فى عصرنا هذا، لظن بعض أهل الاهواء أن بينهما خلافا كبيرا، و عدوانا عظيما، بحيث يبدع بعضهم بعضا أو يكفره، و لقد كثر فى عصرنا تزيين الباطل و تزييف الحق و تشويهه، و كثرت فيه الدعاوى و الأمانى و التخيلات الوهمية، فترى من يتكلم بما سولت له نفسه و إن خالف فيه الأئمة الأربعة بل و الإجماع، و ترى أحدهم لا يستحيى أن يطعن أئمة الإسلام و حراس العقيدة. و لقد رأيت فى المسجد النبوى الشريف من يدرس فى حلقة كبيرة، و يلقى إلى طلبته ما لا أستجيز بكتابه من طعن إمام فن التوحيد أبى الحسن الاشعرى ﵁، ولو علم المتفوهون بتمزيق أعراض الأشاعرة ما كتبه العلماء من تراجمهم و أحوالهم من جميع الأمصار و البلاد من المشرق إلى المغرب من زمان أبى الحسن إلى هذا القرن الخامس عشر الهجرى لما تجاسروا على ما يرمون به عليه من الافتراء و البهتان.

و قد قال التاج السبكى فى طبقاته: أنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا أستثنى أحدا، و الشافعية غالبهم أشاعرة ما أستثنى إلا من لحق منهم بتجسيم أو

اعتزال ممن لا يعبأ الله به، و الحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الأشعرى إلا من لحق بأهل التجسيم، و هم فى هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم. و الحنفية أكثرهم أشاعرة أعنى يعتقدون عقد الأشعرية لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة. و من كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة الثقة الثبت: هل من الفقهاء الحنفية و المالكية و الشافعية إلا موافق للأشعرى و منتسب إليه و راض بحميد سعيه فى دين الله مثن بكثرة العلم عليه غير شرذمة قليلة، تضمر التشبيه و تعادى كل موحد يعتقد التنزيه. وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبدالسلام أن عقيدة أبى الحسن الأشعرى اجتمع عليها الشافعية و المالكية و الحنفية و فضلاء الحنابلة، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية فى زمانه أبو عمرو بن الحاجب و شيخ الحنفية جمال الدين الحصيرى. انتهى مانقلته من (طبقات الشافعية الكبرى) ملخصا. و فى عصرنا شرذمة فى بعض البلاد الإسلامية دأبهم التنقيص والإزدراء و العدوان لأبى الحسن، و بلغ بهم الحسد و البغض للإمام أن أحرقوا كتاب (فتح البارى شرح صحيح البخارى) كما أخبرنى بذلك من أثق به، و ما نقموا عليه إلا مؤلفه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى كان أشعريا، و محوا من بعض الكتب ما يخالف أهواءهم، حتى إنهم حذفوا التوسل فى الطبعات الأخيرة من كتاب (هداية المستفيد فى علم التجويد) و حرفوا و غيروا و بدلوا من كتاب الأذكار للنووى أحرفا. و قد كانت هذه الخيانة العظمى فى أسلافهم أيضا، و هى بلية كبيرة، فإنها تؤدى إلى الشك و عدم الثقة بكتب الأئمة المؤلفة فى العلوم الشرعية، فيترتب من ذلك إبطال الشريعة من أصلها. وقد قال التاج السبكى فى (الطبقات الكبرى) ج١ ص١٩٥ وقد وصل حال بعض المجسمة فى زماننا إلى أن كتب شرح صحيح مسلم للشيخ النووى و حذف من كلام النووى ما تكلم



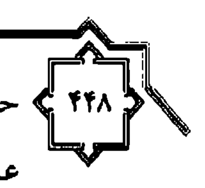
به على أحاديث الصفات فإن النووى أشعرى العقيدة، فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذى صنفه مصنفه، و هذا عندى من كبائر الذنوب، فإنه تحريف للشريعة، و فتح باب لا يؤمن معه بكتب الناس، و ما فى أيديهم من المصنفات، فقبح الله فاعله و أخزاه اهـ.

و نتبرك بسرد أسماء بعض أكابر الأشاعرة و أعيانهم اقناعا لمن تطرقت إليهم الشكوك، و إعلاما لهم بأن أكابر علماء الأمة المحمدية و أئمتهم كانوا أشاعرة، و نصيحة لمن سولت له نفسه طعن الأشاعرة و بغضها.

فمن الطبقة الأولى المعاصرين لأبى الحسن: الأستاذ أبو سهل الصعلوكى، و الأستاذ أبو إسحاق الإسفراينى، و الشيخ أبو بكر القفال، و الشيخ أبو زيد المروزى، و الأستاذ أبو عبد الله بن خفيف، و الزاهر بن أحمد السرخسى، و الحافظ أبو بكر الجرجانى الإسماعيلى، و الشيخ أبو بكر الأودنى، و الشيخ أبو محمد الطبرى العراقى، و أبو الحسن عبدالعزيز بن محمد بن إسحاق الطبرى المعروف بالدملى، وأبو جعفر السلمي النقاش، وأبو عبد الله الأصبهاني الشافعي، وأبو محمد القرشي الزهري، و أبو منصور بن حمشاد، فكل هؤلاء عاصروا الإمام أبا الحسن الأشعرى و تمذهبوا بمذهبه و قرأوا كتبه و أكثرهم جالسه، و أخذ عنه شفاها.

و من أخصهم بالشيخ أبى الحسن: ابن مجاهد، و هو ابو عبد الله محمد بن أحمد، بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائى شيخ القاضى الباقلانى، و كان مالكى المذهب، و أبو الحسن الباهلى العبد الصالح شيخ الأستاذ أبى إسحاق، و خلائق غيرهم.

و من الطبقة الثانية: سيف السنة أبوبكر الباقلانى، و أبو الطيب الصعلوكى، و أبو الحسن بن داود المقرى الدارانى، و الأستاذ أبوبكر بن فورك، و الأستاذ أبو على الدقاق، و الحاكم أبو عبد الله الحافظ، و الحافظ أبو نعيم الأصبهانى، و أبو

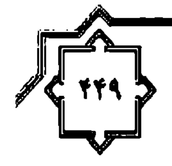


حازم العبدوی الحافظ الأعرج، و الشیخ أبو سعد الخرکوشی، و القاضی أبو عمر البسطامی، و أبو القاسم البجلی، و الشریف أبو طالب المهتدی، و أبو معمر بن أبی سعد الإسماعیلی.

و من الثالثة: الحافظ أبو بکر البیهقی، و الحافظ أبو ذر الهروی، و قاضی الموصل أبو جعفر السمنانی الحنفی، و الأستاذ أبو القاسم عبدالجبار بن علی الإسفراینی، و أبو الحسن السکری، و أبو منصور الأیوبی النیسابوری، و القاضی عبد الوهاب المالکی، و الشیخ أبو محمد الجوینی، و أبو حسن النعیمی، و الأستاذ أبو منصور البغدادی، و أبو محمد الأصبهانی ابن اللبان، و أبو عبد الله الخبازی، و أبو الفضل بن عمروس المالکی، و سلیم الرازی، و أبوبکر بن الجرمی الزاهد، و أبو طاهر بن خراشة، ورشأ بن نظیف المقری.

و من الرابعة: الحافظ الخطیب البغدادی، و الأستاذ أبو القاسم القشیری، و أبو علی بن أبی حریصة الهمذانی، و أبو المظفر الإسفراینی و الشیخ أبو إسحاق الشیرازی، و إمام الحرمین، و نصر المقدسی، و أبو عبد الله الطبری.

و من الخامسة: أبو المظفر الخوافی، و الإمام الغزالی، و فخر الإسلام الشاشی، و أبو نصر القشیری، و الشیخ أبو سعید المیهنی، و الشریف أبو عبد الله الدیباجی، و القاضی أبو العباس الرطبی، و أبو عبد الله الفراوی، و أبو الولید الباجی، و الحافظ أبو عمرو بن عبد البر، و الحافظ الکبیر أبو القاسم بن عساکر، و الحافظ أبو الحسن المرادی و الحافظ أبو سعد بن السمعانی، و الحافظ أبو طاهر السلفی، و القاضی عیاض بن محمد الیحصبی، و الإمام أبو الفتح الشهرستانی، و علی بن محمد بن علی إلکیا ـ بکسر الهمزة و الکاف کما فی (شذرات الذهب)، و أبو الحسن السلمی، و أبو سعد بن أبی صالح المؤذن و نصر الله المصیصی.



و من السادسة: الإمام فخر الدين الرازى، و سيف الدين الآمدى، و شيخ الإسلام عز الدين بن عبدالسلام، و الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكى، و الشيخ جمال الدين الخصرى الحنفى.

و من السابعة: شيخ الإسلام تقى الدين بن دقيق العيد، و الشيخ علاء الدين الباجى، و الشيخ الإمام فخر الحفاظ تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى، و الشيخ صفى الدين الهندى، و الشيخ صدر الدين بن المرحل، و ابن أخيه الشيخ زين الدين، و الشيخ صدر الدين سليمان بن عبدالحكم المالكى، و الشيخ شمس الدين الجريرى الخطيب، و الشيخ جمال الدين الزملكانى، و القاضى جمال الدين بن جملة، و الشيخ شهاب الدين بن جميل، و قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى، و القاضى شمس الدين بن الحريرى الحنفى، و القاضى عضد الدين الإيجى الشيرازى.

فهذا بعض ما ذكره حافظ الدنيا ابن عساكر فى (تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى) و المحقق الفقيه الأصولى المحدث صاحب التأليف العديدة النافعة الشيخ تاج الدين عبدالوهاب بن تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى فى (طبقات الشافعية الكبرى)، و أضيف أنا إلى ذلك ممن لم يذكراه أو أتى بعدهما الإمام النووى مجدد القرن السابع كما قيل، فإنه كان أشعريا كما هو واضح فى كتبه، و صريح به الحافظ السخاوى فى ترجمته عنه، و الحافظ إسماعيل بن كثير صاحب التفسير المشهور، فإنه و إن كان صاحب ابن تيمية و تلميذه كان أشعريا كما ذكرهه الحافظ العسقلانى فى (الدرر الكامنة) ج١ ص٥٨. و قال ابن كثير فى (طبقات الفقهاء الشافعيين) ج٢٠ ص٤٢: قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى طبقات أصحاب الأشعرى فى آخر كتاب (تبيين كذب المفترى): رأيت بخط ثقات ما قول السادة الفقهاء فى

قوم اجتمعوا على لعن الأشعرية و تكفير هم؟ و ما الذى يجب عليهم؟ و أفتونا، فأجاب جماعة فمن ذلك: «الأشعرية أعيان السنة انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية و الرافضة و غيرهم، فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة، و يجب على الناظر فى أمر المسلمين تأديبه بما يرتدع به كل أحد، و كتب إبراهيم بن على الفيروز ابادى. ثم قال ابن كثير: أما طريقة الشيخ أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى فى الصفات بعد أن رجع عن الإعتزال بل و بعد أن قدم بغداد و أخذ عن أصحاب الحديث كزكريا الساجى و غيره فإنها من أصح الطرق، فإنه يثبت الصفات العقلية و الخبرية و لا ينكر منها شيئا، و لا يكيّف منها شيئا، و هذه طريقة السلف و الأئمة من أهل السنة و الجماعة حشرنا الله فى زمرتهم و أماتنا على اتباعهم و محبتهم، إنه سميع الدعاء جواد كريم.

و على هذا المنوال جرى الأئمة من أصحاب الأشعرى كأبى عبد الله بن مجاهد و القاضى أبى بكر الباقلانى و أضرابهم ﷺ، انتهى ما قاله الحافظ ابن كثير.

و منهم الحافظ الكبير أبو الحجاج يوسف بن زكى المزى عبدالرحمن بن يوسف، فإنه صرح و كتب أنه أشعرى، كما ذكره تلميذه ابن السبكى فى (طبقاته) ج٦ ص١٧١ فى ترجمة والده السبكى. و شيخ الإسلام أمير المومنين فى الحديث ابن حجر العسقلانى، و شيخه الحافظ العراقى، و الحافظان السخاوى، و السيوطى، و الهيتمى، و التاج ابن السبكى، و القسطلانى، و السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الفتوحات الكثيرة المشهورة، ففى (غاية البيان فى تنزيه الله عن الجهة و المكان) ص٩٦: قال السيوطى فى كتابه (الوسائل إلى مسامرة الأوائل) ص١٥: لما ولى صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين فى وقت التسبيح أن يعلنوا العقيدة الأشعرية، فوطف المؤذنين على



ذكرها كل ليلة إلى وقتنا هذا اهـ أى وقت السيوطى المتوفى ٩١١هـ. انتهى ما فى غاية البيان.

و فى (الفتوحات الربانية على الأذكار النووية) ج٢ ص١١٣: لما ولى صلاح الدين بن أيوب و حمل الناس على اعتقاد مذهب الأشعرى أمر المؤذنين أن يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة الأشعرية التى تعرف بالمرشدية فواظبوا على ذكرها كل ليلة اهـ.

فهؤلاء نيف و مائة من أكابر الأشاعرة فى مختلف البلاد و الأماكن و الأعصار، من زمن الإمام أبى الحسن إلى أواخر القرن العاشر، فمن رمى الأشاعرة بالكفر كما يزعمه بعض الجهال من شبان عصرنا فقد كفر هؤلاء المذكورين و أضعافا مضاعفة من أمثالهم، ويلزم من ذلك تكفير معظم علماء هذه الأمة المحمدية، فقد علمت ما قاله سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام و غيره من أن المذاهب الأربعة مجتمعة على عقيدة أبى الحسن الأشعرى إلا بعضا من الحنابلة.

و اعلم أن كثير من الناس يظنون أن المذهب المنسوب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى رحمه الله مذهب اخترعه و ابتكره، و اعتقدوا أنه أنشاه و أسسه، وليس كذلك بل هو مذهب الصحابة و التابعين و أتباعهم، و إنما كان أبو الحسن مناضلا عن مذهبهم و ناشرا له و مرتبا أدلته، كما صرح هو فى كتابه (الإبانة فى أصول الديانة) لما سئل عن ديانته التى بها يدين فقال:

قولنا الذى به نقول و ديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ و ما روي عن الصحابة و التابعين و أئمة الحديث، و نحن بذلك معتصمون، و بما كان عليه أحمد بن حنبل قائلون، و لمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، و الرئيس الكامل، الذى أبان الله به الحق عند ظهور

الضلال، و أوضح به المنهاج وقمع بـه بـدع المبتـدعين وزيـغ الـزائغين وشـك الشاكين اهـ. ما في (الإبانة).

و قال التاج عبدالوهاب السبكي فـي (طبقـات الـشافعية) فـي ترجمـة أبـي الحسن الاشعري: اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأيا و لم ينشأ مذهبا، و إنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليـه صـحابة رسـول الله ﷺ، فالانتـساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقا و تمسك به، و أقام الحجـج و البراهين عليه، فصار المقتدى به في ذلك الـسالك سـبله فـي الـدلائل يـسمى أشعريا.

و قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمار الكلاعي المايرقي: لم يكـن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة إنما جرى على سنن غيره، و على نصرة مذهب معروف فزاد المذهب حجة و بيانا، و لم يبتدع مقالة اخترعها و لا مـذهبا انفرد به. ثم ذكر المايرقي رسالة الشيخ أبي الحسن القابسي المـالكي التـي يقـول فيها: و اعلموا أن أبا الحسن الأشعري لم يـأت مـن علـم الكـلام إلا مـا أراد بـه أيضاح السنن و التثبت عليها اهـ. ما في الطبقات.

و من العجيب أن كثيرا من خصوم الإمام أبي الحـسن و أعدائـه يـدّعي أنـه على طريقة الإمام أحمد في الاعتقـاد، ثـم يتـبجح بأنـه مخـالف للأشـعري فـي المسائل الاعتقادية، و ينسب إليه بما يشهد الله أنه بريء منه، و هذا ظلم على أبي الحسن و افتراء على الإمام أحمد، و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبـون، و يتحـرون إذ كان الإمام أحمد خصمهم يوم القيامة و تبرأ منهم.

روى الحافظ ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) ص١٦٤ بسنده إلـى أبـي ذر عبد بن أحمد الهروي قال: سمعت ابن شاهين يقـول: رجـلان صـالحان بليـا بأصحاب سوء، جعفر بن محمد و أحمد بن حنبل.



و الحاصل أن المراد من إطلاق لفظ (أهل السنة و الجماعة) الأشاعرة و الماتريدية، هذا هو المعروف المشهور فى سلف الأمة و خلفها. قال الزبيدى فى (إتحاف السادة المتقين) شرح (إحياء علوم الدين) ج٢ ص٦ : إذا أطلق أهل السنة و الجماعة فالمراد بهم الأشاعرة و الماتريدية، قال الخيالى فى حاشيته على شرح العقائد: الأشاعرة هم أهل السنة و الجماعة هذا هو المشهور فى ديار خراسان و العراق و الشام، و أكثر الأقطار فى ديار ماوراء النهر يطلق ذلك على الماتريدية أصحاب الإمام أبى منصور اهـ. والله الموفق.

و منهم السقاف

و هو السيد علوى بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف، فقد قال في خطبة كتابه (سبعة الكتب المفيدة): والله أسأل، و بنبيه أتوسل أن ينفعنى و إخوانى و المسلمين، بهذا الكتاب النفع الجليل.

و منهم ابن حزم الظاهرى

و هو الإمام الحافظ ابو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسى الظاهرى، فإنه قال فى آخر كتابه (جوامع السيرة النبوية) ما لفظه: نسأل الله تعالى مستشفعين به ﷺ إلى الله تعالى جل ثناؤه أن يجمع بيننا و بينه، و أن يحجبنا ببركة متابعته عن النار. و قال الحافظ الذهبى فى (تذكرة الحافظ): تصانيفه كثيرة: سيرة نبوية فى مجلد.

و منهم الإمام المجتهد تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى

قال ولده عبدالوهاب تاج الدين السبكى فى ترجمة أبيه من كتابه (طبقات الشافعية الكبرى) بعد كلام حكاه عن والده: قال الوالد رحمه الله: أسال الله خاتمة

حسنة بمنه و كرمه و بمحمد ﷺ، كتبه علی السبكی فی يوم السبت مستهل جمادی الاخرة سنة٧٥٣ بظاهر دمشق. هذا صورة خطه علی حاشية كتاب (الطبقات الوسطی) انتهی ما نقلته من طبقات ابن السبكی. وقد ذكرنا أن الإمام السبكی من القائلين بجواز التوسل و حسنه، و ذكرنا عبارته فی الفصل الثانی.

و منهم السيد بركات

و هو عمر بركات بن مرحوم السيد محمد بركات فقد قال فی خطبة (فيض الإله المالك شرح عمدة المسالك وعدة الناسك): و أشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله لكافة العرب و العجم، و بظهوره اضمحل الكفر وانعدم، ﷺ، و بجاهه نتوسل فنسلم، و علی آله و أصحابه و الناصرين له فی جميع الغزوات، و قال أيضا: ورزقنا اتباع أهل الشرف و الإقبال، بجاه سيدنا محمد و الآل، آمين آمين يا رب العالمين.

حرف الميم

منهم الحافظ محمود بن أحمد البدر العينی

و قال الشيخ محمود بن أحمد بن موسی البدر العينی الحنفی فی أول شرحه الكبير (عمدة القاری شرح صحيح البخاری): فها نحن نشرع فی المقصود بعون الملك المعبود، و نسأل الله الإعانة علی الختام متوسلا بالنبی خير الأنام، و آله و صحبه الكرام.

و ترجمه الحافظ السخاوی فی (الضوء اللامع) ج١ ص١٣١ ترجمة طويلة فمما قال فيه: هو محمود بن أحمد بن موسی البدر العينی الحنفی، ولد سنة ٧٦٢،



و كان إماما عالما علامة لايمل من المطالعة و الكتابة، و صنف الكثير بحيث لا أعلم بعد شيخنا ـ يعنى الحافظ ابن حجر العسقلانى ـ أكثر تصانيف منه، حدّث وأفتى و أخذ منه الأئمة من كل مذهب، و كنت ممن قرأ عليه أشياء و علق شيخنا عنه من فوائده، بل سمع عليه ثلاثة أحاديث مع ما بينهما مما يكون بين المتعاصرين غالبا، و كذا كان هو يستفيد من شيخنا، مات فى ليلة الثلثاء رابع ذى الحجة سنة ٨٥٥ ولم يخلف بعده فى مجموعه مثله.

و من تصانيفه شرح البخارى فى إحدى و عشرين مجلدا، سماه عمدة القارى، و شرح معانى الآثار للطحاوى فى عشر مجلدات وقطعة من سنن أبى داود فى مجلدين، و الدرر الزاهرة فى شرح (البحارالزاخرة فى المذاهب الأربعة) و (طبقات الحنفية)، وزار البدر العينى بيت المقدس فلقى فيه العلاء أحمد بن محمد السيرامى الحنفى فلازمه و استقدمه معه القاهرة و قرره صوفيا بالبرقوقية، ولبس الخرقة من ناصر الدين القرطى اهـ.

و قد ذكر فى مقدمة كتابه (عمدة القارى) سبعة و أربعون كتابا من تصانيفه منها: (البناية فى شرح الهداية) فى عشر مجلدات يتوسع فيه جدا فى تخريج أحاديث الأحكام و بيان مذاهب علماء الأمصار، و عقد الجمان فى تاريخ الزمان فى خمسة وعشرين مجلدا.

و حكى العلامة ابن خلدون عن مشايخه أن شرح البخارى دين على الأمة لم يقم بوفائه أحد من العلماء حسب ما يجب، ولو عاش ابن خلدون إلى زمن ظهور شرحى العينى و ابن حجر العسقلانى لربما حكم لهما بقضاء هذا الدين على حد سواء، و يميل السخاوى إلى أن القائم بقضاء هذا الدين هو شيخه ابن حجر، و صاحب (كشف الظنون) حكم لهما بوفاء الدين على حد سواء اهـ.



فالذى توسل برسول الله ﷺ هو الذى قيل فيه: إنه أدى الدين عن الأمة المحمدية، و إن شرحه عمدة القارى مثل شرح الحافظ ابن حجر فى التحقيق و التدقيق و تبيين المراد و المعانى الجليلة و الخفية و توسيع البحث فى ذلك، و إن كان كثير من العلماء يقدم شرح ابن حجر.

فهل يليق لمسلم أن يبدع أو يفسق أو يكفر على هذا الإمام الحافظ و أمثاله بتوسله إلى الله بنبيه الوسيم ذى الجاه العظيم عند ربه الكريم!!؟؟.

منهم مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازنى

العلامة المحقق سعد الدين التفتازانى، فإنه قال فى آخر شرحه على (التلخيص): ختم الله تعالى بالحسنى، و يسر لنا الفوز بالذخر الأسنى، بحق النبى ﷺ آله اهـ.

واسم سعد الدين التفتازانى مسعود بن عمر بن عبد الله، هذا هو المشهور، قال ابن حجر فى كتابيه (الدرر الكامنة) و (أنباء الغمر): إن اسمه محمود بن عمر. و من مليح شعره:

إذا خاض فى بحر التفكر خاطرى على درة من معضلات المطالب
حقرت ملوك الارض فى نيل ما حووا ونلت المنى بالكتب لا بالكتائب

توفى رحمه الله سنة ۷۹۱هـ.

قلت: ويشبه ذلك ما قاله سميه محمود بن عمر الزمخشرى:

سهرى لتنقيح العلوم ألذّ من ... لثم لغانية وطول عناق
و أحب من نقر الفتاة لدفها ... نقرى لألقى الرمل عن أوراقى
و تمايلى طربا لحل عويصة ... أشهى و أحلى من مدامة ساق
أأبيت سهران الدجى و تبيته ... نوما و تبغى بعد ذالك لحاقى



منهم المناوى القاهرى

قال الحافظ شمس الدين السخاوى فى كتابه (الضوء اللامع) ج١٠ص٢٥٤ إن يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد المناوى القاهرى الشافعى ولد فى العشر الأول من ذى الحجة سنة ٧٩٨هـ. و مات بداره١٢ من جمادى الثانى سنة ٨٧١هـ. انتهى. و قال السيوطى فى (حسن المحاضرة) ج١ ص٤٤٥: و هذا الشيخ المناوى قاضى القضاة و تصدى للإقراء و الإفتاء، و ولى قضاء الديار المصرية وله تصانيف منها: شرح (مختصر المزنى) و هو آخر علماء الشافعية و محققيهم. اهـ. و قال الحافظ السخاوى فى (الضوء اللامع): و مما قاله:

إلى الله أشكو محنة أشغلت بالى — فمن هولها ربع اصطباري غدا بالي

و ما لى مأمول سوى سيد الورى — فإنى بذاك الجاه علقت آمالى

إلى أن قال:

لقد ضاق ذرعى من أمور كثيرة — و أنت ملاذى فى تغير أحوالى

و إن كنت يا مولاى عبدا مقصرا — فحلمك يا مولاي أعلى وأولى لي

و منهم الأردبيلى:

قال الشيخ يوسف بن ابراهيم الأردبيلى فى آخر خطبة (الأنوار): جعله الله ذريعة ـ أى وسيلة ـ إلى دار القرار بالنبى و آله الأخيار اهـ.

ولنقتصر على ذكر المتوسلين بمن ذكرناهم من الأنبياء و أصحاب رسول الله ﷺ و التابعين و تابع التابعين و من بعدهم من السلف و الخلف رضوان الله

عليهم أجمعين، فإن فيهم الكفاية لمن رزقه الله الهداية، و تلقاه بقلب سليم من التعصب و التعسف، و المتوسلون سلفا و خلفا كثيرون لا مطمع في حصرهم، ولا تسع لهم الدفاتر، ولو تتبعنا ذلك و أردنا إحصاءهم لعجز القلم عن حصرهم قبل أن يبلغ معشار عشرهم. وقد ألف في التوسل بخير الخلق الإمام القدوة أبو عبد الله بن النعمان محمد بن موسى التلمساني المالكي المتوفي٦٨٣هـ. كتابا سماه (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام) و في (هداية العارفين) ج٥ص٥٨٦ أن الحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري ألف كتابا اسمه (زوال الظما في ذكر من استغاث برسول الله من الشدة و العما) و قد ذكر النبهاني كثيرا من المستغيثين به ﷺ نظما أو نثرا في كتابه (شواهد الحق في المستغيثين بسيد الخلق) فممن ذكرهم من المستغيثين نثرا زين العابدين علي بن الحسين ﷺ، و الشيخ عبدالقادر الجيلاني، و الشيخ محي الدين بن عربي، و إبراهيم الدسوقي، و أبو الحسن الشاذلي، و عبدالعزيز الدريني، و أبو الحسن السخاوي، و محمد الوفا، و ابن عباد شارح الحكم، و أبو المواهب الشاذلي، و أبو العباس المشرعي اليمني، و خير الدين بن أبي السعود بن ظهيرة المكي، و عبد الجليل بن عطوم القيرواني صاحب (تنبيه الأنام)، و ناصر الدين بن سويدان، و أبو المكارم زين الدين عمر بن بيبرس سويدان، و زين العابدين بن محمد البكري، و محمد بن عثمان المصري، و محمد الذاكر المصري التازي صاحب الصلاة التازية المشهورة، و محمد البركوي، و محمد البديري الدمياطي، و عقيلة المكي.

و ذكر من المستغيثين به ﷺ نظما عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ المشهور، و الإمام الغزالي، و الإمام تقي الدين بن دقيق العيد، و أبو زكريا يحيى بن خلدون أخو صاحب التاريخ، و الإمام شرف الدين البوصيري، و الإمام



يحيى الصرصرى، و الشيخ برهان الدين القيراطى المصرى، و شمس الدين النواجى، و عبد الله بن زمرك الغرناطى، و الإمام كمال الدين الزملكانى الشافع، و الشيخ القلقشندى المصرى، و الشهاب المنصورى المصرى، و الإمام عبدالرحمن المكودى، و لسان الدين الخطيب الأندلسى، و نجم الدين محمد بن سوار الشيبانى الدمشقى، و الشيخ يوسف بن محمد الحنبلى القدامى، و الإمام أبو محمد عبد الله بن زكريا القراطيسى المغربى، وهبة الله بن البارزى، و الإمام عمر ابن الوردى، و جمال الدين بن نباتة المصرى، و علاء الدين بن مليك الحموى، و القاضى محمد بهاء الدين الباعونى الدمشقى، و ابن جابر الأندلسى، و أبو عبد الله محمد الشراف الأندلسى، و الإمام عبدالرحيم البرعى اليمنى، و عبدالعزيز بن على الزمزمى المكى، و مجد الدين الوترى البغدادى، و أبو الصفا الشيخ أيوب الخلوتى الدمشقى، و أبو القاسم محمد بن يحيى الغسانى الأندلسى الغرناطى، و الشيخ أحمد الصفدى، و الشيخ عبد الله السبراوى المصرى، و حسين الدجانى مفتي باقة و الشيخ عمر أفندى الأنسي البيرونى، و الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الأندلسى القرشى، و عبدالكريم أفندى حمزة الحسينى الدمشقى، و حامد أفندى العمارى مفتى الشام، و أبو الحسن على بن الجياب الأنصارى الأندلسى، و فتح الله بن النحاس، و أبو مدين المغربى، و الشيخ أحمد العروسى، و عبدالعزيز بن على الغرناطى، و عبدالحليم جلبى الدمشقى الشهير بالوجى، و الشهاب أحمد المقرى صاحب (نفح الطيب)، و محمد بن العفيق التلمسانى المشهور بالشاب الظريف، و الشيخ عبدالرحيم الشعرانى، و الشيخ محمد سعد العمر الدمشقى، وعبدالرحمن البهلول الدمشقى، و الشهاب أحمد المنينى الدمشقى، و الشيخ مصطفى العلوانى نزيل دمشق، و الشيخ محمد بن فرج البستى المغربى،و فتح الله البيرونى الحلبى، و أبو السرور بن نور الدين

الشعراوی، ابن معتوق و الشهاب أحمد بن أبی القاسم الخلوف التونسی القیروانی، و الإمام الحسن بن مسعود السوسی، و شمس الدین الصالحی الهلالی، و الشیخ باعبود العلوی الحسینی المدنی، و عبدالعزیز الفشتالی الفاسی، و ابن حبیب الأندلسی، و عائشة الباعوتیة انتهی ما أردت نقله من (شواهد الحق) و قد أطال النبهانی رحمه الله فی ذلك، فذكر من العلماء المستغیثین به ﷺ ما یزید علی مائة شیخ، وذكر الصیغ التی استغاثوا بها، و تركتها خوفا من التطویل و الملل، و قد ذكرنا قبل من المستغیثین و المتوسلین و من القائلین بمشروعیة ذلك ما یزید علی مائة أیضا، وفیهم الأنبیاء و الصحابة و التابعون و أئمة المذاهب الأربعة و المفسرون و الحافظ و المحدثون حملة السنة النبویة المطهرة، و الفقهاء و الزهاد و الصوفیة ولم یختلف فی ذلك إثنان من سلف هذه الأمة وخلفها، و قد بین ﷺ أنها لا تجتمع علی ضلالة، و لما أتی ابن تیمیة اخترع ما لم تسمعه الأوائل والأواخر قبله من منع التوسل والأستغاثة و نحوهما، و أتی بعجائب أخری كتحریم السفر إلی زیارة القبور كلها حتی زیارة سید الخلق ﷺ، فقام العلماء المعاصرون له فی رده و ألفوا فی ذلك الكتب، و الله الموفق.

نصیحة:

إذا لم تكن من أهل التبرك بأحباب الله تعالی و التوسل بجاههم إلی الله تعالی فالذی یجب علیك حتما أن تمسك لسانك عن الطعن فیهم، و تطهر من قلبك الحقد و البغض لهم، و أن لا تكون من الذین یؤذون المؤمنین و المؤمنات بغیر ما اكتسبوا، فاستحقوا النكال و الوبال و غضب الكبیر المتعال، و أن تأخذ حذرك من تسویلات البطالین الذین یجعلون هتك أعراض العلماء العاملین غذاءهم وعشاءهم و سمیرهم فی لیلهم و نهارهم، قد قال حافظ الدنیا ابن

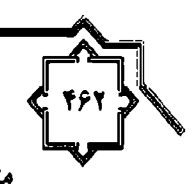


عساكر: لحوم العلماء مسمومة و عادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة، و إن أطلق لسانه فى العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب اهـ.

و ينبغى تأويل ما وقع من بعض العلماء مما يخالف ظاهره الشريعة و حمله بمحامل حسنة، فقد أمرنا بإقالة عثرات ذوى الهيئات، كما روى أبو نعيم فى (الحلية) ج۹ص۴۳ عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال: أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا من الحدود. و قال السيوطى فى (الجامع الصغير): روى هذا الحديث أحمد فى (مسنده) و البخارى فى (الأدب) و أبو داود عن عائشة، و رمز له بالحسن.

و قال الإمام النووى فى (بستان العارفين) ص۹۶: يجب تأويل أفعال أولياء الله تعالى، و قال: حكى عن إبراهيم الرقى قال: قصدت أبا الخير التيناتى مسلما عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا، فقلت فى نفسى: ضاعت سفرتى، فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدنى السبع فعدت إليه و قلت: إن الأسد قصدني، فخرج وصال على الأسد و قال: ألم أقل لك: لا تتعرض لضيفانى فتنحى و تطهرت، فلما رجعت قال: اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد.

ثم قال النووى: قد يتوهم من يتشبه بالفقهاء ولا فقه عنده أن صلاة أبى الخير هذا كانت فاسدة لقوله لم يقرأ الفاتحة مستويا، و هذه جهالة و غباوة ممن يتوهم ذلك، و جسارة منه على إرسال الظنون فى أولياء الرحمن، فليحذر العاقل من التعرض لشىء من ذلك، بل حقه إذا لم يفهم حكمهم المستفادة و لطائفهم المستجادة أن يتفهمها ممن يعرفها، و كل شىء رأيته من هذا النوع مما يتوهم من لا تحقيق عنده أنه مخالف ليس بمخالف.

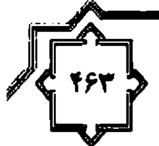


و جواب هذا من ثلاثة أوجه: أحدها أنه جرى منه لحن لا يخل بالمعنى، و مثل هذا لا يفسد الصلاة بالاتفاق، الثانی: أنه مغلوب علی ذلك بخلل فی لسانه فتصح صلاته بالاتفاق، الثالث:

أنه لو لم يكن له عذر فقراءة الفاتحة ليست بمتعينة عند أبی حنيفة و طائفة من العلماء، و لا يلزم هذا الولی أن يتقيد بمذهب ما أوجبها انتهی ما نقلته من (بستان العارفين).

و ذكر ابن حجر الهيتمی ما يفيد أنه ينبغی تأويل شطحات الأولياء فقال فی (الفتاوی الحديثية) ص٢٦٨: للأئمة العلماء الذين منّ الله عليهم بالاعتقاد فی أوليائه و حماهم من الانكار عليهم و بحمل ما صدر عنهم من الشطحات علی أحسن المحامل و أقومها أجوبة مسكتة، و تحقيقات مبهتة، لا يهتدی إليها إلا الموفقون، و لا يعرض عنها إلا المخذولون.

فاحذر أن تكون ممن يتحسی كأس سم الانكار فيهلك لوقته، و بادر إلی السلامة من غضب الله و محاربته و مقته، فقد قال تعالی فی الحديث القدسی: (من عادی لی وليا فقد آذنته بالحرب) أی أعلمته أنی محارب له، قال الأئمة: و لم ينصب الله تعالی المحاربة لأحد من العصاة إلا للمنكرين علی أوليائه و آكلی الربا، ومن حاربه الله لا يفلح أبدا. ثم ذكر الهيتمی بعض الأجوبة فقال: إن تلك الشطحات وقعت منهم فی حال الغيبة والسكر الناشئين عن الفناء فی المحبة، ألا تری أن بعض الهموم أو الواردات الدنيوية إذا وردت علی القلب أذهلته و أذهبت تمييزه لشدة تمكنها منه واستغراقه فی فكره، فإذا كان هذا فی الأمور السافلة التی لا تقاوم جناح بعوضة فكيف بواردات الحق علی القلوب ولواعج المحبة المذهلة عن كل مطلوب و مرغوب و ذكر الهيتمی خمسة أجوبة أخری.



و فى (الفتاوى الحديثية) للهيتمى أيضا ص٢٨٥ أن فقيها أنكر على شيخ قراءته، فقال له: إن كنت لحنت في قراءة القرآن فقد لحنت أنت فى الإيمان، و ذلك أنه لما أنكر عليه و خرج قصده السبع فخشى منه لضعف إيمانه وقلة يقينه بالله. و قال النووى فى (بستان العارفين) ص٧٥: روينا عن الإمام مالك ﷺ: تلقى الرجل و ما يلحن حرفا، و عمله لحن كله اهـ..

و لا شك أن اللحن فى العمل أشنع و أقبح بكثير من اللحن فى اللسان، فإن أساس النجاة التقوى و العمل الصالح، و أما عدم اللحن اللسانى فهو من الكماليات التى ينجو بدونها الإنسان، و قال الهلال بن العلاء:

سيبلى لسان كان يعرب لفظه فيا ليته من وقفة الحشر يسلم

وما ينفع الإعراب إذ لم تكن تقي و ما ضر ذا تقوى لسان معجم

و أول الحافظ الذهبى ما نقل عن أبى يزيد البسطامى فقال فى (سير أعلام النبلاء) ج١٣ ص٨٨: جاء عن أبى يزيد أشياء مشكلة، الشأن فى ثبوتها عنه، أو أنه قالها فى حال الدهشة و السكر و الغيبة و المحو، فيطوى و لا يحتج بها إذ ظاهرها إلحاد، مثل سبحانى اهـ.، فتراه لم يثبت ذلك عنده، و على تقدير ثبوته فقد أوله بأنه قالها فى الغيبة و الدهشة و المحو، و لا يخفى أنه لا مؤاخذة فى تلك الحالة لعدم التكليف فيها.

وسئل ابن حجر الهيتمى عن قول أبى يزيد: خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله؟ فقال: لم يصح هذا لاقول عنه و إن صح فمؤل، ثم ذكر بعض التأويلات التى استحسنها.

و على هذا التأويل جرى المحققون الراسخون فى العلم.

و الإغضاء من العثرات و تتبع العورات من أخلاق المؤمنين و دأب المتقين، و قد قال الشيخ عبد الله الحداد:



فسلم لأهل الله فی کل مشکل   لدیك لـدیهم واضـح بالأدلـة

و قال آخر:

و إذا لم تر الهلال فسلم   لأناس رأوه بالأبـصار

فمن قلة الحياء و عدم الإنصاف أن ترى عالما يخشى الله تعالى و يطيعه و يقوم ليله و يصوم نهاره و قد داوم على ذلك أزمنة طويلة ثم إذ علمت وقوع زلة منه تطلق لسانك على إفشائها بين الناس و نشرها كأنك تؤدی واجبا عليك و أنت لا تنظر إلى حالتك و كاسد بضاعتك وقلة عبادتك، ففی الحديث النبوی يبصر أحدكم القذى فی عين أخيه وينسى الجذع فـی عينـه. رواه أبـو نعيم فـی (الحلية) عن أبی هريرة ﷺ.

و قد ظهر فی زماننا طوائف يتمتعون بحطام الـدنيا و يتبسطون بملاذها و ينقادون لشهوات أنفسهم وينامون طيلة ليلهم، فإذا انتبهوا من سباتهم العميق ورأوا الزهاد و العباد الساهرين بحلق الذكر و الأوراد يتغامزون وسلقوهم بألسنة حداد قائلين: إن هؤلاء لضالون، خرافيون قبوريون، فليتهم سكتوا إن لم يطيعوا ربهم و يعملوا مثل أعمالهم، إذ ما عليهم من حسابهم من شیء، و ما أرسلوا عليهم حافظين.

فعلى اللبيب الفطن أن يعمل بما ينفع نفسه حالا و مآلا، و لا يصغی إلى أقوال هؤلاء البطالين الكسالی، و لا تضعف نيته باستهزائهم، و لا ينكسر خاطره بإيذائهم وليكن ذا همة عالية وعزيمة قوية لا يثنيها شیء فقد قيل:

فكن رجلا رجله فی الثری   و هامـة همتـه فـی الثريـا

و ما أحسن ما قاله الإمام الحافظ عبدالعظيم المنذری:

اعمل لنفسك صالحا لا تحتفل   بظهور قيل فـی الأنام و قـال

و الخلق لا يرجى اجتماع قلوبهم   لا بـد مـن مثن عليـك و قـال

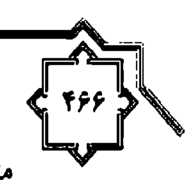


و قوله لا تحتفل: أى لا تبال و لا تكثرت، ففى القاموس ـ و ما احتفل بـه ـ أى ما بالى به.

رزقنا الله حسن الظن بالأولياء و التأدب معهم، و حسن الاعتقاد فيهم، و أعاذنا من الانتقاد والطعن فيهم.

خاتمة في ذكر نبذ من سير الصالحين وأحوالهم

لما ذكرنا التبرك بالصالحين رأيت أن أختتم ذلك بذكر شيء من محاسنهم و أوصافهم، فعسى أن يهدى الله بذلك أقواما، و يكون لهم موعظة و اعتبارا، فيقتفوا آثارهم و يقتدوا بهديهم فيلحقوا بهم، و أن يكون سببا لمحبتهم، و من أحب الصالحين يكون معهم، قال ابن حجر الهيتمى فى (الفتاوى الحديثة): قال السيد الجليل شاه بن شجاع الكرمانى: ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله. و قال ابن حبان فى (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) ص١٠٠: قال سفيان بن عيينة: من أحب رجلا صالحا فإنما يحب الله تبارك و تعالى، و أيضا قد التبس فى هذا الزمان الصالح و كثرت فيه الدعاوى و الأمانى، والتشبه بالصالحين فى الزى و المظاهر لا بالمعانى و الأخلاق، فاحتيج إلى تمييز اللب من القشر، و الرديء من الجيد بذكر بعض أحوالهم، و الإشارة إلى معالى أخلاقهم، و مكابداتهم فى ظلمات الليالى و مجاهداتهم على رفض شهوات أنفسهم و مخالفة أهوائها، و قوة عزيمتهم حتى اقتحموا العقبات و ذللوا الصعوبات، فصرفوا ساعات عمرهم إلى ما يقربهم إلى مولاهم تبارك و تعالى، و ذلك ليكون المتبرك على بصيرة وعلم، فيتبرك بمن ترتجى منه الربكة ويطمع من ساحته الفائدة و المنفعة، ولا يغتر بتمويهات البطالين وافتراءات المخادعين.



و معلوم أن رغبة الراغبين فى الطاعـات مختلفـة، و منافـسة العابـدين فيهـا متنوعة، و طرق الخيرات كثيرة وسبلها متعددة، فقد قالوا: الطرق الموصـلة إلـى الله بعدد أنفاس الخلائق، فمن الصالحين من يكثر القراءة و الأوراد و الأذكـار و يديمها و يستغرق فيها أوقاته، و منهم من يكثر الصلاة فى ظلمات الليالى وحـر الأيام.

و منهم المجاهدون فى سبيل الله تعالى الباذلون نفوسهم لله ابتغاء مرضـاته، و منهم المدرسون الناشرون للعمل، المجددون للأمـة أمـر دينهـا، المبلغـون لهـا رسالة ربهم، القاسمون لهم ميراث رسولهم بالتعليم، و منهم المهتمـون بتـدوين العلوم و تصنيف الكتب فى أنواع الفنون، و منهم الوعاظ الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر،و منهم الزاهدون الورعون، و منهم أهل الكرم و السخاوة و الإيثار، و منهم من يحرسون ظاهرهم و باطنهم عن ارتكاب المعاصى فلا تصدر منهم كبيرة ولا صغيرة، و منهم غير ذلك فكل منهم يدخل من الباب الذى فتح له، و يشرب من الكأس الذى سقاه منه ربه، و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة، فهو المدبر الحكيم، و اللطيف الخبير بأحوال عباده، و بما يناسب لكـل امرى منهم من أنواع طاعته.

و أبتدىء بذكر عدد قليل ممن جدّ واجتهد على تعلم العلم و حفـظ الكتـب المختصرة و المطوّلة من الفنون المختلفة، و صرف إلى ذلك نفـائس أوقاتـه، و لم يتطرق إليه الفتور والملل حتى حاز قـصب الـسبق واحتاجـت إليـه الأمـة، ثـم صنف التصانيف الكثيرة و جمع أشتات العلوم فى السطور بعد استحضارها فى الصدور، و قصدى من ذلك رفع همة طلبة العلم وحثهم على أن يبذلوا قصارى جهدهم فى تعلمه اقتداء بهؤلاء الأئمة، ثم أتبعهم بآخرين لم تعهـد لهـم صـغيرة ولا كبيرة، ثم أذكر بعض من أحيـا ليلـه كلـه، وصـلى صـلاة الـصبح بوضـوء

العشاء أربعين سنة أو أكثر منها، ثم أذكر عددا ممن صلى كل يوم و ليلة ألف ركعة، ثم أذكر آخرين ممن يكثر تلاوة القرآن الكريم، ثم أختم ذلك بذكر جماعة من المكثرين للعبادات المختلفة و الطاعات المتنوعة. نسأل الله المنان أن يسلك بنا مسالك عباده الصالحين.

١ـ منهم الإمام الأعظم الشافعي

فقد ألف الإمام الشافعي مذهبه الجديد فى أربع سنين فقط، مع كونه كثير الأمراض و الآلام، فقد قال ﷺ كما فى (الفتاوى الحديثية) ص٥٠: فيما بين صدري وسرتي تسع أمراض مخوفة، كل منها لو انفرد كان قاتلا اهـ.

و فى (مناقب الشافعي) للبيهقي ج٢ ص٢٩٢ أن يونس بن عبد الأعلى قال: ما رأيت أحدا لقى من السقم ما لقى الشافعي. وروى البيهقي بسنده عن على بن بحر الوراق قال: كان الشافعي ﷺ رجلا عطرا، و ذلك أنه كان به باسور، و كان يجيء غلامه كل غداة بغالية فيمسح بها الأسطوانة التى يجلس عليها اهـ. و هذا مع كثرة أعماله الأخرى، و وظائفه المتنوعة، فقد كان يقرأ كل يوم ختمة فى غير رمضان و ختمتين فى رمضان، و يدرس فنون العلم المختلفة و يفتي و يناظر إلى غير ذلك، فهذا أعجب ما بلغنا و أغرب ما سمعناه، فإن تأسيس قواعد المذهب و تحرير مسائلها و استنباطاتها الدقيقة لا شك أن فيه صعوبة كبيرة و حرجا شديدا فيحتاج إلى فراغ وتمكين وصحة تامة.

نبذة من ترجمته ﷺ

اعلم أن كثيرا من العلماء صنفوا فى مناقبه ﷺ منهم كما فى (طبقات الشافعية الكبرى) ج١ ص١٨٥: داود بن على الأصفهاني، و زكريا بن يحيى الساجي، و عبدالرحمن بن أبى حاتم، و أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم

الآبری، و الحاكم أبو عبد الله بن البيع، و أبو على الحسن بن الحسين بن حمكان، و أبو عبد الله بن أبی شاكر بن قطان، و الإمام الزاهد اسمعيل ابن محمد السرخسی، و الأستاذ الجليل أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادی، و الحافظ الكبير أبوبكر البيهقی، و الحافظ أبو بكر الخطيب، و الإمام فخر الدين الرازی.

و قد أطال كثيرون فی ترجمته فی كتبهم مثل أبی نعيم فی (الحليلة) و الخطيب البغدادی، فی (تاريخ بغداد)، و الذهبی فی (سير أعلام النبلاء) و غيرهم. ولد الإمام ﵀ سنة ١٥٠ وتوفی بمصر سنة ٢٠٤هـ.

وقد اختصه الله تعالى من بين ائمة المذاهب الثلاثة بخصال:

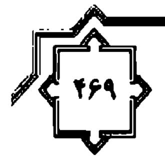
١ـ منها: شرف النسب، فقد قال أبو ثور: للشافعی من الفضائل ما لم يجتمع لغيره من شرف نسبه و صحة دينه و معتقده و سخاوة نفسه و معرفته بصحة الحديث و سقمه و ناسخه و منسوخه و حفظه الكتاب والسنة، و حسن التصنيف وجودة الأصحاب و التلامذة مثل أحمد بن حنبل.

و قال النووی فی (تهذيب الأسماء واللغات): شرف الله الإمام الشافعی بالنسب الطاهر، واجتماعه هو و رسول الله ﷺ فی النسب غاية الشرف، و نهاية الحسب، و بشرف المولد و المنشإ فإنه ولد بالأرض المقدسة و نشأ بمكة.

و هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف اهـ.

و قد نظمه أبو القاسم الرافعی كما فی (القاموس) فقال:

محمد ادريس عباس ومن　　　بعدهم عثمان إبن شافع
و سائب إبن عبيد سابع　　　عبد يزيد ثامن و التاسع
هاشم المولود إبن المطلب　　　عبد مناف للجميع تابع

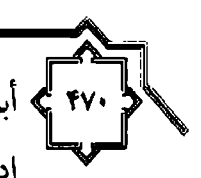


والأبيات من بحر الرجز. و هذا هو نسبه المشهور وهو الصحيح. و أمه أزدية، و قد قال فيهم رسول الله ﷺ: الأزد أسد الله في الارض يريد الناس أن يضعوهم و يأبى الله إلا أن يرفعهم، وليأتين على الناس زمان يقول الرجل: يا ليتني كنت أزديا و يا ليت أمي كانت أزدية، رواه الترمذي. و في رواية للترمذي أيضا الأمانة في الأزد. وروى البيهقي بسنده عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: الأزد أزد الله عز وجل في الأرض يريد الناس أن يضعوهم و يأبى الله إلا أن يرفعهم. و في رواية نعم الحي الأزد، و الاشعريون، لا يفرون في القتال و لا يغلون، هم مني و أنا منهم.

٢ـ منها أنه كان أطولهم باعا في معرفة اللغة، قال المزني: قدم الشافعي مصر و بها عبدالملك ابن هشام النحوي صاحب (المغازي) و كان علامة أهل عصره في العربية والشعر، فذهب إلى الشافعي ثم قال: ما ظننت أن خلق مثل الشافعي، ثم اتخذ قول الشافعي حجة في اللغة، و كان إذا شك في شيء من اللغة بعث إلى الشافعي فسأله عنه. و قال الأيوب بن سويد: خذوا عن الشافعي اللغة. و قال أبو عثمان المازني: الشافعي عندنا حجة في النحو. و قال الزعفراني: ما رأيت أفضل ولا أكرم و لا أتقى ولا أعلم من الشافعي، و ما رأيت لحن قط، و ما حمل أحد محبرة إلا وللشافعي عليه منة، ما كان الشافعي إلا بحرا.

و قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ج١٠ ص٨١: قال أحمد بن حنبل: الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء في اللغة و اختلاف الناس والمعاني و الفقه. و الفيلسوف كما في (المعجم الوسيط) العالم الباحث.

و في (مناقب الشافعي) للبيهقي قال ثعلب: الشافعي من بيت اللغة، يجب أن يؤخذ عنه، و قال ثعلب أيضا: إنما توحد الشافعي باللغة لأنه من أهلها، فأما



أبو حنيفة فإنه منها على بعد، و قال أبو الوليد بن النجار: كان يقال: إن محمد بن إدريس لغة وحده يحتج به كما يحتج بالبطن من العرب. و قال أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله: قال أبي: سمعت عمي يقول: سمعت الشافعي يقول: أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها و حفظت القراءة فما علمت أنه مرّ بي حرف إلا وقد علمت المعنى فيه و المراد منه ما خلا حرفين، قال أبي: حفظت أحدهما ونسيت الآخر، أحدهما (دساها) و قال النووي: هو الإمام الحجة في لغة العرب، فقد اشتغل في العربية عشرين سنة.

٣ـ و منها: أنه كان أشعر من الأئمة الثلاثة و آدبهم. قال المبرد: كان الشافعي من أشعر الناس و آدبهم و أعرفهم بالقراءات.

٤ـ و منها: أنه كان معلم الأمة بناسخ الحديث و منسوخه، قال النووي: و كان الشافعي مبرزا في الاستنباط من الكتاب و السنة، بارعا في معرفة الناسخ و المسوخ، و المجمل و المبين، و الخاص و العام و غيرها، فلم يسبقه أحد إلى فتح هذا الباب.

و قال ابن وراة: قدمت من مصر فأتيت أحمد بن حنبل، فقال لي: كتبت كتب الشافعي؟ قلت: لا، قال: فرطت، ما عرفنا العموم و الخصوص و ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسنا الشافعي، قال: فحملني ذلك على الرجوع إلى مصر فكتبتها.

٥ـ و منها: اختراعه بفن أصول الفقه. قال النووي في (تهذيب الأسماء و اللغات): ابتكر الشافعي كتبا لم يسبق إليها، منها أصول الفقه، و كتاب القسامة، و كتاب الجزية، و كتاب قتال أهل البغي، و غيرها. و كان سبب تصنيفه لكتاب (الرسالة) أن عبدالرحمن بن مهدي كتب له و هو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني لقرآن، و يجمع قبول الأخبار فيه، و حجة الإجماع و بيان الناسخ و



المنسوخ من القرآن و السنة، فوضع له كتاب (الرسالة) فكان عبد الرحمن يقول: ما أصلى صلاة إلا و أدعو للشافعى.

و قال النووى أيضا: إنه أول من صنف أصول الفقه بلا اختلاف ولا ارتياب، و هو الذى لا يساوى بل لا يدانى فى معرفة كتاب الله تعالى و سنة رسوله ﷺ.

وحكي عن الزعفرانى قال: لما قرأ عبدالرحمن بن مهدى (الرسالة) قال: ما ظننت أن يكون فى هذه الأمة اليوم مثل هذا الرجل، و أن الله عزوجل خلق مثل هذا الرجل، قال البيهقى: و عبد الرحمن بن مهدى بن حسان أحد أركان أهل العلم بالحديث. قال على بن المدينى: و الله لو أخذت و حلفت بين الركن و المقام لحلفت أنى لم أر قط أعلم بالحديث من عبدالرحمن بن مهدى، و مات قبل الشافعى بسنتين. و قال المزنى: إنى قرأت كتاب (الرسالة) خمسائة مرة ما من مرة منها إلا واستفدت منها فائدة جديدة لم أستفدها فى الأخرى.

٦ـ و منها أنه تفرع مذهبان من مذهبه، و هما مذهب أحمد بن حنبل و مذهب و أبى ثور، و قد ذكرنا ذلك فى التبرك بمجالسة الصالحين.

٧ـ و منها أن أكثر المجددين لهذه الأمة أمر دينها كانوا منتسبين إلى مذهبه، و ذكرنا ذلك أيضا فى التبرك بمجالسة الصالحين.

فبهذه الفضائل السبعة امتاز عن الأئمة الثلاثة، فسبحان من خصه بهذه المزايا و فضله عليهم بهاتيك العطايا.

كونه من أعقل خلق الله.

قال المريسى: مع الشافعى نصف عقل أهل الدنيا، و ما رأيت أعقل من الشافعى، و كان المريسى عدوا لدودا للشافعى، و قد قيل: والفضل ما شهدت به الأعداء. و عن محمد بن إسحق بن راهويه قال: سمعت أبى و سئل كيف

وضع الشافعى هذه الكتب ولم يكن بكبير السن؟ فقال: عجل الله له عقله لقلة عمره. و قال يحيى بن سعيد: ما رأيت أعقل من الشافعى أو أفقه منه. و قال أبو عبيد القاسم بن سلام: ما رأيت أحدا أعقل ولا أورع ولا أفصح ولا أنبل رأيا من الشافعى. وفى (مناقب الشافعى) للبيهقى ج٢ ص١٨٦ قال يونس بن عبد الأعلى: لو أن عقول الناس كلهم جعلت فى عقل الشافعى لغرقت عقولهم فى عقله.

ما كان بينه و بين تلميذه الإمام أحمد بن حنبل من الصحبة والمودة

كان بينهما صفاء المحبة و المودة و الصحبة الكاملة، و قد ذكرنا أن الإمام الشافعى كان يتبرك بقميص أحمد بن حنبل، و كانا يكثران التزاور، ففى (غوث العباد) لأبى سيف الحمامى ص١٣٣ أن الشافعى سئل عن ذلك فقال:

قالوا يزورك أحمد و تزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله

إن زارنى فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل فى الحالين له

و كان دأب العلماء المحبة و التزاور فيما بينهم، وفى (أدب الدنيا والدين) للماوردى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: لقاء الإخوان جلاء الأحزان و أن الشافعى قال: ليس سرور يعدل صحبة الإخوان ولا غم يعدل فراقهم.

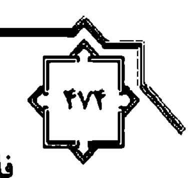
و قال الحسن بن محمد الزعفرانى: ما ذهبت إلى الشافعى مجلسا قط إلا وجدت أحمد بن حنبل فى مجلسه، و كان أحمد ألزم للشافعى منا. و قال أبو داود سليمان بن الأشعث: ما رأيت أحمد بن حنبل يميل إلى أحد ميله إلى الشافعى. وروى الخطيب بسنده عن أحمد بن حنبل قال: هذا الذى ترون كله أو عامته من الشافعى، و ما بت منذ ثلاثين سنة إلا و أنا أدعو الله للشافعى و أستغفر له.



و قال صالح بن أحمد بن حنبل: ركب الشافعى حماره فصار أبى يمشى إلى جانبه و هو يذاكره فبلغ ذلك يحيى بن سعيد فبعث إليه فى ذلك، فبعث إليه أبى: إنك لو كنت فى الجانب الآخر من الحمار لكان خيرا لك. و فى (سير أعلام النبلاء) ج١٠ ص٨٦ قال ابن ماجه القزوينى: جاء يحيى ابن معين إلى أحمد بن حنبل، فبينما هو عنده إذ مرّ الشافعى على بغلته، فوثب أحمد يسلم عليه و تبعه فأبطأ و يحيى جالس فلما جاء قال يحيى: يا أبا عبد الله كم هذا؟ فقال: دع عنك هذا إن أردت الفقه فالزم البغلة. و قال أحمد أيضا: ما أحد مس بيده محبرة و قلما إلا و للشافعى فى عنقه منة. و قال أحمد بن حنبل: جاءت المسئلة ليس فيها أثر فأفت فيها بقول الشافعى، و فى (سير أعلام النبلاء) قال أحمد بن حنبل: إذا سئلت عن مسئلة لا أعرف فيها خبرا قلت فيها بقول الشافعى، لأنه إمام قرشى، و قد روى عن النبى ﷺ أنه قال: عالم قريش يملأ الأرض علما. و قال أحمد أيضا: لا أشد أخذا بسنة النبى صلى اله عليه و سلم من الشافعى. و قال أحمد: ما رأيت أحدا أتبع للأثر من الشافعى. و قال أيضا: كان الشافعى ﵀ قد جمع الله فيه كل خير. وروى الخطيب البغدادى بسنده عن إسحق بن راهويه قال: دخل أحمد بن حنبل و قال: تعال حتى أذهب بك إلى من لم تر عيناك مثله فذهب إلى الشافعى.

من كان يدعو له من أكابر العلماء

قال الإمام أحمد بن حنبل: إنى لأدعو للشافعى فى صلاتى منذ أربعين سنة أقول: اللهم اغفر لى ولوالدى ولمحمد بن إدريس الشافعى، فما كان فيهم أتبع لحديث رسول الله ﷺ منه، و فى رواية: ما أعلم أحدا أعظم منة على الاسلام فى زمن الشافعى من الشافعى.



و قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: يا أبت أى شى كان الشافعي فإنى سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال لى: يا بنى كان الشافعي كالشمس للدنيا و كالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو منهما عوض؟

و في (البداية والنهاية) أن عبدالرحمن بن مهدى كان يدعو للشافعي فى الصلاة دائما، و كان يحيى بن سعيد القطان يدعو له في الصلاة. و قال يحيى بن سعيد: إنى لأدعو الله تعالى للشافعي في كل صلاة أو في كل ليلة أو في كل يوم، يعنى لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه، وروى عنه أنه كان يقول: أنا أدعو الله للشافعي في صلاتي منذ أربعين سنة.

إمامته في الحديث و الفقه.

قال على بن معبد المصرى: ما عرفنا الحديث حتى جاءنا الشافعي. و قال الحسن بن محمد الزعفراني: كان أصحاب الحديث رقودا فأيقظهم الشافعي فتيقظوا. و قال أحمد: ما كان أصحاب الحديث يعرفون معاني أحاديث رسول الله ﷺ فبينها لهم.

قال الإمام أحمد: صاحب حديث لا يشبع من كتب الشافعي. و سئل الأئمة ابن خزيمة هل سنة صحيحة لم يودعها الشافعي كتبه؟ فقال: لا.

و قال أحمد بن حنبل: كان الفقه قفلا على أهله حتى فتحه الله بالشافعي. و سئل أبو ثور فقيل له: أيما أفقه الشافعي أو محمد بن الحسن؟ فقال أبو ثور: الشافعي أفقه من محمد و أبي يوسف و أبي حنيفة وحماد و إبراهيم و علقمة و الأسود. وقد أجاد من قال:

الفقه فيك طبيعة مطبوعة ولمن سواك تكلف و تصنع

و قال الشافعي لبعض أصحاب الحديث: أنتم الصيادلة و نحن الأطباء.



بل كان جامعا للفنون والعلوم، ففي (مناقب الشافعي) للبيهقي ج٢ ص٢٨٥ قال الربيع: كان الشافعي يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه عن تفسيره و معانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا، و استوت الحلقة للمذاكرة و النظر، فإذا ارتفعت الضحى تفرقوا و جاء أهل العربية و العروض و النحو والشعر، ولا يزالون إلى أن يقرب انتصاف النهار ثم ينصرف.

و مما يدل على إمامته في علوم الحديث و تبحره في فنونها انتساب أئمة الحديث و حفاظه إلى مذهبه، فقد تقرر أن أكابر حملة السنة المطهرة و حاملي رايتها من أتباعه المنتسبين إلى مذهبه منهم محمد بن إسمعيل البخاري، و سليمان بن الأشعث بن إسحاق الإمام الجليل أبو داود السجستاني صاحب السنن، و علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الإمام في المعرفة بعلل الحديث و أسماء الرجال الحافظ الجليل الدارقطني، و أحمد بن شعيب بن علي الإمام الجليل أبو عبدالرحمن النسائي، و أحمد بن عبد الله بن محمد المزي، و محمد بن إبراهيم أبوبكر الحافظ المنذري، و محمد ابن إسحق الحافظ ابن خزيمة، و محمد بن جرير الطبري الحافظ، و محمد بن حيان بن أحمد الحافظ الإمام أبو حاتم، و حمد بن محمد بن إبراهيم الحافظ ابو سليمان الخطابي، و زكريا بن يحيى ابن عبد الله بن محمد الحافظ الكبير النيسابوري، و عبد الله بن محمد بن زياد الإمام الحافظ الكبير الجرجاني، و عبدالرحمن بن أبي حاتم الإمام الرازي، و يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الحافظ الكبير، و أحمد بن حسين بن علي الحافظ الكبير البيهقي، و أحمد بن عبد الله بن أحمد الإمام الجليل الحافظ أبو نعيم، و أحمد بن علي بن ثابت أبوبكر الخطيب الحافظ الكبير أعلم الحفاظ، و أبو بكر أحمد بن علي الطبري الحافظ، و أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب الحافظ الكبير

أعلم الحفاظ، و أبو بكر أحمد بن على الطبرى الحافظ، و أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الحافظ الكبير المعروف بالبرقانى، و أحمد بن محمد بن أحمد أبو سعيد المالينى المحدث الحافظ الكبير طاووس الفقراء، و محمد ابن ادريس بن سليمان أبوبكر الحافظ، و محمد بن أحمد بن أبى سعد الحافظ الجارودى، و محمد بن الحسين بن موسى الحافظ أبو عبدالرحمن السلمى، و محمد بن عبد الله بن حمويه الحافظ الحاكم المعروف بابن البيع، و إسحق بن إبراهيم بن محمد الحافظ أبو يعقوب القراب السرخسى، و سعد بن على بن محمد الحافظ الزاهد أبو القاسم الزنجانى، و مكى ابن عبد السلام ابن الحسين الحافظ أبو القاسم، و أحمد بن محمد بن أحمد السلفى الحافظ الكبير أبو طاهر، و محمد بن موسى بن عثمان الحافظ أبو بكر الحازمى و اسمعيل بن أحمد بن عمر السمرقندى الحافظ الحافظ المسند، و عبدالكريم بن محمد بن منصور الحافظ أبو سعد السمعانى، و على ابن الحسن بن هبة الله الإمام الجليل حافظ الأمة بن عساكر، و مؤتمن بن أحمد الساجى الحافظ الكبير الثقة، و عبدالعظيم بن عبد القوى المنذرى الحافظ الكبير، و على بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الحافظ ابن الأثير، و عثمان بن عبدالرحمن بن موسى الحافظ أبو عمرو بن الصلاح، و القاسم بن على بن الحسن بن هبة الله الحافظ أبو محمد بن الحافظ، و أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الحافظ، و أبو العباس أحمد بن مظفر بن أبى محمد الحافظ الثقة الثبتى، و محمد بن أحمد بن عثمان الإمام الحافظ الذهبى، و محمد بن على بن وهب القشيرى أبو الفتح تقى الدين الحافظ ابن دقيق العيد، و عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن الحافظ شرف الدنيا الدمياطى، و على بن عبدالكافى السبكى الحافظ، و القاسم بن محمد البرزالى الحافظ، و يوسف بن زكى بن عبد الرحمن الحافظ المزى انتهى ما لخصته من (طبقات الشافعية الكبرى). و منهم شمس



الدين محمد بن محمد الحافظ الجزرى، و اسمعيل بن كثير الحافظ، و عبد الرحيم العراقى الحافظ، و أبوزرعة، و أبوالفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى، و شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى الحافظ، و جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى خاتمة الحفاظ.

إخلاصه فى أعماله

و كان ﷺ معروفا بمزيد الإخلاص و حسن النية و إرادة وجه الله تعالى فى تصنيفه و أعماله كلها، فقد روى عن الشافعى بطرق كثيرة أنه قال: ما ناظرت أحدا قط على الغلبة، وبودى أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب يعنى كتبه ولا ينسب إلىّ شيء منه. روى ذلك عنه الربيع بن سليمان المرادى و الحسن بن محمد بن الصباح، و الحسن بن عبدالعزيز المصرى و حسين الكرابيسى، وفى رواية ما ناظرت أحدا قط إلا على النصيحة، و ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطئى، وما فى قلبى من علم إلا وددت أن يتعلمه كل أحد ولا ينسب إلىّ، و ما كلمت أحدا قط إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لسانى أو لسانه، و قال المزنى: دخلت يوما على الشافعى و كان يصنف كتابا، فقلت له: رحمك الله إن اصحاب مالك و أصحاب أبى حنيفة صنفوا الكتب الكثيرة ويجتهدون فى العلم أكثر من اجتهادك، فقال لى: يا إبراهيم أليس ترى ما نحن فيه؟ و كان يتأذى بالبواسير ثم قال: نصنف و يصنفون و ما كان لله تعالى يبقى إلى الدهر.

أقواله وحكمه

قال الشافعى كما فى (مناقب الشافعى): إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله عزوجل فما لله ولى وفى رواية أخرى إن لم يكن الفقهاء أولياء الله فى الآخرة فما لله ولى، و قال أيضا: ما أحد أورع لله من الفقهاء. و قال الشافعى للربيع:

أجب يا ربيع فی المسائل فإنه لا يصيب أحد حتی يخطیء. و قال: ما أفلح فی العلم إلا من طلبه فی القلة و لقد كنت أطلب القرطالس فيعسر علیّ، و قال: لا يطلب أحد هذا العلم بالملك و عز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش و خدمة العلم و تواضع النفس أفلح. و قال: ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع. و كان يكره أن يقول الرجل قال الرسول، لكن يقول: رسول الله ﷺ تعظيما له.

أقوال العلماء فيه

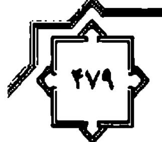
قال شيخه مالك بن أنس: أن الله عزوجل قد ألقی عليك نورا فلا تطفئه بالمعصية، و قال أيضا: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصی فإنه سيكن لك شأن. و قال الشافعی:

شكوت إلی وكيع سوء حفظی ... فأرشدنی إلی ترك المعاصی

و أخبرنی بأن العلم نور ... و نور الله لا يعطی لعاصی

و كان شيخه سفيان بن عيينة: إذا جاءه شیء من التفسير و الفتيا التفت إلی الشافعی، و قال: سلوا هذا. و فی (تهذيب الأسماء و اللغات) قال أبو العباس بن سريج: من أراد الظرف فعليه بمذهب الشافعی و قراءة أبی عمرو.

و قال المريسی ما رأيت أمهر من الشافعی. و قال ابن عبدالحكم: ما رأيت مثل الشافعی ولا رأی مثله. و قال تلميذه الكرابيسی: ما فهمنا استنباط أكثر السنن إلا بتعليم الشافعی إيانا. و قال داود بن علی الظاهری: كان الشافعی سراجا لحملة الآثار و نقلة الأخبار. و قال أبو أيوب حميد ابن أحمد البصری: كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر فی مسئلة فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث، فقال: إن لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعی، و حجته



أثبت شيء فيه وروى الخطيب بسنده عن إبراهيم الحربي أنه قال: أستاذ الأستاذين، قالوا من هو؟ قال: الشافعي، أليس هو أستاذ أحمد بن حنبل. و قال المزني: رأيت النبي ﷺ في المنام فسئلته عن الشافعي فقال لي: من أراد محبتي و سنتي فعليه بمحمد بن إدريس الشافعي المطلبي فإنه مني و أنا منه.

و من الأشعار التي قيلت في الشافعي:

ومن شعب الإيمان حب ابن شافع　　　و فرض أكيد حبه لا تطوع

و إن حياتي شافعي فإن أمت　　　فتوصيتي بعدي بأن تتشفعوا

و البيتان لأبي عبد الله البوشنجي، قال فيه نفطويه:

مثل الشافعي في العلماء　　　مثل البدر في نجوم السماء

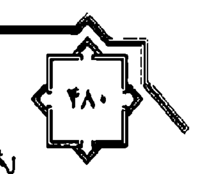
كان والله معدنا لعلوم　　　سيد الناس أفقه الفقهاء

راجحا عالما كريم طباع　　　سيد الناس أحلم الحلماء

و كأنه يشير إلى ما في (تهذيب الأسماء و اللغات) للنووي من أنه روى عن أبي الحسن علي ابن أحمد الدينوري قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله بقول من آخذ؟ فأشار إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: خذ بيد هذا فأت به ابن عمنا الشافعي ليعمل بمذهبه فيرشد و يبلغ بباب الجنة، ثم قال: الشافعي بين العلماء كالبدر بين الكواكب اهـ. و قال ابن حجر الهيتمي في (الفتاوى الحديثية) ص٢٧٩: قد اتفقوا على أن الشافعي رضي الله عنه كان من الأوتاد، و في رواية أنه تقطب قبل موته اهـ.

غريبة:

قال ابن السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) ج٥ ص١٣٤: قال أهل التجربة: إن أقاليم مصر و الشام و الحجاز متى كان اليد فيها لغير الشافعية خربت، و متى قدم سلطانها غير أصحاب الشافعية زالت دولته سريعا.



و كأن هذا السر جعله الله في هذه البلاد كما جعلها لمالك في بلاد المغرب، و لأبي حنيفة فيما وراء النهر، و قال صدر الدين بن المرحل: ما جلس على كرسي ملك مصر غير شافعي إلا وقتل سريعا، و هذا الأمر يظهر بالتجربة فلا يعرف غير شافعي إلا (قطز) رحمه الله كان حنفيا و مكث يسيرا و قتل، و أما الظاهر فقلد الشافعي يوم ولايته السلطنة وأطال ابن السبكي في ذلك.

٢ـ و منهم ابن جرير الطبري

ففي (طبقات الشافعية) لابن السبكي ج٢ ص١٣٦ و (تاريخ بغداد) ج٢ ص١٦٣ أن الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثيرا أباجعفر الطبري مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة، و ذكر أبو محمد الفرغاني أن أقواما من تلامذة محمد بن جرير حسبوا لأبي جعفر منذ بلغ الحلم إلى أن مات، ثم قسموا على تلك المدة أوراق مصنفاته فصال لكل يوم أربع عشرة ورقة!! وروى أن أبا جعفر قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير، فأجابوه مثل ذلك، فقال: إنا لله ماتت الهمم، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير. قال الحاكم: سمعت أبا بكر بن بالويه يقول: قال لي ابن خزيمة: بلغني أنك كتبت التفسير عن ابن جرير، قلت: نعم إملاء، قال: كله، قلت: نعم، قال: في كم سنة؟ قلت: من سنة ثلاث و ثمانين إلى سنة تسعين، قال: فاستعاره مني ابن خزيمة ثم رده بعد سنين، ثم قال: نظرت فيه من أوله إلى آخره و ما أعلم على

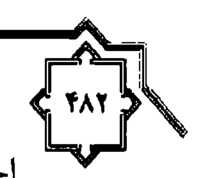


أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة. و كان ابن سريج يقول: إن محمد بن جرير قال: أفتيت بفقه الشافعي ببغداد عشر سنين، و قال ابن السبكي: إن المحمدين الأربعة ابن جرير و ابن خزيمة، و ابن نصر، و ابن المنذر و إن كانوا من أصحابنا الشافعيين فربما ذهبوا باجتهادهم المطلق إلى مذاهب خارجة عن المذاهب الشافعي. فلا نعد تلك المذاهب من مذهبنا بل سبيلها سبيل من خالف إمامه في شيء من المتأخرين أو المتقدمين. و كان مولد ابن جرير سنة أربع أو خمس و عشرين و مائتين، وتوفي رحمه الله سنة عشر وثلاثمائة.

و من تصانيفه كتاب سماه (تهذيب الآثار) وهو من عجائب كتبه ومات قبل تمامه، و ابتدأ بكتاب (البسيط) فخرج منه كتاب الطهارة في نحو ألف وخمسمائة ورقة، وله كتاب (التاريخ) و كتاب (القراءة و العدد و التنزيل) و كتاب (اختلاف العلماء و تاريخ الرجال من الصحابة و التابعين) و كتاب (أحكام شرائع الإسلام) و كتاب (الخفيف) و هو مختصر في الفقه و كتاب (التبصير في أصول الدين). و عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الإسفرائيني أنه قال: لو سافر الرجل حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ. مخلصا.

٣ـ ومنهم أبو الحسن الأشعري

وكان أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل كثير التصانيف، فقد قال الحافظ ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) ص١٣٦: إن أبا المعالي بن عبد الملك القاضي قال: سمعت من أثق به قال: رايت تراجم كتب الإمام أبي الحسن فعددتها أكثر من مائتين أو ثلاثمائة مصنف اهـ. و تبعه ابن السبكي في (طبقاته الكبرى) ج٢ ص٢٥٢.



و قال العلامة المحدث على (تبيين كذب المفترى) ص۲۹ و ۱۳٦: قال الحافظ أبو بكر بن العربى فى (العواصم عن القواصم): إن الشيخ أبا الحسن ألّف فى تفسير القرآن كتاباسماه بـ(المختزن) وهو خمسمائة مجلد، و ذكر المقريزى أنه فى سبعين مجلدا، و عدد المجلدات مما يختلف باختلاف الخط. و ابن فورك كثير النقل عن هذا التفسير، و قال التاج ابن السبكى: إنه اطلع على مجلد منه اهـ.

و قال فى (تبيين كذب المفترى): كان الشيخ أبو الحسن الأشعرى يصلى صلاة الصبح بوضوء العشاء قريبا من عشرين سنة. و كان لا يحكى عن اجتهاده أحدا، و كانت نفقته فى كل سنة سبعة عشر درهما، و قال أبو عمران موسى بن أحمد بن على: سمعت أبى يقول: خدمت الإمام أبا الحسن بالبصرة سنين، فلم أجد أورع منه، ولا أغض طرفا، ولم أر شيخا أكثر حياء منه فى أمور الدنيا، ولا أنشط منه فى أمور الاخرة. و كانت ولادته سنة ۲٦۰ ووفاته سنة ۳۲٤ و يقال: ۳۳۰ وقيل غير ذلك اهـ.

٤ـ و منهم ابن الأنبارى

ففى (معرفة القراء الكبار) للذهبى ج۱ ص۲۸ أن محمد بن القاسم بن محمد أبابكر بن الأنبارى كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهدا فى القرآن، و كان ثقة صدوقا، و قال أبو على التنوخى: كان ابن الأنبارى يملى من حفظه، ما أملى قط من دفتر. و قال محمد بن جعفر التميمى: ما رأينا أحفظ من ابن الأنبارى ولا أغزر من علمه، حدثونى عنه أنه قال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقا، قال التميمى: و هذا ما لا يحفظ لأحد قبله وحدثت أنه كان يحفظ مائة و عشرين تفسيرا بأسانيدها. و قيل: إن ابن الأنبارى أملى كتاب (غريب الحديث) فى خمسة و

أربعين ألف ورقة. وله كتاب (شرح الكافى) فى ألف ورقة. و كتاب (الألباب) و هو كبير، و كتاب (الجاهليات) فى سبعمائة ورقة. و كان رأسا فى نحو الكوفيين، وله كتاب (المذكر و المؤنث) ما ألف أحد أكبر منه. ولد سنة ٢٧١ وتوفى رحمه الله سنة ٣٢٨هـ. ببغداد اهـ.

و فى (البداية و النهاية) ج١١ ص١٩٦ أن ابن الأنبارى كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا، و حفظ تعبير الرؤيا فى ليلة، و كان يحفظ فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة. و كان من بحور العلم فى اللغة و العربية و التفسير و الحديث و غير ذلك اهـ.

٥ـ و منهم ابن شاهين

قال ابن العماد فى (شذرات الذهب) ج٣ ص١١٧: قال أبو الحسين المهتدى بالله: قال لنا أبو حفص بن شاهين عمر بن أحمد بن عثمان البغدادى: صنفت ثلاثمائة و ثلاثين مصنفا منها (التفسير الكبير) ألف جزء، و (المسند) ألف و ثلاثمائة جزء، و (التاريخ) مائة و خمسون جزءا. قال ابن أبى الفوارس: ابن شاهين ثقة مأمون، و صنف ما لم يصنف أحد، و كان واعظا مفسرا حافظا صاحب تصانيف. و قال السيوطى فى كتابه (مشتهى العقول و منتهى النقول): إن كتاب (منتهى التفاسير) لابن شاهين ألف مجلد، و (المسند) له ألف و خمسمائة مجلد. و مداد تصانيفه انتهى إلى ثمانية وعشرين قنطارا. قال ابن الجوزى: قلت: هذا من طى الزمان، انتهى ما نقله ابن العماد من السيوطى.

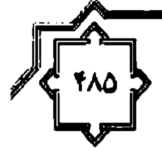
و قال الخطيب فى (تاريخ بغداد) ج١١ ص٢٦٧ و الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج١٦ ص٤٣٢: إن شاهين عمر بن أحمد بن عثمان قال: صنفت ثلاثمائة مصنف و ثلاثين مصنفا، أحدها (التفسير الكبير) ألف جزء و (المسند) ألف

جزء و خمسائة جزء و (التاريخ) مائة و خمسون جزءا و (الزهد) مائة جزء. و كان يقول: كتبت بأربعمائة رطل حبرا، و قال: حسبت ما اشتريت به الحبر إلى هذا الوقت فكان سبعمائة درهم، قال الداودى: و كنا نشترى الحبر أربعة أرطال بدرهم، قال: و قد مكث ابن شاهين بعد ذلك يكتب زمانا. و عن محمد بن أبى الفوارس قال: كان ابن شاهين ثقة، قد جمع و صنف ما لم يصنف أحد. توفى ﷺ سنة ٣٨٥هـ. قال الذهبى: مولده سنة ٢٩٧هـ. فعاش ٨٩ سنة، و قال الخطيب البغدادى: قال ابن شاهين: أول ما كتبت الحديث فى سنة ٣٠٨هـ. و كان لى إحدى عشرة سنة، و كذا كتب ثلاثة من شيوخنا فى هذا السن فتبركت بهم. و ذكر ابن كثير فى (البداية و النهاية) بعض ما ذكرناه عنه.

٦ـ و منهم الباقلانى

قال ابن كثير فى (البداية و النهاية) ج١١ ص٣٥٠: إن القاضى أبابكر الباقلانى كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة من مدة طويلة من عمره، قال ابن كثير: و قد كان فى غاية الذكاء و الفطنة، و سأله مرة بعض الاساقفة بحضرة ملكهم فقال: ما فعلت زوجة نبيكم، و ما كان من أمرها بما رميت به من الإفك؟ فقال الباقلانى مجيبا له على البديهة: هما امرأتان ذكرتا بسوء، مريم و عائشة فبرأهما الله عزوجل، و كانت عائشة ذات زوج و لم تأت بولد، و أتت مريم بولده و لم يكن لها زوج، يعنى أن عائشة أولى بالبراءة من مريم، و كلاهما بريئة مما قيل فيها، فإن تطرق فى الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع و هما بحمد الله منزهتان مبرأتان من السماء بوحى الله عزوجل.

و قد قبله الدارقطنى يوما و قال: هذا يرد على أهل الهوى باطلهم و دعا له. توفى ﷺ سنة ٤٠٣هـ.. وقد ذكرنا أنه يستسقى و يتبرك بقبره.



و قال الحافظ ابن عساكر فى (تبيين كذب المفترى): قال أبو بكر الخوارزمى: كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس، سوى القاضى أبى بكر الباقلانى فإن صدره يحوى علمه. و قال أبو الفرج محمد بن عمران الخلال: كان الباقلانى كل ليلة إذا صلى العشاء وقضى ورده وضع الدواة بين يديه و كتب خمسا و ثلاثين ورقة تصنيفا عن حفظه. وقد صنف سبعين ألف ورقة ردا على الملحدين، و كان أبو محمد اليافى يقول: لو أوصى رجل بثلث ماله أن يدفع إلى أفصح الناس لوجب أن يدفع إلى الباقلانى. و كان من أئمة الأشاعرة يرد على المخالفين من الرافضة و المعتزلة و الجهمية و الخوارج و الحشوية و المشبهة و غيرهم انتهى ملخصا.

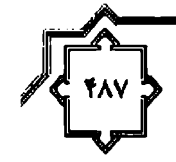
٧ـ و منهم السمرقندى

و فى كتاب (الرسالة المستطرفة) ص١٣٧ للعلامة محمد بن جعفر الكتانى المتوفى سنة ١٣٤٥ أن الحافظ أبا محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن قاسم بن جعفر السمرقندى جمع كتاب (بحر الأسانيد)، قال الذهبى: هو ثمانمائة جزء، و فيه مائة ألف حديث، لو رتب و هذب لم يقع فى الإسلام مثله اهـ. توفى أبو محمد السمرقندى رحمه الله سنة ٤٩١.

٨ـ و منهم الحافظ الكبير ابن عساكر

ففى (سير أعلام النبلاء) ج٢٠ ص٥٥٤ـ ٥٧٠: أن الحافظ الكبير محدث الشام أبا القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى صنف الكثير من الكتب، فمنها (تاريخه) فى ثمانمائة أجزاء، قال الذهبى: الجزء عشرون ورقة فيكون ستة عشر ألف ورقة، و جمع (الموافقات) فى أثنين و سبعين جزءا و (عوالى مالك) و

(الذيل) عليه خمسين جزءا و (غرائب مالك) عشرة أجزاء وله (مناقب الشبان) خمسة عشر جزءا و (فضائل أصحاب الحديث) أحد عشر جزءا و (فضل الجمعة) مجلدا و (تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الأشعرى) مجلد و (المسلسلات) مجلد و (السباعيات) سبعة أجزاء و (من وافقت كنيته كنية زوجته) أربعة أجزاء و (فى إنشاء دار السنة) ثلاثة أجزاء و (فى يوم المزيد) ثلاثة أجزاء، ثم ذكر الذهبى من تصانيفه نيفا و ستين كتابا. و قال الذهبى: بلغنا أن الحافظ عبد الغنى المقدسى بعد موت ابن عساكر نفذ ـ أى أرسل ـ من استعار له شيئا من (تاريخ دمشق) فلما طالعه انبهر لسعة حفظ ابن عساكر، و يقال: ندم على تفويت السماع منه، فقد كان بين ابن عساكر و بين المقادسة واقع. و كان ابن عساكر مواظبا على صلاة الجماعة و تلاوة القرآن، يختم كل جمعة، و يختم فى رمضان كل يوم و كان كثير النوافل و الأذكار و يحيى ليلة النصف و العيدين بالصلاة و التسبيح، و يحاسب نفسه على لحظة تذهب فى غير طاعة. و قال ابن عساكر: لما حملت بى أمي رأت فى منامها قائلا يقول: تلدين غلاما يكون له شأن، و رأى أبى رؤيا معناه يولد لك ولد يحيى الله به السنة. و حكى الفراوى قال: قدم علينا ابن عساكر فقرأ على فى ثلاثة أيام فأكثر فأضجرنى، و آليت أن أغلق بابى و أمتنع، جرى إليّ هذا الخاطر بالليل، فقدم من الغد شخص فقال: أنا رسول رسول الله إليك رأيته فى النوم، فقال: امض إلى الفراوى، و قل له: إن قدم بلدكم رجل من أهل الشام أسمر يطلب حديثى فلا يأخذك منه ضجر ولا ملل، فما كان الفراوى يقوم حتى يقوم الحافظ أولا. قال الذهبى: وعدد شيوخ ابن عساكر الذى فى (معجمه) ألف و ثلاثمائة شيخ، منهم بضع وثمانون امراة لهن (معجم) صغير. ولد فى أول المحرم سنة تسع و تسعين و أربعمائة هـ.، و توفى رحمه الله فى رجب فى سنة إحدى و سبعين و خمسمائة انتهى ملخصا.



٩ـ و منهم الإمام السيوطى

ففى (شذرات الذهب) ج٨ ص٥١ أن الحافظ جلال الدين أبا الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى الشافعى ولد سنة ٨٤٩، و ختم القرآن العظيم و له من العمر دون ثمان سنين، ثم حفظ (عمدة الاحكام) و (منهاج النووى) و (ألفية ابن مالك) و (منهاج البيضاوى) واجتهد وجد، و كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه و أخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتى ألف حديث، قال: ولو وجدت أكثر لحفظته!! وله تآليف كثيرة نافت ـ أى زادت ـ عدتها على خمسمائة مؤلف.

ولما بلغ أربعين سنة أخذ فى التجرد للعبادة و الانقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن الدنيا و أهلها. ورؤى النبى ﷺ و الشيخ السيوطى يسأله عن بعض الأحاديث و النبى يقول له: هات يا شيخ السنة، و رأى هو بنفسه هذه الرؤيا و النبى يقول له: هات يا شيخ الحديث، و ذكر الشيخ عبدالقادر الشاذلى أن السيوطى كان يقول: رأيت النبى ﷺ يقظة فقال لى: يا شيخ الحديث، فقلت له: يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا؟ قال: نعم، فقلت: من غير عذاب سبق؟ فقال: لك ذلك، و قال له الشيخ عبدالقادر: كم رأيت النبى ﷺ يقظة؟ فقال: بضعا و سبعين مرة، و توفى سنة٩١١.

و قال السيوطى فى (حسن المحاضرة فى تاريخ مصر و القاهرة) ج١ ص٣٣٨: رزقت التبحر فى سبعة علوم: التفسير و الحديث و الفقه و النحو و المعانى و البيان و البديع، و الذى أعتقد أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى فضلا عمن هو دونهم، و أما الفقه فلا أقول ذلك فيه، بل شيخى فيه أوسع نظرا و أطول باعا،و دون هذه السبعة فى المعرفة أصول الفقه و الجدل و التصريف، و دونها الإنشاء

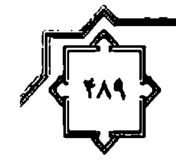
و الفرائض، ودونـها القراءت، و لم آخذها عن شيخ، و دونها الطلب، و أما علم الحساب فهو أعسر شيء على و أبعده عن ذهني، و قد كملت عنـدى الان آلـة الاجتهاد بحمد الله تعالى، و أقول ذلك تحدثا بنعمـة الله تعـالى لا فخـرا، و أى شيء فى الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، و قد أزف الرحيل، و بدا الـشيب، و ذهب أطيب العمر!! ولو شئت أن أكتـب فـى كـل مـسألة مـصنفا بأقوالهـا و أدلتها النقلية و القياسية و مداركها و نقوضها و أجوبتها و الموازنة بين اخـتلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولى و لا بقوتى، و لا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. و كان يقال له: ابن الكتـب لأن أمـه وضعته فى غرفة الكتب.

١٠ـ و منهم النابلسى

و فى (هدية العارفين فى أسماء المولفين و آثار المصنفين من كـشف الظنـون) ج٥ ص٥٩٠ أن الشيخ اسماعيل بن عبد الغنى بن إسماعيل النابلـسى الدمـشقى العارف بالله الحنفى الصوفى النقشبندى القادرى له تأليف كثيرة تبلـغ مـائتين و ثلاثين مؤلفا. ولد الشيخ بدمشق سنة ١٠٥٠ و توفى بها سنة١١٤٣.

١ـ و ممن لم تعلم لهم الخطيئة القاضى أبو الطيب

قال ابن الـسبكى فى (طبقات الشافعية الكبرى) ج٣ ص١٧٧: قال القاضى أبو بكر الشامى: قلت للقاضـى أبـى الطيـب شـيخنا و قـد عمـر: لقـد متعـت بجوارحك، فقال: لم لا و ما عصيت الله بواحدة منها قـط، و كـان القاضـى أبـو الطيب الطبرى طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن عمر إمامـا جلـيلا بحـرا غواصـا متسع الدائرة عظيم العلم جليل القدر كبير المحل، تفرد فـى زمانـه و توحـد، و



اشتهر اسمه فملأ الأقطار، وطاب ثناؤه فكان أحسن من مسك الليل و كافور النهار، و القاضي فوق وصف الواصف و مدحه، وعنه أخذ العراقيون العلم و حملوا المذهب.

ولد سنة ٣٤٨. و ابتدأ القاضي أبو الطيب يدرس الفقه و يعلم العلم وله أربع عشر سنة، فلم يبلخ به يوما واحدا إلى أن مات. ورأى النبي ﷺ في المنام وقال له: يا فقيه، و إنه يفرح بذلك و يقول: سماني رسول الله ﷺ فقيها، و عنه رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله أرأيت من روى عنك أنك قلت: نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ـ الحديث ـ أحق هو؟ قال: نعم.

و إذا أطلق الشيخ أبو اسحاق و شبهه من العراقين لفظ القاضي مطلقا في فن الفقه فإياه يعنون، كما أن إمام الحرمين و غيره من الخراسانين يعنون بالقاضي القاضي حسين، و الأشعرية في الأصول يعنون القاضي أبابكر بن الطيب الباقلاني، و المعتزلة يعنون عبد الجبار الإسترابادي. توفي القاضي أبو الطيب سنة ٤٥٠ اهـ.

٢ـ و منهم إمام الحرمين أبو المعالي عبدالملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري

ذكر ابن السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) ج٣ ص٢٥١ أن إمام الحرمين تلجلج مرة في مجلس مناظرة، فقيل له: يا إمام ما هذا الذي لم يعهد منك؟ فقال: ما أراها إلا بقايا المصة، فقيل: و ما هذه المصة؟ قال: إن أمي اشتغلت في طعام تطبخه لأبي و أنا رضيع فبكيت، و كانت عندنا جارية مرضعة لجيراننا فأرضعتني مصةأو مصتين، و دخل والدي فأنكر ذلك، و قال: هذه الجارية ليست ملكا لنا وليس لها أن تتصرف في لبنها و أصحابها لم يأذنوا

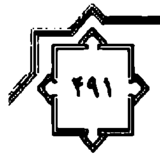
فى ذلك، وقلّبنى حتى لم يدع فى باطنى شيئا إلا أخرجه، و هـذه اللجلجـة مـن بقايا تلك الآثار، ثم قال ابن السبكى: فانظر إلى هذا الأمر العجيب، و إلى هـذا الرجل الغريب الذى يحاسب نفسه على يسير جـرى فـى زمـن الـصبا الـذى لا يكلف فيه.

و ذكر هذه القصة أيضا ابن خلكان فـى (وفيـات الأعيـان) ج٣ ص١٦٩ و ابن كثير فى (البداية و النهاية) ج١٢ ص١٢٨ و اليافعى فى (مـرآة الجنـان) ج٣ ص١٣٠ـ ١٣١. و اللجلجة التردد فى الكـلام، و ثقـل اللـسان، و أن لا يخـرج بعض الكلام فى أثر بعض.

قلت: و الظاهر من هذا أن إمام الحرمين لم يعمل خطيئة أصلا، لأنه لو علـم سيئة أتى بها لأسند تلك اللجلجة إليها ولم يذكر مصة فى طفولته، فلهذا ألحقتـه بمن حفظهم الله عن ارتكاب المعاصى صغيرة أو كبيرة. فـسبحان واهـب المـنن الذى يخص من شاء من عباده بما شاء من ألطافـه. و قـال ابـن الـسبكى: و عـن الشيخ أبى محمد الجوينى والد الإمام قال: رأيت ابـراهيم الخليـل عليـه الـصلاة والسلام فى النوم فأهويت لأقبل رجله فمنعنى من ذلك تكريما لى، فاسـتدرت فقبلت عقبه، فأوّلت ذلك الرفعة و البركة فى عقبى.

ثم قال ابن السبكى: وأى رفعة و بركة أعظم من هذا الإمام الذى طبق ذكره الأرض وعم نفعه فى مشارقها و مغاربها.

و قال الحافظ ابن عساكر فى (تبيين كذب المفترى) ص٢٧٨ـ ٢٨٥: أخبرنـا أبو الحسن بن أبى عبد الله بن أبى الحسين الأديب فى كتابه أن عبدالملك بن عبـد الله بن يوسف الجوينى أبا المعالى كان إمام الإئمة على الإطلاق، حـبر الـشريعة المجمع على إمامتة شرقا و غربا، من لم تر العيـون مثلـه، رزق مـن التوسـع فـى العبارة وعلوّها ما لم يعهـد مـن غـيره، حتـى أنـسى ذكـر سبحان، وفـاق فيهـا الأقران، و لما توفى أبوه أبو محمد الجوينى كان سنه دون العشرين أو قريبـا منـه،



فأقعد مكانه للتدريس، و كان يصل الليل بالنهار فى التحصيل، و كانت لذته و تنزهه فى مذاكرة العلم و طلب الفائدة من أى نوع كانت، و كان يقول: أنا لا أنام ولا آكل عادة، و إنما أنام إذا غلبنى النوم ليلا كان أو نهارا، و آكل إذا اشتهيت الطعام أى وقت كان، و كان من رقة القلب بحيث يبكى إذا سمع بيتا أو فكر فى نفسه ساعة، و إذا شرع فى حكاية الأحوال و خاض فى علوم الصوفية فى مجالسه أبكى الحاضرين ببكائه، و قطر الدماء من الجفون بزعقاته و نعراته و إشاراته، لاحتراقه فى نفسه و تحققه بما يجرى من دقائق الأسرار. ولد سنة ٤١٩ وتوفى سنة٤٧٨ و هو ابن ٥٩ سنه.

و آثار جِده واجتهاده فى دين الله يدوم إلى قيام الساعة، و إن انقطع نسله من الذكور ظاهرا، فنشر علمه يقوم مقام كل نسب، و مما قيل عند وفاته:

قلوب العالمين على المقالى　　　و أيام الورى شبه الليالى
أيثمر غصن أهل الفضل يوما　　　و قد مات الإمام أبو المعالى

انتهى ما لخصته من (تبيين كذب المفترى)

و الزعقة اصحيحة، و الزعاق كشدّاد من يطرد الدواب و يصيح فى آثارها، وزعقة المؤذن صوته. قوله (نعراته) فى (القاموس) و شرحه نعر الرجل نعيرا و نعارا صاح و صوّت بخيشومه.

و قال ابن السبكى فى (طبقات الشافعية): و عن إمام الحرمين ما تكلمت فى علم الكلام كلمة حتى حفظت من كلام القاضى أبى بكر وحده اثنى عشر ألف ورقة، سمعت الشيخ الإمام يحكى ذلك. ثم قال ابن السبكى: انظر هذا الأمر العظيم، و هذه المجلدات الكثيرة التى حفظها من كلام رجل واحد فى علم واحد، فبقى كلام غيره و العلوم الأخر التى له فيها اليد الباسطة، والتصانيف المستكثرة فقها و أصولا و غيرهما، و كان مراده بالحفظ فهم تلك و

استحضارها لكثرة المعاودة، و أما الدرس عليها كما يدرس الإنسان المختصرات فأظن القوى تعجز عن ذلك اهـ.

و قال الشيخ أبو إسحق الشيرازى: تمتعوا بهذا الإمام فإنه نزهة هذا الزمان، يعنى إمام الحرمين، و قال له مرة: يا مفيد أهل المشرق و المغرب لقد استفاد من علمك الأولون و الآخرون، و قال مرة أخرى: أنت اليوم إمام الأئمة، و قال ابن السبكى و غيره: من تصانيفه (النهاية فى الفقه) لم يصنف فى المذهب الشافعى مثلها و (الشامل فى أصول الدين) و (البرهان فى أصول الفقه) و (الإرشاد فى أصول الدين) و (التلخيص مختصر التقريب) و (الإرشاد فى أصول الفقه) أيضا و (غياث الأمم و مغيث الخلق فى ترجيح مذهب الشافعى) و (الرسالة النظامية) وله (مختصر النهاية) اختصرها بنفسه، و هو من محاسن كتبه،و قال فيه: إنه يقع فى الحجم من (النهاية) أقل من النصف و فى المعنى أكثر من الضعف.

و من حميد سيرته أنه ما كان يستصغر أحد حتى يسمع كلامه بادئا كان أو متناهيا، و لا يستنكف عن أن يعزى الفائدة المستفادة إلى قائلها و يقول: إن هذه الفائدة مما استفدته من فلان، و لا يحابى أنها من الزيف إذا لم يرض كلامه ولو كان أباه أو أحدا من الائمة المشهورين.

٣ـ و منهم عبد الواحد بن أحمد الشافعى

ففى (طبقات الشافعية الكبرى) لابن السبكى ج٣ ص٢٨٣ أن عبد الواحد بن أحمد بن الحسين حج و أنفق مالا صالحا على المجاورين الفقراء بالحرمين، و حكى أن الحجاج عطشوا فى تلك السنة فسألوه أن يستسقى لهم، فتقدم و قال: اللهم إنك تعلم أن هذا بدن لم يعصك قط فى لذة، ثم استسقى فسقى الناس. توفى سنة ٤٨٦ اهـ.



٤ـ و منهم ابن الصلاح

ففی (طبقات الشافعية الكبرى) ج٥ ص١٣٧ قال ابن الصلاح: ما فعلت صغيرة فی عمری قط. قال ابن السبكی: و هذا فضل من الله عليه عظيم. توفی سنة ٦٤٣ و سبق ذكره فی التبرك بمقابر الصالحين، و أنه يستجاب الدعاء عند قبره.

٥ـ و منهم تقی الدين ابن دقيق العيد المالكی ثم الشافعی

ففی (طبقات الشافعية الكبرى) ج٦ ص٤ أن أبا الفتح تقی الدين محمد بن علی بن وهب ابن مطيع بن دقيق العيد كان يقول: ما تكلمت كلمة و لا فعلت إلا و أعددت له جوابا بين يدی الله عز وجل، و كان يخاطب عامة الناس ـ السلطان فمن دونه ـ يا إنسان، و إن كان المخاطب فقيها كبيرا قال: يا فقيه، و تلك كلمة لا يسمح بها إلا لابن الرفعة و نحوه. و كان إماما حافظا زاهدا ورعا ناسكا مجتهدا مطلقا ذا خبرة تامة بعلوم الشريعة سالكا سبيل السادة الأقدمين، أكمل المتأخرين و إمامهم، و بحر العلم الذی لا تكدره الدلاء، و لم يزل حافظا للسانه مقبلا على شأنه، ولو شاء العادّ أن يحصر كلماته لحصرها، و كان ابن دقيق العيد العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار إليه فی الحديث النبوی، ولد سنة ٦٢٥، فأخذه والده على يده وطاف به فی الكعبة جعل يدعو الله أن يجعله عالما عاملا، و كانت والدته بنت الشيخ المفرج، و والده الشيخ البركة مجد الدين فأصلاه كريمان، و كان دأبه فی الليل علما و عبادة، فربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين، و ربما تلا آية واحدة فكررها الى مطلع الفجر، واستمع له بعض أصحابة و هو يقرأ فوصل إلى قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾ فما زال يكررها إلى طلوع

الفجر. توفى سنة ٧٠٢، وله تصانيف كثيرة منها: كتاب (الامام) فى الحديث، و هو جليل حافل لم يصنف مثله، و كتاب (الإلمام) و (شرحه) وله أشعار مليحة اهـ.

و قال الحافظ العسقلانى فى (الدرر الكامنة) ج٤ ص٩٢: قال الشيخ قطب الدين السنباطى: قال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد: لكاتب الشمال سنون لم يكتب عليّ شيئا. و فى بعض نسخ (الدرر) لكتاب الشمال ستون سنة لم يكتب عليّ شيئا.

و فى (الدرر الكامنة) أيضا ج٤ ص٩٥ قال الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافى المالكى: أقام الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد أربعين سنة لا ينام الليل إلا أنه كان إذا صلى الصبح اضطجع على جنبه حتى يتضحى النهار.

و قال الشعرانى فى (لطائف المنن) ص٥: كان الإمام الليث بن سعد يقول: أنا أعرف شخصا من منذ وعى على نفسه ما عصى ربه قط. قال الشعرانى: فكان أصحابه يتحدثون فيما بينهم أنه يعنى بذلك نفسه. وغمز رجل قدم أبى العباس السيارى أحد رجال رسالة القشيرى، فقال له أبو العباس: أتغمز قدما ما مشى إلى معصية قط اهـ.

و ممن أحيا الليالى وصلى بوضوء العشاء صلاة الصبح أربعين سنة أو أكثر منها

١ـ سعيد بن المسيب التابعى الجليل

روى الحافظ أبو نعيم فى (حلية الأولياء) ج٢ ص١٦٣ بسنده عن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة اهـ.



و قال النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات): هو الإمام الجليل أبو محمد سعيد بن المسيب ابن حزن بن أبى وهب إمام التابعين، و أبوه وجده صحابيان، واتفق العلماء على إمامته و جلالته و تقدمه على أهل عصره فى العلم و الفضيلة و وجوه الخير، و كان يقال له: فقيه الفقهاء. و قال الإمام أحمد: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، و مراده أفضلهم فى علوم الشرع و إلا ففى (صحيح مسلم) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن خير التابعين رجل يقال له: أويس، و كان به بياض، فمروه فليستغفر لكم.

و قال أصحابنا المتأخرون: مراسيل ابن المسيب حجة عند الشافعى، و لاصحابنا المتقدمين و جهان مشهوران، أحدهما أنها حجة مطلقة و الثانى و هو الصحيح واختاره المحققون أنها كغيرها من مراسيل كبار التابعين، فإن اعتضدت بمسند أو بمرسل من جهة أخرى أو قول بعض الصحابة أو أكثر الفقهاء بعدهم كانت حجة عند الشافعى، و إلا فلا، كذا ذكره البيهقى و الخطيب البغدادى و غيرهما من الحفاظ المتقنين. وروى البخارى فى (تاريخه) أن ابن المسيب حج أربعين حجة. و (المسيب) بفتح الياء و كسرها و الفتح هو المشهور، وحكى عنه أنه كان يكرهه. ولد ابن المسيب لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب، و قيل لأربع سنين. و توفى سنة ٩٣، و قيل ٩٤هـ. ملخصا من (تهذيب النووى).

٢ـ و منهم أبو عبدالرحمن طاووس بن كيسان اليمنى التابعى

قال الحافظ ابن الجوزى فى (صفة الصفوة) ج٢ ص٢٨٨: وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلى وهب بن منبه و طاووس اليمانى الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة، و كان طاووس يقول: طيّر ذكرُ جهنم نوم العابدين، و أتى

طاووس رجلا في السحر فقيل له: هو نائم، فقال: ما كنت أدري أن أحدا ينام في السحر، و كان إذا صلى هو وأصحابه العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحدا وابتهلوا في الدعاء، و كان يقول: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعا، فكانوا يستحبون أن يُطْعَمَ عنهم تلك الأيام، و أدرك طاووس خمسين من الصحابة، و أكثر روايته عن ابن عباس. توفي طاووس سنة ١٠٦، وله بضع و تسعون سنة اهـ.

و قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): كان طاووس فقيها قدوة عالم اليمن حافظا، قال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن و من سادات التابعين مستجاب الدعوة حج أربعين حجة.

٣ـ و منهم وهب بن منبه

في (سير أعلام النبلاء) ج٤ ص٤پ٥٤٧ عن مسلم الزنجي قال: لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش، وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة و الصبح وضوءا، ولد سنة ٣٤ و مات ﷺ سنة ١١٠ و قيل: سنة ١١٤هـ..

و في (صفة الصفوة) أيضا ج٢ ص٢٩٤ أن وهب بن منبه كان يصلي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة.

٤ـ ومنهم صفوان بن سليم

و في (صفة الصفوة) ج٢ ص١٥٤ أن صفوان بن سليم لم يضع جنبه على فراش منذ أربعين سنة اهـ.. و قد ذكرناه في باب التبرك بذكر الصالحين.

٥ـ و منهم الإمام أبو حنيفة

و في (البداية و النهاية) لابن كثير ج١٠ ص١٠٧ أن الإمام أبا حنيفة ﷺ



كان يقوم الليل، و يقرأ القرآن فى كل ليلة ويبكى حتى يرحمه جيرانه، و مكث أربعين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء، و ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعين الف مرة. توفى سنة١٥٠ .

٦ـ و منهم أبو بكر بن عياش

و فى (معرفة طبقات القراء الكبار) للحافظ الذهبى ج١ ص١٣٦ـــ ١٣٨ قال يزيد بن هارون: إن أبابكر بن عياش كان خيرا فاضلا لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة، و قال يحيى ابن معين: لم يفرش لأبى بكر فراش خمسين سنة، و روى من غير وجه أنه مكث أربعين سنة أو نحوها يختم القرآن كل يوم وليلة. ولد سنة خمس و تسعين وتوفى سنة ثلاث وتسعين و مائة. و قال الذهبى كان سيدا إماما حجة كثير العلم منقطع القرين، و قال ابن المبارك: ما رأيت أحدا أسرع إلى السنة من أبى بكر بن عياش، و لما حضرته الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظرى إلى الزاوية قد ختمت فيها ثمان عشرة ألف ختمة اهـ.

٧ـ و منهم السرى بن المغلس السقطى

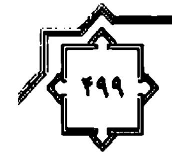
ففى (رسالة القشيرى) للإمام أبى القاسم القشيرى و (البداية و النهاية) للحافظ ابن كثير و (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادى، و (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبى، و (النجوم الزاهرة) و (شذرات الذهب) أن الشيخ السرى السقطى أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا فى علة الموت اهـ. و ذكر ابن الجوزى فى (صفة الصفوة) ج٢ ص٣٨٢ أن الجنيد البغدادى قال: ما رأيت أعبد من السرى السقطى، ما رؤى مضطجعا ثمانية و سبعين سنة إلا فى علة الموت اهـ. و كان مع هذا شديد الخوف، ففى (سير أعلام النبلاء) و (حلية

الأولياء) و رسالة الإمام القشيري، و (شذرات الذهب): أن الجنيد قال: سمعت السري يقول: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرارا مخافة أن يكون وجهي قد اسود، و ما أحب أن أموت حيث أعرف، أخاف أن لا تقبلني الأرض فافتضح. و قال كما في (صفة الصفوة) من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبني إلا منهم.

نبذة من أقواله وحكمه

وفي (طبقات الصوفية) للحافظ أبي عبد الرحمن السلمي و (سير أعلام النبلاء) قال الجنيد: سمعت السري يقول: إذا فاتني جزء من وردي فلا يمكنني قضاؤه. يعني لاستغراق أوقاته. وفي (الحلية) أنه قال: اعتللت فدخل على القراء يعدونني فجلسوا فأطالوا جلوسهم فآذاني، ثم قالوا: إن رأيت أن تدعو الله فمددت يدي وقلت: اللهم علمنا أدب العيادة. و كان يقول: لو أن رجلا دخل إلى بستان فيه جميع ما خلق الله من الأشجار، عليها جميع ما خلق الله من الأطيار فخاطبه كل طير منها بلغته و قال: السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان في يدها أسيرا. و قال: قليل في سنة خير من كثير في بدعة، و قال: من خاف الله خافه كل شيء.

و كان يقول: أقوى القوة غلبتك نفسك، و من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز و قال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو الحسن البغدادي صحب معروفا الكرخي و هو أجل أصحابه، و هو خال الجنيد البغدادي و أستاذه، ولد في حدود الستين و مائة اهـ. و اختلفوا في سنة وفاته فقيل: ثلاث و خمسون و مائتان وعليها الأكثرون، و قيل واحد و خمسون ومائتان، و قيل: سبعة و خمسون و مائتان.



تنبيه:

و ما قاله الذهبى من أنه ولد فى حدود الستين و مائة لا يتمشى مع قولهم: إنه ما رؤى مضطجعا ثمانية و تسعين سنة كما لا يخفى. و على ما ذكره الذهبى من أنه ولد سنة مائة وستين تقريبا مع تقدير أن وفاته كانت سنة سبعة و خمسين و مائتين يكون عمره سبعة و تسعين سنة، فالقول بأنه لم يضطجع ثمانية و تسعين سنة غير معقول، و يحتمل أنه ولد قبل الستين و مائة فالغلط مما ذكره الذهبى فإنه يبعد كل البعد أن يكون ما توافق عليه الحفاظ النقاد و الائمة المذكورون غلطا، فلعل الغلط ما ذكره الذهبى فى (السير) و الله أعلم.

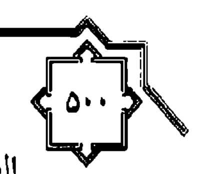
و فى (الأنساب) لأبى سعد السمعانى ج٣ ص٢٨٥: السقطى بفتح السين المهملة و فتح القاف،و كسر الطاء المهملة، و هذه النسبة إلى بيع السقط و هى الأشياء الخسيسة اهـ.

٨ـ و منهم أبو بكر النيسابورى

و فى (تهذيب الأسماء و اللغات) للنووى ج٢ ص٤٨٥ أن أبابكر النيسابورى عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابورى كان زاهدا بقى أربعين سنة لم ينم الليل يصلى الصبح بطهارة العشاء، قال الدارقطنى: ما رأيت أحفظ منه. واتفق العلماء على توثيقه و الثناء عليه، و أكثر الدارقطنى الرواية عنه فى سننه. ولد سنة ٢٣٨ وتوفى ؒ سنة ٣٢٤ اهـ..

٩ـ و منهم الشيخ عبد القادر الجيلانى

و فى (الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية) ج٢ ص٨٩ أن الشيخ عبد القادر الجيلانى كان يصلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة.



و قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٢٠ ص٤٣٩: كان الشيخ عبد القادر بن أبى صالح عبد الله الجيلى الحنبلى إماما عالما زاهدا عارفا شيخ الإسلام علم الأولياء، ولد بجيلان فى سنة ٤٧١ وعاش الشيخ عبدالقادر ٩٠ سنة وانتقل إلى رحمة الله فى ١٠ ربيع الآخر سنة ٥٦١. و تكلم الذهبى عن أحوال الشيخ عبدالقادر فى ستة أوراق. و فى (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة) ج٥ ص٣٧١ أن الشيخ محيى الدين أبو محمد عبدالقادر بن أبى صالح موسى ابن عبد الله الجيلى الحنبلى كان سيدا شريفا صالحا زاهدا، و أمه أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت أبى عبد الله الصومعى، و كان شيخ العراق صاحب حال و مقال، عالما عاملا قطب الوجود، إمام أهل الطريقة قدوة المشايخ فى زمانه بلا مدافعة، أفتى ودرس ووعظ سنين و نظم و نثر، و كان محققا و هو أحد المشايخ الذين طنّ ذكرهم فى الشرق و الغرب اهـ. يعنى ذاع صيتهم و ذكرهم فى الآفاق و الأقطار كما فى (المعجم الوسيط).

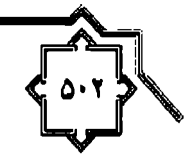
و قال ابن العماد فى (شذرات الذهب) ج٤ ص١٩٨: كان الشيخ عبدالقادر بن أبى صالح عبد الله نحيف الجسم عريض الصدر عريض اللحية أسمر مدور الحاجبين، ذا صوت جهورى و سمت بهى، تفقه فى مذهب الإمام أحمد بن حنبل وسمع الحديث من جماعة، و علوم الحديث من آخرين، وصحب حمادا الدباس فأخذ عنه علم الطريقة بعد أن لبس الخرقة من أبى سعد المبارك المخرمى، وفاق أهل وقته ووقع له القبول التام مع القدم الراسخ فى المجاهدة وقطع داء الهوى و النفس و صار قطب الوجود، و كراماته تخرج عن الحد، قال الشيخ موفق الدين وقد سئل عن الشيخ عبدالقادر: لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات مما يحكى عنه، و لا رأيت أحدا يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه.



و قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام: ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر. و قال ابن النجار: سمعت عبدالرزاق بن الشيخ عبد القادر يقول: وَلَدَ والدى تسعة و أربعين ولدا، سبعة وعشرون ذكور و الباقى إناث انتهى باختصار.

و قال الشيخ عبدالوهاب الشعرانى فى (طبقات الصوفية الكبرى) ج٢ ص١٠٨: ولد الشيخ عبدالقادر بن موسى بن عبد الله الجيلى سنة ٤٧٠ و توفى سنة ٥٦١، وقد أفرده الناس بالتآليف، و كان ﵁ يتكلم فى ثلاثة عشر علما، و كانوا يقرأون عليه فى مدرسته درسا من التفسير و درسا من الحديث و درسا من المذهب، و كانوا يقرأون عليه طرفى النهار التفسير و علوم الحديث و المذهب و الأصول و النحو، و كان ﵁ يقرأ القرآن بالقرآت بعد الظهر، و كان يفتى عليه مذهب الإمام الشافعى و الإمام أحمد بن حنبل ﵄، و كانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب فيقولون سبحان من أنعم عليه، ورفع إليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بد أن يعبد الله عزوجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس فى وقت تلبسه بها، فماذا يفعل من العبادات؟ فأجاب على الفور يأتى بمكة و يخلى له المطاف و يطوف سبعا وحده و ينحل يمينه، فأعجب علماء العراق و كانوا قد عجزوا عن الجواب عنها. و أطال الشعرانى فى ذكر أحواله و كراماته قدس الله أسراره و نفعنا ببركاته اهـ.

و الجيلانى كما فى (الأنساب) و (اللباب) بكسر الجيم و سكون الياء، و هذه النسبة إلى جيلان، و هى بلاد وراء طبرستان. و فى (معجم البلدان) لياقوت الحموى جيلان: بالكسر اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان وليس فى جيلان مدينة كبيرة إنما قرى بين جبال، ينسب إليها جيلانى و جيلى، و العجم يقولون كيلان اهـ.



تنبيه:

علم مما ذكرناه اختلافهم في اسم والد الشيخ عبد القادر، فالذهبي و ابن العماد قالا: هو أبو صالح عبد الله، و في (النجوم الزاهرة) هو أبو صالح موسى بن عبد الله، و قال الشعراني: موسى بن عبد الله فقط و لم يذكر كنيته أبا صالح، فالله أعلم.

١٠ـ و منهم حبشي بن داود

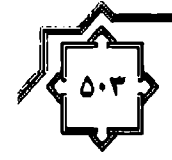
ففي (مكاشفة القلوب) ص٥ أن حبشي بن داود صلي الغداة أربعين سنة على طهر العشاء اهـ.

و في (تنبيه المغترين) ص٥٢ كان بشر الحافي و يزيد الرقاشي و مالك بن دينار و سفيان الثوري و إبراهيم بن أدهم يقومون الليل كله على الدوام إلى أن ماتوا رحمهم الله و نفعنا بأمدادهم اهـ.

و كان قوم من الصالحين يصلون كل ليلة ألف ركعة

١ـ منهم زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب

ففي (صفة الصفوة) ج٢ ص٩٣ـ ١٠٠ و حلية الأولياء ج٣ ص١٣٣ أن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبي طالب كان إذا توضأ يصفر فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أقوم؟ و كان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له: مالك؟ فقال: أتدرون بين يدي من أقوم و من أناجي؟ وقد وقع حريق في بيت فيه على بن الحسين و هو ساجد، فجعلوا يقولون له: يا ابن رسول الله النار يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قال: ألهتني عنها النار



الأخرى. و كان على ابن الحسين ﷺ يصلى فى كل يوم وليلة ألـف ركعـة. تـو فى سنة ٩٤هـ. و هو ابن ٥٨ سنة اهـ. و أكثر ذلك فـى (سـير أعـلام النـبلاء) أيضا.

٢ـ و منهم بلال بن سعد

ففى (سير أعلام النبلاء) ج٥ ص٩١ قال الأوزاعى: كان بلال بن سعد مـن العبادة على شىء لم نسمع أحدا قوى عليه، كـان لـه كـل يـوم و ليلـة ركعـة. و بعضهم يشبه بالحسن البصرى، و قال الأوزاعى: سمعت بلال بن سـعد يقـول: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر من عـصيت. قـال الـذهبى: هـو الإمـام الربانى الواعظ شيخ أهل دمشق كان لأبيه سعد صحبة، حدث عن أبيـه و عـن معاوية و جابر بن عبد الله، وروى عنه الأوزاعى و خلائق. توفى ﷺ سنة نيف و عشرة و مائة اهـ.

٣ـ و منهم على بن عبد الله بن عباس

ففى (صفة الصفوة) ج٢ ص١٠٧ أن الأوزاعى و على بن جملـة قـالا: كـان على بن عبد الله بن عباس يسجد كل يوم ألف سجدة.

و قال النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات) ج١ ص٣٢٠ قال أبـو سـنان: كان على بن عبد الله بن عباس يصلى كل يوم ألف ركعة، و كان يدعى السجاد. توفى سنة سنة ١١٧.

و مثله فى (سير أعلام النبلاء) ج٥ ص٢٤٨. و فيه أيضا قـال ابـن المبـارك: كان له خمسمائة شجرة يصلى عند كـل شـجرة ركعتـين و ذلـك كـل يـوم، قـال الذهبى لقب بالسجاد لكثرة صلاته.

٤ـ و منهم كهمس بن الحسن

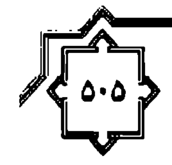
ففى (صفة الصفوة) ج٣ ص٣١٤ أن كهمس بن الحسن القيسى كان يصلى ألف ركعة فى اليوم و الليلة، فإذا مل قال لنفسه: قومى يا مأوى كل سوء فو الله ما رضيتك لله ساعة قط. و عن عمارة بن زازان قال لى كهمس بن الحسن: يا أباسلمة أذنبت ذنبا و أنا أبكى عليه أربعين سنة، قلت: و ما هو؟ قال: زارنى أخ لى فاشتريت له سمكا بدانق، فلما أكل قمت إلى حائط جار لى فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده، فأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة.

و قال عطاء الرملى: كان كهمس يقول فى جوف الليل: أتراك معذبى و أنت قرة عينى يا حبيب قلباه؟ و قال أحمد بن الفتح: سمعت بشر بن الحارث يقول: كان كهمس يصلى حتى يغشى عليه.

٥ـ و منهم مرة بن شراحيل الهمدانى

ففى (صفة الصفوة) ج٣ س٣٤ عن عطاء بن السائب قال: كان مرة الهمدانى يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما ثقل و بدن صلى أربعمائة ركعة، و كنت أنظر إلى مباركه كأنها مبارك الإبل. و عن زبيد اليامى قال: كان مرة الهمدانى يصلى فى اليوم و الليلة ستمائة ركعة، و قال حصين: أتينا مرة بن شراحيل نسأل عنه فقالوا: إنه فى غرفة له قد تعبد اثنتى عشرة سنة فدخلنا عليه. و قال ابن الجوزى: أسند مرة عن أبى بكر و عمر و غيرهما رضي الله عنهم.

و قال الحارث الغنوى: سجد مرة الهمدانى حتى أكل التراب جبهته. و قال العلاء بن عبدالكريم: كنا نأتى مرة الهمدانى فيخرج إلينا فنرى أثر السجود فى جبهته و كفيه وركبتيه وقدميه، فيجلس معنا هنية ثم يقوم قائما، فإنما هو ركوع و سجود اهـ.



وكان بعضهم يكثر تلاوة القرآن العظيم

ففى (الأذكار) للنووى ص٩٥ قد كانت للسلف عادات مختلفة فى القدر الذى يختمون فيه القرآن، فكان جماعة منهم يختمون فى كل شهرين ختمة، و آخرون فى كل شهر ختمة، و آخرون فى كل عشر ليال ختمة، و آخرون فى كل ثمان ليال ختمة، و آخرون فى خمس، و آخرون فى أربع، و كثيرون فى كل ثلاث، و كان كثيرون يختمون كل يوم وليلة ختمة، و ختم جماعة كل يوم وليلة ختمتين، و آخرون كل يوم و ليلة ثلاث ختمات، و ختم بعضهم فى اليوم و الليلة ثمان ختمات، و ممن ختم أربع ختمات فى الليل و أربعا فى النهار السيد الجليل ابن الكاتب الصوفى، و هذا أكثر ما بلغنا فى اليوم و الليلة، وروى السيد الجليل أحمد الدورقى بإسناده عن منصور بن زادان بن عباد التابعى أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر، و يختمه فيما بين المغرب و العشاء، و يختمه فيما بين المغرب و العشاء فى رمضان ختمتين و شيئا، و كانوا يؤخرون العشاء فى رمضان إلى أن يمضى ربع الليل. وروى ان أبى داود بإسناده الصحيح أن مجاهدا رحمه الله كان يختم القرآن فى رمضان فيما بين المغرب و العشاء اهـ..

قال ابن علان فى (شرحه على الأذكار): هذا و الذى قبله و ما فى معناه من أنواع الكرامات، و هو المباركة فى الوقب بحيث يجرى فيه من الخير ما لا يجرى فيما هو أطول منه. و قال النووى أيضا: أما الذين ختموا القرآن فى ركعة فلا يحصون لكثرتهم، فمنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، و تميم الدارى، و سعيد بن جبير اهـ. و قال ابن علان فيه أيضا نقلا عن (التبيان) للنووى: و ممن ختم فى كل يوم و ليلة ختمتين عثمان بن عفان و تميم الدارى رضي الله عنهما، و سعيد بن جبير و مجاهد و الشافعى. وممن ختم فى اليوم و الليلة ثلاث ختمات سليم ابن غتر، و

كان قاضي مصر في خلافة معاوية، و كان تابعيا كبيرا، شهد فتح مصر في عهد عمر رضي الله عنه.

قلت: و ممن أدركته من العباد الذين يختمون كل يوم و ليلة ختمة شيخ مشايخنا الشيخ طاهر بن الشيخ عمر بن الشيخ حسن معلم تلميذ سيدى الشيخ على ميه.

و منهم الشيخ محمود بن الشيخ أحمد أيكر (غبيو) و أخبرني أنه كان يقرأ الختمة كيف اتفق له، قال: ثم أمرني سيدى الشيخ محمد بن الشيخ على ميه أن أقرأه على طهارة و استقبال و نظر للمصحف الشريف.

و منهم رفيقنا الشيخ سيدو ـ البغدى ـ المعمر، فقد كان يختم كل يوم و ليلة ختمة، و أخبرنا أنه كان يختم في شبابه كل يوم و ليلة سبع ختمات، قال: و بعد ذهاب الشباب و ضعف القوة عجزت عن ذلك تدريجيا، فكنت أقرأ ست ختمات ثم خمسا و هكذا حتى صرت أختم في اليوم و الليلة مرة واحدة فقط. و كان رقيق القلب كثير البكاء عليه سيما الصالحين.

و كان أستاذى الشيخ عبد الله بن الشيخ داود يقرأ في اليوم و الليلة نصف القرآن فيختم في الشهر خمسة عشر مرة.

لطيفة:

وقد يسر الله لبعضهم حفظ القرآن الكريم في مدة وجيزة، منهم الإمام الزهرى أبوبكر محمد ابن مسلم بن عبيدالله بن عبد الله بن شهاب.

ففي (تذكرة الحفاظ) للذهبي ج١ ص١١٠ أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلة، وروى ليث عنه قال: ما استودعت قلبي علما فنسيته، قال مالك: بقي ابن شهاب و ما له في الدنيا نظير. ولد الزهرى سنة خمسين و توفى رحمه الله سنة ١٢٤.

وفي (شذرات الذهب) ج٨ ص٣٣٧ أن سعد الدين على بن محمد بن على حفظ القرآن العظيم وهو ابن خمس سنين في سنتين، وتوفى رحمه الله سنة ٩٦٣هـ..



و من أرباب المجاهدات و سهر الليالى ممن يكابد بأنواع الطاعات المختلفة خلائق غير من ذكرناهم.

١ـ كأبى عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى الشافعي

ففى (الرسالة القشيرية) ص٣٦ قال أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى: ربما أقرأ فى ابتداء أمرى فى ركعة واحدة عشرة الاف مرة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ و ربما كنت أقرأ فى ركعة واحدة القرآن كله، و ربما كنت أصلى من الغداة إلى العصر ألف ركعة. توفى سنة ٣٩١.

٢ـ و عروة بن الزبير التابعى الجليل

قال ابن العماد فى (شذرات الذهب) ج١ ص١٠٤: إن عروة بن الزبير كان يصوم الدهر و مات صائما، واشتهر أنه قطعت رجله و هو فى الصلاة لأَكِلَةٍ وقعت فيها ولم يتحرك اهـ. و فى (القاموس) الأَكِلَةِ كفرحة داء فى العضو يأتكل منه.

و قال النووى فى (تهذيب الأسماء و اللغات) ج١ ص٣٠٥: عروة بن الزبير التابعى الجليل أحد الفقهاء السبعة، أمه أسماء بنت أبى بكر ﷺ. و قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث فقيها عالما مأمونا ثبتا. توفى سنة ٩٤ و قال البخارى: سنة ٩٩هـ.

و فى (البداية و النهاية) ج٩ ص١٠٢ـ١٠٣ روى أنهم قطعوا رجله و هو فى الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة. ثم قال ابن كثير: ذكر غير واحد أن الأكلة وقعت فى رجله، فدخل على الوليد لجمع له الأطباء العارفين بذلك، فأجمعوا على أنه يقطعها و إلا أكلت رجله كلها إلى وركه، و ربما ترقت إلى الجسد

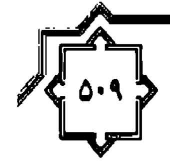
فأكلته فطابت نفسه بذلك، و قالوا له: ألا نسقيك مُرْقِداً حتى يذهب عقلك فلا تحس بالألم، فقال: لا، ولكن فافعلوا ذلك و أنا في الصلاة فإني لا أحسن بذلك ولا أشعر به، فقطعوا رجله من فوق الأكلة و هو قائم يصلي فما اختلج. و قال الأوزاعي: لما قطعت رجل عروة قال: اللهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى سوء قط. ورأى عروة رجلا يصلي صلاة خفيفة فدعاه فقال: يا أخي أما كانت لك إلى ربك حاجة في صلاتك؟ إني لأسأل الله في صلاتي حتى أسأله الملح. وقال: عروة رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزا طويلا، و قال لبنيه: إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنة فاعلموا أن لها عنده أخوات، و إذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أختها، و السيئة تدل على أختها.

٣ـ و أبوبكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني

ففي (سير أعلام النبلاء) ج٦ ص١٧ـ ٢٢ كان أبوبكر بن أبي تميمة كيسان السختياني يقوم كل ليلة فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة.

وروى سليمان بن حرب عن حماد بن زيد قال: كان أيوب في مجلس فجاءته عبرة، فجعل يتمخط و يقول: ما أشد الزكام، و كان أيوب حج أربعين حجة، و كان يقول: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل.

و قال أيوب: ذُكِرْتُ ولا أحب أن أُذْكَرْ. و قال له رجل من أهل الأهواء (أي البدع): يا أبابكر أسألك عن كلمة؟ فولّى و هو يقول: ولا نصف كلمة مرتين. ولد أيوب عام توفي ابن عباس سنة ٦٨ وتوفي سنة ١٣١ بالبصرة، وله ٦٣ سنة.



٤ـ و أبو يزيد ربيع بن خثيم التابعى الجليل

ذكر ترجمته الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٤ ص٢٥٨ـ ٢٦٢ فمـما قـال فيه: كان الربيع ابن خثيم إذا قيل له: كيف أصبحتم قال: ضـعفاء مـذنبين نأكـل أرزاقنا و ننتظر آجالنا.

وعن بعضهم قال: صحبت الربيع عشرين عاما ما سمعت منه كلمة تعـاب. وعن ابنة للربيع قالت: كنت أقوال: يا أبتاه ألا تنام؟ فيقول: كيف ينام من يخاف البيات، و كان الربيع يقاد إلى الصلاة و به الفالج، فقيل لـه: قـد رخـص لـك و قال: إنى أسمع حى على الصلاة. و قال له ابـن مـسعود: يـا أبـا يزيـد لـو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، و ما رأيتك إلا ذكرت المخبتين. قال الحافظ الذهبى: و هذه منقبة عظيمة للربيع. وروى الثورى عن رجل عن أبيه قال: جالست الربيع بين خثيم سنين، فما سألنى عن شىء إلا أنه قال لى مرة: أمك حية؟ توفى الربيع قبل سنة خمس وستين اهـ..

وروى أبو نعيم فى (حلية الأولياء) ج٢ ص١٠٧ و ١١٠ بسنده عـن رجـل من بنى تيم الله قال: جالست الربيع عشر سنين فما سمعته يسأل عـن شـىء مـن أمر الدنيا إلا مرتين، قال مرة: والدتك حية؟ و قال مرة: كم لكم مسجدا؟

و قالت سرية ربيع بن خثيم: كان عمل الربيع سرا، إن كان ليجىء الرجل و قد نشر المصحف فيغطيه بثوبـه. و قـال الربيـع: كـل مـا لا يبتغـى بـه وجـه الله يضمحل، و كان الربيع إذا سجد كأنه ثوب مطـروح، فتجـىء العـصافير فتقـع عليه، و كانت أم الربيع تنادى ابنها فتقول: يا بنى ألا تنام؟ فيقول: يا أمه من جنّ عليه الليل و هو يخاف البيات حق له أن لا ينام اهـ.

٥ـ و عمران بن مسلم القصير التابعي الجليل

ففي (صفة الصفوة) ج٣ ص٣١٢ أن عمران بن مسلم القصير التابعي قد عاهد الله أن لا ينام بليل أبدا إلا مستغلبا، و كان يقول: إني حُبّبتُ إلى طاعة الله تعالى طول الحياة، ولولا الركوع و السجود و قراءة القرآن ما باليت أن لا أعيش في الدنيا فواقا، فلم يزل مجهودا على ذلك حتى مات رحمه الله.

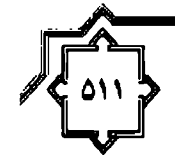
٦ـ و أبو محمد ثابت بن أسلم البناني التابعي

روى أبو نعيم بسنده في (حلية الأولياء) ج٢ ص٣١٩ عن شيبان بن جسر عن أبيه قال: أنا و الله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتا البناني لحده و معي حميد الطويل أو رجل غيره، قال: فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي به قبره، فقلت للذي معي: ألا ترى؟ قال: اسكت، فلما سوينا عليه و فرغنا أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل أبيك ثابت؟ فقالت: و ما رأيتم؟ فأخبرناها، فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السحر قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها، فما كان الله ليرد ذلك الدعاء.

و قال أنس بن مالك رضي الله عنه يوما: إن للخير مفاتيح، و إن ثابتا مفتاح من مفاتيح الخير.

٧ـ و الإمام الأوزاعي عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد

بضم الياء المثناة من تحت و كسر الميم قال الإمام النووي في (تهذيب الأسماء و اللغات): كان الأوزاعي من تابعي التابعين إمام أهل الشام في عصره بلا مدافعة ولا مخالفة. و كانوا على مذهبه قبل انتقالهم إلى مذهب مالك. و روينا



عن هقل قال: أجاب الأوزاعى فى سبعين ألف مسئلة، و عن غيره أنه أفتى فى ثمانين ألف مسئلة.

و قد أجمع العلماء على إمامته و جلالته و علو مرتبته و كمال فضله، و أقاويل السلف كثيرة مشهورة مصرحة بورعه و زهده و عبادته و قيامه بالحق و كثرة حديثه و غزارة فقهه و شدة تمسكه بالسنة و إجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له واعترافهم بمرتبته اهـ.

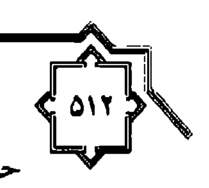
و ترجم له الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٧ ص١٠٧ ـ١٣٤ فمما قال فيه: قال ضمرة بن ربيعة: حججنا مع الأوزاعى سنة ١٥٠، فما رأيته مضطجعا فى المحمل فى ليل ولا نهار قط، كان يصلى فإذا غلبه النوم استند إلى القتب. و قال بشر بن المنذر: رأيت الأوزاعى كأنه أعمى من الخشوع.

و قال أبو مسهر: كان يحيى الليل صلاة و قرآنا و بكاء، و كانت أمه تدخل منزله و تتفقد مصلاه فتجده رطبا من دموعه في الليل.

قال الوليد بن مسلم: ما كنت أحرص على السماع من الأوزاعى حتى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام و الأوزاعى إلى جنبه، فقلت يا رسول الله عمّن أحمل العلم؟ قال: عن هذا و أشار إلى الأوزاعى.

و قال الأوزاعى: من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام، و قال: إن المؤمن يقول قليلا و يعمل كثيرا، و إن المنافق يتكلم كثيرا و يعمل قليلا. و قال: كان يقال: ويل للمتفقهين بغير العبادة و المستحلين الحرمات بالشتبهات اهـ.

و ترجم له ابن كثير فى (البداية و النهاية) ج١٠ ص١١٥ـ ١٢١ ومما قال فيه: قد بقى على مذهب الأوزاعى أهل الشام و ما حولها من البلاد نحوا من مائتين و عشرين سنة. و ما تكلم كلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها.



و قال يحيى القطان عن مالك: اجتمع عندى الأوزاعى و الثورى و أبو حنيفة فقلت: أيهم أرجح؟ فقال: الأوزاعى.

و قال سفيان بن عيينة و غيره: كان الأوزاعى إمام أهل زمان، و قد حج مرة فدخل مكة و سفيان الثورى أخذ بزمام جمله و مالك بن أنس يسوق به، و الثورى يقول: افسحو للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة و جلسا بين يديه يأخذان عنه.

و كان الأوزاعى يعظ الناس فلا يبقى أحد فى مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه، و ما رأيناه يبكى فى مجلسه قط، و كان إذا خلا بكى حتى يرحم. و قال الأوزاعى: رأيت رب العزة فى المنام فقال: أنت الذى تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر؟ فقلت: بفضلك أى رب، ثم قلت: يا رب أمتنى على الإسلام فقال: و على السنة اهـ.

٨ـ و إبراهيم بن يزيد التيمى

قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٥ ص٦٠: كان إبراهيم التيمى إماما قدوة صالحا قانتا لله عالما كبير القدر عابد الكوفة، قال الأعمش: قال لى إبراهيم التيمى: ما أكلت منذ أربعين ليلة إلا حبة عنب، و ربما أتى على شهر لا أطعم طعاما و لا أشرب شرابا، لا يسمعن هذا أحد منك. وروى عنه أنه قال: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل منه يدك. قتله الحجاج، و قيل: مات فى حبسه سنة ٩٢هـ. و قيل: ٩٤ ولم يبلغ عمره أربعين سنة انتهى ملخصا.

لطيفة:

فإن تخيل متخيل بأن ما ذكرناه عن إبراهيم التيمى غير واقع و أن ذلك مستحيل فاعلم أن ما ذكره الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج١٣ ص٥٧٢



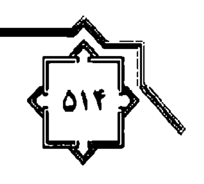
أغرب و أعجب منه، فقد قال: كانت رحمة بنت إبراهيم لم تأكل و لم تشرب نيفا وعشرين سنة، و كانت قتل زوجها و ترك ولدين، و كانت مسكينة فنامت فرأت زوجها مع الشهداء يأكل على موائد، و كانت صائمة، قالت: فاستأذنهم، و ناولني كسرة أكلتها فوجدتها أطيب من كل شيء فاستيقظت شبعانة. ثم قال الذهبي: هذه حكاية صحيحة. و قال الحاكم: حدثنا أبي سمع الطهماني يقول: رأيت بخوارزم امرأة تأكل و لا تشرب ولا تروث. و عائشة الصائمة (بالأندلس) دامت أعواما لا تأكل، و دام رجل بالعراق لا يأكل سنين اهـ.

قلت: و قد ثبت أيضا أن عبد الله بن الزبير ﷺ كان يواصل صيام خمسة عشر يوما ولا يفطر و قيل: سبعة عشر. و كان سهل بن عبد الله التستري يأكل خمسة عشر يوما مرة واحدة، و كان مولانا عبدالرحمن بن محمود أقام مرة هو و تلامذته في الخلوة ثلاثين يوما ولم يطعموا طعاما ولم يشربوا شرابا. فسبحان المدبر الفعال لما يريد القادر على كل شيء.

٩ـ وهرم بن حيان

ففي (سير أعلام النبلاء) أن هرم بن حيان كان ثقة له فضل و عبادة، و كان يخرج في بعض الليل و ينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها، و عجبت من النار كيف نام هاربها!!، ثم يقول: أفأمن أهل القرى أن ياتيهم بأسنا بياتا.

و قال الحسن البصري: خرج هرم و عبد الله بن عامر، فبينما رواحلهما ترعى إذ قال هرم: أيسرك أنك كنت هذه الشجرة؟ قال: لا والله، لقد رزقني الله الإسلام و إني لأرجو، قال: والله لوددت أني كنت هذه الشجرة فأكلتني هذه الناقة ثم بعرتني و لم أكابد الحساب، إني أخاف الداهية الكبرى، و كان هرم ولي بعض الحروب في أيام عمر و عثمان ببلاد فارس.



و قيل: سمى هرما لأنه بقى حملا سنتين حتى طلعت أسنانه.

و كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه ودهم.

قال الحسن: مات هرم فى يوم حار، فلما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت سحابة حتى قامت على القبر، فلم تكن أطول منه ولا أقصر منه و رشته حتى روته ثم انصرفت اهـ.

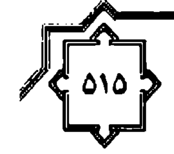
١٠ـ و الأسود بن يزيد النخعي

ففى (سير أعلام النبلاء) ج٤ ص٥٠ كان الأسود بن يزيد النخعى صواما قواما حجاجا، حج ثمانين حجة و عمرة، و كان نظير مسروق فى الجلالة و العلم و الفقه و السن، يضرب بعبادتها المثل، و يختم القرآن فى رمضان فى كل ليلتين. وفى (تهذيب الأسماء و اللغات) ج١ ص١٣٣ أنه سافر ثمانين حجة و عمرة لم يجمع بينهما، و سافر ابنه عبد الرحمن ثمانين حجة و عمرة لم يجمع بينهما. وروينا أن عبد الرحمن كان يصلى كل يوم سبعمائة ركعة، و كانوا يقولون: إنه أقل أهل بيته اجتهادا، و إنه صار عظما وجلدا، ورأى أسود بن يزيد أبابكر و عمر رضي الله عنهما اهـ.

و قال ابن كثير فى (البداية و النهاية) كان يصوم الدهر و قد ذهبت عينه من كثرة الصوم. توفى سنة ٨٥.

١١ـ وهشيم بن بشير بن أبى خازم

قال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ج٨ ص٢٩٠: كان هشيم بن بشير يصلى الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنة. و كان إماما محدثا شيخ الإسلام حافظ العراق، ولد سنة ١٠٤ و قال أحمد بن حنبل: كان كثير التسبيح و



يقول: لا إله إلا الله يمد بها صوته. و قال الخطيب البغدادى: مات هشيم سنة ١٨٣.

و آمنة الرملية

ففى (صفة الصفوة) ج٤ ص٣٠٥ قال جعفر بن محمد: اعتل بشر بن الحارث فعادته آمنة الرملية من (الرملة) و دخل أحمد بن حنبل يعوده، فقال: من هذه؟ فقال: هذه آمنة الرملية، بلغتها علتى فجاءت من (الرملة) تعودنى، قال: فسلها تدعو لنا، فقالت: اللهم إن بشرا بن الحارث و أحمد بن حنبل يستجيرانك من النار فأجرهما، قال أحمد: فأنصرفت، فلما كان من الليل طرحت إلى رقعة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد فعلنا ولدينا مزيد.

١٢ـ و السيدة معاذة بنت عبد الله العدوية

و فى (سير أعلام النبلاء) ج٤ ص٥٠٨ كانت السيدة معاذة عالمة زوجة السيد القدوة صلة بن أشيم، و كانت تحيى الليل عبادة و تقول: عجبت لعين تنام وقد علمت طول الرقاد فى ظلم القبور، و لما استشهد زوجها و ابنها اجتمعن النساء، فقالت: مرحبا بكن إن كنتن جئتن للهناء، و إن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن. توفيت سنة ٨٣.

١٣ـ صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوى البصرى

و فى (سير أعلام النبلاء) ج٣ ص٤٩٧ و (حلية الأولياء) ج٢ ص٢٣٧ و (صفة الصفوة) ج٣ ص٢١٦ أن صلة بن أشيم أبا الصهباء العدوى كان زاهدا عابدا قدوة، زوج العالمة معاذة العدوية.

و قال ابن المبارك في (الزهد): عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، قال: بلغنا أن النبي ﷺ قال: يكون في أمتي رجل يقال له: صلة، يدخل الجنة بشفاعته كذا و كذا. و قال جعفر بن سليمان: عن يزيد الرشك، عن معاذة قالت: كان أبو الصهباء يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفا.

و قالت معاذة: كان أصحابه تعني: صلة، إذا التقوا عانق بعضهم بعضا.

و قال ثابت: جاء رجل إلى صلة بنعي أخيه فقال له: أدن فكل، فقد نعي إلى أخي منذ حين، قال تعالى: إنك ميت و إنهم ميتون.

و قال حماد بن سلمة: إن صلة كان في الغزو، و معه ابنه، فقال: أي بني تقدم، فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل، حتى قتل، ثم تقدم صلة، فقتل.

و قال رجل لصلة بن أشيم: أدع الله لي، فقال: رغبك الله فيما يرضى و زهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين. توفي سنة ٦٢ انتهى ملخصا.

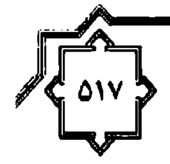
نفعنا الله ببركاته و رزقنا بصلته و عطيته بحرمة صلة و بأحبابه أجمعين.

و نختتم به ذكر الصالحين المذكورين في (الخاتمة)، و أرجو أن يكونوا للكتاب كالختم و الطابع، و الله الموفق، و بيده التدبير و التصرف.

و هذا آخر ما رمته من كتابة هذه المقاصد الأربعة ولواحقها، وقد بذلت قصارى جهدي في تحرير ذلك و تنقيحه، و مع ذلك فإني معترف بعدم سلامته من الخلل و الزلل و أقول: كما قال الشيخ الرملي في اخر شرحه لربع العبادات المسمى (نهاية المحتاج بشرح المنهاج).

حررته مجتهدا | وليس يخلو عن غلط
قل للذي يلومني | من ذا الذي ما ساء قط

و قد قاسيت في أيام جمعه بعوارض كثيرة من المشاكل العامة و الخاصة، فقد صادف تأليفه زمان انهيار الدولة و سقوط الحكومة و خروج الأمر عن



الضبط، فعمت فيه الفوضى و الظلم و الطغيان و البغى و الفساد، و استحلت الحرمات و استبيحت الدماء و الفروج و الممتلكات، و انتفى النظام و الاستقرار و حل الرعب و الخوف محل الأمن و الإطمئنان، فطال لذلك زمن جمعه و أوان تهذيبه و بلغ خمس سنين و شهورا.

فليعذرني امرؤ رأى فيه الخلل، و ليصفح عن الزلل، فإن ذلك من دأب الكمل، فقد قيل فى المثل: إن من دخل البئر لم يخرج منه بدون بلل، فكذلك من صنف في هذا الزمان لا يخلوا غالبا عن السقطات و الهفوات و قد أجاد من قال:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

و أسال الله تعالى أن يدفع عنه مكر الماكرين و شر الحاسدين و كيد الظالمين. و أرجو من الله أن ينفع به كل من تلقاه بقلب سليم، و اعتقاد صحيح، و أن يزيل القذى عن عين من نظر إليه بالإنصاف.

و إنى أبتهل إلى الله أن يسامحنى عما غلط فيه فهمى القاصر، و ذهنى الفاتر، أو طغى به القلم، و أن يتقبله منى بفضله و إحسانه و بجاه من اصطفاه من جميع بريته صلوات الله و أزكى تسليماته عليه، و ببركة ورثته السالكين فى نهجه القويم و صراطه المستقيم و بحرمة القائمين للدفاع عن ملته و الذب عن حمى شريعته، و سائر عباد الله الصالحين إنه جواد لطيف بر كريم.

و حسبى الله و نعم الوكيل و لا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم. وصلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و التابعين، وسلم تسليما كثيرا.

و قد تم بحمد الله تحريره و تبييضه بعد صلاة العصر من يوم السبت ٢٧/ من ربيع الثانى سنة ١٤٢٤هـ.

تقريظ الشيخ محمد بن أحمد بن الشيخ محمود المشهور بالشيخ أبا الشاشى المقدشى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى فاضت علينا ميازيب آلائه، و عمت بركاته المتبركين بأوليائه، و صلى الله و سلم على سيدنا محمد المختار، و آله السادة الأطهار، و على أصحابه الذين كانوا انجم اهتداء، ما سرى حادى العيس فى البيداء.

أما بعد: فلما تصفحت و أمعنت النظر فى هذا اللكتاب، الذى ألفه الشيخ عثمان بن الشيخ عمر المشهور بعثمان حدك و المتبوىء من الشرف ذروة الهضاب، وقع منى موقع الاستحسان، وراعنى تعبيره المتقن غاية الإتقان، و رأيته وافيا بالمقاصد، و جامعا للفوائد، فهو يدل على سعة اطلاع مؤلفه فى العلم، و حيازته القدح المعلى فى الفهم، حيث أخذ كلامه من مراجع مختلفة، كارعا من مناهل الحكمة و المعرفة، و مستقصيا فى البحث عن طرق الاستدلال، و باذلا جهده فى إقناع أهل الجدل، فأصاب المحز فيما قصد، ولم يسبقه فى صنيعه أحد، فلله دره محييا للسنة المحمدية، وناشرا للطريقة الأحمدية.

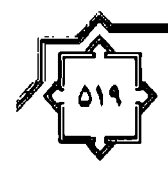
و جدير بمثل هذا الكتاب أن نبادر إلى اشترائه، و أن لا تخلو مكاتبنا عن اقتنائه، جزى الله المؤلف عنا خيرا، ووقاه شرا و ضيرا، و لا زال فخرا للصومال، و نافعا للأجيال.

و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه و مداد كلماته.

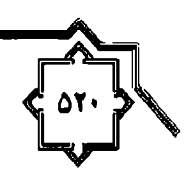
تقريظ آخر

نظم الشيخ عبد الناصر على حسين:

كواكب فى سماء العلم لاحت   فحيران الضلالة فى اهتداء



و فجر الهدي أسفر في فضاها | و ليل الغى آذن بانقضاء
فرائد لو تبارت للغوانى | لأطرق الرؤوس من الحياء
كتاب قد حوى دررا سنية | به تجلى العيون من العماء
تبرك سادة صلحا كرام | بهم نجى الإله من البلاء
برؤيتهم تنال ذرى المعالى | و صحبتهم لمن جزل العطاء
بجاههم و يُفرَّج من كروب | و باسمهم و همى غيث السماء
أجلهم و حبيب الحق خير الـ | ـورى طرا سراج الأنبياء
وضم تراجما لهمو بهية | و ما حازوه من طيب الثناء
و حلته نسيج يد الهمام | جزاه إلهنا أوفى الجزاء
و جاء مباركا ميمون طلعة | ووافانا ربيع الأصفياء
عديم المثل فى ذا الباب صدقا | به لمن اقتنى خَير الغناء
و فيه لمنكر حجج دوامغ | و فيه لذى السقام شفاء داء
له نرجو من المولى قبولا | و نفع الكل فى ذى و اللقاء
صلاة مع سلام الله تترى | على طه المشفع ذى اللواء
و آل ثم صحب أهل مجد | و أتباع سراة أتقياء
و من بهمو تبرك باعتقاد | متى ما الشمس تغرب فى السماء



مصادر الكتاب

١ـ التفاسير

١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة (٣١٠)هـ.

٢. الجامع لأحكام القرآن للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة (٦٧١) هـ. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.

٣ـ غرائب القرآن و رغائب الفرقان

٤ـ تفسير ابن كثير، لابن كثير، المتوفى سنة (٧٧٤) هـ.

٢ـ الحديث

١. صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة (٢٥٦) هـ.

٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة (٨٥٢) هـ. دار المعرفة ـ بيروت لبنان ـ بتصحيح و إشراف محب الدين الخطيب.

٣. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، المتوفى سنة (٢٦١) هـ.

٤. شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، المتوفى سنة (٦٧٦) هـ دار الكتاب ـ بيروت لبنان ـ سنة ١٤٠٧هـ.١٩٨٧ م.

٥. إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للحافظ القسطلاني المتوفى سنة (٩٢٣) هـ. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ. ١٩٩٦م.

٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للحافظ العيني، المتوفى سنة (٨٥٥) هـ.

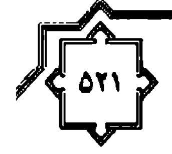
٧. الأذكار، للإمام يحيى بن شرف النووي.

٨. الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية، للإمام محمد بن علان المتوفى سنة (١٠٥٧) هـ. المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

٩. الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

١٠. رياض الصالحين، للإمام يحيى بن شرف النووي.

١١. دليل الفالحين، للإمام محمد بن علان الصديقي.



١٢. **الحصن الحصين للإمام الجزرى**، المتوفى سنة (٨٣٣) هـ. مصطفى البابى الحلبى مصر ـ سنة ١٣٤٩هـ.

١٣. **عدة الحصن الحصين**، للإمام الجزرى.

١٤. **تحفة الذاكرين**، للشيخ محمد بن على الشوكانى، المتوفى سنة (١٢٥٠) هـ. دار القلم ـ بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م.

١٥. **عمل اليوم و الليلة**، لابن السنى المتوفى سنة (٣٦٤) هـ. مكتبة البيان ـ دمشق ـ الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ. ١٩٩٤م.

١٦. **عمل اليوم و الليلة**، للنسائى، المتوفى سنة (٣٠٣) هـ.

١٧. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** لملا على القارى المتوفى سنة (١٠١٤).

١٨. **الترغيب و الترهيب**، للحافظ المنذرى المتوفى سنة (٦٥٦) هـ. دار الفكر للطباعة و النشر ـ بيروت لبنان ـ سنة ١٤٠١هـ. ١٩٨١م.

١٩. **نيل الاوطار** شرح منتقى الأخبار، للشوكانى.

٢٠. **مسند الإمام أحمد بن حنبل** للإمام أحمد بن حنبل، المتوفى سنة (٢٤١) هـ.

٢١. **شرح الجردانى على الأربعين** محمد بن عبد الله الجردانى المتوفى سنة (١٣٣١) هـ.

٢٢. **مجمع الزوائد و منبع الفوائد** للحافظ نور الدين الهيثمى المتوفى سنة (٨٠٧) هـ. بيروت لبنان ـ الطبقة الثالثة سنة ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م.

٢٣. **تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير** للحافظ بن حجر بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل.

٢٤. **الفتاوى الحديثية** للعلامة أحمد بن حجر الهيتمى، المتوفى سنة (٩٧٤) هـ.

٢٥. **الجامع الصغير**، للحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة (٩١١) هـ. مطبعة سليمان مرعى، الطبعة الأولى.

٢٦. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، للمناوى، الموفى سنة (١٠٣١) هـ. دار الفكر للطباعة و النشر.

٢٧. **خلاصة الأحكام** للإمام يحيى بن شرف النووى، موسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ. ١٩٩٧م.

٢٨. **القول البديع**، للحافظ شمس الدين السخاوى المتوفى سنة (٩٠٢) هـ.، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ.

٢٩. **غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول** للشيخ منصور على المتوفى (١٣٧١)هـ.

٣٠. المقاصد الحسنة، للحافظ السخاوي.

٣١. كشف الخفا، للعجلوني، المتوفى سنة (١١٦٢) هـ. دار التراث، القاهرة، بإشراف و تصحيح و تعليق أحمد القلاش.

٣ـ السيرة النبوية

١. دلائل النبوة، للحافظ البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨) هـ.، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨/ بتعليق الدكتور عبد المعطي قلعجي.

٢. المواهب اللدنية، للقسطلاني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ. ١٩٩١ م، بتحقق صالح أحمد الشامي.

٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض المتوفى سنة (٥٤٤) هـ.، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٤. نسيم الرياض شرح الشفاء للقاضي عياض للشهاب الخفاجي المتوفى سنة (١٠٦٩)هـ. المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٥. السيرة الحلبية.

٦. الشمائل المحمدية للإمام محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة (٢٧٩)هـ.

٧. المواهب اللدنية شرح الشمائل المحمدية، للباجوري المتوفى سنة (١٢٧٧) هـ.

٨. جوامع السيرة النبوية لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري المتوفى سنة (٤٥٦) هـ.

٩. جواهر البحار، للإمام النبهاني المتوفى سنة (١٣٥٠) هـ.، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

١٠. حجة الله على العالمين، للإمام النبهاني، مكتبة الجند، مصر، بتحقيق محمد مصطفى ابو العلا.

١١. شرح الشفا، لملا علي بن سلطان قاري، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

١٢. السيرة النبوية، للحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨) هـ.

١٣. الفتوحات الأحمدية في المنح المحمدية للجمل المتوفى سنة (١٢٠٤) هـ.

١٤. الوفا بأحوال المصطفى، للحافظ ابن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة (٥٩٧) هـ.

١٥. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للزرقاني، المتوفى سنة (١١٢٢) هـ دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م، بتصحيح محمد عبدالعزيز الخالدي.



٤ـ مصطلح الحديث

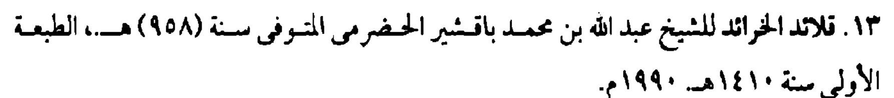
١. الكفاية في علم الرواية للحافظ الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣) هـ.
٢. معرفة علوم الحديث للحافظ أبي عبد الله الحاكم المتوفى سنة (٤٠٥) هـ، دار الأفاق الجديدة، بتحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة.
٣. تدريب الراوي شرح تقريب النووي، للحافظ السيوطي، مطبعة السعادة، بمصر، بتحقيق عبد الوهاب عبداللطيف.

٥ـ فن الرجال

١. تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦هـ.
٢. تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

٦ـ الفقه

١. المجموع، للإمام يحيى بن شرف النووي
٢. البيان، للعمراني، المتوفى سنة (٥٥٨) هـ، دار المنهاج للطباعة و النشر و التوزيع.
٣. الأحكام السلطانية، للماوردي، المتوفى سنة (٤٥٠) هـ.
٤. بغية المسترشدين
٥. إثمد العينين في اختلاف الشيخين
٦. مغني المحتاج في شرح المنهاج للخطيب الشربيني المتوفى سنة (٩٧٧) هـ.
٧. المغني، لابن قدامة الحنبلي، المتوفى سنة (٦٢٠) هـ.
٨. الأنوار، للأردبيلي، المتوفى سنة (٧٩٩) هـ، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٩٠هـ. ١٩٧٠م.
٩. إعانة الطالبين لأبي بكر بن السيد محمد شطا، المتوفى سنة (١٣١٠) هـ.
١٠. روضة الطالبين وعمدة المفتين، للإمام يحيى بن شرف النووي.
١١. تحفة المحتاج في شرح المنهاج للإمام أحمد بن حجر الهيتمي.



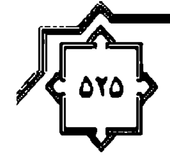
١٢. الساجد في أحكام المساجد لحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المتوفى سنة (٧٩٤) هـ.
١٣. قلائد الخرائد للشيخ عبد الله بن محمد باقشير الحضرمي المتوفى سنة (٩٥٨) هـ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.
١٤. فتح العزيز بشرح الوجيز، للإمام أبي القاسم الرافعي المتوفى سنة (٦٢٣) هـ.
١٥. حاشية الإيضاح على مناسك الحج، للإمام ابن حجر الهيتمي، مطبعة دار التأليف، مصر، الطبعة الثانية.
١٦. منهاج الطالبين، للإمام النووي.

٧ـ اللغة

١. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، المتوفى سنة (٨١٦ أو ٨١٧) هـ.
٢. تاج العروس شرح القاموس، للإمام مرتضى الزبيدي المتوفى سنة (١٢٠٥) هـ.
٣. المقاييس في اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة (١٣٣٦) هـ.
٤. أساس البلاغة، للزمخشري، المتوفى سنة (٥٣٨) هـ.
٥. المصباح المنير للشيخ أحمد بن محمد بن علي المغربي المتوفى سنة (٧٧٠) هـ.
٦. النهاية في غريب الحديث، للإمام ابن الأثير الجزري، المتوفى سنة (٦٠٦) هـ.
٧. المعجم الوسيط لنخبة من العلماء، المتوفى سنة (٣٦٠) هـ.
٨. تهذيب الأسماء و اللغات للإمام يحيى بن شرف النووي.

٨ـ الأنساب و البلاد

١. الأنساب للسمعاني لأبي سعد عبد الكريم بن محمد، المتوفى سنة (٥٦٢) هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى.
٢. اللباب في تهذيب الأنساب للشيخ عز الدين علي بن أبي الكريم محمد بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري، المتوفى سنة (٦٣٠) هـ، دار صادر، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م.
٣. قرة العين في ضبط أسماء رجال الصحيحين، للشيخ عبدالغني بن أحمد البحراني، المتوفى بعد (١١٧٤) هـ، طبعة الهند عام ١٣٢٣هـ.



٩ـ التراجم و التواريخ

١. **مناقب الإمام الشافعي**، للإمام البيهقي، دار النصر للطباعة.

٢. **البداية و النهاية**، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية.

٣. **طبقات الشافعية**، لابن الشبهة، المتوفى سنة (٨٥١) هـ.، بيروت لبنان، سنة ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م، بتصحيح و تعليق الدكتور الحافظ عبد العظيم خان.

٤. **سير أعلام النبلاء**، للحافظ الذهبي، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الحادية عشر، سنة ١٤١٧هـ. ١٩٩٧م، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، و محمد نعيم القرقوس.

٥. **تاريخ بغداد**، للحافظ الخطيب البغدادي، دار الفكر للطباعة و النشر.

٦. **تهذيب تاريخ دمشق**، للشيخ عبدالقادر بدران، المتوفى سنة (١٣٤٦) هـ.، دار المسيرة، بيروت، سنة ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م.

٧. **الإصابة في تمييز الصحابة**، للعسقلاني، مطبعة النهضة للطباعة و النشر، بتحقيق علي محمد البحاوي.

٨. **صفة الصفوة**، لابن الجوزي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ.، ١٩٧٩م.

٩. **مرآة الجنان**، لعبد الله بن أسعد اليافعي، المتوفى سنة (٧٦٨) هـ.، دار الفاروق الحديثية للطباعة و النشر، القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ. ٩٩٣م.

١٠. **الضوء اللامع**، للسخاوي، دار الجليل، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م.

١١. **النور السافر**، للعيدروس، المتوفى سنة (١٣٨)هـ.

١٢. **طبقات فقهاء اليمن**، للجعدي، المتوفى سنة (٥٨٦) هـ.، الطبعة الثانية، بيروت سنة ١٤٠١هـ. ١٩٨١م.

١٣. **طبقات الخواص**، للشرجي، المتوفى سنة (٨٩٣) هـ.، الدار اليمنية للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م.

١٤. **طبقات المفسرين**، للحافظ الداوودي، المتوفى سنة (٩٤٥) هـ.، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

١٥. **تذكرة الحفاظ**، للذهبي، دار إحياء التراث العربي.



١٦. **معرفة القراء الكبار**، للذهبي، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م، بتحقيق بشار عواد، و شعيب الأوناؤوط، و صالح مهد عباس.

١٧. **حلية الأولياء**، لأبي نعيم، المتوفى سنة (٤٣٠) هـ.، بيروت لبنان، الطبعة الخامس سنة ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م.

١٨. **هدية العارفين**، لإسمعيل بن محمد البابانى، المتوفى سنة (١٣٣٩) هـ.

١٩. **أسد الغابة فى معرفة الصحابة**، لابن الأثير، دار إحياء التراث العربى، بيروت لبنان.

٢٠. **المشرع الروى** للشيخ جمال الدين محمد بن أبى بكر المتوفى بعد سنة (١٠٩٦) هـ.

٢١. **الخيرات الحسان**، لابن حجر الهيتمى.

٢٢. **حسن المحاضرة** للحافظ السيوطى، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨هـ. ١٣٨٧م.

٢٣. **النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة** ليوسف بن تغر بردى المتوفى سنة (٨٧٤) هـ.، المؤسسة المصرية للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر.

٢٤. **شذرات الذهب فى أخبار من ذهب** لابن عماد الحنبلى، المتوفى سنة (١٠٨٩) هـ.، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

٢٥. **طبقات الشافعي الكبرى** لتاج الدين عبدالوهاب السبكى، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان.

٢٦. **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، المتوفى سنة (٦٨١) هـ.، دار صادر، بيروت ـ لبنان، بتحقيق الدكتور إحسان عباس.

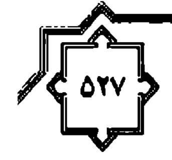
٢٧. **الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر العسقلانى، دار الجليل، بيروت.

٢٨. **رحلة ابن بطوطة لابن بطوطة**، المتوفى سنة (٧٧٩) هـ. دار التراث، بيروت، سنة ٢٣٨٨هـ. ٢٩٦٨م.

٢٩. **فهرس الفهارس** للعلامة عبد الحى بن عبدالكبير الكتانى، التوفى سنة (١٣٨٢) هـ.، دار العرب الإسلامية، بيروت ـ لبنان، سنة ٢٤٠٦هـ.١٩٨٦م.

٣٠. **طبقات الشافعين** لابن كثير.

٣١. **طبقات الفقهاء الشافعيين**، لابن كثير، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥هـ.٢٠٠٤م، بتحقيق أنوار الباز.



١٠ـ الردود

١. الرد المحكم المتين للغماری

٢. تبيين كذب المفترى للحافظ ابن عساكر، المتوفى سنة (٥٧١) هـ دار الكتاب العربـي، بـيروت ـ لبنان، سنة ١٣٨٨هـ. ١٩٧٩م.

٣. محق التقول في مسألة التوسل للمحدث محمد زاهد الكوثرى، المتوفى سنة (١٣٧١) هـ.

٤. الدرر السنية في الرد على الوهابية للإمام زيني دحلان، المتوفي سنة (١٣٠٤) هـ.

٥. شواهد الحق للنبهاني، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر.

٦. مفاهيم يجب أن تصحح، للشيخ محمد علوى المالكي.

٧. دفع شبه من شبّه و تمرّد و نسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد، للعلامة المحدث الشريف التقى الحصني، المتوفى سنة (٨٢٩) هـ.، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

٨. حقيقة التوسل و الوسيلة على ضوء الكتاب و السنة، للشيخ موسى محمد علي، دار التراث العربي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ. ١٩٨١م.

٩. الإغاثة بأدلة الاستغاثة للمحدث حسن بن علي السقاف.

١٠. غوث العباد ببيان الرشاد لأبي سيف الحمامي، المتوفى سنة (١٣٦٨)هـ.، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٠هـ. ١٩٥٠ م.

١١. صحيح صفة صلاة النبي، للمحدث حسن بن علي السقاف، دار الإمام النووى، عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى سنة ٢٤١٣هـ. ١٩٩٣م.

١٢. رفع المنارة في تخريج أحاديث التوسل و الزيارة، للمحدث محمود سعيد ممدوح، دار الإمام النووى، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ. ١٩٩٥م.

١٣. التأمل في حقيقة التوسل، للمحدث محمد سعيد ممدوح

١٤. شفاء السقام في زيارة خير الأنام، للإمام تقى الدين سبكي، المتوفى سنة (٧٥٦) هـ.

١٥. الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المعظم، للإمام ابن حجر الهيتمي، المطبعة الخيرية سنة ١٢٣١هـ.

١٦. تبرك الصحابة، للعلامة المؤرخ محمد طاهر الكردى، دار ابن حزم، طبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ. ١٩٩٦م.

١٧. المدخل، لابن الحاج، المتوفى سنة (٧٣٧) هـ دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

١٨. غاية البيان فى تنزية الله عن الجهة و المكان، إعداد: قسم البحاث و الدراسات الإسلامية فى جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية، دار المشاريع للطباعةو النشر و التوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

١١ـ أحوال البرزخ و أمور الأخرة

١. شرح الصدور، للحافظ السيوطى.

٢. التذكرة، للقرطبى، المتوفى سنة (٦٧١) هـ، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ.١٩٨٦م.

١٢ـ التصوف

١. الطبقات الكبرى، للإمام عبدالوهاب الشعرانى، المتوفى سنة (٩٧٣) هـ.

٢. التعرف بمذهب أهل التصوف لمحمد بن إبراهيم الكلاباذى المتوفى سنة (٣٨٠ أو ٣٨٤) هـ.

٣. كفاية الأتقياء، للشيخ أبى بكر بن السيد محمد شطا.

٤. تنبيه المغترين للإمام الشعرانى.

٥. المتقى النفيس، للشيخ صالح الجعفرى، المتوفى سنة (١٣٩٩) هـ.

٦. الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية، للمناوى.

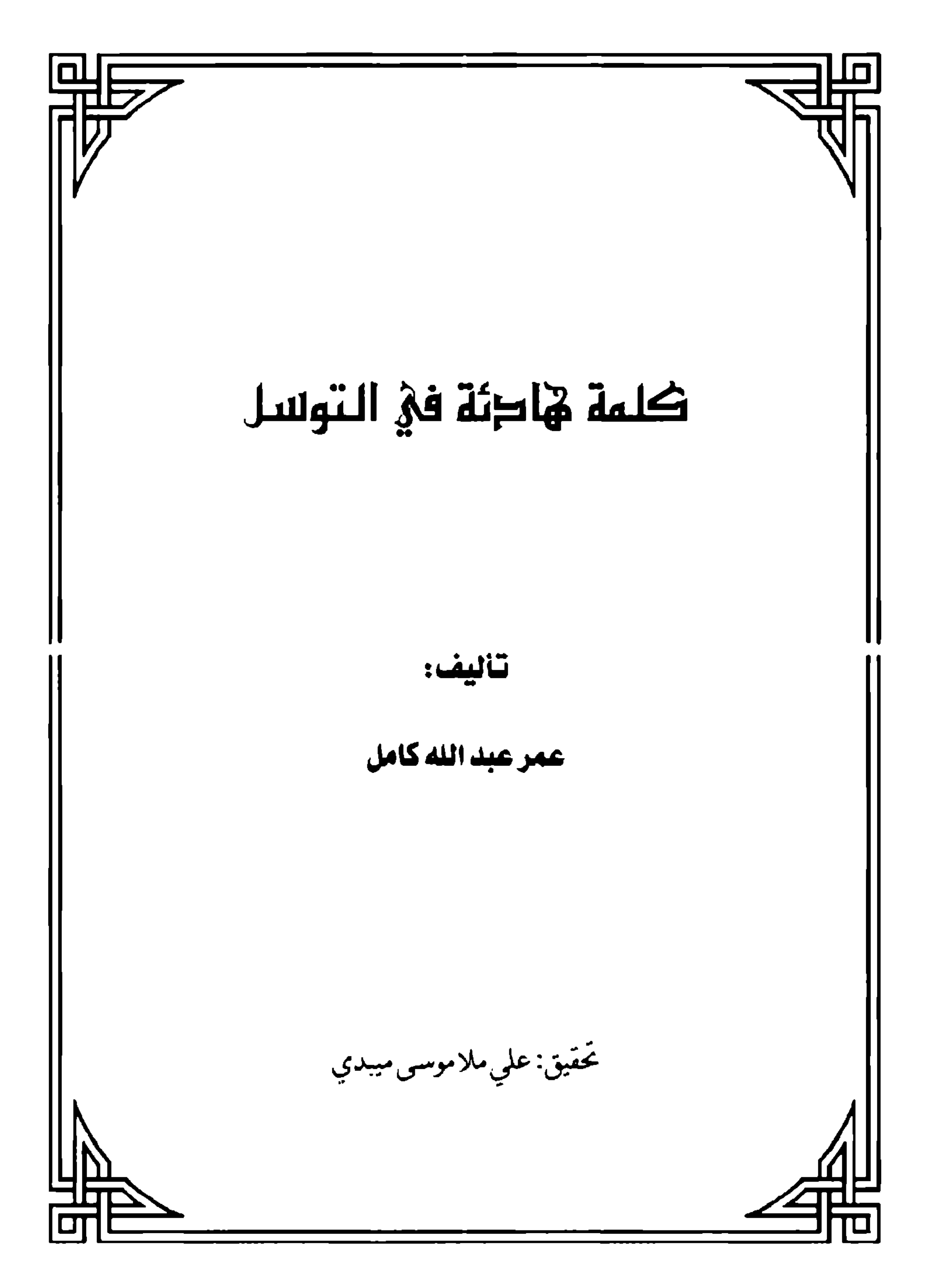
٧. روض الرياحي فى حكايات الصالحين، لليافعى.

٨. إحياء علوم الدين، للإمام الغزالى، المتوفى سنة (٥٠٥) هـ.

٩. سعادة الدارين، للنبهانى.

١٠. الرسالة، للإمام أبى القاسم القشيرى، المتوفى سنة (٤٨٢) هـ.

١١. بستان العارفين للإمام النووى.



كلمة هادئة في التوسل

تاليف:

عمر عبد الله كامل

تحقيق: علي ملا موسى ميدي

عمر بن عبد الله كامل

وُلِد في مكّة المكرّمة عام (١٣٧١هـ) و أنهى دراسته الابتدائية في المدارس النموذجية هناك ثمّ دخل مرحلة الدراسة المتوسطة في العاصمة السعودية و أفلح في الحصول على شهادة البكلوريوس في علم الاقتصاد و العلوم السياسية عام (١٩٧٥م) من جامعة الملك سعود ثمّ شهادة الماجستير و الدكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة (كراتشي) في الباكستان، و بعد ذلك شهادة الدكتوراه أيضاً في علم الفقه من جامعة الأزهر في مصر، ثمّ الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة (ويلز) بالولايات المتحدة الأميركية.

مؤلفاته

لعمر كامل العديد من الكُتب و المؤلّفات في مجال الاقتصاد و العلوم الإسلامية، أمّا مصنّفاته في علم الاقتصاد فهي:

١ ـ الركود و سبل معالجته في الاقتصاد العربي و الإسلامي؛

٢ ـ اتفاقية الجات و حتمية المواجهة (رسالة الخطر للعالم العربي)؛

٣ ـ كتاب للسعوديين فقط؛

٤ ـ برنامج للغد (دراسات في الاقتصاد السعودي)؛

٥ ـ قراءة في نبض إسرائيل؛

٦ ـ النقود و النظام النقدي الدولي؛

٧ ـ التكامل الاقتصادي العربي؛

٨ ـ الصناعات البتروكيماوية العربية و معوقات تسويقها.

وأمّا مؤلّفاته في العلوم الإسلامية فهي:

١ ـ الرخصة الشرعية في الأصول و القواعد الفقهية؛

٢ ـ الآيات البينات لما في أساطير القمني من الضلال و الانحرافات؛

٣ ـ بين الأصوليين و الخوارج؛

٤ ـ المتطرفون... الخوارج الجدد؛

٥ ـ فقه المعاملات من منظور إسلامي؛

٦ ـ أصول الثبوت و الدلالة في العلوم الشرعية و العربية و العقلية؛

٧ ـ حوار مع العلمانيين؛

٨ ـ الأدلة الباهرة على نفي البغضاء بين الصحابة و العترة الطاهرة؛

٩ ـ التصوف بين الإفراط و التفريط؛

١٠ ـ العواصم من قواصم العلمانية؛

١١ ـ القواعد الفقهية الكبرى و أثرها في المعاملات المالية؛

١٢ ـ دفاع عن الرسول ﷺ و الصحابة؛

١٣ ـ مختصر شرح العقيدة الطحاوية؛

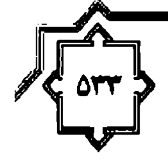
١٤ ـ كلمة هادئة عن مفهوم البدعة (دار غريب)

١٥ ـ كفى تفريقاً للأمة باسم السلف؛

١٦ ـ السعودية تحديات و آفاق؛

١٧ ـ لا ذرائع لهدم آثار النبوة؛

١٨ ـ مبدآن هدّامان: جاهلية المجتمع و هجر المخالف؛



١٩ ـ طريق المساكين إلى مرضاة رب العالمين؛

٢٠ ـ دائرة الفتنة و سبل الخروج منها؛

٢١ ـ البلسم المريح من شفاء القلب الجريح؛

٢٢ ـ شرح نظم الورقات للعمريطي؛

٢٣ ـ مذكرة في تيسير المنطق؛

٢٤ ـ تهذيب السنوسية (أم البراهين)؛

٢٥ ـ نقض قواعد التشبيه بأقوال أئمة السلف من أهل الإمرار و التفويض و التنزيه؛

٢٦ ـ التحذير من المجازفة بالتكفير؛

٢٧ ـ الذخائر المحمدية بين المؤيدين و المعارضين على ضوء الكتاب و السنة و أقوال علماء الأمة؛

٢٨ ـ معين الألباب مختصر شرح اللباب في الفقه الحنفي؛

٢٩ ـ تهذيب شرح الرملي على زبد ابن رسلان في الفقه الشافعي؛

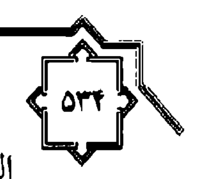
٣٠ ـ سلسلة مفاهيم يجب أن تُصَحّح؛

٣١ ـ الإفهام مختصر شرح أحاديث فتح العلام؛

٣٢ ـ تهذيب إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام.

مصطفى أبو سيف الحمامي

وُلِدَ أبو سيف و تُوفّي في القاهرة، و بدأ بتعلّم مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم في عام (١٩٠٨م) ثمّ حصل على الإجازة في القراءة و الكتابة كذلك. و كان مصطفى أبو سيف من خطباء مسجد السيّدة زينب عليها السلام في القاهرة و كان يغلب عليه مذهب التصوّف و له كتاب في مناقب شيخه.



اشتهر الحمامي كشاعر عربيّ وكتب قصائد و شعراً منشوراً حول بعض الكتب مثل (رفع الحجاب عن بلايا ابن الخطاب) و (استكشاف السر المقصود) و (ديوان النفحات الزينبية في الخطب المنبرية) و له كذلك بعض الأشعار التي نشرت في الكثير من الصّحف و المجلات في رثاء (مصطفى كامل) ـ «الجريدة» ـ و مجلة الرشديات.

توفّي الحمامي عام (١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م).

كُتبه و مؤلّفاته

ومن الكُتب التي ألّفها مصطفى أبو سيف الحمامي:

١ ـ (منتهى آمال الخطباء) ديوان خطب كبير؛

٢ ـ (تاج الخطب المنبرية)؛

٣ ـ (ديوان النفحات الزينبية في الخطب المنبرية)؛

٤ ـ رسالة (شجاعة رسول الله)؛

٥ ـ (غوث العباد ببيان الرشاد).

الدكتور أحمد عبد الرحيم السّايح

وُلد المرحوم الدكتور أحمد عبد الرحيم السّايح عام (١٩٣٧م) في أسرة عُرفت بالتديّن و التقوى، و كان مُعظم أفراد هذه الأسرة علماء في الأزهر و حفظة للقرآن الكريم. حصل الدكتور السايح على شهادة الماجستير في الفلسفة و علم الكلام من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر و ذلك سنة (١٩٦٥م)، ثمّ حصل على شهادة الدكتوراه من نفس الكليّة عام (١٩٨٢م)، و في سنة (١٩٨٦م) نال مرتبة الدكتوراه.

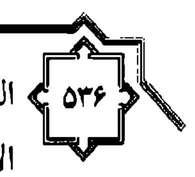


والدكتور أحمد السايح عضو في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية و يشغل منصب أستاذ في كلية العقيدة و الفلسفة الإسلامية في جامعة الأزهر في مصر و جامعة قطر و جامعة أمّ القرى في المملكة العربية السعودية، و هو صاحب آراء و نظريّات في المجالات العلمية المتعددة مثل علم الكلام و الفلسفة و المنطق و التربية و التعليم. و يتميّز أسلوبه الأدبيّ في الكتابة و التأليف بالبساطة و السهولة بحيث كان يُعالج المسائل العلمية المعقّدة بشكل مبسّط و واضح.

لقد كان الدكتور السايح من أحرص المدافعين في مصر و البلدان العربية عن حريم آل بيت الرسول ﷺ و محبّيهم و الموالين لهم حيث قضى عُمره في التقريب بين المذاهب الإسلامية و توحيد المسلمين و توسيع رقعة الحوار المنطقي و الإنسانيّ بينهم. و قد شكّل وجود الدكتور السايح في المملكة العربية السعودية فرصة ذهبية مكّنته من التعرّف و الإطّلاع مباشرة و عن كثب على مدى الانحراف العقائدي الذي وصلت إليه الفرقة الوهابية، فكان لذلك أثر كبير و عميق في تشجيعه على تأليف مجموعة كبيرة من الكُتب العلمية القيّمة خلال سنوات طوال في الردّ على الوهابية، و من أشهر تلك المؤلّفات كتابه المسمّى (بينما يعظمون ملوكهم الوهابيون لايوقرون النبيّ ﷺ). و إلى جانب ذلك فقد شرع بتأليف سلسلة من الكتب استهلّها بالتعريف بآل بيت الرّسول الأعظم ﷺ و بيان فضائلهم و مناقبهم، لكنّ أجَله لم يمهله لإتمام تلك السلسلة الخاصّة بالأئمّة المعصومين عليهم السلام فتوفّي سنة (٢٠١١م).

الخواجة محمد حسن جان صاحب سرهندي مجددي

وُلد محمد حسن جان في (٦ شوال ١٢٧٨هـ) في مدينة (قندهار) لأسرة عُرفت بالتديّن، في شبابه تلقّى الدروس الابتدائية و العلوم الحوزوية و منها

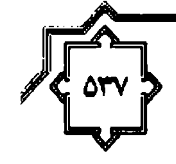


الفقه و التفسير و المنطق و الفلسفة و الأصول على يَد والده الجليل (سراج الأولياء) حتى بلغ عنده أرفع المراتب العلمية و المعنوية. و عندما اجتاحت بريطانيا موطنه أفغانستان و احتلّته، اضطرّ الخواجة محمّد حسن إلى مغادرته و الهجرة إلى السعودية عام (١٢٩٧هـ) مصطحباً معه كلّ أفراد أسرته.

وعلى الرّغم من أنّه كان ما يزال شابّاً في تلك الفترة إلّا أنّ فكرة الجهاد ضدّ الكفر و محاربة المستعمر لم تَغِب عن مخيّلته، و لم يمنعه ذلك من الإنضمام إلى صفوف المجاهدين آنذاك ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾[١]، و عندما وصل إلى أرض السّند امتثل لطلب أهالي تلك المنطقة و قرّر الإقامة هناك في (حيدر آباد). و خلال تلك الفترة تسنّى له تلقي بعض العلوم العقلية و النّقلية من الحافظ مولانا لعل محمّد متعالوي، و في سنة (١٣٠٠هـ) هاجر إلى بلاد الحرمين الشريفيْن بصحبة بعض القبائل و العشائر الأفغانية و مكث في تلك الديار المقدّسة قرابة خمس سنوات فاستغلّ ذلك للدراسة على يَد بعض العلماء المشهورين في ذلك العصر من أمثال الشيخ أحمد زيني دحلان و الشيخ رحمة الله مهاجر الهندي في علم الحديث، فانتفع منهم كثيراً و حصل على إجازات منهم في رواية الصّحاح الستّة. و لم يكتف الخواجة محمّد حسن و هو في جوار بيت الله الحرام بتدريس العلوم الدينية و القرآنية و حسب بل و بذل جهوداً كبيرة في مساعدة الحجّاج و خدمتهم من خلال إدارة مراسم العمرة و الصّفا و المروة و الطواف و زيارة الأماكن المقدّسة بمساعدة القبائل و العشائر المختلفة باعتبار منصبه كرجل. و رغم كلّ الأعباء و المسؤوليات التي كانت مُلقاة على عاتقه في تلك الفترة نجح الخواجة في حفظ القرآن الكريم كاملاً. ثمّ قرّر العودة إلى ولاية السّند بطلب من والده الجليل حضرة سراج الأولياء، فأقام

---

١. سورة النساء، الآية ٩٥.



هناك في مدينة (سكر). بعد وفاة والده سنة (١٣١٥هـ) بدأ الخواجة محمّد حسن مثله في ذلك مَثل الخلف الصالح بإرشاد الناس و تثقيفهم في مقرّه في خانقاه قرية سائنداد (بالسّند) و مسجدها.

و تجدر الإشارة إلى أنّ الخواجة محمّد حسن كان ضليعاً و متبحّراً في مجال الترجمة و التأليف إلى جانب معرفته بالعلوم القرآنية و معلوماته و مطالعاته الواسعة، لكنّ الزّمن لم يُتِح له الفُرَص الكافية إلّا لتأليف بعض الكُتب و منها:

١ ـ أنيس المريدين؛

٢ ـ أنساب الأنجاب؛

٣ ـ رسالة تهليلية؛

٤ ـ تحقيق الجمعة في القرى؛

٥ ـ رسالة في ترديد القاديانية؛

٦ ـ الإشارة إلى البشارة؛

٧ ـ شرح حمل كاف؛

٨ ـ أحكام الطاعون؛

٩ ـ سرور المحزون في اللطائف؛

١٠ ـ الأصول الأربعة في ترديد الوهابية.

ويُذكَر أنّ من خصوصيّات الخواجة محمّد حسن و مميّزاته التي عُرِف بها هي محبّته للرّسول الأعظم ﷺ و شَغفه بآل بيته الطاهرين عليهم السلام و الحرمين الشريفيْن و لذلك قام بزيارة قبر النبيّ الكريم ﷺ و المسجد الحرام أكثر من ثلاث مرّات، و تمكّن من السّفر مرّة واحدة فقط إلى العراق و زيارة قبور آل البيت عليهم السلام هناك و خلال عودته عرّج كذلك على الشام (سورية) و بيت المقدس في فلسطين فتشرّف بزيارة قبور الأنبياء عليهم السلام و أولياء الله الصالحين. و لم ينسَ الخواجة أن

يدوّن خواطره و ذكرياته خلال رحلاته تلك مبيّناً فيها كلّ ما أحسّ و شاهد و مرّ به من الأحداث و التجارب، لكنّ يومياته تلك لم تُطبَع لأسباب غير معروفة.

ومن صفاته المميّزة الأخرى أنّه كان يُهدي كُتبه و مؤلّفاته مجاناً إلى القرّاء و المهتمّين لأنّه كان يرجو من تأليف تلك الكُتب أجراً أُخروياً و رقيّاً في المستوى الثقافي للمجتمع الإسلامي.

مجيد فاطمي نژاد

باحث في مؤسسة دار الاعلام

لمدرسة اهل البيت عليهم السلام

مفهوم التوسل

لا غرابة أن نتوسل به ﷺ أو بغيره من الصالحين إلى الله تعالى فيما تدعونا الضرورة له، و تعوزنا الحاجات إليه، خاصة و أن الله سبحانه و تعالى، شرع لنا ذلك في كتابه، و سن لنا الرسول ﷺ هذا في سنته، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ ابتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ﴾[1]، و يقول سبحانه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدعُونَ يَبتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ وَ يَرجُونَ رَحمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[2].

و الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير.

و الجمع الوسل، و الوسائل، و التوسيل و التوسل واحد، يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة، و توسل إليه بوسيلة، إذا تقرب إليه بعمل.

و هي أيضا: كل ما جعله الله سببا في القربى عنده، و وصلة إلى قضاء الحوائج منه، و المدار فيها على أن يكون للوسيلة قدر و حرمة عند المتوسل إليه.

و لفظ الوسيلة عام في الآيتين، فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء و الصالحين، في الحياة و بعد الممات، و بإتيان الأعمال الصالحة على الوجه المأمور به، و للتوسل بها بعد وقوعها، كما وقع من الثلاثة الذين آوو ا إلى غار، فسال السيل فألقى على الغار صخرة سدت فمه، فصاروا لا يستطيعون

---

١ . المائده: من الآية٣٥.

٢ . الاسراء: من الآية ٥٧.

الخروج، و هو فی صحیح البخاری[١] و غیره، و فيه أنهم قالوا:

«يا هؤلاء، انه لا ينجيكم مما أنتم فيه إلا أن تدعو الله تعالى بصالح ما عملتم» فدعا كل منهم بصالح ما يرجو قبوله من عمله، فاستجاب الله تعالى لهم، و فرج عنهم.

و فی هذا الحدیث جواز التوسل بالعمل الصالح، حيث أقر الرسول ﷺ ذلك، و ذكره في معرض الثناء، يقول الإمام النووى رضي الله عنه: «استدل أصحابنا بهذا، على أنه يستحب للإنسان، أن يدعو في حال كربه، و في دعاء الاستقساء و غيره، بصالح عمله، و يتوسل إلى الله تعالى به، لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، و ذكره ﷺ في معرض الثناء عليهم بجميل فضائلهم».

وروى الطبرانى و غيره، عن أنس أنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم عليّ رضي الله عنهما، دخل عليها رسول الله ﷺ ... الحديث، و في آخره:

أنه لما فرغ من حفر قبرها و لحدها دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه و قال: «**الله الذى يحيى و يميت، و هو حى لا يموت، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، و لقنها حجتها، و وسع عليها مدخلها، بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين**»[٢].

ففى هذا الحديث الثابت، توسله عليه الصلاة و السلام، إلى ربه بذاته، التى هى أرفع الذوات قدراً، و بإخوانه من النبيين، و جلهم موتى عليهم جميعا الصلاة و السلام.

فانظر بأيها تقتدى، أبرسول الله ﷺ، في توسله بالأنبياء أحياء كانوا أو أمواتاً؟ أم بهؤلاء المبتدعة، المغالين في بدعتهم، في منع التوسل بمن مات من الأنبياء و الصالحين، و عدّهم ذلك غير مشروع أو شركاً؟

---

١. البخارى (٣٤٦٥) عبدالباقى.

٢. الطبرانى فى الكبير (٢٤/ ٣٥١) و الأوسط (١/ ٧٦)



و أخرج البيهقى فى (دلائل النبوه) ـ و قد التزم ألا يذكر فى هذا الكتاب حديثا و احداً موضوعاً ـ و الطبرانى فى (معجمه الصغير)، و الحاكم فى (المستدرك)، و اللفظ للطبراني، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد إلا غفرت لى؟ فقال الله تعالى: يا آدم، كيف عرفت محمداً و لم أخلقه؟ قال: يا رب، إنك لما خلقتنى رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، انه لأحب الخلق إلى، و إذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك، و لولا محمد ما خلقتك».

و رواه الطبرانى و زاد فيه: «**و هو آخر الأنبياء من ذريتك**»[1]. و لهذا الحديث شاهد يرتقى به إلى درجة الحسن رواه ابن بشران بإسناد قوى ـ كما قال الحافظ ابن حجر ـ عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال: «**لما خلق الله الأرض و استوى إلى السماء...**» الحديث[2].

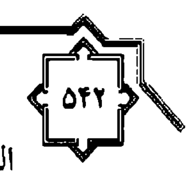
و ممن أكد هذا الخبر و أخذ به الإمام مالك بن أنس فقال للمنصور متحدثا عن النبى ﷺ: «**فهو و سيلتك و وسيلة أبيك آدم إلى يوم القيامة...**».

و فى هذا الحديث دلالة على مشروعية التوسل برسول الله ﷺ، قبل أن يتشرف هذا العالم بوجوده، و أنه لا يشترط فى صحه التوسل كونه حياً فى دار الدنيا، و يعلم من هذا أن القول بأن التوسل لا يصح بأحد إلا وقت حياته فى دار الدنيا قول من اتبع هواه بغير هدى من الله تعالى.

---

١ . الحاكم فى المستدرك (٢/ ٦٧٢)، الطبرانى فى الأوسط (٦/ ٣١٣)

٢ . أخرجه ابن الجوزى فى الوفا بفضائل المصطفى من طريق الحافظ أبى الحسن ابن بشران و إسناده قوى كما قال الحافظ ابن حجر.



فالتوسل بسيدنا رسول الله ﷺ، و التوسل بسائر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، و التوسل بالصالحين من عباد الله سبحانه، و الاستغاثة بهم جميعاً، على النحو الذى عليه الأمة من اعتقاد أنهم عباد مكرمون، مقبولوا الشفاعة عند الله تعالى بفضله هو مما أجمعت عليه الأمة، و دل عليه الكتاب، و نطقت به صحاح السنة، و أقوال العلماء، و سلف الأمة.

و فى قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فى خطبته بمحضر الصحابة و التابعين، فى حق العباس: «**و اتخذوه وسيلة إلى الله سبحانه**»، الدلالة الواضحة على أنهم لم يكونوا يفهموا من الوسيلة إلا الأعمال فقط، بل ابتغاء الوسيلة عندهم شامل للتوسل بالأنبياء و الصالحين، و ما يتعلق بهم.

و على أى حال من الأحوال، و مهما بلغ قول المنكر من الإنكار، فإن التوسل بالنبى ﷺ جائز فى كل حال، قبل خلقه، و بعد خلقه، فى مدة حياته فى الدنيا، و بعد موته فى مدة البرزخ، و بعد البعث فى عرصات القيامة و الجنة.

أنواع التوسل

التوسل على نوعين:

النوع الأول: التوسل بمعنى الدعاء بجاه المتَوَسَّل به.

النوع الثانى: التوسل بمعنى طلب الدعاء.

و هاك تفصيل لهما:

النوع الأول: التوسل بمعنى الدعاء بجاه المُتَوَسَّل به

بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى بجاه المتوسل به، أو ببركته، و لا فرق فى هذا النوع من التوسل بين أن يتوسل بذى القدر الرفيع قبل وجوده، و



بعد وجوده، فى حياته الدنيا، أو حياته الأخرى، فيجوز ذلك فى الأحوال الثلاثة، و سنفصل القول حسبما ورد فى كل منها من أخبار صحيحه ثابتة:

الحالة الأولى: التوسل بذى القدر الرفيع قبل وجوده:

و يدل على ذلك آثار عن الأنبياء الماضين، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين، اقتصرنا منها على ما تبين لنا صحته، و هو:

ـ ما رواه الحاكم أبو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين قال: حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما اقترف آدم ﷺ الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى، فقال الله: يا آدم، و كيف عرفت محمداً و لم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك، و نفخت فى من روحك، رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلى، و إذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك، و لولا محمد ما خلقتك».**

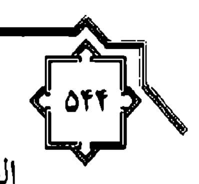
قال الحاكم: «هذا صحيح الإسناد»، و رواه البيهقى أيضاً فى دلائل النبوة[١]، و ذكره الطبرانى و زاد فيه: **«و هو آخر الأنبياء من ذريتك».**

ـ و ذكر الحاكم فى مستدركه، و عبدالرزاق فى مصنفه، و ابن أبى شيبة فى مسنده: عن قتادة بن سعيد بن المسيب عن ابن عباس ﷺ، قال:

«أوحى الله إلى عيسى ﷺ، يا عيسى آمن بمحمد، و أمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، و لولاه ما خلقت الجنة و النار، و لقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسكن».

---

١ . سبق تخريجه.



ـ و أما ما ورد من توسل نوح، و إبراهيم، و غيرهما، من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، فذكره المفسرون و اكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته و تصحيح الحاكم له.

و لا فرق في هذا المعنى، بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل، أو الاستعانة، أو التشفّع، أو التجوّه.

و الداعي بمثل هذا التوسل و ما في معناه متوسل بالنبي ﷺ، لأنه جعله وسيلة لإجابة دعاوءه، و مستغيث به.

و المعنى أنه استغاث الله به (أي طلب به من الله الغوث) على ما يقصده، فالباء ها هنا للسببية، و قد ترد للتعدية كما يقول: من استغاث بك فأغثه، و مستشفع به، و متوجه به، فإن التجوه و التوجه راجعان إلى معنى و احد.

و لا يصح أن يقال: المتشفع بالشخص من جاء به ليشفع، فكيف يصح أن يقال: يتشفع به؟

فإن الكلام ليس في العبارة، و إنما الكلام في المعنى، و هو سؤال الله بالنبي ﷺ كما ورد عن آدم، و كما يفهم الناس من ذلك، فإنهم يفهمون من التشفع و التوسل و الاستعانة و التجوه ذلك، و لا مانع من إطلاق اللغة بهذه الألفاظ على هذا المعنى، و المقصود، جواز أن يسأل العبد الله تعالى، بمن يقطع أن له عند الله قدراً و مرتبة.

و لا شك أن النبي ﷺ له عند الله قدر عالٍ و مرتبة رفيعة، و جاه عظيم.

و في العادة أن من كان له عند الشخص قدر، بحيث أنه إذا شفع عنده قبل شفاعته، فإذا انتسب إليه شخص في غيبته، و توسل بذلك و تشفع به فلا حرج، و ان لم يكن حاضراً و لا شافعاً، و على هذا التوسل بالنبي ﷺ قبل خلقه.



و لسنا فى ذلك سائلين غير الله تعالى، و لا داعين إلا إياه، و يكون ذكر المحبوب أو التعظيم سببا فى ذلك للإجابة، كما فى الأدعيه الصحيحة المأثورة.

هذا عن التوسل بصالح العمل...

أما عن التوسل بدعاء الرسول ﷺ و شفاعته:

فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَ لَو أَنَّهُم إذ ظَلَمُوا أنفُسَهُم جَاءُوكَ فَاستَغفَرُوا الله وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحيماً﴾[١].

و لعل فى قوله تعالى: ﴿خُذ مِن أموالِهِم صدقَةً تُطَهِّرُهُم و تُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَليهِم إنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُم﴾[٢].

و طلب الدعاء من الغير أرجى للإجابة، إذا كان المطلوب منه الدعاء من أهل التقوى و الصلاح.

و التوسل بدعاء غيره ﷺ قد سنه لنا، حينما قال لعمر بن الخطاب ﷺ، و قد استأذنه فى العمرة فأذن له و قال له: «لا تنسنا يا أخى من دعائك»[٣].

و سنه لعمر و لغيره تبعاً له، فيما رواه مسلم فى صحيحه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن خير التابعين رجل يقال له أويس، و له والدة، و كان به بياض، فمروه فليستغفر لكم**»[٤].

و فى رواية: «**وله والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لكم فافعل**».

و قد طلب عمر منه أن يستغفر له، فدلّ ذلك على جواز التوسل بدعاء المسلمين، و لو كان الداعى أقل درجة من المدعو له.

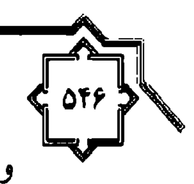
---

١ . النساء: من الآية ٦٤.

٢ . التوبة: من الآية ١٠٣.

٣ . سنن أبى داود (١٤٩٨)، و سنن ابن ماجة (٢٨٩٤)

٤ . مسلم (٢٥٤٢)



و مما يدل على ذلك أيضا. حثه ﷺ لنا على سؤال الله له الوسيلة و الفضيلة و الدرجة العالية الرفيعة، و المقام المحمود، و سؤالنا الله أن يصلى عليه، و ما إلى ذلك.

و هذا من أوجه التوسل التى لا يمانع فيها أحد من العلماء.

فالمسئول فى هذه الدعوات كلها هو الله وحده لا شريك له.

و المسئول به مختلف، و لم يوجب ذلك إشراكاً، و لا سئوال غير الله سبحانه و تعالى.

كذلك السئوال بالنبى ﷺ ليس سئوالا للنبى ﷺ، بل هو سؤال لله به.

و إذا جاز السؤال بالأعمال و هى مخلوقة، فالسؤال بالنبى ﷺ من باب أولى، و لا يسمع القول بأن الأعمال تقتضى المجازاة عليها، لأن استجابة الدعاء لم يكن عليها، و إلا لحصلت بدون ذكرها، و إنما كانت على الدعاء باالأعمال.

و ليس هذا المعنى مما تختلف فيه الشرائع حتى يقال: إن ذلك شرع من قبلنا، فإنه لو كان ذلك مما يخل بالتوحيد لم يجىء فى ملة من اللملل، فإن اللفظ إنما يقتضى أن للمسئول به قدراً عند المسئول.

و تارة يكون المسئول به أعلى من المسئول.

أما البارى سبحانه و تعالى، كما فى قوله ﷺ: «**من سألكم بالله فأعطوه**»[1] فالمسئول به هو الله سبحانه و تعالى، و هو صاحب الكبرياء الأعلى، و الجلال الأسمى.

و فى حديث: الأبرص، و الأقرع، و الأعمى: «**أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن، و الجلد الحسن...**»[2] الحديث، و هو مشهور. و أما بعض البشر، و

١ . النسائى (٢٥٦٧) أبو داود (٥١٠٨)، (٥١٠٩).

٢ . متفق عليه، البخارى (٣٤٦٤)، مسلم (٢٩٦٤).



يحتمل أن يكون من هذا القسم قول عائشة لفاطمة: «**أسألك بما لي عليك من حق**».

و تارة يكون المسئول أعلى من المسئول به، كما في سؤال الله تعالى ﷺ فإنه لا شك أن للنبي ﷺ قدراً عند الله سبحانه، و من أنكر ذلك فليس الإسلام في شيء.

فمتى قال: أسألك بالنبي ﷺ فلا اعتراض عليه، و لا شك في جوازه.

و كذا إذا قال: بحق سيدنا محمد ﷺ و المراد بالحق القربة و المنزلة، و الحق الذي جعله الله على الخلق، أو الحق الذي جعله الله بفضله له عليه، كما في الحديث الصحيح، قال: «**و ما حق العباد على الله**»[1]؟ و ليس المراد بالحق الوجوب فانه لا يجب على الله شيء. و على هذا المعنى، يحمل ما ورد عن بعض الفقهاء في الامتناع من إطلاق هذا اللفظة.

الحالة الثانية: التوسل بذي القدر الرفيع في حياته:

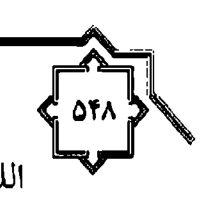
و الأدلة على هذه الحالة كثيرة، فمن ذلك:

ـ ما رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه في كتاب الدعوات: عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافني. قال: «**إن شئت دعوت، و إن شئت صبرت، فهو خير لك**» قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن و ضوءه و يدعوا بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك و أتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي، اللهم شفعه فيّ**»[2].

---

١ . متفق عليه في البخاري (٢٨٥٦)، مسلم (٣٠)

٢ . الترمذي (٣٥٧٨)



قال الترمذی: «هذا حديث صحيح غريب»، رواه النسائی فی (اليوم و الليلة) و فی (دلائل النبوة) للحافظ أبی بكر البيهقی.

ثم قال البيهقی: و زاد محمد بن يونس فی رواية: «**فقام وقد أبصر**».اهـ.

قال البيهقی: و رويناه فی كتاب الدعوات بإسناد صحيح، عن روح بن عبادة، عن شعبة قال: «ففعل الرجل فبرأ».

و رواه حماد بن سلمة بسنده عن عثمان بن حنيف فذكره و فی آخره: «**يا محمد إنی أتوجه بك إلی ربی فيجلی عن بصری، اللهم شفعه فی و شفعنی فی نفسی**».

قال عثمان: «فو الله ما تفرقنا و لا طال الحديث حتی دخل الرجل و كأنه لم يكن به ضر قط» اهـ.

و سنذكر هذا الحديث أيضا، فی التوسل بالنبی ﷺ بعد موته من طريق الطبرانی، و البيهقی، و قد كفانا الترمذی و البيقهی ﷺ بتصحيحهما هذا الحديث، مؤنة النظر فی تصحيحه، و ذلك حجة فی المقصود.

و يقال: بأن ذلك إنما كان لأن النبی ﷺ شفع فيه، فلهذا قال له أن يقول: «**إنی توجهت إليك بنبيك**».

فإن عثمان بن حنيف و غيره عملوا بها فی ذلك الحديث بعد موته ﷺ، و ذلك يدل علی أنهم لم يفهموا اشتراط الحياة، و ليس فی الحديث أن النبی ﷺ بيّن اشتراط ذلك.

و لو لم يكن فی ذلك فائدة لما علمه النبی ﷺ، و لما أرشده إليه، و لما قال له: إنی قد شفعت فيكف و لكنه ﷺ أراد أن يحصل من صاحب الحاجة التوجه بذل الاضطرار و الافتقار و الانكسار، مستغيثا بالنبی ﷺ فيحصل كمال مقصوده.



و لو كان التوسل عبادة لما جاز فى حق الحى كعدم جوازه فى حق الميت لأن العبادة لا يصح صرفها لغير الله حيا أو ميتا.

و لا شك أن هذا المعنى حاصل فى حضرة الرسول ﷺ، و حاصل فى غيبته فى حياته، و حاصل بعد وفاته و انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فإنا نعلم شفقته ﷺ على أمته، و رفقه بهم، و رحمته لهم، و استغفاره لجميع المؤمنين، و شفاعته. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

و هو صلوات الله و سلامه عليه، أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

فإذا انضم إليه توجه العبد به ﷺ حصل هذا الغرض الذى أرشد النبى ﷺ الأعمى إليه.

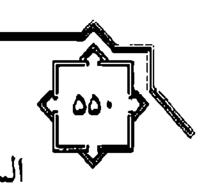
ـ و مما لم يتقدم ذكره، ما أخرجه جمع أئمةَ حفاظ، منهم: الإمام أحمد فى مسنده، و ابن خزيمة فى كتاب التوحيد، و الطبرانى فى الدعاء و ابن ماجه فى سننه، و ابن السنى فى عمل اليوم و اليلة، و الإمام النووى فى الأذكار و غير هم:

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **«من خرج من بيته إلى الصلاة و قال: اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، و أسألك بحق ممشاى هذا، فإنى لم أخرج أشرا، و لا بطراً، و لا رياء، و لا سمعة، و خرجت اتقاء سخطك، و ابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذنى من النار، و أن تدخلنى الجنة، و أن تغفر لى ذنوبى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه حتى يفرغ من صلاته، و استغفر له سبعون ألف ملك»**[2].

---

١. التوبة: ١٢٨.

٢. أحمد ١٠٧٢٩٠، ابن ماجه (٧٧٨).



فهذا ترغيب من رسول الله ﷺ للأمة في التوسل إلى الله بجميع المؤمنين، السائلين له من الأنبياء، و الأولياء، أحياء كانوا أم أمواتاً.

ـ و روى ابن السني من فعله ﷺ عن بلال مؤذن رسول الله ﷺ، قال: كان النبي ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال: «**بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إنّي أسألك بحق السائلين عليك، و بحق مخرجي**» الحديث.

و المراد بحق السائلين في الحديث، ما جعل الله من الحرمة عنده و الكرامة عليه ـ تفضلا منه عز و جل ـ.

و يعلم من حديث بلال هذا، أن النبي ﷺ كان يتوسل في دعائه بالصالحين الأحياء و الأموات، الأولين منهم و الآخرين.

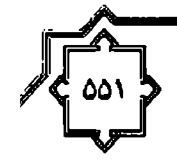
فهل أنصفه عليه الصلاة و السلام مَن أبى و أنكر التوسل به و هو أرفع الخلق مكانة؟ و أعلاهم قدراً؟

أو ليس قوله ﷺ لمن شكا إليه ذهاب بصره: «**قل: اللهم إني أسألك و أتوجه إليك بنبيك**» الحديث السابق. في قوة قوله للأمة: توسلوا بي في كل الملمات، في جميع الأوقات في حياتي و بعد مماتي، فإن لي من المكانة عند ربي و الجاه لديه، ما لا يرد معه سائلاً، متوسلاً بي، منادياً لي، مستغيثاً بي.

الحالة الثالثة: التوسل بذي القدر الرفيع بعد وفاته:

و يدل على جواز ذلك:

ـ ما رواه الطبراني في معجمه الكبير: «عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، و لا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف:



إيت الميضأة فتوضأ، ثم إيت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: «**اللهم إنى أسالك و أتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبى الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك فيقضى حاجتى**» و تذكر حاجتك.

فانطلق الرجل، فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذه بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: ما حاجتك؟

فذكر حاجته و قضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، و قال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقى عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر فى حاجتى، و لا يلتفت إلى حتى كلمته فى. فقال عثمان بن حنيف:

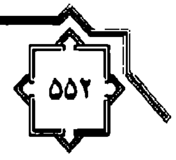
و الله ما كلمته، ولكنى شهدت رسول الله ﷺ، و أتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبى ﷺ: «**أو تصبر**»؟ فقال: يا رسول الله إنّه ليس لى قائد و قد شق على، فقال له النبى ﷺ: «**ايت الميضاة، فتوضأ ثم صلى ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات...**».

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث، حتى دخل علينا الرجل، كأنه لم يكن به ضرر قط»[1].اهـ.

و الاحتجاج بهذا الأثر، من جهة فهم عثمان رضي الله عنه، و من حضره ممن هم أعلم بالله و رسوله.

---

١. الطبرانى فى الكبير (٩/ ٣٠).



النوع الثاني: التوسل بمعنى طلب الدعاء

و من ذلك التوسل بالنبى ﷺ بمعنى طلب الدعاء منه.

و قد يكون فى حياته ﷺ، و هذا متواتر، و الأخبار متواترة به أيضا. حتى لا يمكن حصرها.

و قد كان المسلمون يفزعون إليه و يستغيثون به فى جميع ما نزل بهم و ما نابهم:

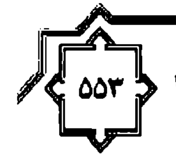
ـ كما فى الصحيحين: «أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة، و رسول الله ﷺ، قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال و انقطعت السبل فادع الله تعالى أن يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**» فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. قال: فلا و الله ما رأينا الشمس ستا»[1] الحديث.

ـ و فى سنن أبى داود فى كتاب السنة: عن جبير بن مطعم قال: «أتى رسول الله ﷺ، أعرابى فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، و ضاعت العيال، و نهكت الأموال، و هلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، و نستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «**ويحك أتدرى ما تقول؟ إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك**»[2] و ذكر الحديث، موافق لمقصودنا، فإنه لم يذكر الاستشفاع به، و إنما أذكر الاستشفاع بالله، و لعل سبب ذلك، أن شأن الشافع أن يتواضع للمشفوع عنده.

---

١. البخارى (١٠١٣ ن ١٠١٤)، مسلم (٨٩٧).

٢. أبو داود (٤٧٢٦).



و عن أنس بن مالك ﵁ قال: «جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتيناك و ما لنا صبى يغط، و لا بعير يئط، و أنشد:

أَتَينَاكَ وَ العَذرَاءُ يُدمى لبَابُهَا ... وَقَد شُغِلَت أُمُّ الصَّبىِّ عَنِ الطِّفل

و ألقَى بِكَفَّيهِ الفَتَى لاستِكَانَة ... مِنَ الجُوعِ ضعفاً ما يَمُرُّ وَ لا يحِلى

و لا شَىءَ مِمَّا يَأكُلُ النَّاسُ ... سِوَى الحَنظَل العَامِيِّ والعَلهَزِ الفَسل

و ليسَ لنَا إلا إلَيكَ فِرَارُنَا ... و أينَ فِرَارُ النّاسِ إلا إلى الرُّسل

فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه ثم قال: «**اللهم اسقنا**» و ذكر الدعاء إلى أن قال:

فما رد النبى ﷺ يده حتى ألقت السماءِ بأوراقها، و جاء أهل البطانة يصيحون: الغرق الغرق. فقال النبى ﷺ: «**حوالينا و لا علينا**» فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل، و ضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه. ثم قال: «**لله در أبى طالب، لو كان حياً لقرت عيناه، من ينشدنا قوله**»؟

فقال علىّ بن أبى طالب ﵁: يا رسول الله، كأنك تريد قوله:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تطيف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة و فواضل

فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**».

ـ و نص قوله تعالى: ﴿**وَلَو أَنَّهُم إذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم جَاءُوكَ فاستغفرُوا الله و استغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ**﴾[1] صريح فى ذلك.

و كذلك يجوز و يحسن، مثل هذا التوسل، بمن له نسبة من النبى ﷺ كما كان عمر بن الخطاب ﵁، إذ قحط استسقى بالعباس ابن عبد المطلب ﵁

---

١ . النساء: من الآية ٦٤.

و يقول: «اللهم إنّا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، و إنا نتوسل إليك بعم نبيك محمد ﷺ، فاسقنا، قال: فيسقون».

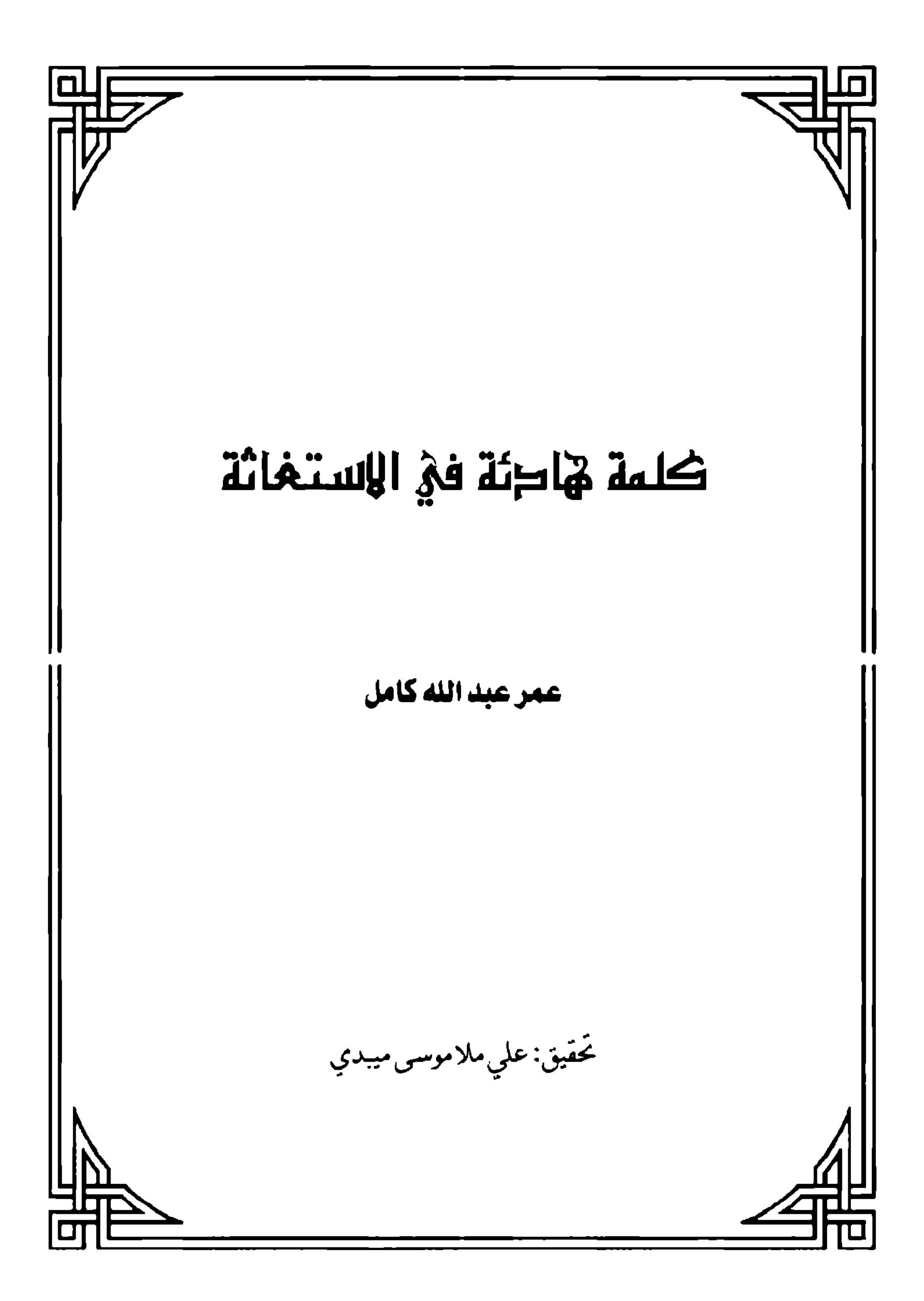
و كذلك يجوز مثل هذا التوسل بسائر الصالحين، و هذا شيء لا يذكره مسلم، و لا متدين بملة من الملل، و لا يقال: لِمَ توسل عمر بن الخطاب بالعباس و لم يتوسل بالنبى ﷺ؟ أو بقبره؟ فليس فى توسله بالعباس إنكار للتوسل بالنبى ﷺ أو بالقبر.

فعن أبى الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها، فقالت: «فانظروا قبر النبى ﷺ، فاجعلوا منه كوى إلى السماء، حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف.» ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب و سمنت الإبل، حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق.»

اللهم بحق نبيك محمد ﷺ أرنا الحق حقا و ارزقنا اتباعه و أرنا الحق حقا و ارزقنا اتباعه و أرنا الباطل باطلا و ارزقنا اجتنابه.

و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم.

و الحمد لله رب العالمين.



كلمة هادئة في الاستغاثة

عمر عبد الله كامل

تحقيق: علي ملاموسى ميدي

مفهوم الاستغاثة

الاستغاثة هي بمعنى طلب التوجه من المستغاث به إلى الله تعالى في قضاء الحاجة إذ ليس لأحد مع الله فعل أو ترك وإنما المستغاث به سبب للشفاعة والدعاء ولقضاء الحاجة.

والقرينة أن المستغيث من الموحدين ولا ينبغي إساءة الظن بهم.

وهذا لا يعد عبادة للمستغاث به وإنما استشفاع واستعانة وطلب مراد به طلب السعي والتسبب وراجع إلى التوسل بسعيهم المقدور لهم كسباً لا خلقاً ولا إيجادًا فليس ذلك كفرًا صراحًا ولا شركًا جليًا وإنما هو راجع إلى جعل السعي الميسور للعبد وسيلة وسببا عاديا لخلق الله الفعل المسند إلى العبد ظاهرا.

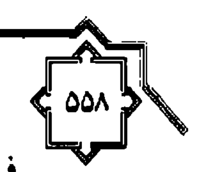
وينبغي أن يتفطن إلى أن ما يطلق على الخالق والمخلوق من الصفات كالرأفة والرحمة والوجود والعلم والهداية والشفاعة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[1] مع قوله ﷺ: «أُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»[2] لا يشتبه على الواعي.

إذ إن مدلولات الألفاظ حين تطلق على الخالق تختلف عن مدلولاتها إذا أطلقت على الخلق من حيث الكمال والكيفية والخلق والتسبب اختلافًا كليًا.

---

١ . الزمر: ٤٤.

٢ . السنة لابن أبي عاصم، ج٢، ص٣٧٣.



فتطلق على الإله بما يناسب مقام الحق. وإذا وصف المخلوق بشيء منها فيكون متصفًا بما يناسب البشرية محدودة ومخلوقة ومكتسبة بإذن الله وفضله وإرادته لا بقوة المخلوق أو تدبيره أو أمره وإنما منّ الله بها على المخلوق قوة وضعفا على ما شاء الله وأراد فلا يرفع المخلوق وصفه بها إلى مقام الألوهية ولا تكون نسبتها إليه شركا.

ومن هذا الباب ما جاء في الأحاديث من الحث على تفريج كربة المؤمن والتيسير على المعسر وإعانة المستعين حيث أن الكل موقن بأن المفرج والمعين والميسر هو الله تعالى وأن العبد ليس إلا سبب في ذلك.

ومن هذا الباب ما وصف حسان به رسول الله ﷺ بقوله:

يا ركن معتمد وعصمة لائذ ومـلاذ منتجع وجار مجاور

فوصفه لرسول الله ﷺ بأنه ركن المعتمدين وعصمة اللائذين وملاذ القاصدين وجار المستجيرين لم يكن يقصد به أنه ﷺ يشارك الباري في تلك الصفات بل هي لله بالأصالة وعلى الحقيقة وأن رسول الله ﷺ هو سبب فيها من باب الإسناد المجازي.

وينبغي أن يتفطن أيضًا إلى ألفاظ قد تصدر من الناس كقولهم ليس لي ملاذ سوى النبي ولا رجاء إلا هو وقولهم إليه يفزع في المصائب وقولهم إن توقفت فمن أسأل، فلا ينبغي أن يسارع إلى تكفير الناس بسببها إذ:

أولاً: ليس المقصود بهذه الألفاظ المقارنة بين رسول الله وبين ربه بل هي مقارنة بين الخلق بمعنى أنه ليس في الخلق من هو أولى من رسول الله ﷺ بأن يلاذ به ويلجأ إليه ويفزع إليه عند الشدائد ليقوم بالتوسل عند ربه في كشفها مثل ما يكون عليه الحال في يوم الهول العظيم حيث لا يجد الأنبياء والخلائق ملجأ إلا في رسول الله ﷺ يشفع لهم في كشف كربهم حيث يقول: «أنا لها» ويشفع.



ثانيًا: ليس في المسلمين إطلاقا من يعتقد لأحد فعلا أو تركًا أو رزقًا أو نصرًا أو أحياءً أو إماتةً فحسن الظن بهم ـ وهو ما أُمرنا به ـ حمل مثل تلك الألفاظ على المجاز العقلي من إسناد الشيء إلى سببه لأن اعتقاد المسلم أن الملجأ والملاذ والمفزع والمدد كله لله خلقا وإيجادا أصالة وما نسبتها إلى المخلوق ممن أكرمه الله بحصولها على يده إلا لأنه هو المتسبب فيها بدعائه لربه وشفاعته عنده.

فليس معنى طلب شيء من المستغاث به عند المسلم إلا الطلب منه بأن يسأل الله تعالى ويشفع عنده بقضاء الحاجة.

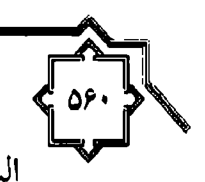
وحمل هذه الألفاظ على حقائقها دون اعتبار لقرينة توحيده هو ظلم كبير وخطأ فاحش.

وقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] شامل لدعاء الشخص نفسه ولدعاء المستغاث به وكل من الاستغاثة والتوسل ليس فيهما دعاء غير الله بما اختص به وحتى حين يطلب المستغيث أو المتوسل قضاء الحاجة من المستغاث به مباشرة لا يريد الموحد منه إلا أن يسعى في قضاء حاجته بالطرق المقدورة له عند من بيده الأمر فهو في حقيقته استشفاع لطلب السعي والتسبب العادي في إجابة الدعاء وقضاء الحاجة.

ومن رأى من علماء السواد الأعظم من المسلمين البعد عن إسناد الطلب إلى العبد فلم يدّع أن ذلك شرك أو كفر وإنما رأى الابتعاد عما يوهم أن للنبي أو الولي شيئا من صفات الألوهية كأن يكون الدعاء مثلا لطلب مثل غفران الذنوب أو إدخال الجنة أو النجاة من النار أو إنزال المطر ومثل ذلك مما هو من خصائص الربوبية.

---

١ . غافر: ٦٠.



وظاهر أن النظر إلى الأسباب والأخذ بها غير الاعتماد عليها فإن الاعتماد على السبب هو الركون إليه مع الغفلة عن الفاعل المختار.

فمما ورد من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] وقوله ﷺ: «وإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[2] وقوله: «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»[3] وأمثال ذلك فإنه إرشاد إلى عدم الغفلة عن الفاعل المختار وليس مرادًا أن لا يطلبها العبد إلا من الله لأن طلبها من العباد لتحصيل أفعال الله هو من اتخاذ الأسباب المشروعة وترتيب الأسباب على مسبباتها فدعاء الله مجردا من الوسائل ودعاؤه مقرونا بها كلاهما مشروع وهي من الله في كل الأحوال خلق الفعل في العبد ومن العباد التسبب فيها.

فالمثبت في الاستغاثة والإعانة والاستعانة لله تعالى هو الخلق والإيجاد والمثبت للعبد هو التسبب في ذلك بالدعاء والشفاعة أو غيرهما لدى من بيده الأمر كله.

والصحابة حين كانوا يستغيثون برسول الله ﷺ أو يطلبون منه الشفاعة أو يشكون حالهم إليه من فقر ومرض وعاهة وبلاء وجدب كانوا يعلمون أنه ﷺ لا يفعل ذلك بقوته وإنما هو عبد لله له مقامه ووجاهته وكرامته عنده وأنه مجرد سبب من أسباب الإجابة لقضاء حوائجهم فلا يعنون من الطلب إلا وساطته عند ربه بالتوجه إليه ليدعو ويشفع.

ومع ذلك كان موقف رسول الله ﷺ مع السائلين تارة الاستجابة لطلبهم وتارة يخيرهم بين الصبر وكشف البلاء كما أخبر الأعمى والمرأة التي تصرع

---

١. الفاتحة: ٥.

٢. سنن الترمذي، ج٤، ٢٤٨.

٣. كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، ج١٠، ص٣٧٣.



وقتادة الذي أصيبت عيناه وتارة يقول لهم: «إنما يستغاث بالله» ويقول للسائل تارة «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» وتارة يقول: «السيد الله» ومرة يقول: «أنا سيد ولد آدم».

وواضح من اختلاف أجوبته للسائلين أنه كان يراعي حالة السائل حين يسأله فيجيبه بما يقضي به رسوخ الاعتقاد في قلبه وعدم الغفلة عن الفاعل المختار وسد باب الاتكال على سواه وليس مراداً أن لا يطلب ذلك إلا من الله.

ومما يدل على أنه ليس القصد أن لا يطلب العبد ذلك إلا من الله منعه ﷺ لمن قالوا: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال لهم: «إنما يستغاث بالله ولا يستغاث بي»[١] في الوقت الذي لا يجهل أحد أن الاستغاثة بالحي في مثل ما طلبوه غير ممنوعة وهو ردع المنافق الذي تأذوا منه وقد قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[٢].

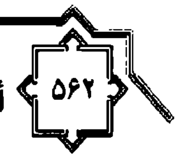
وإنه لا يغيب عن فهم المؤمن أن الصحابة حين كانوا يستغيثون برسول الله أو يطلبون منه أمرًا أو يشكون إليه حالهم أن رسول الله ﷺ حين كان يجيبهم على ما طلبوه من حاجات لم يقل لهم أن الأمر لا يحتاج إلى وسيلة واشكوا حالكم إلى الله تعالى لأنه قريب مجيب لا حجاب بينه وبين خلقه فتوجهوا إليه بالطلب رأسا لأنه من المعلوم أنه وإن كان المدعو أقرب فإن العبرة في قبول الدعاء إنما هو بأقربية الداعي كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣].

---

١ . مسند أحمد، ج٣٧، ص٣٨٠.

٢ . القصص: ١٥.

٣ . المائدة: ٢٧.



أدلة الاستغاثة من الكتاب والسنة:

أولا: الأدلة من الكتاب:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[1]. الآية...

إذ تطلبون منه النفع لأنه مالك النفع والضر وحده فهو النافع الضار على الحقيقة ابتداء واستقلالا وهو مجيب الدعوات وقاضي الحاجات ومستجيب الدعوات ويتقبل شفاعة الشافعين بإذنه وإذا رضي لمن يشاء من عباده وفيمن يشاء تفضلًا ومر ما على الداعي والمتوسل فلا يجب عليه شيء ولا يلزمه شيء.

٢ ـ قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾[2].

فاستغاث به الذي هو من شيعته ومن هنا يعلم أن الاستغاثة بالمخلوقات هي طلب الغوث فيما يقدر عليه، ومنه الدعاء والتوسل في قضاء الحوائج من الأنبياء والصالحين.

فيعلم من هذا أن الاستغاثة إذا أطلقت على المخلوق فهي من قبيل الاشتراك اللفظي والمجاز وكل المؤمنين يعلمون أن المغيث هو الله وما النبي أو الولي إلا من قبيل التسبب.

ثانيا: الأدلة من السنة:

١ ـ روى البخاري في صحيحه: «إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ... فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الخَلْقِ»[3].

---

١. الأنفال: ٩.

٢. القصص: ١٥.

٣. صحيح البخاري، ج٢، ص١٢٣.



قلت: وهذا يؤيد ما جاء في الآية الكريمة وأن الاستغاثة بالمخلوقات ليست عبادة وإلا لما جرأ أحد على عبادة غير الله في ذلك المحشر العظيم وبمحضر من الأنبياء بل ومن رب العزة.

٢ ـ روى البخاري في صحيحه من كتاب الاستسقاء عن أنس بن مالك: «أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فأدع الله يغيثنا ـ أي يمطرنا ـ قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا.

قال أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال: فطلعت من وراءه سحابة مثل الترس ثم انتشرت، ثم أمطرت...»[١].

٣ ـ عن عثمان بن حنيف قال في رواية الترمذي:

أن ضريرا أتى النبي ﷺ فقال: أدع الله أن يعافيني قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء «اللهم أني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في»[٢].

وفي رواية ابن ماجة: أنه أمره بصلاة ركعتين بعد الوضوء وقال في آخره: «**يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه...**»[٣] الحديث قال في تحفة الأحوذي وزاد النسائي في آخره: «فرجع وقد كشف الله عن بصره» وفي رواية

١ . نفس المصدر، ج٢، ص٢٨.

٢ . سنن الترمذي، ج٥، ص٤٦١.

٣ . سنن ابن ماجه، ج١، ص٤٤١.

الطبراني قال ابن حنيف: «فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط»[١].

وروى الطبراني في معجمه «أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له وكان عثمان رضي الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقى الرجل عثمان بن حنيف فشكى ذلك إليه فقال عثمان بن حنيف: أئت الميضأة فتوضأ ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل «اللهم أني أسألك... إلخ الدعاء... وأذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ما قاله له ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة وقضى حاجته»[٢].

٤ ـ روى الطبراني وأبو يعلى في مسنده وابن السني في عمل اليوم والليلة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا عليّ، يا عباد الله احبسوا عليّ، فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم**»[٣].

وفي رواية أخرى لهذا الحديث: «**إذا ضل أحدكم شيئا، أو أراد أحدكم غوثا، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: «يا عباد الله اغيثوني يا عباد الله اغيثوني، فإن لله عبادا لا نراهم**»[٤].

رواها الطبراني في الكبير وقال بعد ذلك: وقد جُرب ذلك.

ورواه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ:

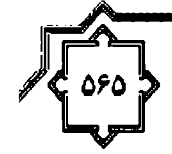
---

١ . المعجم الكبير، ج٩، ص٣٠.

٢ . نفس المصدر.

٣ . نفس المصدر، ج١٠، ص٢١٧.

٤ . نفس المصدر، ج١٧، ص١١٧.



«إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني»[1]. وحديث البزار هذا حسنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار.

وقال الحافظ الهيثمي عنه في المجمع رجاله ثقات.

قلت: وفي هذا الحديث يتكرر الإذن بالإستغاثة بالمخلوقات مع أن الاستغاثة بهم من قبيل المجاز وطلب العون فيما يقدرون عليه والله هو الذي أقدرهم عليه وليس من الشرك في شيء.

٥ ـ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

أخرج قصة عاد الثانية أحمد بإسناد حسن عن الحارث بن حسان البكري قال: «خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ... الحديث ـ وفيه ـ فقلت: أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد، قال وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث ولكنه يستطعمه...»[2].

قلت وهذه الاستعاذة وردت صريحة بالرسول ولأن رسول الله ﷺ يعلم أن هذا الصحابي يعلم الفرق بين الألفاظ إذا أطلقت في حق المولى سبحانه وتعالى وإذا أطلقت في حق المخلوقات فهي من الله ابتداء واستقلالا ونفعا وضرا ومن العبيد والخلق تسببًا.

٦ ـ أخرج أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي هريرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مريم إماما مقسطا وحكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين

---

١ . مسند البزّار، ج١١، ص١٨١.

٢ . المعجم الكبير، ج٣، ص٢٥٤.

وليذهبن الشحناء وليعرضن عليه المال فلا يقبله، ثم لئن قام على قبري فقال: يا محمد لأجبته»[١].

وأخرجه الحاكم في المستدرك وفيه «... وَلَيَأْتِيَنَّ قَبْرِي حَتَّى يُسَلِّمَ وَلَأَرُدَّنَ عَلَيْهِ»[٢].

وهذا الحديث فيه دلالتان:

الأولى: فضيلة زيارة قبر الرسول ﷺ.

الثانية: جواز النداء للرسول ﷺ بعد وفاته.

٧ ـ أخرج البخاري في صحيحه في كتاب (أحاديث الأنبياء) من قصة سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وعن أم إسماعيل وهي تبحث له عن الماء ثم قالت: «لو ذهبت فنظرت ما فعل، فإذا هي بصوت فقالت: أغث إن كان عندك خيرٌ، فإذا جبريل...»[٣]. الحديث. ففي هذا الحديث استغاثت بمن لا تراه ثم ظهر لها الملك.

الاستغاثة من فعل الصحابة وأقوالهم رضي الله عنهم

١ ـ استسقاء الصحابة برسول الله ﷺ بعد وفاته:

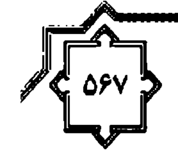
روى ابن أبي شيبة والبيهقي بسند صحيح ورواه ـ في دلائل النبوة البيهقي بسنده إلى الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار وكان خازن عمر قال: «أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: **ائت عمر فأقرئه**

---

١. مسند أبي يعلى، ج١١، ص٤٦٢.

٢. المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٥١.

٣. صحيح البخاري، ج٤، ص١٤٤.



مني السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس. قال فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه وقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه»[١].

فهذا الرجل جاء إلى رسول الله ﷺ بعد وفاته وطلب منه الاستسقاء لأمته فلو كان الطلب منه بعد انتقاله محرما لما رأى رسول الله ﷺ ولم يلمه عمر ولا أحد من الصحابة على فعله بل صدق رؤيته واستسقى بالمسلمين.

٢ ـ ومما قاله حسان بن ثابت في وصف رسول الله ﷺ:

يَا رُكنَ مُعتَمِدٍ وَعِصْمَةَ لائِذٍ ... ومَلاذَ مُنتجعٍ وَجَارَ مُجَاوِرِ

وروى ابن هشام في السيرة: وقال من حديث زيادة بن طارق الجشمي قال حدثني أبو جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال أسرَنا النبيُّ ﷺ يوم حنين فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبتُ فوقفت بين يديه وأنشدته:

امنُنْ عَلَينَا رَسُولَ الله في حَرَم ... امنُن عَلَى نِسوَةٍ قَد كنتَ ترضعُهَا

فَإنَّكَ المرءُ نَرجُوهُ وَنَنْتَظِرُ ... يَا أرجَح النَّاسِ حِلماً حِينَ يُختَبَرُ

٣ ـ وقال عمرو بن سالم الخزاعي عندما نقضت قريش عهد الحديبية:

يَا رَبِّ إنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... قد كُنتَ وَالِداً وَكُنَّا وَلَدَا

وَهُم أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا ... وَقَتَلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّدَا

وَأدعُ عِبَادَ الله يَأْتُوا مَدَدَا ... حِلفَ أَبينا وَأَبيهِ الأَتلَدَا

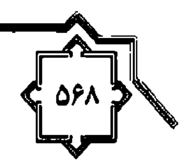
زَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... هُمْ بَيَّتُونَا بِالوَتِيرِ هُجَّدَا

فَانْصُر هَدَاكَ اللهُ نَصراً أَبَدَا ... فِيهِمْ رَسُولُ الله قَدْ تَجَرَّدَا

وانظر إلى قوله وأدع عباد الله... فهي استغاثة صريحة لطلب المدد من عباد الله.

---

١ . المصنّف في الأحاديث والآثار، ج٦، ص٣٥٦.



قال ابن هشام: فقال رسول الله ﷺ نصرت يا عمرو بن سالم.

٤ ـ في المواهب اللدنية عن أنس بن مالك رضي الله عنه من رواية البيهقي قال: «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط»[1]

أَتَيْنَاكَ وَالعَذْرَاءُ يُدمى لبَابُهَا ... وأَلقَى بِكَفَّيهِ الفَتَى لاسْتِكَانَةِ

ولا شَيْءَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا ... ولَيْسَ لَنَا إلا إِلَيْكَ فِرَارُنَا

وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفلِ ... مِنَ الجُوعِ ضعْفاً مَا يَمُرُّ وَلا يحلِي

سِوَى الحَنْظَلِ العَامِيِّ وَالعَلْهَزِ الفَسْلِ ... وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إلا إلى الرُّسْلِ

قلت: وقوله هنا أين فرار الناس إلا إلى الرسل من قبيل المجاز وطلب الدعاء والشفاعة لأن الفرار الحقيقي لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى ولم يلمه رسول الله على هذا القول أو يطلب منه الاستغفار مما يعني أنها جائزة شرعا مع إدراك الفرق بين الحقيقة والمجاز.

فقام ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم أسقنا غيثا مريعا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث تملأ به الضرع... فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه، مَن ينشدنا قوله؟ فقال علي يا رسول الله كأنك تريد قوله:

وأَبيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... تُطِيفُ بِهِ الهُلاَّكُ مِنْ آلِ هَاشِم

ثِمَالُ اليَتَامَى عِصمَةٌ لِلأَرَامِلِ ... فَهُم عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ»[2]

وهنا استغاثة بوجه رسول الله ﷺ والوجه تارة يأتي بمعنى الذات ومرة بمعنى الجاه.

---

١ . المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة، ج٣، ص٣٦٩.

٢ . الاستذكار، ج٢، ص٤٣٣.



٥ ـ ذكر في أسد الغابة أن الحارث بن عوف المري قدم على رسول الله ﷺ فأرسل وبعث معه رجلا من الأنصار إلى قومه فقتلوه فقال حسان رضي الله عنه:

يَا جَارَ مَن يغْدَرْ بِذِمَّةِ جَارِهِ　　　وأَمَانَةُ المري مَا اسْتَودَعْتَهُ

مِنْكُم فَإِنَّ مُحَمَّداً لا يغدر　　　مثل الزُّجَاجَةِ صدْعُهَا لا يُجْبَرُ

فجعل الحارث يعتذر ويقول أنا بالله وبك يا رسول الله من شر ابن الفريعة فوالله لو مزج البحر بشره لمزجه فقال النبي ﷺ: «**دعه يا حسان قال قد تركته**»[1].

وهاهنا نرى أن هذا الصحابي قال: إنا بالله وبك يارسول الله بواو العطف ومعناها مستجير بالله وبك.

٦ ـ قال مازن بن الغضوبة الطائي حينما قدم على رسول الله مسلما كما في أسد الغابة:

إِلَيْكَ رَسُولَ الله خَبَّتْ مَطِيَّتِي　　　لتَشفَعَ لِي يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى

تَجُوبُ الفَيَافِي مِنْ عُمَانَ إِلَى العَرْج　　　فَيَغْفَرَ لِي رَبِّي فَأَرْجِعَ بِالفَلْج»[2]

٧ ـ وذكر الطبري في تاريخه أحداث معركة اليمامة وفيها أن خالد بن الوليد: «... وقف بين الصفين ودعا للبراز وقال أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله...»[3] أ.هـ.

وهذه بقية الأنصار والمهاجرين حينما رأوا أن اختلاط القبائل بهم أوهن من عزائمهم أمرهم خالد بن الوليد أن يتميزوا فكان هو على كتيبة المهاجرين

---

١ . أسد الغابة، ج١، ص٤٠٩.

٢ . نفس المصدر، ج٤، ص٢٣١.

٣ . تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٩٣.

والأنصار وكان لكل قبيلة شعارها وكان شعار المهاجرين والأنصار وامحمداه أو يا محمداه.

وهي نداء وإستغاثة بطلب يقدر عليه رسول الله ﷺ وهو الدعاء بالنصر ولم يعتبروا أن هذا شركا لأنهم يعلمون تماما أن المغيث الحقيقي هو الله، ورسول الله ﷺ هو المتسبب بالدعاء.

الاستغاثة عند علماء الأمة:

ومما ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه المتوفى سنة ١٥٠هـ:

يَا مَالِكِي كُنْ شَافِعِيْ فِي فَاقَتِي　　إِنِّي فَقِيْرٌ فِي الْوَرَى لِغِنَاكَا
يَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ يَا كَنز الغِنَى　　جُدْ لِي بِجُودَكَ وَارْضِنِي بِرضَاكَا
أَنَا طَامِعٌ بِالجُودِ مِنكَ وَلَمْ يَكُنْ　　لأَبِي حَنِيْفَةَ فِي الأَنَام سِوَاكَا
فَعَسَاكَ تَشْفَعُ فِيهِ عِندَ حِسَابِهِ　　فَلَقَدْ غَدَا مُتَمَسِّكاً بعُرَاكَا
فَلأَنتَ أَكْرَمُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ　　وَمَن التَجَى بِحِمَاكَ نَالَ رِضَاكَا
فَاجْعَلْ قِرَايَ شَفَاعَةً لِي فِي غَدٍ　　فَعَسَى أُرَى فِي الْحَشْرِ تَحْتَ لِوَاكَا

وقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني:

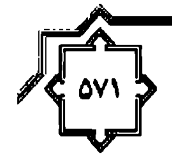
يَا سَيِّدَ الرُّسل الذِي فَاقَ الوَرَى　　بَأْساً سَمَا كُلَّ الوُجُودِ وَجُودَا
هَذِي ضَرَاعَةُ مُذنِبٍ مُتَمَسِّكٍ　　بِوَلائِكُمْ مِنْ يَوم كَانَ وَلِيدَا
يَرجُو بِكَ المحيَا السَّعِيدَ وَبَعْثَهُ　　بَعدَ المَمَاتِ إِلَى النَّعِيم شَهِيدَا

وأيضًا:

أَيَا خَيْرَ خَلْقِ الله دَعْوَةُ مُذْنِبٍ　　تَخَوَّفَ مِنْ نَارِ الْجَحِيْم تَوَقُّدَا
لَهُ سَنَدٌ عَالٍ بِمَدْحِكَ نَيِّرٌ　　وبَابُكَ أمسَى مِنهُ أَسْنَى وَأَسْنَدَا

وقال الإمام جمال الدين يحيى الصرصري رحمه الله:

وارْحَمْ كَئِيباً فِيكَ يَقْضِي نَحْبَهُ　　أَسَفاً عَلَيْكَ وَمَا انْقَضَتْ أَوْطَارُهُ



وأيضًا:

أَنْـتَ المُلِيء بِكَـشْفِ ضُرٍّ مخلـف ... ذِي عُـسْرَةٍ بِنَـدَى يَـدَيْكَ يَـسَارُهُ

وأيضًا:

نَادَيْتُـهُ بِـالله يَـا مَـنْ أَسْـفَرَتْ ... عَـنْ بِـشْرٍ وَجْـهِ نَجَاحِـهِ أَسْـفَارُهُ

وأيضًا:

يَا حَبِيبَ الرَّحمنِ فِي الخَلْقِ يَـا مَـنْ ... تَعْـرِفُ الأَرْضُ فَـضْلَهُ وَالـسَّمَاءُ

يَـا كَـرِيمَ الآبَـاءِ ثُمَّـتَ زَادَتْ ... شَرَفًـا سَـامِياً بِـكَ الآبَـاءُ

أَنْتَ ذُخرٌ لَنَـا وَعَـوْنٌ عَـلَى خَطْـ ... ـب زَمَـانٍ بِـهِ اللبِيـبُ يُـسَاءُ

فَـأَغِثْنِي وَكُـن لِـضعْفِى مُجِـيْراً ... فِي مَقَـامٍ تَخَافُـهُ الأَتْقِيَـاءُ

وأيضًا:

فَاسْـأَلْ لِيَ الـرَّحمنَ أَنْ يُمِيتَنِـى ... غَـيْرَ مُغَـيَّرٍ إِذَا الوَقْـتُ انْقَـضَ

عَـسَاهُ أَنْ يَغْفِـرَ لِي خَطِيئَتِـى ... بفَـضْلِهِ ذُو المَلَكُـوتِ وَالغِنَـى

وأيضًا:

وَقُلْ عُبَيْدُكَ يَرْجُـو مِنْـكَ مَكْرُمَـةً ... رَجَـاءَ عَـافٍ لِوَعْـدٍ ظَـلَّ مُرْتَقِبَـا

يَـا فَـاتِحَ الخَـيْرِ فِي الـدُّنيَا بِمَبْعَثِـهِ ... وَبِالشَّفَاعَةِ فِي الأُخْـرَى إِذَا انْتُـدِبَا

وأيضًا:

يَرجُو النَّجَاةَ بِفَضْلِ جَاهِكَ فِي غَدٍ ... فِي مَوْقِـفٍ يَخْـشَى النـوى أَبْـرَارُهُ

وقال أيضًا:

فَانـزِلْ وَلُذْ بِجَنَابِ الهَاشِمِيِّ وَقُـلْ ... يَـا آلَ أَحْمَـدَ أَنْـتُمْ لِلرِّضَـا سَـبَبُ

وقال أيضًا:

يَا مَـن أَتَتْـهُ مَفَـاتِيحُ الكُنُـوزِ عَـلَى ... فَقْرٍ فَجَـادَ بِهَـا زُهْـداً وَمَـا اكْتَرَثَـا

سَـلْ لِيْ إِلهَـكَ إِحْـسَاناً وَتَكْرِمَـةً ... إِذَا حَلَلْـتَ عَـلَى عِـلاتِي الجَـدَثَا

وقال أيضًا:

يَـا سَـيِّدَ البَـشَرِ الَّـذِيْ هُـوَ غَوْثُنَـا ... فِيْ حَالَتَي جَدبِ الزَّمَـانِ وَخَـصْبِهِ
زُرْنَـا صَـحَابَتَكَ الكِـرَامَ تَعَرُّضـاً ... لِنَنَـالَ مِـنْ فَـضْل خَصَـصْتَهُمْ بِـهِ

وقال أيضًا:

يَـا رَسُـولَ الإلـه كُـن لي مُعِينـاً ... فِي أُمُـورِي لَعَـلَّ قَلْبِـي يَـؤُوبُ
أَنْــتَ سُــؤلِي وَبُغيَتِــي فَــأَغِثْنِي ... ثَـارَ بَينِـي وَبَـيْنَ نَفْـسِيْ حُـرُوبُ
يَـــا إلهِـــي بِالهَاشِـــمِيِّ أَجِـــرنِي ... إنَّنِـــي مُـــذنِبٌ وَكُـــلِّي عُيُـــوبُ

وقال أيضًا:

أَشْكُو إِلَيْـكَ رَسُـولَ الله مَـا أَجِـدُ ... مِنَ الْخُطُوبِ التِي أَعْيَـا بِهَـا الجَلَـدُ

وقال أيضًا:

يَا مَن لَهُ الرُّعبُ نَـاصِرٌ وَبِـهِ الأَمْـ ... ـنُ غَـداً حِـينَ يَكْثُـرُ الرُّعـبُ
عَطْفـاً عَـلَى عَبْـدِكَ الْفَقِـيرِ وَمَـنْ ... دَعَــاهُ مَنّــا إلَــيكُمُ الرّغــب

وقال الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله:

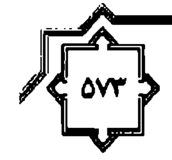
أَنَـا ضَـيْفُكَ المـدعُو يَـومَ مَعَادِنَـا ... المرتجـى فَاجْعَـلْ قِـرَايَ الكَـوثَرَا

وقال شمس الدين النواجي المتوفى سنة ٨٩٥ رحمه الله:

يَـــا رَسُـــولَ الإلَـــهِ إِنِّي غَرِيْـــبٌ ... فَـــأَغِثْنِي يَـــا مَلجَـــأَ الغُرَبَـــاءِ
يَـــا رَسُـــولَ الإلَـــهِ إِنِّي فَقِـــيرٌ ... فَـــأَغِنِّي يَـــا مُنْجِـــدَ الفُقَـــرَاءِ
يَـا رَسُـولَ الإلَـهِ إِنِّي ضَـعِيفٌ ... فَاشْـفِنِي أَنْـتَ مَقْـصَدٌ لِلـشِّفَاءِ
يَـا رَسُـولَ الإلَـهِ إِنْ لم تُغِثْنِـي ... فَـإلَى مَـنْ تَـرَى يَكُـونُ التِجَـائِي

وقال الإمام عبد الرحيم البرعي اليمني:

شَـفِيعَ المـذنِبِينَ أَقِـلْ عِثَـارِي ... فَإِنَّـكَ خَـيرُ مَـنْ سَـمِعَ النِّـدَاءَ
دَعَوتُـكَ بَعْـدَمَا عَظُمَـتْ ذُنُـوبِ ... وَضَـاعَ العُمْـرُ فَاسْـتَجِبِ الـدُّعَاءَ



وقال أيضًا:

أَجِبْ يَابنَ العَوَاتِكِ صَوتَ عَبدٍ ... أَسِيرَ الذَّنبِ فِيهِ لَكَ الْوَلاءُ

وقال الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله:

أَتَيْتُ وَشَكلِي ذُو مُقَدِّمَتَيْنِ مِنْ ... ذُنُوبٍ وَتَسْآلٍ فَجُدْ بِالنَّتِيجَةِ

وَإِنِي ظَلَمْتُ النَّفْسَ كُلَّ ظُلامَةٍ ... وَجِئتُكَ فَاسْتَغْفِرْ لِنَفْسٍ ظَلُومَةِ

وَكُنْ لِي إِذَا مَا فَرَّ مِنِّيَ وَالِدِي ... وَأُمِّي وَأَوْلادِي وَأَهْلِي وَإِخْوَتِي

وَكُنْ بِهِمُ بَرًّا فَإِنَّ جَمِيْعَهُمْ ... لِبِرِّكَ مُحْتَاجُونَ فِي كُلِّ بُرْهَةِ

وقال الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم القيراطي المصري:

يَا رَسُولَ الإلهِ يَا سَيِّدَ الرُّسْـ ... ـلِ إلى بَابِكَ الرَّحِيبِ التِجَائِي

يَا رَسُولَ الإلهِ حُبُّكَ ذُخرِي ... حِينَ تَفْنَى ذَخَائِرُ الأَمْلِيَاءِ

يَا رَسُولَ الإلهِ أَنتَ مَلاذِي ... حِينَ تَخْشَى مِنْ حَوْبِهَا حَوبَائِي

يَا نَبِيَّ الْهُدَى بِقَلْبِيَ دَاءٌ ... عَزَّ مِنْهُ إِنْ لَمْ تُغِثْنِيْ دَوَائِي

خاتمة:

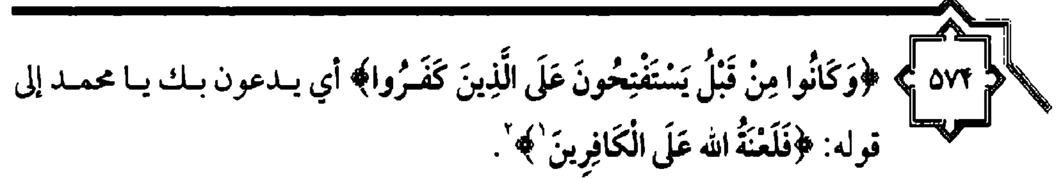
هكذا ترى أن الاستغاثة به ﷺ وقعت:

قبل خلقه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كانت أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان يهود. فعاذت يهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق النبي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء فتهزم يهود غطفان فلما بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله عز وجل:

---

١ . البقرة: ٨٩.



﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي يدعون بك يا محمد إلى قوله: ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ[١]﴾[٢].

ووجه الدلالة في الخبر أن الله سبحانه تعالى أقرهم على توسلهم بالنبي ﷺ قبل وجوده وإنما ذمهم على جحودهم بعد ظهوره ﷺ.

ثم في حياته والأدلة من السنة متضافرة وبعد مماته وقد فعلها الصحابة سواء من طلب الاستسقاء أو فعل الصحابة في حربهم لمسيلمة في اليمامة.

وبادئ ذي بدء أننا قد أوضحنا أن لفظ الاستغاثة بغير الله قد ورد في القرآن وأمام نبي من أولى العزم ولم ينه عنه ولم يقرعه الله على ذلك.

فكان على من يتشدقون بتكفير المسلمين واتهامهم بالشرك والكفر:

أن يتثبتوا من حقيقة قصد من يتلفظ بلفظ الاستغاثة أو الشفاعة أو الاستعانة بالنبي أو الولي أو الصالح من أهل التوحيد.

وأن يفرقوا بين مدلولات الألفاظ إذا أطلقت في حق المولى سبحانه وتعالى فهي الطلب والدعاء في جلب نفع أو دفع ضر ابتداء و استقلالا منه سبحانه وتعالى فهو القادر عليه ووليه وأما من غيره من الخلق فليست أكثر من طلب الدعاء والتسبب ولا يغل قلب المؤمن على غير هذا.

أسأل الله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

---

١ . البقرة: ٨٩.

٢ . أسباب نزول القرآن، ص٢٨.



المصادر

أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (م ٤٦٨)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ.

الاستذكار: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (٤٦٣)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

أسد الغابة: ابن الأثير الجزري، علي بن أبي الكرم (م ٦٣٠)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ.

تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري: الطبري، محمّد بن جرير (م ٣١٠)، دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٨٧هـ.

السنّة: ابن أبي عاصم (م ٢٨٧)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

سنن ابن ماجه: محمّد بن يزيد ابن ماجه القزويني، (م ٢٧٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

سنن الترمذي: الترمذي، محمّد بن عيسى (م ٢٧٩)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م.

صحيح البخاري: البخاري، محمّد بن إسماعيل (م ٢٥٦)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

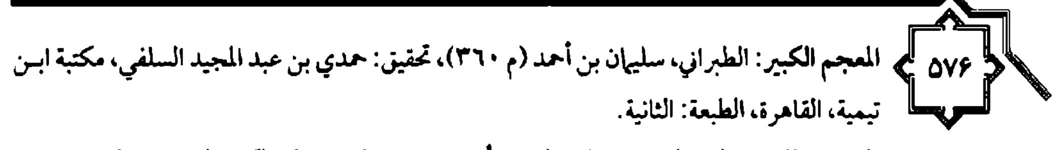
كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي، علي بن حسام (م ٩٧٥)، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ.

المستدرك على الصحيحين: النيسابوري، محمّد بن عبد الله (م ٤٠٥)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤١١هـ.

مسند أبي يعلى: أبو يعلى، أحمد بن علي (م ٣٠٧)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

مسند أحمد بن حنبل: ابن حنبل الشيباني، أحمد بن محمّد (م ٢٤١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

مسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو البزار (م ٢٩٢)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م.



المعجم الكبير: الطبراني، سليمان بن أحمد (م ٣٦٠)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية.

المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة: القسطلاني، أحمد بن محمّد (م ٩٢٣)، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

النور الجلي
في جواز التوسّل بالنبيّ والوليّ

تأليف:

محمد بن نشأت عبد المنعم محمد الخلوتي

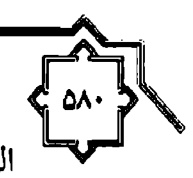
تحقيق: قادر سعادتي

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك ربي كما علمتنا أن نحمد، و أصلي و أسلم على خير خلقك سيدنا محمد النبي المجتبي و آله سفينة النجا وأصحابه من شبهوا بأنجم في الاهتدا.

أما بعد؛

فهذه رسالة صغيرة نافعة شافية إن شاء الله؛ إذ هي خلاصة بضع رسائل في التوسل كتبتها على عجل و جمعتها راجيا بها الثواب و أن ينكشف بها الحق في هذه المسألة التي كثرت فيها التصانيف. و أصل هذه الرسالة كلمة كنت قد ألقيتها على مسامع إخواننا البرهامية ملبيا لرغبة سيدي الشيخ المربي الفاضل الأستاذ جمال الزاهي علي حسن شيخ البرهامية ورغبة الأستاذ عبدالستار في المشاركة مع الإخوان في إلقاء كلمات نافعة لدفع شبهات المبطلين و دحضها وبيان عقيدة أهل السنة في بعض المسائل التي تشغل الأذهان مثل مسألة التوسل التي نحن بصددها، و ذلك في يوم السادس من ذي الحجة ١٤٢٩ هـ في ساحة الطريقة البرهامية بحميثراء بمناسبة الاحتفال بمولد سيدي إبي الحسن الشاذلي، و قد قسمت رسالتي إلى ستة فصول جمعت فيها الأدلة و الحكم عليها من كلام الأئمة مع الكلام على الرجال إن احتيج إلى ذلك و أزلت فيها معظم الشبهات، و الله الموفق للصواب.



و لعل الرسالة تكون علما ينتفع به و كاشفة لتدليس المناوئين وفهمهم السقيم و نبراسا على الطريق لمن أراد الحق فقط بعيدا عن مماراة السفهاء و الجدل العقيم الذي لاطائل من ورائه.

و هذا أوان الشروع في المقصود فأقول مبتدئا باسم الله و بحمده:

* الفصل الأول: معني التوسل و الاستغاثة و الاستعانة و التوجه و الشفاعة:

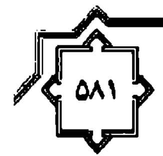
التوسل معناه لغة: التقرب، و أما اصطلاحا: طلب حصول منفعة أو اندفاع مضرة من الله بمنزلة نبي أو ولي أو بالطلب من النبي أو الولي الدعاء للمستشفع بهم أن يقضي الله حاجته بشرط أن يكون المتوسل مؤمنا مقبلا على الله راغبا.

والاستغاثة: طلب الغوث و النجدة عند نزول الضر و الكرب.

و الشفاعة في (المصباح المنير): هي الطلب بوسيلة أو ذمام، و الذمام: الحق، فقولك: «أسألك بحق فلان» يسمي شفاعة بناء على تعريف الشفاعة في (المصباح المنير).

و اعلم أنه لا فرق بين التوسل والاستغاثة، فالتوسل يسمي استغاثة كما جاء في حديث البخاري أن النبي ﷺ قال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم موسي ثم بمحمد ﷺ»[1] الحديث في رواية عبد الله ابن عمر لحديث الشفاعة يوم القيامة، و في رواية أنس روي بلفظ الاستشفاع و كلتا الروايتين في الصحيح فدل ذلك على أن الاستشفاع و الاستغاثة بمعنى واحد فسمي الرسول ﷺ هذا الطلب من آدم أن يشفع لهم إلى ربهم استغاثة، و قد قال الحافظ تقي الدين السبكي في (شفاء السقام في زيارة خير الأنام): التوسل و التوجه و الاستغاثة و الاستعانة بمعنى واحد.

١ . صحيح البخاري، ج٢، ص١٣٠



*الفصل الثاني: الأدلة من الكتاب على جواز التوسل:

الدليل الأول: قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١] ففي تفسير هذه الآية توسل آدم بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و تشفع به، روي ذلك ابن المنذر في تفسيره و الآلوسي في (روح المعاني)، و الإمام أبو الليث السمرقندي في تفسيره، و نحو أخرجه الديلمي في (مسند الفردوس)،و نحوه رواه البيهقي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الدليل الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٢] و في تفسير هذه الآية توسل يهود بني قريظة و النضير بالنبي ﷺ قبل مبعثه،روي ذلك الحاكم في (المستدرك)[٣] و البيهقي في (دلائل النبوة) من طريق عطاء و الضحاك عن ابن عباس و هو لا يروي الموضوعات كما نص على ذلك في المقدمة، ورواه أيضا النيسابوري في تفسيره و الزمخشري في (الكشاف)، و روي في تفسير الخازن و نحوه في تفسير البغوي و النسفي و القرطبي و ابن أبي حاتم والطبري و الشوكاني و ابن كثير في (البداية) و كذا في (روح المعاني) للآلوسي عن ابن عباس و قتادة، حديث كان اليهود يقولون: «اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان»[٤] و في رواية: «اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان»[٥].

---

١ . البقره: ٣٧

٢ . البقره: ٨٩

٣ . المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٢٨٩

٤ . روح المعانى، ج١٥، ص٤٢٧

٥ . المصدر نفسه، ج١، ص٣١٩



الدليل الثالث: قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[1] يشمل التوسل بالأشخاص ليس من العموم اللغوي فحسب، بل هو المأثور عن عمر ﵁ حيث قال بعد أن توسل بالعباس ﵁ في الاستسقاء: «هذا والله الوسيلة إلى الله عزوجل»[2] كما في (الاستيعاب) لابن عبدالبر. فهنا الوسيلة تشمل الأشخاص.

الدليل رابع: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[3] و هذا عام في حال حياته و بعد موته ﷺ، و دليل التعميم مجيء الفعل في سياق الشرط و هذا مفيد للعموم كما قال الأصوليون، و قصر: «إذ» على الزمن الماضي فقط فيه نظر لأن «إذ» كما تستعمل في الماضي تستعمل في المستقبل أيضاً، ولها معان أخري ذكرها ابن هشام في (مغني اللبيب): (١/ ٨٠ـ ٨٣).

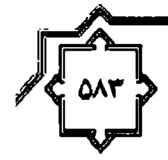
و في تفسير هذه الآية ذكر بعض أئمة التفسير قصة العتبي ﵀ و هو تابعي. فالمهم أن المفسرين في هذه الآية ذكروا قصة العتبي ففهم المفسرون أن الآية تدل على جواز وقوعه سواء في الحياة أو الممات و هذا ابن كثير ﵀ ذكر ذلك، فعلى المخالف أن يرجع للتفسير لينظر فيه. و إن كان سياق الحديث به ضعيفا لكن المهم فهم علماء التفسير لسياق الآية، وقد رواها بعض الأئمة، منهم: الإمام النووي في كتابه (الإيضاح)، و ابن قدامة في كتابه (المغني)، و الشيخ منصور البهوتي في كتابه المعروف (كشف القناع) من أشهر كتب المذهب الحنبلي، و لم يذكر واحد منهم أن هذا الفعل إشراك بالله تعالى فيكون إقرارا منهم بالتوسل.

---

١ . المائده: ٣٥

٢ . الاستيعاب، ج٢، ص٨١٥

٣ . النساء: ٦٤



***الفصل الثالث: الأدلة من السنة على جواز التوسل:**

الدليل الأول: حديث توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ رواه الحاكم في (المستدرك): عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي**»[١] الحديث، ورواه الطبراني وزاد فيه: «**و هو آخر الأنبياء من ذريتك**»[٢]. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، و هو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في هذا الكتاب. اهـ. و رواه الآجري في (الشريعة)[٣]: من هذا الوجه مع زياد رجل بين الفهري و شيخه لكنه موقوف. وأخرجه البيهقي عن الحاكم في(دلائل النبوة)[٤]: و قال: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه و هو ضعيف. و لكن الذهبي في (تلخيص المستدرك): (٢/ ٦١٥) كان حكمه أشد فقال: موضوع، و الحق أن الحديث حسن لغيره، فهو ليس بصحيح كما قال الحاكم و ليس بموضوع كما حكم عليه الذهبي، و إنما الحديث ضعيف كما صرح به البيهقي في (دلائل النبوة) و هو لا يروي الموضوعات كما نص على ذلك في المقدمة، لكن للحديث شاهد آخر يرتقي به إلى درجة الحسن لغيره و هو ما رواه الحافظ أبو الحسن بن بشران عن ميسرة الفجر، و آخره: «**تابا و استشفعا باسمي إليه**»[٥]. أخرجه ابن النعمان المراكشي في كتابه (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة و المنام) و ابن الجوزي في (الوفا بفضائل المصطفي) و ذكره

---

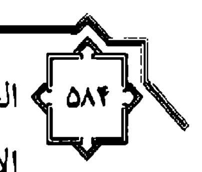
١ . المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٧٢

٢ . إمتاع الأسماع، ج٣، ص١٨٨، لم اعثر به في كتب الطبراني

٣ . الشريعه، ج٣، ص١٤١٥

٤ . دلائل النبوه، ج٥، ص٤٨٩

٥ . الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ج١، ص١



العلامة المحقق الحافظ السيد عبد الله بن محمد الصديق الغماري المغربي الحسني الإدريسي ـ نور الله مرقده ـ في (الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين): (ص١٣٨ ـ ١٣٩) وقال: إسناد هذا الحديث قوي، و هو أقوى شاهد وقفت عليه لحديث عبد الرحمن بن زيد. اهـ. و كذا قال الحافظ بن حجر قال الشيخ محمود سعيد في (رفع المنارة بتخريج أحاديث التوسل و الزيارة): إسناده مسلسل بالثقات، ما خلا راو واحد صدوق.

و يدل على اشتهار حديث توسل آدم برسول الله عليه و آله و سلم نشره بين السلف، و عملهم به؛ و ذلك مما يدل على ثبوت مخرجه ما وقع في رسالة مالك لهارون الرشيد، وفيها يقول في شأن التوسل برسول الله ﷺ و الوقوف للدعاء عند قبره الشريف: إنه وسيلة أبيك آدم[1]. و مالك معروف بالتحري و التثبت، فاذا قال مثل هذا القول، فما قاله إلا و أصله و دليله ثابت عنده، كما يعلم ذلك من تتبع أحوال مالك ﵀ و سبر أخباره في الورع عند الحكم على الأشياء، و قد أثبت هذه الرسالة جماعة، و نقل منها ما ذكرته القاضي عياض في (الشفا).

و الشواهد يكفي فيها بأقل ما يشهد لمعنى الأصل؛ و ذلك ما رواه الحاكم في (المستدرك) و صححه عن ابن عباس قال: «**أوحى الله إلى عيسى** ؈: **آمن بمحمد و أمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، و لولا محمد ما خلقت الجنة و لا النار**»[2] فهذا الحديث الذي صححه الحاكم يشهد في الجملة لحديث عبد الله بن مسلم وابن عباس لم يكن ينقل عن الإسرائيليات.

الدليل الثاني: حديث فاطمة بنت أسد رواه الطبراني في (معجمه الكبير)[3] و

---

١ . الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج٢، ص٤١

٢ . المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٧١

٣ . المعجم الكبير، ج٢٤، ص٣٥٢

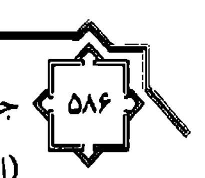


في (الأوسط)[١] ومن طريقه أبو نعيم في(الحيلة)[٢]، و ابن الجوزي في (العلل المتناهية)[٣] عن أنس ﷺ، و فيه: (بحق نبيك و الأنبياء الذين من قبلي)، و قال الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد): رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح، و قد وثقه ابن حبان و الحاكم و فيه ضعف و الظاهر أن ضعفه خفيف كما لا يخفي على من مارس كتب الفن، فالحديث لا يقل عن رتبة الحسن بل هو على شرط ابن حبان صحيح، فقد قال الإمام ابن حجر الهيتمي في (الجوهر المنظم): هو سند جيد، وفيه نص على أنه لا فرق بين الأحياء و الأموات في باب التوسل.

الدليل الثالث: حديث الرجل الضرير رواه ابن خزيمة في (صحيحه)[٤]، و الترمذي[٥] و النسائي في (عمل اليوم و الليلة)[٦] و ابن ماجة في (السنن)[٧] و البخاري في (التاريخ الكبير)[٨] و الطبراني في (المعجم الكبير)[٩] و في (الدعاء)[١٠] أيضاً و الحاكم في (المستدرك)[١١] و صححه و سلمه الذهبي و البيهقي في (دلائل النبوة)[١٢]، في (الدعوات الكبير) و تابع حماد بن سلمة شعبة في روايته عن أبي

---

١ . المعجم الاوسط، ج١، ص٦٨
٢ . حليه الاولياء وطبقات الأصفياء، ج٣، ص١٢١
٣ . العلل المتناهيه، ج١، ص٢٦٩
٤ . صحيح ابن خزيمه، ج٢، ص٢٢٥
٥ . سنن الترمذى، ج٥، ص٢٢٩
٦ . عمل اليوم والليلة للنسائى، ص٤١٧
٧ . سنن ابن ماجه،ج١،ص٤٤١
٨ . التاريخ الكبير، ج٦، ص٢٠٩
٩ . المعجم الكبير، ج٩، ص٣١
١٠ . الدعاء للطبرانى، ص٣٢٠٨
١١ . المستدرك، ج١،ص٧٠٧
١٢ . دلائل النبوه للبيهقى، ج٦، ص١٦٧



جعفر. و أخرج هذه المتابعة النسائي في (عمل اليوم والليلة) و أحمد في (المسند)عن عثمان بن حنيف، و فيه: «اللهم إني أسألك و أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد إني قد توجهت بك إلى ربي»[1]، و للحديث روايات و ألفاظ منها ما عند ابن أبي خيثمة بإسناد صحيح، فرواية ابن أبي خيثمة للحديث من طريق حماد بن سلمة الحافظ الثقة فيها: «فإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك»[2]، و هي زيادة ثقة حافظ، فهي صحيحة مقبولة كما هو معلوم و مقرر في علوم الحديث، و هذه الرواية تدل على العموم وطلب العمل بالحديث في الحياة و بعد الممات إلى قيام الساعة، و الحظ أن الذي دعا في الحديث هو الرجل الضرير لا النبي الله عليه و آله و سلم.

ثم إن الحديث صحيح صححه الترمذي و ابن خزيمة و الطبراني و الحاكم و البيهقي و المنذري و الذهبي و النووي في باب أذكار صلاة الحاجة من كتاب (الأذكار) و التقي السبكي و ابن حجر في (أمالي الأذكار) و الهيثمي في باب صلاة الحاجة من (مجمع الزوائد) و السيوطي في(الخصائص الكبري).

أما ما قيل من أن أبا جعفر في سنده ليس هو الخطمي بل هو آخر مجهول، ليس بشيء، و الصواب أنه هو هو كما جاء مصرحا به في روايات الحاكم و البيهقي و الطبراني الذي وثقة. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. و اعلم أنه ليس من المعقول أن يصحح الحديث و في سنده مجهول خاصة عند الذهبي و المنذري.

ثم تأتي بعد ذلك قصة الرجل الذي كان يختلف إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له و علمه عثمان بن حنيف الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم

---

١ . عمل اليوم والليلة للنسائى،ص٤١٧

٢ . لم اعثر به فى تاريخ ابن خثيمه



للضرير، و هذه القصة صحيحة رواها البيهقي في (دلائل النبوة)[١] و الطبراني الذي صححها في (المعجم الصغير)[٢] و نقل تصحيحه الحافظ المنذري في (الترغيب) و الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد)، و أخرجها أبو نعيم في (المعرفة) و البيهقي من طريقين و إسنادهما صحيح أيضاً. فالسند صحيح كما بين ذلك الحافظ السيد عبد الله بن محمد الصديق الغماري في رسالته (إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي في الرد على الألباني الوبي)، و هي مطبوعة متداولة.

وليس كما زعم بعضهم أن معنى: «اللهم إني أسألك و أتوجه إليك بنبيك» أي بدعاء نبيك!لأنه ذكر بعد ذلك محمدا تأكيدا و تصريحا بالمتوسل به و سياق الحديث يبعد هذا الإدعاء. و لو سلمنا على سبيل الافتراض أن التوسل كان بدعائه ﷺ نقول: حقيقة التوسل بدعائه ﷺ هي أنه توسل بذاته؛ إذ ليس الفرق بين دعائه و دعاء غيره إلا صدوره من ذاته الشريفة ﷺ، التي يحبها الله ـ سبحانه وتعالي ـ فذاته ﷺ هي الوسيلة.

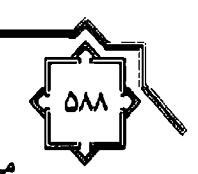
ملحظ هام:

من المعلوم عند أهل العلم أن بعض الرواة يروي الحديث و ما يتصل به كاملا، و بعضهم يختصر منه بحسب الحاجة و البخاري يفعل هذا أيضاً، فكثيرا ما يذكر الحديث مختصرا و يوجد عند غيره تاما فقد روي الحاكم حديث الضرير من طريق عون مختصرا، ثم قال: تابعه شبيب بن سعيد الحبطي عن روح بن القاسم زيادات في المتن و الإسناد. و روي الطبراني القصة من طريق ابن وهب عن شبيب و شبيب ثقة مأمون من رجال البخاري روي عنه في الصحيح و كان عنده كتب يونس بن يزيد و ليس في اشتراط صحة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد.

---

١ . دلائل النبوه للبيهقى، ج٦، ص١٦٧

٢ . المعجم الصغير، ج١، ص١٨٤



فقي هذا الحديث: أن عثمان بن حنيف ـ رضي الله عنه ـ و هو راوي الحديث فهم من أمر رسول الله ﷺ بهذا الدعاء العموم بدون أن يكون ذلك مقيدا في حياته دون وفاته. و أفضل ما يؤخذ تفسير الحديث عن الصحابي راويه؛ لأنه أعلم بمراد النبي ﷺ في ذلك من غيره؛ كما قالوا: إن قول الصحابي بأسباب النزول يعد من المرفوع؛ لأنه أخبر بما شاهد من سبب النزول؛ فلهذا كان القول بكون ذلك خاصا بحياته تحكما لا يدل عليه دليل مطلقا، و إنما هو دفع بالصدر، و حكم بالهوى و الغرض، و العياذ بالله.

إن التوسل جائز في شرعنا	لا يمتري في حكمه شخصان
إلا الذين توهبوا بحماقة	و توسموا بصفاقة وقبح جنان
قد حرموه و بالغوا في ذمه	من غير أن يأ توا بأي بيان
وحديث عثمان بن حنيف حجة	يقضي لنا عليهم بالرجحان
والله يهديهم و يشرح صدرهم	لقبول ما يبدوا من البرهان

الدليل الرابع: قصة مناظرة أبي جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ، و فيها: «**و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى**»[١]، رواها القاضي عياض في الشفا بإسناده إلى ابن حميد، فالحق أنها ضعيفة فقط لا كما زعم ابن تيمية بأنها حكاية مكذوبة، و قد عمل المالكية بمقتضاها فصرحوا باستحباب التوسل بالنبي ﷺ ولم يحفظ عن أحد منهم القول بكراهته فضلا عن حرمته و إنما اختلف المالكية في التوسل بغير النبي ﷺ. و ذكرها الحافظ ابن حجر في (الجوهر المنظم) رواية ذلك عن الإمام مالك جاء ت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه، وممن ساق هذه القصة الإمام العلامة هبة الله في كتابه (توثيق عري الإيمان)، و ذكرها ابن قدامة في(المغني).

---

١ . الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج٢، ص٤١



الدليل الخامس: حديث مالك الدار في مجيء بلال بن الحارث المزني الصحابي إلى قبر النبي ﷺ أيام القحط في عهد عمر، وقوله: (يا رسول الله استسق الله لأمتك) أخرجه ابن أبي خيثمة كما في (الإصابة)[1]، و البيهقي في (الدلائل)[2] و الخليلي في (الإرشاد)[3] و ابن عبد البر في (الاستيعاب)[4] و قال الحافظ في (الفتح)[5]: وقد روي سيف في الفتوح أن الذي رأي المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة. ا هـ. قلت إسناده صحيح، و قد صححه الحافظ ابن كثيرفي (البداية): (٧ / ١٠١)،فقد قال ابن كثير في (جامع المسانيد) ـ مسند عمر ـ (١ / ٢٢٣): إسناد جيد قوي. ا هـ. وقال ابن كثير في (البداية و النهاية): (٤/ ٩٤) عن رواية البيهقي: هذا إسناد صحيح. و أقر ابن تيمية بثبوته في (اقتضاء الصراط المستقيم): (ص٣٧٣). و فيه نص في توسل الصحابة به عليه الصلاة و السلام بعد وفاته من غير نكير.

محاولة البعض لتضعيف الحديث بعدما صححه الحافظ ابن حجر لغو لا يلتفت إليه، ويقال لهذا المدعي: لا كلام لك بعد تصحيح أهل الحفظ على أن التصحيح و التضعيف خاص بالحافظ.

ملحظان هامان:

(١) قالوا: هذا الأثر ضعيف لأسباب:

أ. لأنه لم يذكر فيه اسم طالب الدعاء، بل قيل فيه: (أن رجلاً أتى قبر النبي ﷺ) و هذا السبب لا يضر؛ لأن الرجل المبهم ليس في السند، بل هو في

---

١ . الاصابه فى تمييز الصحابه، ج٦، ص٢١٦

٢ . دلائل النبوه للبيهقى،ج٧،ص٤٧

٣ . الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج١، ص٣١٤

٤ . الاستيعاب، ج٣، ص١١٤٩

٥ . فتح البارى، ج٢، ص٤١٢

المتن، و إبهام الأسماء في متون الروايات لا يضر، و هو في الأحاديث كثير، ثم ليس الاعتماد عليه وحده، بل على إقرار عمر ﷺ.

ب. زعموا أن الراوي للقصة مالك الدار مجهول، و هذا السبب لا يصح؛ لأنه وثقه الخليلي في (الإرشاد في معرفة علماء الحديث): (١/ ٣١٣)، و ابن حبان في (الثقات): (٥/ ٣٨٤) ذكر باسم مالك بن عياض، و ذكر له الحافظ ابن حجر في (الإصابة في معرفة الصحابة): (٣/ ٤٨٤) أربعه من الرواة، و لم يعرف العلماء له أخطاءَ في الرواية، فلا جرح في حفظه و استعمال عمر ﷺ له يدل على ثقته بدينه و تقواه.

ج. قالوا: «إن فيه الأعمش و هو مدلس» و هذا سبب غير كاف؛ لأن ابن حجر عده في المرتبة الثانية من الموصوفين بالتدليس، و هو من احتمل الأئمة تدليسه و أخرجوا له في الصحيح لإمامته و قلة تدليسة في جنب ما روي.

(٢) و قالوا: لو طلب من النبي ﷺ الدعاء فهو لا يسمعه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[١] وهذا الاستدلال لا يصح؛ لأن المفسرين اتفقوا على أن المراد بالآية تشبيه الكافرين، و الكافرون يسمعون صوت النبي ﷺ حين كان يدعوهم إلى الإسلام، لكن لا يؤمنون به عناداً، فلا يستجيبون له فهم يشبهون الموتى في عدم الإجابة.

و السماع المنفي هنا لا يحتمل إلا معنى واحداً هو السماع الذي يراد به الرد على من يكلمهم كالرد المعهود بين الأحياء، لا إدراك الأصوات، فالموتى كلهم حتى الكفار يدركون الأصوات، لكن لا يجيبون جواباً مسموعاً للأحياء، كما صرح به النبي ﷺ في حديث مسلم: حين خاطب قتلى المشركين في بدر فسأله بعض أصحابه كيف يكلم أجساداً لا أرواح فيها؟! فقال: **«والذي نفسي بيده ما**

---

١. النمل: ٨٠



أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا»[١]، و في البخاري: «ما أنتم بأسمع منهم و لكن لا يجيبون»[٢] فهذا الحديث يصرح بسماعهم كالأحياء، و «سماع الميت لقرع النعال»[٣]، «والسلام على الأموات عند الزيارة»[٤] و غيرها كثير، فلو لم يكن الميت يسمع لكان فعلنا و سلامنا عليه سفهاً. و راجع كتاب الروح لابن القيم و كتاب التذكرة للقرطبي فستعلم أكثر.

الدليل السادس: جاء رجل للنبي ﷺ و هو يخطب فقال: يا رسول الله هلكت الأموال و انقطعت السبل فادع الله يغيثنا[٥] ـ أي يمطرنا ـ. الحديث وكان الرجل مسلما كما في (الفتح): (٢/ ٥٠٢) و الصحابة كانوا يعرفون قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٦] والنبي ﷺ لم يقل لذلك الرجل إذا نزل بك قحط أو بلاء فلا تأتيني و تطلب مني الدعاء بل عليك أن تدعو الله وحدك للآية. فاتضح أن هذه الآية لا تنفي الاستغاثة لأن ذكر الشي لا ينفي عداه كما هو مقرر في الأصول.

الدليل السابع: الحديث الذي رواه ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، و فيه: «**اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك**». ورواه أحمد في (المسند)[٧]: عن يزيد بن هارون، و ابن خزيمة في (التوحيد)[٨]: (١٧، ١٨) عن ابن فضيل بن

---

١ . صحيح مسلم، ج٨، ص١٦٤

٢ . صحيح البخارى، ج٢، ص١٠١

٣ . صحيح البخارى، ج٢، ص٩٢

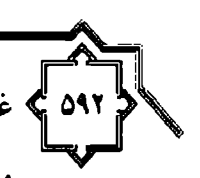
٤ . صحيح مسلم، ج٣، ص٦٥

٥ . صحيح البخارى، ج٢، ص١٧

٦ . البقره: ١٨٦

٧ . مسند احمد، ج٣، ص٢١

٨ . لم اعثر به



غزوان و أبي خالد الأحمر. و الطبراني في (الدعاء)[١] وابن السني في (عمل اليوم والليلة)[٢] كلاهما عن عبد الله بن صالح العجلي. و البغوي في حديث علي بن الجعد عن يحيي بن أبي كبير، و يزيد بن هارون، و أحمد بن منيع كما جاء في (مصباح الزجاجة): (١/ ٩٩) عن يزيد بن هارون. و البيهقي في (الدعوات الكبير): (ص٤٧) عن يحيي بن أبي كبير. كلهم عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري ﷺ به مرفوعاً. ورواه ابن أبي شيبة في (المصنف): (١٠/ ٢١١ ـ ٢١٢) عن وكيع و أبي نعيم الفضل بن دكين كما في (أمالي الأذكار): (١/ ٢٣٧). كلاهما عن فضيل بن مرزوق، عن عطية عن أبي سعيد الخدري موقوفاً عليه.

قال المنذري في (الترغيب و الترهيب): «بإسناد فيه مقال»، وضعفه الإمام النووي في (الأذكار). و إسناد هذا الحديث من شرط الحسن، فقد حسنه جمع من الحفاظ منهم الحافظ الدمياطي في (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح): (ص٤٧١ ـ ٤٧٢)، و الحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في (الترغيب و الترهيب): (٣/ ٢٧٣)، و الحافظ العراقي في (تخريج أحاديث الإحياء): (١/ ٢٩١)، و الحافظ بن حجر العسقلاني في (أمالي الأذكار): (١/ ٢٧٢). و قال الحافظ البوصيري في (مصباح الزجاجة): (١/ ٩٩) لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه، من طريق فضيل بن مرزوق، فهو صحيح عنده. اهـ. فهؤلاء خمسة من الحفاظ ﷺ صححوا أو حسنوا الحديث و قولهم حقيق بالقبول.

---

١ . الدعاء للطبرانى، ص١٤٩

٢ . عمل اليوم والليلة لابن السني، ص٧٥



و هذا الحديث فيه استحسان التوسل بحق السائلين، و من فوائد الحديث ما قاله الشيخ المحدث السيد عبد الله الغماري: وهو يفيد التوسل على العموم كما قال ابن علان في (شرح الأذكار).

الدليل الثامن: حد ثنا أبو النعمان، ثنا سيعد بن زيد، ثنا عمرو بن مالك النكري، حد ثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: «قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا إلى قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كواً إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق» رواه الدارمي في (سننه)[1]: باب ما أكرم الله تعالى نبيه بعد موته. و في سنده سعيد بن زيد ثقة وثقه ابن معين و ابن سعد و ابن عدي و البخاري و هو من رجال مسلم فالحديث حسن.

الدليل التاسع: روي البخاري في (صحيحه)[2] أن ابن عمر كان يتوسل بشعر أبي طالب:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

بوجهه أي بذاته فقد كانت العرب تعبر بالأبعاض عن الذات، و قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3] أي إلا ذاته. فهذا نص صريح في توسل ابن عمر رضي الله عنهما.

الدليل العاشر: توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه في صحيح البخاري[4]، قوله: «إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا».

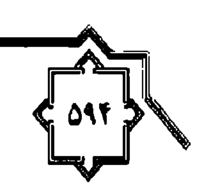
---

١ . سنن الدارمی، ج١، ص٤٤

٢ . صحیح البخاری، ج٢، ص١٥: «ابن عمر یتمثل بشعر..»

٣ . القصص: ٨٨

٤ . صحیح البخاری، ج٢، ص١٦



و هناك نكت مستفادة من حديث التوسل بسيدنا العباس ، منها:

ـ وضّح العباس لما استسقى به عمر أن ذلك لمكانه من النبي ﷺ كما رواه الزبير بن بكار في (الأنساب).

ـ قول سيدنا عمر في الاستسقاء: «و إنا نتوسل إليك بعم نبينا» نص في توسل الصحابة بالصحابة، و فيه إنشاء التوسل بشخص العباس ، و فيه جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل.

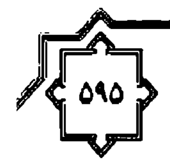
ـ قول سيدنا عمر في الاستسقاء: (كنا نتوسل) فمعناه أن الصحابة كانوا يتوسلون به ﷺ في حياته و بعد لحوقه بالرفيق الأعلى إلى عام الرمادة.

ـ فعل سيدنا عمر ليس فيه إلا التوسل بالحي وفعل الشي لا ينفي ما عداه كما هو مقرر في الأصول.

ـ سيدنا عمر استسقى و توسل بسيدنا العباس لدفع توهم عدم جواز التوسل إلا بالنبي ﷺ و لإظهار شرف آل البيت النبوي.

ـ إنَّ ترك سيدنا عمر للتوسل به ﷺ لا يدل على التحريم أو الكراهية، و إنما يفيد الترك أن المتروك جائز تركه فقط، أما التحريم أو الكراهية، فهذا يحتاج لدليل آخر يفيد الحظر، وينبغي ألا ينسب لساكت قول، فتدبر.

ـ تجد المخالف يقول: «أراد عمر بدعاء عم نبيك». وهذا خطأ لأن الإرادة محلها القلب، فتعيين الإرادة على خلاف الظاهر باطل، و عمر بن الخطاب أجل من أن يلبس على الناس دينهم فيكون ظاهر كلامه مخالفاً لما يرده.



***الفصل الرابع: الأدلة العقلية على جواز التوسل:**

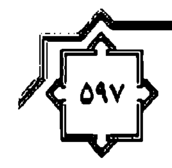
أما من جهة المعقول فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازي و العلامة سعد الدين التفتازاني و العلامة السيد الشريف الجرجاني و غيرهم من كبار أئمة أصول الدين الذين يفزع إليهم في حل المشكلات في أصول الديانة: قد صرحوا بجواز التوسل بالأنبياء و الصالحين أحياء و أمواتاً، و أي ضعيف يستطيع أن يرميهم بعبادة القبور، و الدعوة إلى الإشراك بالله، و إليهم تفزع الأمة في معرفة الإيمان و الكفر، و التوحيد و الإشراك، و الدين الخالص.

قال الرازي في (تفسيره): إن الأرواح البشرية الخالية من العلائق الجسمانية المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة و منازل القدس، و يظهر منها آثار في أحوال هذا العالم، فهي المدبرات أمرا أليس الإنسان قد يري أستاذه في المنام ويسأله عن مسألة فير شده إليها.

و قال الرازي في (المطالب العالية) و هو من أمتع كتبه في أصول الدين: المقدمة الأولي: أنّا قد دللنا على أن النفوس البشرية باقية بعد موت الأبدان، و تلك النفوس التي فارقت أبدانها أقوى من هذه النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه. أما أن النفوس المفارقة أقوى من هذه النفوس من بعض الوجوه،فهو أن تلك النفوس لما فارقت أبدانها فقد زال الغطاء، و انكشف لها عالم الغيب، و أسرار منازل الآخرة، و صارت العلوم التي كانت برهانية عند التعلق بالأبدان ضرورية بعد مفارقة الأبدان، لأن النفوس في الأبدان كانت في عناء و غطاء، لّما زال البدن أشرفت بتلك النفوس و تجلت و تلألأت، فحصل للنفوس المفارقة عن الأبدان بهذا الطريق نوع من الكمال. و أما أن النفوس المتعلقة بالأبدان أقوى من تلك النفوس المفارقة من وجه آخر؛ فلأن آلات

الكسب و الطلب باقية لهذه النفوس بواسطة الأفكار المتلاحقة، و الأنظار المتتالية تستفيد كل يوم علماً جديداً، و هذه الحالة غير حاصلة للنفوس المفارقة.

و المقدمة الثانية: أن تعلق النفوس بأبدانها تعلق يشبه العشق الشديد، و الحب التام، و لهذا السبب كان كل شيء تطلب تحصيله في الدنيا فإنها تطلبه لتتوصل به إلى إيصال الخير و الراحة إلى هذا البدن. فإذا مات الإنسان و فارقت النفس هذا البدن، فذلك الميل يبقى، وذلك العشق لا يزول و تبقى تلك النفوس عظيمة الميل إلى ذلك البدن، عظيمة الانجذاب، على هذا المذهب الذي نصرناه من أن النفوس الناطقة مدركة للجزئيات، و أنها تبقى موصوفة بهذا الإدراك بعد موتها، إذا عرفت هذه المقدمات فنقول: إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس، كامل الجوهر شديد التأثير، و وقف هناك ساعة، و تأثرت نفسه من تلك التربة ـ و قد عرفت أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً ـ فحينئذ يحصل لهذا الزائر الحي، و لنفس ذلك الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى أخرى. فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية، و العلوم الكسبية، و الأخلاق الفاضلة من الخضوع له، و الرضا بقضاء الله ينعكس منه نور إلى روح ذلك الميت، وكل ما حصل ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة الكاملة فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي. بهذا الطريق تكون تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى، و البهجة العظمى لروح الزائر، و لروح المزور،و هذا هو السبب الأصلي في شرع الزيارة، و لا يبعد أن تحصل فيها أسرار أخرى أدق و أغمض مما ذكرنا، و تمام العلم بحقائق الأشياء ليس إلا عند الله. ا هـ.



***الفصل الخامس: قول المتوسل و المستغيث: (مدد):**

القائل: (مدد يا سيدي فلان) فهو إما أنه يطلب المدد من الحي أو من الميت مدداً معنوياً مما وهبه الله من الأسرار و الطاقات، و المعارف و المقامات، و مختلف العطايا الإلهية و الهبات و البركات.

فطلب المدد من الحي معناه طلب دعائه، وإرشاده، و روحانيته، و توجيهه، و توجهه بشحنته و تربيته، و بركة صلاحه وتقواه و سره مع الله، و ما هو من هذه السبيل التي أشرنا إلى بعضها.

و طلب المدد من الميت طلب من روحه الحي بخصائصه في برزخه السامع المدرك الذي له ما يشاء عند ربه كما جاء تفصيل ذلك في الكتاب و السنة، فمعنى المدد هنا هو طلب التوسل به إلى الله، و الاستشفاع به إليه تعالى في قضاء الحوائج و دفع الجوائح، و التماس بركة مقامه عند الله، و الاستمداد من مدد الله وسره.

و قد يحمل طلب المدد بمعنى طلب الدعاء من الروح في عالم الطهر و النور، وقد قرر ابن القيم في كتابه (الروح) أن للأرواح قوة و طاقة و قدرة لا يتصورها البشر، حتى إن روحاً واحدة عظيمة تؤثر في جيش كامل.

و أما قول المسلم: (يا سيدي فلان مدد) فيحمل على المجاز العقلي كما يحمل عليه قول القائل: (هذا الطعام أشبعني).

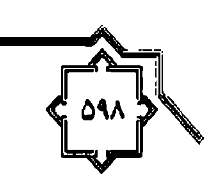
و طالب المدد متوجه إلى الله تعالى بثلاثة أسباب مجتمعة:

١. لجوؤه و افتقاره، و عمله الصالح.

٢. اعترافه بالتقصير باستصحاب الوسيلة.

٣. طاعته لأمر الله تعالى في اتخاذ الوسيلة إليه.

أتسخر منا لقول مدد ... ولست الفقيه ولاالمجتهد
أتسخر منا بلا حجة ... وقد قال ربك «كلا نمد»



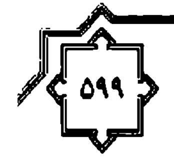
عطـاء رخـاء تجـلي بـه | وكـل عليـه بـه يعتمـد
ففيم الملام وفيم الخصام | ولـيس المعقـد كالمعتقـد
لنا علمنا ولكم علمكـم | و كـل إلى حجـة يـستند
فقـد نتـأول إذ نرتجـى | و قـد نتوسـل إذ نـستمد
تجاربنـا حجـة بيننـا | وما من أفاد كمـن لم يفـد
فإن كنت تفهمنا فاعتقد | وإلا فـدعنا و لا تنتقـد
/ عـابوا علينـا أن نقـول | مـدد وقـالوا: لم يـرد
قلنـا: بـلى هـو وارد | أو فاحذفوا «كلا نمـد»/

الفصل السادس: مسائل، و تنبيهات، ووقفات، و تقريرات، و شبهات، وردها:

مسألة:

أما التوسل في حال الوفاة فالوهابيون يمنعونه متوهمين أن الموت يحـول دون تحققه و هو غلط ظاهر لأن الأنبياء أحياء في قبورهم يرزقـون بـدليل الكتـاب و السنة و الإجماع الذي حكاه الحافظ السخاوي في (القول البديع) و كـذلك ابـن حزم في (المحلي). أمـا مـا فهمـه الوهـابيون مـن حـديث توسـل سـيدنا عمـر بالعباس ﵄ فيرد عليهم بالقاعدة الأصولية التـي تـنص عـلى أن تـرك شي لا يدل على منعه، بل قال الحافظ في (الفتح): يستفاد من قـصة العبـاس اسـتحباب الاستشفاع بأهل الصلاح و الخير و أهل بيت النبوة.

صرّح الشيخ مصطفى أبو السيف الحمامي أحـد علـماء الأزهـر الـشريف في (غوث العباد): و إذن من الأضاحيك أن يقول قائل إن التوسـل جـائز إذا كـان بالأحياء، وليس بجائز إذا كان بالأموات فإن هذا القول يشم منه رائحة أن الحي لحياته يعمل. فيمكن أن يقضي الحاجات و أن الميـت لموتـه لا يعمـل فـلا يقـضي الحاجات هذا ليس من عقائد المسلمين ولا يعرفه صغير منهم و لا كبير.



مسألة: العلماء الأفذاذ كالإمام أحمد و الإمام النووي ـ رضي الله عنهما ـ يجيزان التوسل:

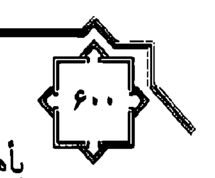
أجاز الإمام أحمد بن حنبل التوسل كما نقل عنه الإمام المرداوي الحنبلي في (الإنصاف): (ج٢/ ٤٥٦) كتاب صلاة الاستسقاء: و منها ـ أي من الفوائد ـ يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب، وقيل: يستحب، قال الإمام أحمد للمروذي: يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه، و جزم به في المستوعب و غيره.

و إذا أمرنا ربنا سبحانه باتباع أئمة الهدي من السلف الصالح فهل يمكن أن يكون قولهم في الدين بدعة ضلالة؟! لا سيما إن كانوا من كبار الأئمة كالإمام أحمد بن حنبل الذي قضى حياته في مقاومة البدع وأهلها، و تحمل من أجل ذلك ما لا يتحمله إلا من اقتدى بأولي العزم من الرسل عليهم الصلاة و السلام؟! فإذا كان التوسل يجر إلى الشرك فقل لي برب هؤلاء الأئمة الذين توسلوا بالنبي ﷺ أحمد بن حنبل و غيره من السلف، و من بعدهم هل علمت أنهم انجروا إلى الشرك؟! حاشهم من ذلك، وهم من أئمة الدين.

قال الإمام النووي في (المجموع): (ج٨/ ٢٧٤) كتاب صفة الحج، باب زيارة قبر الرسول ﷺ: ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ و يتوسل به في حق نفسه و يستشفع به إلى ربه.

مسألة: توسل الشافعي بأبي حنيفة، و بآل بيت رسول الله، و صحبته للصوفية:

روي الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في (التاريخ) بسند جيد أن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة يجيء إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله به في قضاء حاجاته.



و نقل العلامة ابن حجر في كتابه الخيرات الحسان قول الشافعي متوسلا بأهل البيت:

آل النبي ذريعتي　　　　و هم إليه و سيلتي

و قال الحافظ جلال الدين السيوطي في (تأييد الحقيقة العلية و تشييد الطريقة الشاذلية):

فصل: قال الشافعي رضي الله عنه صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين و في رواية سوى ثلاث كلمات قولهم الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك و قولهم نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل و قولهم العدم عصمة.

و قال ابن القيم في (مدارج السالكين): (الجزء الثالث صفحة ١٢٨): قال الشافعي رضي الله عنه: صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين، سمعتهم يقولون: الوقت سيف فإن قطعته و إلا قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق و إلا شغلتك بالباطل. قلت: يا لهما من كلمتين، ما أنفعهما و أجمعهما و أدلهما على علو همة قائلهما ويقظته، ويكفي في هذه ثناء الشافعي على طائفة، أي السادة الصوفية، هذا قدر كلماتهم.

تنبيهات:

● الله هو المستغاث خلقا و إيجادا، و النبيّ أو الوليّ هو المستغاث تسببا و كسبا. فهذا أخذ بالآسباب لا ينافي التوكل على الله، و إلا فكيف يقول عز و جل في عسل النحل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[1]، و معنى قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾: أن يلجأ الناس إلى ما يعلم أنه شاف، و هناك فارق بين عمل الطبيب، وقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[2] لأن الطبيب معالج، والله شاف.

---

١. النحل: ٦٩

٢. الشعراء: ٨٠



● الله يجري فيوضاته عن طريق الأشياء كما يجري فيوضات الوحي والعلم بواسطة جبريل و فيوضات الرزق بواسطة ميكائيل.

● التوسل ليس أمرا لازما ضروريا، و ليست الإجابة متوقفة عليه بل الأصل دعاء الله تعالى مطلقاً.

● هل يتوسل المتوسل بالفاسق!!! بالطبع لا... إذا فالمتوسل بذوات الأنبياء و الصالحين يتوسل بأعمالهم التي يحبها الله. و بهذا يتلاشى هذا الخلاف الشكلي.

● الفرق بين الحي والميت عند التوسل لا يصدر إلا عمن ينطوي على اعتقاد فناء الأرواح، المؤدي إلى إنكار البعث.

● أما قول من قال: إن التوسل ذريعة إلى الشرك و الأفضل تركه. فنقول له: ليس كذلك، لأن النبي لا يعلم الأمة ما يؤدي للشرك، وفي ذلك تعطيل العمل بالأحاديث الصحيحة بحجة أنها ذريعة للشرك و هو كلام خطير جداً. والأئمة من المحدثين و الفقهاء ما يزالون يذكرون في أبواب صلاة الحاجة حديث الأعمى حاثين الأمة أن تقول في ذاك الدعاء: «يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله في حاجتي» فليس في ذلك ما يتعلق في العقيدة ولا في التوحيد البتة.

● أصل القاعدة التي بنوا عليها منع هذا التوسل هو أنه توسل بمخلوق، وهي قاعدة تنقضها الأدلة، فالتوسل بالعمل الصالح مشروع وهو مخلوق، والتوسل بدعاء النبي ﷺ مشروع وهو مخلوق أيضاً.

*وقفة:

قال الشيخ الحافظ العلامة السبكي في (شفاء السّقام في زيارة خير الأنام): لم يسبق ابن تيمية في إنكاره التوسل أحد من السلف و لا من الخلف بل قال قولا لم يقله عالم قبله.

وقفة:

قال الشيخ يوسف الدجوي رحمه الله: أن المغالين في الإنكار على التوسل عمدوا

إلى نصوص واردة في الكفار وطبقوها على المسلم الذي يؤمن بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد ﷺ رسولا، كما فعل الخوارج من قبل فحكموا على كثير من المسلمين بالكفر بناء على نصوص وردت في الكافرين. نقل البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول: شر خلق الله الخوارج، عمدوا إلى آيات نزلت في المشركين فجعلوها في المسلمين. ومثل ذلك قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. قال ابن حزم رحمه الله في كتابه (الفصل في الملل والنحل): و يلحق بهم من شايعهم على أفكارهم أو شاركهم في آرائهم في أي زمان.

و ذلك كاستشهادهم بقول الله تعالى حكاية عن المشركين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ﴾[1] في أن من يتوسل إلى الله بشخص كان مشركا، مع أن المتوسل لم يعبد من توسل به.

وقفة:

مشكلة تحريم التوسل و الاستغاثة تحل في نقطتين:

الأولى: أن المتوسلين بالأنبياء والأولياء يعلمون أن التأثير لله تعالى أي أن الخلق و الإيجاد بيده سبحانه وتعالى، فكان من الواجب على المناوئين ألا يسيئوا الظن بالمتوسلين.

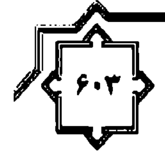
الثانية: إذا سأل المعترض نفسه لماذا يتوسل هؤلاء القوم بالصالحين و لا يتوسلون بغيرهم؟ لأجاب على نفسه بأن ذلك لحسن عملهم، و من المعلوم أننا نتفق مع المانعين في جواز التوسل بالعمل الصالح و بهذا ينتهي الإشكال.

تقرير:

نستخلص من أدلة التوسل أنه جاز التوسل بالنبي ﷺ قبل ميلاده وفي حياته وبعد مماته.

---

١. الزمر: ٣



تقرير:

الحق في المسألة جواز التوسل بذات النبي ﷺ و باسمه و بحقه و بجاهه و بحرمته و بدعائه و بطلب الشفاعة منه ﷺ و بالإقسام على الله تعالى به ﷺ و كذا بالأولياء و الصالحين.

تقرير:

التوسل بنبينا ﷺ مشروع، ثبتت به الأدلة، و أجمعت عليه الأمة، و توسل به الأنبياء كما تواتر ذلك في كتبهم السالفة، و تجد ذلك صريحا و اضحا في إنجيل برنابا؛ و هو أصح إنجيل موجود في الأرض اليوم.

شبهة، وردها:

خبر سيدنا أبي بكر رضي الله عنه: «قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق»، فقال النبي ﷺ: **«إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله»**[١] من رواته ابن لهيعة و الكلام فيه مشهور. ولو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى: **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَىٰ﴾**[٢].

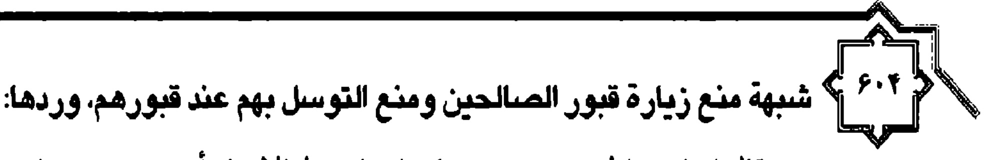
شبهة، وردها:

الحديث المشهور الذي رواه الترمذي و صححه عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس المقصود به النهي عن السؤال و الاستعانة بما سوى الله كما يفيد ظاهر لفظه، و إنما المقصود به النهي عن الغفلة عن أن ما كان من الخير على يد الأسباب فهو من الله، و الأمر بالانتباه إلى أن ما كان من نعمة على يد المخلوقات فهو من الله و بالله، فالمعنى: و إذا أردت الاستعانة بأحد من المخلوقين، و لا بد لك منها فاجعل كل اعتمادك على الله وحده، و لا تحجبنك الأسباب عن رؤية المسبب جل جلاله.

---

١ . مجمع الزوائد، ج١٠، ص١٥٩

٢ . الانفال: ١٧



شبهة منع زيارة قبور الصالحين ومنع التوسل بهم عند قبورهم، وردها:

قال إبراهيم الحربي ـ وهو من كبار تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل ـ: قبر معروف الكرخي الترياق المجرب. انظر (سير أعلام النبلاء) للذهبي: (٩/ ٣٤٣) و بذا فقد أقره الذهبي بل زاد شارحا هذا بقوله: يريد إجابة دعوة المضطر عنده ـ أي عند القبر ـ لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء، كما أن الدعاء في السحر مرجو، و دبر المكتوبات، و في المساجد... .

و ذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في (مناقب معروف الكرخي و أخباره) في الباب السابع في تبرك العلماء و الصالحين بزيارته، قال ما نصه: كان جماعة من العلماء الأكابر و الزهاد يغشونه و يتبركون بزيارته منهم: الإمام أحمد بن حنبل، و بشر بن الحارث، و يحيى بن معين و غيرهم من المشهورين و ممن لا يعرف من الصالحين.

الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله: اللهم صل على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم و على آل سيدنا إبراهيم. وبارك على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، إنك حميد مجيد. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

** تمت رسالة النور الجلي في جواز التوسّل بالنبي و الولي **

** على يد محمد نشأت عبدالمنعم غفر الله له و لوالديه **

** و ذلك في ظهر يوم عيد الأضحى ١٤٢٩ هـ **

** حامدا مصليا **

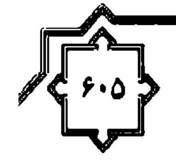
** والسلام **

** تم **

وليس لنا إلى غير الله حاجة ولا مذهب

---

١. الصافات: ١٨٠ ـ ١٨١



المصادر:

الإرشاد في معرفة علماء الحديث، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

الإصابة فى تمييز الصحابه، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤١٥ق

إمتاع الأسماع، المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤٢٠هـ

التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود محمد خليل، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، بيتا

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ابو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ

الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب

دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ

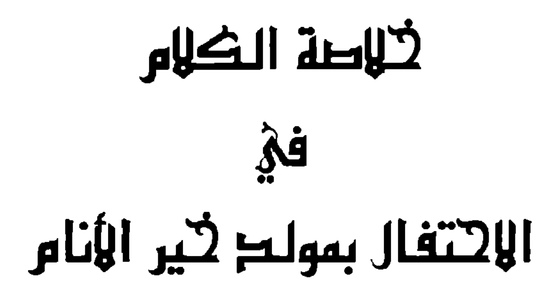
سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت

سنن الترمذي، أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعه: الثانية،١٤٠٣هـ

سنن الدارمي، عبد الله بن بهرام الدارمي، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩هـ

الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دارالوطن، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ق

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ابو الفضل القاضي عياض، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ
صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت
صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ
صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت
العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ
العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ
عمل اليوم والليلة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ
عمل اليوم والليلة، أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بـ «ابن السُّنِّي»، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة، جدة، بلا تاريخ
فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ
مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ
المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ
مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ
المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين، ١٤١٥هـ
المعجما لصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ
المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بلا تاريخ
الوفا بتعريف فضائل المصطفى، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار المعرفه، بيروت، بلا تاريخ



تاليف:

عبد الله بن الشيخ ابو بكر بن سالم

تحقيق: قادر سعادتي

الإهداء

إلى سيدي وقرة عيني رسول الله

إلى كُلِ مُحبٍ تفانى في محبةِ رسول الله

إلى كُلِ من نوّر الله بصيرتهُ بالحكمةِ وفصل الخطاب

إلى كُلِ من طلب من مولاهُ أن يُريهُ الحق والصواب

إلى كُلِ من وقع في أعراض المسلمين ثم تاب

إلى كُلِ من خشي الله وخاف يوم الحساب

إلى كُلِ من أراد الحق من غير ارتياب

إلى جميع المسلمين في

كل الأصقاع

لمولـــدُ خـــير العـــالمين جـــلالُ	لقد غـشى الأكـوان منـهُ جمـالُ
فيـا مُخلـصاً في حـقِ أحمـد هـذهِ	ليــالٍ بــدا فــيهن منــهُ هــلال
فحــقٌ علينـــا أن نُعظّــمَ قــدرهُ	فتحــسُنُ أحــوالٌ لنــا وفعــالُ
فــنُطعمُ مُحتاجـاً ونكــسو عاريــاً	ونرفُد من أضـحى لديـهِ عيـالُ
فتلك فعـالُ المـصطفى وخلالـهُ	وحــسبُك أفعـالٌ لــهُ وخــلالُ
لقد كان فعـلُ الخـير قـرةَ عينـهِ	فلــيس لـــهُ فــيما ســواهُ مجــالُ

المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على خير خلقه الذي اصطفى، وعلى آلـهِ وصحبهِ ومن سار على نهجهم واقتفى.

يقول المولى عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُـوا قَـوْلاً سَـدِيداً**﴾[1] ويقولُ المـصطفى ﷺ: «**مـن كـان يـؤمن بـالله و اليـوم الآخـر فليقـل خـيراً أو ليصمت**»[2].

أما بعد؛ فإن الواجب على كل مُسلمٍ أن يُبين الحقـائق للنـاس حتـى يـسيروا على بصيرةٍ وهُدىً، وليس على عمى وتضليل المُضللين، فالحقُّ أبلج كالشمسِ في رابعة النهار، فالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام يقول: «**من كتم علماً ألجمـهُ الله بلجامٍ من نار يوم القيامة**»[3]. فلقد كان الدافع لهذهِ الرسالة هو مـا رأيتـهُ في هـذهِ الأيام في بعض الوريقات والمطويات التـي يتـداولها العـوام مـن النـاس والتـي شُحِنت ـ والله بالأكاذيب والأباطيل والإفتراء والتدليس عـلى البـسطاء وقلـيلي الفهمِ والعلمِ منهم، حول ما يختصُ بالإحتفال بالمولد النبوي الـشريف، فرأيـت أنهُ من الواجب على من لديهِ القدرة على التبيين أن يبُين للناس حتى لايـدخل في الوعيد الوارد في حديث كتمان العلم الآنف ذكرهُ.

---

١ . الاحزاب: ٧٠

٢ . صحيح البخاري، ج٧، ص٧٩

٣ . سنن ابي داود، ج٢، ص١٧٩



فأقول أنهُ مما يندأ لهُ الجبين وتقشعرُ لهُ الجلود أن يبلغ الحال ببعض المسلمين أن يكون إحياء ذكرى يوم ولادتهِ عليهِ الصلاة والسلام موضع تساؤلٍ وإستفهام، وجدلٍ وإنقسام، وتفسيقٍ وتبديعٍ وإتهام، بل ويرتقي من بعضهم إلى تكفير وإخراج من يحتفل بمولدهِ من دائرة الإسلام، دون خشيةٍ من الملك العلام، مع وجود من يُجيز هذا الإحتفال من الأئمة الأعلام، وورّاث علم سيد الأنام صلى الله عليهِ وعلى آله وصحبهِ البررة الكرام، مُستندين هداهم الله على قولِ خيرِ الأنام: «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كُل مُحدثةٍ بدعة وكُل بدعة ضلالة**»[1] وقولهُ ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منهُ فهو رد**»[2].

فرأيتُ أنهُ من الواجبِ أن أُوضح أولاً مفهوم البدعة من أقوال العلماء لإخواني المعارضين هداهم الله مستنداً على أقوال الحُفاظ والمحدثين قبل أن أشرع في ذكر أدلة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف حتى لا يقعوا في أعراض المسلمين علمائهم وعامتهم، وذلك لما رأيتُ من سوء فهمهم لحديث البدعة، حيث أنهُ كثيراً ما تتلفظُ بهذا الحديث السنتهم في كُلِ مالا تقبلهُ عقولهم أو تطيب بهِ نُفوسِهم، إما جهلاً وإما تجاهلاً والله المُستعان وعليهِ التُكلان.

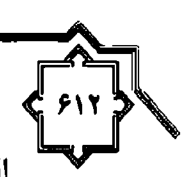
فأقول: قال إخواننا المعارضون هداهم الله واصلحهم إن لفظة (كُل) الواردة في حديث «**كل مُحدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة**» هي من ألفاظ العموم، فتشمل جميع أنواع البدع وبدون أي إستثناء فكل بدعة ضلالة. هكذا أطلقوا عبارتهم دون تثبت هداهم الله.

أقول إن هذا القول هو من الجهلِ بمكان لما فيهِ من مخالفةِ أقوال علماء أئمة الحديث! ولله در القائل:

وخالِفِن تُذكر قديماً قيلا　　　عند الرُعاع إن تُرد تبجيلا

١ . سنن ابى داود، ج٢، ص٣٩٣

٢ . صحيح البخاري، ج٣، ص١٦٧، صحيح مسلم، ج٥، ص١٣٢



والسبب في إن هذا القول من الجهلِ بمكان، هو قولهم إن لفظة (كُل) الواردة في الحديث هي من ألفاظ العموم، فتشمل جميع أنواع البدع و بدون إستثناء وهي ضلالة، هو قولٌ جريء وتطاولٌ بغير علم، فإنهم ومن حيثُ لايشعرون يرمون الصحابة و علماء الأمة بالإبتداع، وعلى رأسهم سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه، فهو أول من قال: «نعمت البدعة هي»[1] فإن قالوا إننا لم نقصد صحابة رسول الله، قلتُ لهم: بل قصدتم ورميتم كُل من خالف قولكم هذا من أئمة المسلمين وغيرهم بالإبتداع، وذلك بقولكم الجريء (جميع أنواع البدع دون إستثناء).

* * *

١ . كتاب الموطأ، ج١، ص١١٥

شرح العلماء لحديث البدعة

أقول ويكفي في دحضِ كلام هؤلاء المعارضين قولُ بل أقوال علماء الأمة في مفهومِهم لحديث: «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كُل محدثة بدعة وكُل بدعة ضلالة**»[1] وحديث: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منهُ فهو رد**»[2] كما يلي:

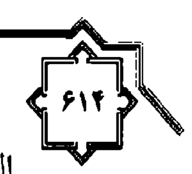
قال الإمام القرطبي في جامع الأحكام لهُ ٢/ ٨٦ عند شرحهِ لقولهِ تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[3]، فقال: كُل بدعةٍ صدرت من مخلوقٍ فلا يخلو أن يكون لها أصلٌ في الشرع فإن كان لها أصلٌ كانت واقعة تحت عموم ماندب إليهِ وحضّ رسولهُ عليهِ فهي في حيّز المدح. وإن لم يكن مثالهُ موجوداً كنوع من الجودِ والسخاء وفعل المعروف، فهذا فعلهُ من الأفعال المحمودة، وإن لم يكن الفاعل قد سُبق إليهِ. ويَعْضُد هذا قولُ عمر ﷺ: نِعْمتِ البدعة هذه، لمّا كانت من أفعال الخيرِ وداخلة في حيّز المدح، وهي وإن كان النبيّ ﷺ قد صلاها إلا أنهُ تركها ولم يُحافظ عليها، ولا جمع الناس عليها، فمُحافظة عمر ﷺ عليها، وجمعُ الناس لها، وندبُهم إليها بدعةٌ لكنها بدعة محمودة ممدوحة. وإن كانت في خلاف ما أمر الله بهِ ورسوله فهي في حيّز الذم والإنكار، قال معناهُ الخطّابي وغيره.

---

١ . سنن ابى داود، ج٢، ص٣٩٣

٢ . صحيح البخاري، ج٣، ص١٦٧ ، صحيح مسلم، ج٥، ص١٣٢

٣ . البقره: ١١٧



بل وانظر أخي القارئ بارك الله فيك لقول ابن الأثير كما في النهاية عند ذكر البدعة الحسنة حيثُ قال: [ومن هذا النوع قولُ عمر رضي الله عنه «نعمتُ البدعة هذهِ» لما كانت من أفعال الخيرِ، وداخلةً في حيز المدح، سمّاها بدعة ومدحها، لأن النبي ﷺ لم يُسنّها لهم، وانما صلاها ليالي ثم تركها، ولم يُحافظ عليها، ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن ابي بكر، وإنما عُمر جمع الناس عليها وندبهم إليها، فبهذا سمّاها بدعة، وهي على الحقيقة سُنة لقولهِ ﷺ: **«عليكم بسُنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين»**[1] وقولهُ ﷺ: **«اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»**[2] ثم قال (أي ابن الأثير) بعد ذلك: وعلى هذا التأويل يُحمل حديث كُل بدعة ضلالة، وإنما يريدُ ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة]. انتهى كلام ابن الاثير رحمه الله.

و قال ابن رجب في شرحهِ «والمراد بالبدعة ما أُحدث مما لا أصل لهُ شرعاً وإن كان بدعة لفظاً» وكذلك قال: «إن هذا الحديث يدل بمنطوقهِ على أن كُل عملٍ ليس عليهِ أمر الشارع فهو مردود، ويدل بمفهومهِ على أن كُل عملٍ عليهِ أمرهُ فهو غير مردود» اهـ

وقال الإمام الحافظ النووي شارح صحيح مسلم عن هذا الحديث «هذا عام مخصوص والمراد بهِا المحدثات التي ليس لها في الشريعةِ ما يشهدُ لها بالصحة فهي المراد بالبدع».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني شارح صحيح البخاري «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعدهِ، فإن معناهُ من اخترع في الدين ما لا يشهد لهُ أصلٌ من أصولهِ فلا يُلتفت إليهِ».

---

١ . مسند احمد، ج٤، ص١٢٦، سنن الدارمى، ج١، ص٤٥

٢ . سنن الترمذى، ج٥، ص٣٣٦



وقال أيضاً [المراد بقولِهِ «**كل بدعة ضلالة**» ما أُحدث ولا دليل لهُ من الشرع بطريق خاص ولا عام]. اهـ. وقال أيضاً في الفتح ما نصهُ: [وأما قوله ﷺ: «**كُل بدعة ضلالة**» بعد قولِهِ: «**وإياكم ومحدثات الأمور**» قاعدة كُليّة، بمنطوقها ومفهومها، أما منطوقها فكأن يُقال حُكم كذا بدعة، وكُل بدعة ضلالة فلا تكون هذهِ البدعة من الشرع، لأن الشرع كُلهُ هدى فإذا ثبت أن حُكم المذكور بدعة، صحت المقدمتان وأنتجتا المطلوب]. انتهى كلامهُ رحمه الله.

وروى الإمام البيهقي في مناقب الشافعي رضي الله عنه قال: «المُحدثات ضربان: ما أحدث مما يُخالف كتاباً أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذهِ بدعة الضلال، وما أحدث من الخير لا خلاف فيهِ لواحد من هذا». اهـ

قُلتُ (والكلام للبيهقي): وهو معنى قولِهِ ﷺ في خطبتهِ: «**وشَرُّ الأمورِ مُحدثاتها وكُل بدعةٍ ضلالة**»[1] يريد ما لم يوافق كتاباً أو سُنّة، أو عمل الصحابة رضي الله عنهم، وقد بيّن هذا بقولِهِ: «**مَن سَنّ في الإسلام سُنَّةً حسنة كان لهُ أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومَن سنّ في الإسلام سُنَّة سيئة كان عليهِ وِزْرُها ووزر من عمل بها من بعدهِ من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[2]. وهذا إشارة إلى ما أُبتدع من قبيح وحسن، وهو أصل هذا الباب، وبالله العصمة والتوفيق، لا رَبَّ غيره. انتهى كلام البيهقي رحمه الله.

اقول بل قد تقرر عند العوام فضلاً عن العُلماء. من قولِهِ ﷺ كما في صحيح مسلم: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فلهُ أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء**»[3]. أنهُ يُسنُ للمسلمِ أن يأتي بسنةٍ حسنة لها

---

١ . صحيح مسلم، ج٣، ص١١

٢و٣ . صحيح مسلم، ج٣، ص٨٧

 أصلٌ في الشرع وإن لم يفعلها الرسول ﷺ من أجلِ زيادة الخير والأجر. ومعنى سن سُنة: أي أنشأها باجتهاد واستنباط من قواعد الشرع أو عموم نصوصهِ ولذلك قال النووي رحمه الله عن هذا الحديث ان فيهِ الحث على الابتداء بالخيرات وسن السُنن الحسنات، والتحذير من الأباطيل والمستقبحات. انتهى كلامهُ رحمه الله وما ذكرتهُ من أقوال المحدثين فيهِ الكفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وللعلم أخي القارئ ـ حفظك الله ـ أن كلمة (كُل) تأتي في صورة العموم ويُرادُ بها الخصوص كقولهِ تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[1] ومع ذلك لم يأخذ الملك السفينة التي خرقها الخضر عليه السلام. وكقولهِ أيضاً سبحانهُ وتعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[2] و مع ذلك فإنها لم تؤتى مُلكَ سليمان. وكقولهِ سبحانهُ وتعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[3] و هي لم تُدمّر الجبال والأرض و السماوات بل حتى مساكنهُم.

وجاء ايضاً في السنّة كما في البخاري والموطاء: «كُل بني آدم يأكلهُ التراب إلا عجب الذنب»[4]. قال ابن عبد البر في التمهيد ما نصهُ: ظاهر هذا الحديث وعمومهِ يُجب ان يكونوا بنو آدم كُلهم في ذلك سواء، إلا انهُ قد روي أن أجساد الأنبياء والشهداء لا تأكلها. اهـ

ولو أننا تصفحنا كتاب الله عز وجل وسنة نبيهِ ﷺ لوجدنا هُناك المئات من الآيات والأحاديث التي جاء معناها في صيغ العموم ولكن يُراد بها الخصوص.

وهنا مُستمسكٌ قوي على هؤلاء المعترضين الذين يحتجون بقول النبي ﷺ

---

١ . الكهف: ٧٩

٢ . النمل: ٢٣

٣ . الاحقاف: ٢٥

٤ . صحيح مسلم، ج٨، ص٢١٠، لم اجده في البخاري



[كُل محدثةٍ بدعة وكُل بدعة ضلالة][١] بأن كُل الواردة في الحديث تُفيد العموم ولا تفيد الخصوص، و ذلك من أجل أن يفروا من قضية تقسيم البدعة والتي قال بها علماء الأمة كما سيأتي توضيحهُ إن شاء الله. وإنني أقول لهم حسناً، إن كانت (كُل) هي من صيغ العموم لا من صيغ الخصوص كما زعمتم فلماذا انتقدتم على البُوصيري قولهُ «ومن علومك علم اللوح والقلم». أفليس القائل «كُل مُحدثةٍ بدعة...» هو نفسهُ ﷺ القائل في حديث إختصام الملأ الأعلى الذي خرّجهُ الإمام أحمد في مسندهِ والدارمي والترمذي والطبراني ـ ومما جاء فيهِ... فعلمت ما في السموات والأرض وتلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٢] وفي رواية: فتجلى لي كُل شيء وعرفت، وفي رواية للطبراني: فعلمني كُل شيء... إلخ؟

إذاً فعلى ضوءِ القاعدة التي أصّلتموها والتي تقول: «كُل الواردة في الحديث تُفيد العموم ولا تفيد الخصوص». تُفضي الى أن النبي ﷺ يعلمُ ما في السموات والأرض بل ويعلم كُل شيء بل ويتجلى لهُ كُل شيء! وجنت على نفسها براقش.

ومن العجب أنهم يتناقضون بفتوى أخرى يُقرّونها وهي جواز قول: [الله و رسولهُ أعلم] لأن علم الرسول من علم الله، فالله تعالى هو الذي يُعلّمه ما لا يُدركهُ البشر، ولهذا أتى بواو العطف.

فانظر بالله عليك أخي القارئ المسلم؛ أين قولهم أن لفظة (كُل) من ألفاظ العموم تشمل كُل أنواع البدع دون إستثناء؟ وقول هؤلاء الأئمة الأعلام وعلى رأسهم الإمام الحافظ النووي كما في صحيح مسلم (٦/ ٢٢١) حيث قال: إن لفظة (كُل) هو عام مخصوص فلربما فهم المعارضون المراد من قول النبي ﷺ «كُل بدعة ضلالة» ما لم يفهمهُ إمام المحدثين الإمام النووي؟؟!

---

١. سنن ابى داود، ج٢، ص٣٩٣

٢. الانعام: ٧٥



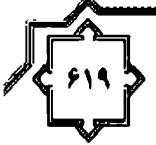
أقول ومن باب الإنصاف يجب أن أذكر من خالف هـؤلاء العلـماء في الـرأي ألا وهو الشاطبي ﷺ. فقد شذّ عن هؤلاء الأئمة الأعلام كما في كتابهِ الإعتصام ولا عبرة بالشاذ كما يُقال، فإنهُ أنكر هذا التقسيم، وزعم أن كُل بدعـة مذمومـة، لكنهُ اعترف بأن من البدع ما هـو مطلـوب وجوبـاً أو نـدباً، وجعلـهُ مـن قبيـل المصلحة المُرسلة، فخِلافه إذاً خلافٌ لفظـي يرجـع إلى التـسمية. أي ان البدعـة المطلوبة، لا تُسمّى بدعـة حـسنة، بـل تُـسمّى مـصلحة مُرسـلة ولا مـشاحة في الإصطلاح كما هو معلوم. و يكفينا ما تكفل بهِ الشيخ السكندري الـبراء ﷺ في ردهِ على الشاطبي بكلام تحليلي جميل وتدليلٍ أقوى مما سلكهُ الشاطبي، فليراجعهُ من شاء.

* * *

تقسيم علماء الحديث للبدعة

أما دعوى المعترضين ـ نوّر الله بصائرهم للحق ـ بأنهُ لا يوجد هناك في الدين شيء يُسمّى بدعة حسنة وذلك عندما رأوا أن العلـماء جعلـوا الإحتفـال بالمولـد النبوي من هذا القبيل وإنهُ مما لهُ أصلٌ في الشرعِ. فهي دعـوى باطلـة وإن دلـت فإنما تدل على مدى جهل قائلها وقلة إطلاعهِ على أقوال أهل العلم في هذا الباب فنقول لهم: إليكم أقوال جهابذة علماء الأمة والذين يعول على كلامهـم، فـضلاً عن طائفة ليس لها غرضٌ فـيما تدعيـهِ وتبثـهُ بـين المـسلمين إلا التفريـق بيـنهم، وإشعال نار الخلاف خلالهم، وفتح البابِ على مصراعيه للتطاول على علمائهـم، في الوقت الذي نحنُ فيهِ بحاجةٍ إلى جمـع شـتاتهم وتـأليف قلـوبهم وارتبـاطهم بعلمائهم لاسيما أهل الصدر الأول منهم.

وإليك أخي القارئ أقوال هؤلاء الجهابذة من العلماء في تقسيمهم للبدعة:



العالم الأول: وهو العلامة وحيد عصرهِ وحجة وقتهِ، وشارح صحيح مسلم الإمام الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ حيثُ قال في صحيح مسلم (٦ ـ ٢١) ما نصهُ: قول النبي ﷺ: (كُل بدعة) هذا عام مخصوص والمراد غالب البدع، وقال أهل اللغة: هي كُل شيء عُمل على غيرِ مثال سابق، وهي منقسمة إلى خمسة أقسام.

وقال أيضاً في (تهذيب الأسماء واللغات): البدعة بكسر الباء في الشرع هي إحداث ما لم يكُن في عهدِ رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة. وقال أيضا ـ أي النووي ـ: والمحدثات، بفتح الدال جمعُ مُحدثة، والمراد بها: ما أحدث وليس لهُ أصل في الشرع.. ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان لهُ أصل يدل عليهِ الشرع فليس ببدعة، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة، فإن كُل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محمودا أو مذموما. اهـ

العالم الثاني: ألا وهو أمير المؤمنين في الحديث الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني شارح البخاري المجمع على جلالة قدره حيثُ قال ما نصه: «وكُل ما لم يكُن في زمنهِ ﷺ يُسمى بدعة، لكن منها ما يكونُ حسن ومنها ما يكون خلاف ذلك» اهـ

العالم الثالث: وهو أبو نعيم حيثُ روى عن إبراهيم الجنيد فقال: سمعت الشافعي يقول: البدعة بدعتان، بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم.

العالم الرابع: ألا وهو سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله: حيثُ قال في أخر كتابهِ (القواعد) ما نصه: «البدعة منقسمة إلى واجبة، ومحرمة، ومندوبة، ومكروهة، ومباحة» ثم ضرب مثال لكُل واحدةٍ منها، ثم قال: «والطريق في ذلك أن تُعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في قواعد الإيجاب فواجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فمحرمة، أو الندب فمندوبة أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة» انتهى كلامهُ رحمه الله.



فهؤلاء العلماء الذين ذكرناهم ـ أخي القارىء ـ لهم ثقلهم بين علماء المسلمين، وقد قسّموا البدعة إلى أقسامها الخمسة المذكورة آنفاً.

بل قد استنبط العلماء والمفسرون بأن القرآن يؤيد البدعة الحسنة: فلقد روى الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة ﷺ قال: إن الله فرض عليكم صوم رمضان ولم يفرض عليكم قيامهُ، وإنما قيامهُ شيء أحدثتموه فدوموا عليه فإن ناساً من بني إسرائيل ابتدعوا بدعاً فعابهم الله بتركها فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[1] وفي سنده زكريا بن أبي مريم ذكره ابن حبان في الثقات.

وقال الدارقطني: وما استنبطه الصحابي الجليل أبو أمامة ﷺ صحيح فإن الآية لم تعِب أولئك الناس على ابتداع الرهبانية لأنهم قصدوا بها رضوان الله بل عاتبهم على أنهم لم يراعوها حق رعايتها وهذا يُفيد مشروعية البدعة الحسنة كما هو ظاهر من نص الآية وفهم الصحابي الجليل لها. اهـ

فانظر بالله عليك أخي المسلم: أين قولهم أصلحهم الله: إنه ليس ثم شيء في الدين يُسمى بدعة حسنة، وقول أئمة المسلمين كما رأيت وعلى رأسهم الإمام الجليل صاحب المذهب الإمام الشافعي ﷺ؟ والذي يقول: البدعة بدعتان، بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم.

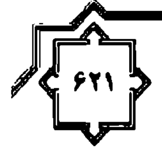
وما اجمل ما قالهُ القائل:

فأغْنَ بهِ ولا تَخُض بالظنِّ ولا تُقلّد غير أهل الفنّ

ومن الغريب العجيب أن نرى هؤلاء القوم عندما يُصعقون بأقوال أئمة المحدثين وفحول علماء الأمة في تقسيمهم للبدعة وشرح المعنى المراد منها

---

١ . الحديد، ٢٧



بخلاف فهمهم السقيم لها، فإنهم يصبحون كالمستجيرِ من الرمضاء بالنارِ. فيقولون: إن مُراد العلماء بذلك هو البدعة اللغويّة، وهذا الكلام مما تضحك منهُ الثكلاء، وذلك لأن من تمعن في أقوال العُلماء المذكورة آنفاً يعلم حقيقة مرادهم. فإذا علم المعارضون إن قولهم هذا لا ينخدع به العوام من الناس فضلاً عن طلبة العلم والعلماء. قاموا بحيلةٍ اخرى وهي قولهم ان المراد (ببدعة الضلالة) هو ما ابتدع في الأمور الشرعية دون غيرها من الأمور الدنيوية، ثم حكموا على البدعة الدينية بأنها ضلالة ولم يرضوا بأن تكون البدعة الدنيوية ضلالة مع كونهما جميعاً بدعاً مُحدثة لم تكن من قبل!! ثُم أليس قولهم بهذا التقسيم ـ أي إلى دينية ودنيوية ـ هو بدعة في حد ذاتهِ، لأنهُ لم يكن في عهدهِ ﷺ؟؟ فوقعوا فيما أرادوا الإنفكاك منه وهو التقسيم ولله در القائل:

إن كُنت لا تدري فتلك مُصيبةٌ وإن كُنت تدري فالمُصيبةُ أعظم

وإلى هنا أكتفي بهذا العرض المختصر والموجز خوف الإطالة لأقوال جهابذة علماء الأمة في شرح معنى البدعة وتقسيمها، ومن ثمّ أترك الخيار في الإختيار للقارئ العزيز بأن يأخذ بقولِ من يريد من أقوال الأئمة العلماء المحدّثين السابقين أو بقول المتأخرين المتطفلين، وحتى لايقع في التبديع لعلماء المسلمين وعامتهم بغير علم.

* * *

بعض أفعال الصحابة لأمور لم يفعلها النبي ﷺ

ومن هذا المنطلق سوف أطرح للقُراء بعض أفعال وأقوال الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم والذين فهموا معنى البدعة المُشار إليها في الحديث لاسيما أنها بعد وفاته ﷺ ولم يفعلها في حياتهِ، وهي في العبادات فهل يتهمهم المعارضون بالبدعة و الضلالة أم ماذا؟؟! فإليكم بعض أفعالهم ﷺ:

أولاً: جمع القرآن

فلقد جاء في حديث زيد بن ثابت ﷺ أنهُ قال: «قُبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جُمع في شيء»[١]. فنقول عمر بن الخطاب ﷺ هو الذي أشار على أبي بكر ﷺ بجمع القرآن في مُصحف عندما كثر القتل بين الصحابة في واقعة اليمامة، فتوقف أبو بكر وقال: كيف نفعل شيئاً لم يفعلهُ رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خير ونقول للمعارض أنظر إلى قول عمر لسيدنا الصديق «هو والله خير»، فلم يزل عمر يُراجع أبابكر حتى شرح الله صدر أبي بكر لهُ، وبعث أبوبكر إلى زيد بن ثابت فكلفهُ بتتبع القرآن وجمعهِ، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل عليّ مما كلفني بهِ أبوبكر من جمع القرآن ثم قال زيد بن ثابت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعلهُ رسول الله ﷺ؟ قال الصديق «هو خير» فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري. وليُراجع المعارضون والقراء هذه القصة فهي مبسوطة في صحيح البخاري.

ثانياً: فصل مقام إبراهيم عن البيت

فلقد أخرج البيهقي بسندٍ قوي عن عائشة ﷺ قالت: إن المقام كان في زمن النبي ﷺ وفي زمن أبي بكر ملتصقا بالبيت، ثم أخره عمر بن الخطاب ﷺ [٢]. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح: ولم يُنكر الصحابة فعلَ عمر، ولا من جاء بعدهم فصار إجماعاً، وكذلك هو أي سيدنا عمر أول من عمل عليهِ المقصورة التى تشابه المقصورة الموجودة الآن.

---

١ . فتح الباري، ج٩، ص١٢

٢ . فتح الباري، ج٨، ص١٦٩



ثالثاً: زيادة الاذان الأول يوم الجمعة

ففي صحيح البخاري عن السائب بن زيد قال: كان النداء يوم الجمعة أولهُ إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فلما كان عُثمان.. زاد النداء الثالث [١]. باعتبار إضافتهِ إلى الأذان الأول والإقامة، ويُقال لهُ أول باعتبار سبقهِ في الزمان على أذان الجمعة، ويقال لهُ ثاني بإسقاط اعتبار الإقامة.

رابعاً: الصلاة على النبي ﷺ التي أنشأها سيدنا علي رضي الله عنه

وكان يُعلّمُها للناس. ذكرها سعيد بن منصور وابن جرير في تهذيب الآثار وابن أبي عاصم ويعقوب بن أبي شيبة في أخبار علي، والطبراني و غيرهم عن سلامة الكندي.

خامساً: مازاده ابن مسعود في التشهد

فقد كان يقول بعد قولهِ «ورحمةُ الله وبركاته» كان يقول: «السلامُ علينا من ربنا». رواه الطبراني في الكبير ورجالهِ رجال الصحيح كما في مُجمع الزوائد.

سادساً: زيادة عبد الله بن عمر (البسملة) في أول التشهد

وكذلك ما زادهُ في التلبية بقولهِ: «لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل..» وهي مبسوطة في صحيح البخاري (٢/ ١٧٠)، ومسلم (١١٨٤).

---

١ . صحيح البخاري، ج١، ص٢١٩

سابعاً: استلام ابن عباس ﵁ أركان الكعبة الأربعة

فقد أخرج البُخاري والترمذي والطبراني في الكبير والهيثمي في مُجمع الزوائد أن أبي الطفيل قال قدم معاوية وابن عباس الكعبة فاستلم ابن عباس الأركان كُلها فقال لهُ معاوية إنما استلم رسول الله ﷺ الركنين اليمانيين! قال ابن عباس: «ليس شيء من البيت مهجوراً»[١]. والذي ثبت عن سيدنا رسول الله فيما رواهُ عنهُ البخاري ومسلم وغيرهما أنهُ كان يستلم الركنين اليمانيين من الكعبة المشرفة، ولم يستلم غيرهما[٢].

ثامناً: قراءة سورة العصر قبل التفرق

أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي مدينة الدارمي وكانت لهُ صُحبة قال: «كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾»[٣].

تاسعاً: تقبيل القبر الشريف

فعن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجههُ على القبر النبوي، فقال لهُ مروان أتدري ما تصنع؟ فإذا هو أبو أيوب الأنصاري، فقال أبو أيوب: نعم جئتُ رسول الله ﷺ ولم آتِ الحجر[٤].

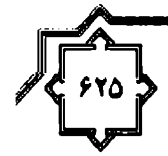
---

١ . صحيح البخاري، ج٢، ص١٦٢ مسند احمد، ج١، ص٢١٧

٢ . صحيح البخاري، ج٢، ص١٦٢

٣ . العصر: ١ ـ ٢

٤ . مسند احمد، ج٥، ص٤٢٢



عاشراً: أن يُصلي المسافر الرباعية أربعة ركعات

فلقد أخرج البخاري في صحيحهِ[١] ومسلم[٢] أن النبي ﷺ كان يُلازم في أسفارهِ كُلها القصر فيصلي الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين، ولم يثبت قط أنهُ صلى الرباعية أربعاً في السفر، ومع ذلك فقد صلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في منى أربعاً وأنكر عليهِ ابن مسعود ثم صلاها ـ أي ابن مسعود ـ معهُ أربعاً، فلما قيل لهُ، قال إني أكره الخلاف...... إلخ من زيادة الصحابة وعلماء وفضلاء الأمة.

فكل هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أحدثوا أشياء رأوها حسنة لم تكن في عهد المصطفى ﷺ ولم يفعلها في حياتهِ وهي في العبادات، فما قول المعارضين فيهم رضوان الله عليهم؟ وهل هم من أهل الضلال والبدع المنكرة أم ماذا؟ وهل هم ممن يظنون أن النبي ﷺ لم يُبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل بهِ ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣].

ترك النبي ﷺ للشيء لا يعني تحريمهُ

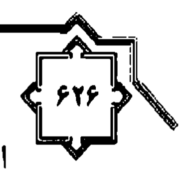
وبعد هذا التبيان الجليّ من أقوال علماء الأمة وأفعالهم، لم يبقى للمعارضين سوى حُجةٌ واحدة هي والله أوهى من خيوط العنكبوت ويا ليتهم سكتوا ولم يتفوهوا بها، ألا وهي قولهم: [لو كان الإحتفال بالمولد من الدين لَبَيَّنَهُ الرسول ﷺ للأمة أو فَعلهُ في حياتهِ أو فعلهُ أصحابُه رضي الله عنهم، ولا يقول قائل أن الرسول ﷺ تركهُ تواضعاً منهُ فإن هذا طعنٌ فيهِ عليه الصلاة والسلام]

---

١ . صحيح البخارى، ج٢، ص٣٥

٢ . صحيح مسلم، ج٢، ص١٤٥

٣ . الانعام: ١٤٣



فالجواب على ذلك هو: أن ترك النبي عليهِ الصلاة والسلام لكثير من الأشياء لا يعني تحريمها. فقد يكون تركهُ لها مخافة أن تُفرض كصلاة التراويح.

وإما أن يكون تركهُ لعدم تفكيرِهِ فيهِ مثل اتخاذ منبر له.

وإما أن يكون تركهُ لدخولهِ في عموميات أو أحاديث، كتركهِ لكثير من المندوبات لأنها مشمولة في قولهِ تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وإما أن يكون تركهُ خشية تغيير قلوب بعض الصحابة، كما قال لعائشة رضي الله عنها: «لولا أن قومكِ حديثو عهد بجاهلية لأمرتُ بالبيت فهُدم فأدخلتُ فيهِ ما أُخرج منهُ وألزمتهُ بالأرض وجعلتُ لهُ بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغتُ به أساس إبراهيم عليه السلام»[2].

والترك وحدهُ إن لم يصحبهُ نصٌ على أن المتروك محظور لا يكون حُجةً في التحريم، بل غاية أمره أن يفيد أن ترك ذلك الفعل مشروع.

فإن كل ما لم يفعلهُ الرسول ﷺ أو الصحابة من بعدهِ لا يُعتبر تركهم لهُ تحريماً، حسب ما تقتضيهِ القواعد الأصولية والتي أولها: أن يكون كالنهي المُطلق نحو قولهُ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾[3]، وقولهِ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[4].

أو كلفظ التحريم نحو ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾[5].

أو كذم الفعل والتوعد عليهِ بالعقاب نحو «من غشنا فليس منا»[6].

---

١ . الحج: ٧٧

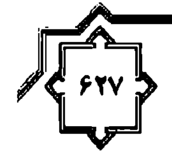
٢ . صحيح البخاري، ج٢، ص١٥٦

٣ . الاسراء: ٣٢

٤ . البقره: ١٨٨

٥ . المائده: ٣

٦ . سنن ابن ماجه، ج٢، ص٧٤٩



والترك هُنا ليس واحداً من هذه الثلاثة فلا يقتضي التحريم فافهم.

ثانيها: إن الله تعالى قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1] ولم يقل وما تركهُ فانتهوا عنهُ، فإذاً الترك لا يفيد التحريم.

ثالثها: قال النبي ﷺ: «ما أمرتكم بهِ فأتوا منهُ ما استطعتم وما نهيتكم عنهُ فاجتنبوه»[2] ولم يقل ما تركتهُ فاجتنبوه، فكيف يدلُ الترك على التحريم؟؟

رابعها: أن الأصوليين عرفوا السنة بأنها قول النبي ﷺ وفعلهُ وتقريرهُ ولم يقولوا قط وتركهُ، لأنهُ ليس بدليل.

خامسها: تقدم أن الترك يحتمل أنواعاً غير التحريم، والقاعدة الأصولية هي: «أن ما طرأ عليهِ الإحتمال سقط بهِ الاستدلال».

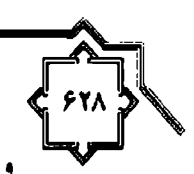
سادسها: أن الترك أصل، ولأنهُ عدم فعل، والعدم هو الأصل والفعل طارئٌ عليهِ، والأصل لا يدلُ على شيء لغةً ولا شرعاً، فلا يقتضي الترك التحريم، ولذلك عُلم أن النبي لم يفعل جميع المندوبات المباحات، لأنها كثيرة لايستطيع بشرٌ أن يستوعبها، ولإشتغالهِ عليهِ الصلاة والسلام بمهام أعظم استغرق معظم وقتهُ من تبليغ الدعوة ومحاربة المشركين، ونقاش مع المخالفين مما هو مهم لتأسيس الدولة الإسلامية، بل إنهُ ترك بعض المندوبات عمداً مخافة أن تُفرض على أمتهُ أو يشقّ عليهم إذا هو فعلها، فلقد روى البخاري (١١٧٧) عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**إن الرسول ﷺ يترك العمل وفعلهُ أحبُ إليهِ خشية أن يستسن الناس بهِ فيُفرض عليهم، وكان يحب ما خفف عليهم**»[3].

---

١ . الحشر: ٧

٢ . كنز العمال، ج١، ص١٩٣، وفى صحيح مسلم، ج٤، ص١٠٢، بلفظ: «**وما نهيتكم عنه فدعوه**».

٣ . صحيح البخاري، ج٢، ص٤٣، بلفظ: «كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم»



ثم إن الرسول ﷺ قال موضحاً لنا هذا الإشكال بقولهِ كما في مُجمع الزوائد وعند الحاكم والبزار والدارقطني: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم الله فهو حرام، وما سكت عنهُ فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً ثم تلا ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾**[١]»[٢].

والذي نعلمهُ أنه لم يأت في حديث واحد ولا أثر في التصريح بأن النبي ﷺ إذا ترك شيئا كان ذلك الشيء المتروك حراماً أو مكروها.

وما أجمل ما قالهُ الإمام الشافعي ﵁ وأرضاه لدحض هذا الجهل المُركب لدى المعارض، وحقيقة فهمهِ ﵀ لقول النبي: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**»[٣] عندما قال ـ أي الشافعي ـ [**كُل ما لهُ مستند من الشرع فليس ببدعة ولو لم يعمل به السلف، لأن تركهم للعمل بهِ قد يكون لعذرٍ قام لهم في الوقت، أو لما هو أفضل منه، أو لعلة لم يبلغ جميعهم علم بهِ**] انتهى كلام الشافعي.

فإذاً ليس كل مالم يفعلهُ الرسول ﷺ خارجاً عن السنة طالما أنَ لهُ أصلاً في الشرع، بل إن الحوافز القولية الكثيرة لعمل الخيرات، والترغيبات الكثيرة القولية بالفضائل العامة والخاصة هي أيضاً من السنة والإحتفال بالمولد النبوي منها كما سيأتي إثباته، كما أن التقريرات الصادرة عن رسول الله ﷺ فيما يحدث من الخير مما لا يخالف المشروع هي أيضاً من السنة، بل هي طريقة الرسول وسنتهُ التي حث على اتباعها والتمسك بها.

ونقول أن من زعم تحريم شي بدعوى أن النبي ﷺ لم يفعلهُ فقد ادعى ما ليس لهُ دليل، وكانت دعواهُ مردودة. فكيف وإن فعلها عليهِ الصلاة والسلام ولكن بصورةٍ وكيفيةٍ مُختلفة؟

---

١ . مريم: ٦٤

٢ . مجمع الزوائد، ج١، ص١٤١

٣ . صحيح مسلم، ج٣، ص٨٧



عدم فعل الصحابة للشيء لا يعني كراهته

أما شُبهة من يتشدق بعدم فعل الصحابة ويقول هل فعل الصحابه كذا وكذا من بعدهِ؟ فإننا نترك الإمام الحافظ الذهبي يُجيبهُ على ذلك كما جاء في معجم الشيوخ (١/ ٧٣ و٧٤) حيثُ قال: «فإن قيل: فهلاّ فعل ذلك الصحابة قيل: لأنهم عاينوهُ حياً، وتملوا بهِ، وقبّلوا يده، وكادوا يقتتلون على وضوئهِ، واقتسموا شعرهُ المطهر يوم الحج الأكبر، وكان إذا تنخم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل فيدلك بها وجههُ، ونحنُ فلما لم يصح لنا مثل هذا النصيب الأوفر، ترامينا على قبرهِ بالإلتزام والتبجيل والإستلام والتقبيل، ألا ترى كيف فعل ثابت البناني، كان يُقبل يدّ أنس بن مالك ويضعها على وجههِ ويقول: يدٌ مست يد رسول الله ﷺ، وهذه الأمور لا يُحركها من المسلم إلا فرط حبّه للنبي، إذ هو مأمور بأن يُحب الله ورسوله أشد من حبهِ لنفسهِ، وولدهِ، والناس أجمعين، ومن أموالهِ ومن الجنة وحورها، بل خلقٌ من المؤمنين يحبون أبابكر وعمر أكثر من حب أنفسهم» انتهى كلام الذهبي رحمه الله.

ومن هذا المنطلق فعل كثير من الصحابة باجتهاداتهم كما ذكرتُ وبيّنتُ سابقاً أموراً كثيرة لم يفعلها النبي عليهِ الصلاة والسلام ولكن لها أصلٌ، فكانت سنة الرسول ﷺ وطريقه قبول ما كان من العبادة والخير ويتفق مع المشروع ولا يخالفهُ، وردّ ما كان مخالفاً لذلك، فهذهِ سنتهُ وطريقتهُ التى سار عليها خلفاؤهُ وصحابتهِ واقتبس منها العلماء رضوان الله عليهم قولهم: [**إن ما يُحدث يجب أن يُعرض على قواعد الشريعة ونصوصها فما شهدت لهُ الشريعة بالحُسنِ فهو حسن مقبول، وما شهدت لهُ الشريعة بالمخالفة والقبح فهو مردود وهو البدعة المذمومة، وقد يسمون الأول بدعة حسنة من حيث اللغة باعتبارهِ محُدثاً وإلا فهو**

في الواقع ليس ببدعة شرعية بل هو سنة مستنبطة ما دامت شواهد الشريعة تشهد لهُ بالقبول] كما بينهُ سلطان العلماء العز ابن عبد السلام ﷺ.

بعض الأمور المبتدعة عند المعارضين

وعلى كل حال نحن نقول للمعارضين هداهم الله وأرشدهم للحق، إن كنتم مُصرين على رأيكم ولم تُقيموا وزناً ولا اعتباراً لأقوال العُمد من الأئمة الأعلام فنقول لكم بناء على القاعدة التي أصّلتموها بأنفسكم. والتي تقول: [**إن من أحدث شيأً لم يفعلهُ رسول الله ﷺ أو صحابتهِ فقد ابتدع في الدين، و يُفهم منهُ أن النبي ﷺ لم يُكمل الدين لهذِ الأمة، وأن الرسول ﷺ لم يبّلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل بهِ، ولا يقول أو يعتقد ذلك إلا زنديق مارق عن دين الله**] انتهت القاعدة التي أصّلها المعارضون.

فنقول لكم كما قال القائل: «من فمِكَ نُدينك».

فقد أحدثتم في العبادات وفروعها مسائل كثيرة لم يفعلها النبي ﷺ ولا الصحابةِ ولا التابعون ولا حتى تابعو التابعين، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

١. جمعُ الناس على إمام واحد لأداء صلاة التهجد بعد صلاة التراويح في الحرمين الشريفين وغيرهما من المساجد.

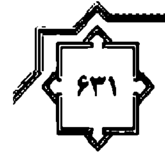
٢. قراءة دعاء ختم القرآن في صلاة التراويح وكذلك في صلاة التهجد.

٣. تخصيص ليلة ٢٩ أو ليلة ٢٧ من شهر رمضان لختم القرآن في الحرمين وغيرهما من المساجد.

٤. قول المنادي قبل صلاة التراويح: «صلاةُ القيام أثابكم الله».

٥. إقامة أسبوع خاص بالمساجد في كل عام.

٦. إقراركم لمن يقوم بتطويف الحاج والمعتمر سبعة اشواط حول الكعبة وبين الصفا والمروة.



٧. القول: بأن التوحيد ينقسم إلى ثلاثـة أقسام: توحيـد ألوهيـة، وتوحيـد ربوبية، وتوحيد أسماء وصفات. فهل هذا التقسيم جاء في حديث شريف، أم هو قول أحد من الصحابة أو التابعين أو تابع التابعين أو أحد الأئمة الأربعة؟!!

إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال لذكرهِ من تخصيص هيئات للأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، وجامعات إسلامية، وجمعيات لتحفيظ القـرآن، ومسابقات تحفيظ القرآن، واختتام الدورة الفلانية في تحفيظ القرآن وتوزيع الجوائز ومكاتب دعوة وإرشاد، وأسابيع احتفال بالمشايخ. ومع ذلك فنحنُ لا نُنكر هذهِ الأشـياء إلا أنها من البدع الحسنة التـي يُنكـر هـؤلاء القـوم عـلى مـن يفعـل أمثالهـا ثـم يفعلونها.

ولله در القائل:

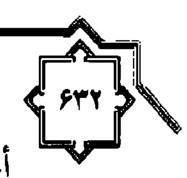
وعين الرضا عن كُل عيـبٍ كليلـةٌ ولكن عين السُخطِ تبدي المساويا

ففعلكم لهذه المُبتدعات التشريعية التي لم يفعلها الرسول ﷺ فيـهِ تعـارض واضح مع قاعدتكم التي تقول: أن العبادات توقيفية وإن كُل من يُحْـدثُ أمـراً لم يفعلهُ الرسول ﷺ وأصحابهِ فهو بدعـة (سـيئة) فلـرُبما تكونـوا ممـن أُذن لكـم بالتشريع من دون الناس!! وجنت على نفسها براقش!!.

* * *

توضيح معنى (العبادات توقيفية)

وهُنا يجب أن أقف وقفةً بسيطة حول ما يُدنـدن حولـهُ المعترضـون للتغريـر بالسذّج من طلبة العلمِ والعوام من الناس وهي قـولهم: [**إن العبـادات توقيفيـة وأن كُل شيء يُفعل ويُبتغى بهِ الأجر والثواب يُعتبر من العبـادات التـى يُتوقـف فيها**].



فأقول إن كانت العبادات على مفهومكم القاصر توقيفية على إطلاقها، فلماذا أحدثتم تلك الأمور التي نقلتُها عنكم قبل أسطر؟ وهل ابتداعكم لها عبث؟؟ أم أنكم تبتغون بهِ الأجرَ والثواب؟؟؟

فاعلم أخي القارئ ـ بورك فيك ـ أن لله شعائر يجب تعظيمها، قال تعالى: **﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾**[1].

ومن أعظم شعائر الله: الحبيب عليهِ الصلاة والسلام.

فالشعائر جمعُ شعيرة وهي تُطلق على مناسك الحج كالطواف والسعي. وتُطلق أيضاً على الأماكن التي تكون عندها العبادة كالمشعر الحرام.

فالعبادة في الأسلام: هي مُطلق الطاعة والخضوع لله تعالى في تنفيذ ما شرع فرضاً كان أو نفلاً أو مباحاً بنية القربة ضمن الأصول والقيود الشرعية المتقدمة.

وتطلق الشعيرة أيضاً على كُل معلم من معالم الإسلام، عبادة كانت أو مكاناً او شخصاً أو حتى بهيمةً من البهائم يقول تعالى: **﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِن شَعَائِرِ اللهِ...﴾**[2].

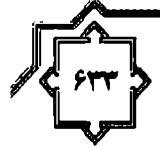
فكُل معلم من معالم الإسلام شعيرة، ومن هنا يتضح الفرق بين الشعيرة والعبادة. فالشعيرة أعم والعبادة أخص، فكُل عبادة شعيرة وليس كل شعيرة عبادة فافهم.

فالشارع أمرنا بتعظيم البيت الحرام وبناء المساجد وتعظيم النبي ﷺ وتوقيرهُ ولم يأمُرنا بعبادة الكعبة ولا بعبادة الرسول ولا بعبادة المساجد ولا بعبادة الصحابة والصالحين من عباد الله مع أن توقيرهم واجب واحتقارهم كُفر لأنهم يمثلون الدين.

---

١ . الحج: ٣٢

٢ . الحج: ٣٦

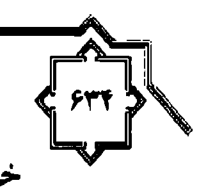


فقراءة قصة مولد رسول الله ﷺ في يوم مولده وغيرِه، طاعةٌ لما يحتوي عليهِ الاحتفاء من تعريف الأمة بقدر هذا النبي ﷺ من خلال شمائلِهِ وسرد سيرتِهِ نثراً أو شعراً وغرس محبتهِ وإجلالـه في قلوب المسلمين، والدعوة إلى التأسي والإقتداء بهِ، فلا يكون الإتباع إلا بمعرفة، ولا تكون المعرفة إلا بالذكر والتذكير والتعريف والبيان بأي وسيلة عرفها الإنسان بحسب مقتضى كلُ عصر ومجتمع. وليس في الشريعة ما يمنع من الاستفادة من التعريف والبيان المستجدة في كُل عصرٍ ومصر بحيث لا يصطدم بحكمٍ أو نصٍ شرعي مُقرر وقد جاءت القاعدة الأصولية في هذا البيان أن (الوسائل لها حُكم المقاصد) فإذا كان المقصد شرعياً، فلا مدخل للإبتداع في مثل ذلك، كما يثيرهُ المُخالف، علماً بأن المولد النبوي الشريف يستمدُ مشروعيتهُ من الأدلة العامة قبل الخاصة كما صرح بذلك شارح البخاري الحافظ ابن حجر العسقلاني عند تخريجهِ لحديث صيام يوم عاشوراء. كما سيأتي لاحقاً عندما قال:[وقد ظهر لي تخريجها على أصلٍ ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين[١] من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء.....الى أن قال **فيُستفادُ منهُ فعل الشكر لله على ما مُنّ بهِ في يوم معين**].

فمن هذا المنطلق يتضح لنا أن أصل العبادات توقيفية، فلا يصح من أي إنسان أن يُصلي الفجر مثلاً أربع ركعات أو العصر ستة ركعات، ولكن فروع العبادات المستمدة مشروعيتها من الأصول فللإجتهاد نصيب فيها ضمن القواعد الأصولية. فعلى سبيل المثال ما ذكرهُ الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء(١١/ ٢١٢) قال: [**قال عبد الله ابن الإمام احمد بن حنبل: كان أبي يُصلي في كل يوم ثلاث مئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفتهُ فكان يصلي كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة**].

---

١ . صحيح مسلم، ج٣، ص١٤٩



وكذلك ما رواهُ أبو نُعيم في الحلية (١/ ٣٨٣): «وكان لأبي هريرة ﷺ خيط فيه ألف عُقدة، لاينام حتى يُسبح بهِ».

ومما ثبت بأسانيد صحيحة وكثيرة أن عبد الله بن مسعود ﷺ خصص عشية يوم الخميس ليُحدّث عن رسول الله ﷺ. رواهُ ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٥٦٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١١ و ٣/ ٣١٤) والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٢٣) وغيرهم بأسانيد متعددة.

فلا تغتر بعد ذلك أخي المسلم بتلك الترهات التي يقول بها المعارضون عن جهل في مفهوم العبادات.

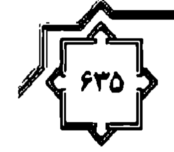
* * *

الخيانة العلمية فيما يختص بنشأة الاحتفال بمولده ﷺ

أما فيما يختص بنشأة الاحتفال بمولده ﷺ:

فأقول لقد مهّد المُعارضون هداهم الله لإحقاق الباطل وإبطال الحق ولو بالتدليس والخيانة في النقل عن علماء المسلمين كما ستراهُ الآن واضحاً جلياً، أو بالكذبِ كعادتهم على العوام من الناس وقليلي الفهم منهم فيما يختص بنشأة الإحتفال.

فللأسف الشديد الشديد ـ أخي المسلم بارك الله فيك ـ نجد هؤلاء المانعين لاسيما ممن نأتمنهم على أبنائنا وفلذات أكبادنا من يقوم بتحريف النصوص في كُتب المناهج الدراسية، وذلك ببتر العبارات والخيانة في النقل عن علماء المسلمين!!! فهاهم يُحرفون ويبترون كلام شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مقرر كتاب التوحيد للصف الثالث الثانوي قسم العلوم الشرعية!! في الباب الرابع



الفصل الرابع صفحة ١٢٧[١] وذلك لما تُمليهِ عليهم أمانتهم العلمية! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

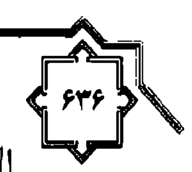
أقول لقد حرّفوا وبتروا كلام شيخ الإسلام ولم يوردوهُ كاملاً حتى لايتضح للناس وخاصةً لطلاب العلم الحقيقة المُرّة التي لاتوافق هواهم، فقد نقلوا ما جاء عنهُ رحمه الله في كتابهِ اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٥) أنهُ قال: [**وكذلك ما يُحدثهُ بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له......**]. الى هُنا ولم يُكملوا العبارة واكتفوا بوضع عددٍ من النقاط على السطر لإيهام الناس أن لا أهمية للكلام الذي بعدهُ. والواقع بخلاف ذلك، فإن ابن تيمية رحمه الله لم يقل ذلك فحسب بل قال: [**وكذلك ما يُحدثهُ بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً لهُ، و الله قد يُثيبهم على هذا المحبة والإجتهاد**]. فحذفو قوله رحمه الله «**و الله قد يُثيبهم على هذا المحبة والإجتهاد**»[٢].

بل إنهم أخي المسلم لم يكتفوا بتحريف النصوص والتلاعب بها ويقفوا عند هذا الحد فحسب، بل أنهُ بلغ بهم الحال الى بتر الكلام والتدليس في النقل والذي يُعد فاعلهُ ساقط العدالة والرواية وممن لا يُعتدُ بقولهِ وشهادتهِ كما هو مُقرر عند أهل الحديث.

فلقد دلسوا على شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقلوهُ عنهُ أيضاً في كتاب التوحيد المُشار اليهِ سابقاً وفي نفس الصفحة المذكورة، وذلك ببترهم لكلامهِ الذي أورَدوهُ عنهُ من كتابهِ اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٥) حيثُ قالوا أنهُ قال: [**فإن هذا لم يفعلهُ السلف ولو كان خيراً محضاً لكان السلف رضي الله عنهم أحقُ بهِ منا...............**].

١ . انظر الوثيقة رقم (١) في ملحق الوثائق آخر الكتاب .

٢ . انظر الوثيقة رقم (٢) في ملحق الوثائق آخر الكتاب .



أقول: إن هذه العبارة التي نقلوها عنهُ لهي والله عينُ الخيانةِ في النقل وعدم الأمانة العلمية، فهم يُريدُونَ أن يُطمسوا التصريح الجلي لشيخ الإسلام ابن تيمية بأن الإحتفال بالمولد النبوي الشريف لـهُ مُقتضى يقوم بـهِ وهـو المحبة والتعظيم، وهذا ما يوافقهُ فيهِ أيضاً شارح البخاري الحافظ ابن حجر كما سيأتي، ومن ثم يُقرر شيخ الإسلام أنهُ لا مانع منهُ (أي فعل الإحتفال بالمولد) وإن لم يفعلهُ السلف، وهذا هو الواقع الذي لايستطيع احدٌ أن ينفيهُ عنهُ. وإليك كامل عبارتهُ التي حرفوها والتي قال فيها ﷺ ما نصهُ: [فإن هذا لم يفعلهُ السلف مع قيام المقتضى لهُ وعدم المانع منهُ ولو كان خيراً محضاً لكان السلف ﷺ أحقُ بهِ منا..........][1]. فحذفوا قوله ﷺ «مع قيام المقتضى لهُ وعدم المانع منهُ».

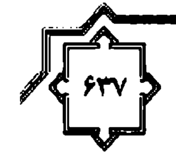
أقول: الحمد لله الذي أوقع هؤلاء المعارضين في شِراكِ أفعالهم وجعلهم يُقرّون ويعترفون وبصورةٍ غير مباشرة ورغماً عن أنوفهم ومن حيث لايشعرون وذلك لما اقترفتهُ أيديهم (مُكرهاً أخاك لا بطل) بأن شيخ الإسلام لا يُمانع من عمل المولد النبوي الشريف ولو لم يعمل بهِ السلف، وإلا بماذا تُفسر أخي بارك الله فيك حذفهم وبترهم لهذه العبارة بالذات من هذا النص لشيخ الإسلام ابن تيمية؟؟

وتجدهم أخي المسلم بعد تحريفهم وخيانتهم في النقل وبترهم للعبارات المذكورة سابقاً يقولون وبكل جراءة وللأسف الشديد لإخفاء هذهِ الجريمة الشنعاء (انتهى ببعض الاختصار)!!.

أقول: أي إختصار هذا؟ بل إن هذا لعمري عينُ الخيانةِ في النقل وعدم الأمانة العلمية، فإن الإختصار لايُخل بالمعنى ولا يجعل من النفي اقراراً ولا من الإقرار نفياً، ولا يُثبتُ منفياً ولا يُنفي اثباتاً، كما هو معلوم، وما فعلهُ أصحاب الأمانة العلمية يُخالف هذهِ القاعدة والله المستعان.

---

١ . انظر نفس الوثيقة رقم (٢) في ملحق الوثائق آخر الكتاب .



بل إن الأعجب من ذلك كُلِهِ كيف يغضُ هؤلاء الأُمناء النظر فيما قررهُ شيخ الأسلام ﷺ في الصفحة التي تلي مُباشرةً الصفحة التي نقلوا عنهُ منها ما حرفوهُ وبتروهُ عنهُ والتي يقول فيها:

«فتعظيم المولد واتخاذهُ موسماً قد يفعلهُ بعض الناس ويكون لهُ فيهِ أجر عظيم لحُسنِ قصدهِ وتعظيمهِ لرسول الله ﷺ»[١].

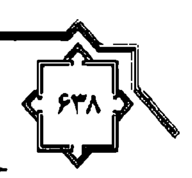
ومن التناقض العجيب لهؤلاء القوم أخي المسلم والذين يتشدقون بمقُولة الإمام مالك ﷺ «كُلٌ يُؤخذُ من قولهِ ويُرد» ويجعلونها سلاحاً يضرِبون بهِ أقوال منْ خالفهم من علماء الأمة والذي لايوافق هواهم ويتعارض مع فِكرهم ومشربهم.

تجدهم يُطبّقون هذهِ المقولة في حق عُلماء دون غيرهم من العلماء! وأكبر شاهدٍ على ذلك هو أما كان في وسعِهم بدَل أن يعمدوا إلى التدليس وتحريف النصوص وبترها والكذب والخيانة في النقل عن شيخ الإسلام، أن يعمدوا إلى مقُولة مالك ويردوا بها على شيخ الإسلام مقولتهُ تلك وهي أسلَم طريق لهم من تلك الجريمة؟

أنا أُجيبك أخي المسلم على ذلك وهو أن تلك الهالة من التقديس والتعظيم التي بنوها حول شيخ الإسلام ابن تيمية لعشراتٍ من السنين جعلتهم وجعلت الكثير من العوام والسذّج وصِغار طلبة العلمَ يتوهمون العِصمة لهُ، وجعلت من الصعب لهؤلاء المُقدِسين لهُ أن يردوا أو ينتقدوا عليهِ مالا يوافق فكرهم من أقوالِهِ ﷺ مما جعلهم يعمدون إلى مثل تلك الوسائل من الخيانة والتدليس وإلا سوف يهدِمون ما بنوهُ لعشرات السنين والله المستعان.

---

١ . انظر الوثيقة رقم (٣) في ملحق الوثائق آخر الكتاب .



بل ويستمر بهم الأمر أخي المسلم في الكذبِ على علماء المسلمين بدون تورّع حتى كذبوا على الإمام الحافظ ابن كثير بعد ما كذبوا على شيخهِ شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قالوا بالحرف الواحد في تلك المطويات التي وزعوها يمنةً ويسرة ما نصهُ:

[ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ١٧٢) إن الدولة الفاطمية العُبيدية المنتسبة إلى عبيد الله بن ميمون القداح اليهودي. والتي حكمت مصر من سنة (٣٥٧ ـ ٥٦٧هـ) أحدثوا إحتفالات بأيام كثيرة، ومنها الإحتفال بمولد النبي ﷺ][١] اهـ هذا ما نقلوهُ عن الحافظ ابن كثير بحذافيره.

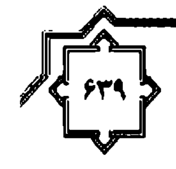
وحسب المرجع الذي أشاروا إليهِ ودلسوا بهِ على البسطاء من الناس اقول لهم: كذبتم والله!! فأي تدليسٍ هذا وأي تحريف أين أمانة العلم وأين منهج العلماء فإني وجدتُ ما ادعيتموهُ على الحافظ وما نقلتموهُ عنهُ إنما هو عين الكذبِ ومحضُ الإفتراء والتدليس والخيانة في النقول عن علماء الأمة. فهل نأمن أخي القارئ بعد ذلك على هؤلاء القوم في نقولهم عن علماء الأمة؟؟ وإن كنتم أيها المعارضين مُصرين على ما ذكرتموهُ ونقلتموهُ عن الحافظ ابن كثير فاقول لكم: «أخرجوهُ لنا إن كُنتم صادقين». واقولُ لهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله...﴾[٢]. فهل هذا التلاعب بأقوال العلماء والخيانة في النقل عنهم والتدليس عليهم بالله عليك أخي القارئ مما يُرضي الله ورسولهُ؟؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

وأين يا أخي المسلم دعوى هؤلاء المعارضين بأنهم سوف يناقشون هذه القضية بعدلٍ وإنصاف وتجرُدٍ عن كُلِ هوىً كما هي دعواهم في مطويتهم التي نشروها؟ بل إنني أرى أنهُ عين التعصب المخزي والهوى الممقوت.

---

١ . انظر الوثيقة رقم (٤) في ملحق الوثائق آخر الكتاب.

٢ . النحل: ١٠٥



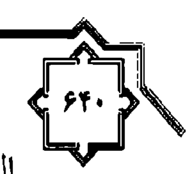
وإليك أخي القارئ ـ نوّر الله بصيرتك ـ الرأي الحقيقي للحافظ ابن كثير في عمل المولد ونشأتهُ، والذي أخفاهُ من يدعون مناقشة الموضوع بعدلٍ وإنصاف وتجرد عن كل هوى كما هي دعواهم.

قال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية ١٣ ـ ١٣٦) طبعة دار المعارف، ما نصهُ: (الملك المظفر أبو سعيد كوكبري أحد الأجواد والسادات الكُبراء والملوك الأمجاد، لهُ آثارٌ حسنة ـ أنظر أخي القارئ بالله عليك إلى قوله له آثارٌ حسنة ـ وقال ـ أي ابن كثير ـ وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفلُ بهِ احتفالاً هائلاً، وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً عاقلاً عالماً عادلاً، رحمهُ الله وأحسن مثواه) إلى أن قال: «وكان يصرف في المولد ثلاثمائة ألف دينار».

فانظر أخي القارئ رحمك الله إلى هذا المدح والثناء عليهِ من ابن كثير إذ أنه وصفهُ بأنهُ عالم، عادل، شهم، شجاع، إلى قولهِ: رحمهُ الله وأحسن مثواه، ولم يقل: زنديق، فاجر، فاسق، مرتكب للفواحش والموبقات كما هي دعوى المعارضين ـ هداهم الله ـ في كُل من يُجيز عمل المولد الشريف!! وإنني أحيل القارئ إلى نفس المرجع السابق المذكور في البداية والنهاية فهُناك كلام أعظم مما ذكرتهُ لك في حق هذا الإمام الجليل لم أنقلهُ خوف الإطالة.

وانظر أخي القارئ أيضاً إلى قول الإمام الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء ٢٢ ـ ٣٣٦) عند ترجمة الملك المظفر أبو سعيد كوكبري ما نصهُ: «كان متواضعاً، خيراً، سنياً، يحب الفقهاء والمحدثين».

بل وليكُن في معلومية هؤلاء المعارضين أن أبا سعيد كوكبري هذا (الذي يعمل المولد) والذي هو في نظر المعارض مُبتدع زنديق، هو القائد الأول لجيوش صلاح الدين الأيوبي وزوج شقيقتهِ، وهو الذي أخرج الصليبين من بيت المقدس في معركة حطين، فهل لنا من سلفي لا يعمل المولد و يكون قائداً مثلهُ يُخرج لنا اليهود من بيت المقدس؟؟؟



وليكُن في علمك أخي المسلم وفي علم جميع المسلمين أن هذا الأسلوب من التدليس والخيانة في النقل لم يكُن وليد هذا اليوم عند هذهِ الطائفة من الناس، بل هو ديدنهُم منذُ نُعومةِ أظافرهم، فكما حرفوا وبتروا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذهُ ابن كثير، نجدهم حرّفوا وبتروا من قبل كلام أمير المؤمنين في الحديث شارح صحيح مسلم الإمام الحافظ النووي كما في كتابهِ الأذكار بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط طبعة دار الهُدى بالرياض حيثُ أنهم حرفوا كلام الإمام النووي في آخر فصلٍ من كتاب الحج والذي عقد الإمام فيهِ فصلاً سماهُ (فصلٌ في زيارة قبر رسول الله ﷺ وأذكارُها) فحرفوا هداهم الله هذهِ العبارة وجعلوها (فصلٌ في زيارة مسجد رسول الله ﷺ) ولم يكتفوا أيضاً بهذا القدر من التحريف والخيانة في النقل فحسب بل قاموا بحذف كامل قصة العُتبي التي استشهد بها الإمام النووي في نفس الفصل السابق. مما جعل الشيخ عبد القادر الأرناؤوط مُحقق كتاب الأذكار يبرأ الى الله تعالى من هذا الفعل القبيح في رسالة خاصة بخط يدهِ[1]. و ﴿إِنَّا لله وإِنّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾[2].

فهذا التلاعب وهذهِ الخيانات في حق المُتقدمين من علماء المسلمين حَسَب ما وقفتُ عليهِ حتى الآن وما خُفيّ فهو أعظم. أما المتأخرون من العلماء فحدّث ولا حرج فلم يسلم منهم أحدٌ من الكُتّاب أو المُحققين أو المُفكرين أوالدعاة والذي كان من آخرهم الداعية الإسلامي المعروف علي زين العابدين الجفري سليلُ بيتِ النبوة الطاهرة، حيثُ أن أحد المأجورين منهم ممن باع دينَهُ وأمانتَهُ بعرَضٍ من الدُنيا، قام بجمع عددٍ من إصدارات الجفري المسموعة وتلاعب بها، فقص وبتر وحرّف من كلامهِ ما يُوهم السامع بأن كلام هذا الداعية مُخالفٌ

---

١ . انظر الوثيقة رقم (٥) آخر الكتاب .

٢ . البقره: ١٥٦



للشرع والسُنة المُطهرة وأخرجها في شريط مُفبرك ومُمنتج لحاجةٍ في نفسهِ هو أعلم بها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن مثل هذهِ الأفعال لا تليقُ بمسلمٍ يؤمن بالله ويؤمن باليوم الآخر. لأن هذهِ الأفعال هي من أفعال اليهود الذين قال المولى سبحانهُ وتعالى فيهم: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ﴾[١]، وإن هذا المكر الذي فعلوهُ لن يُحيق إلا بصاحبهِ قال تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٢] وأنني أخشى على كُل من يقوم بنشر هذا الباطل أن يكون آثماً ومُحاسباً أمام الله تعالى يوم القيامة ويكون خصمهُ داعيةً إسلامياً بل أحدُ أحفاد المصطفى ﷺ مالم يتثبّت ويرجع الى أُصول الأشرطة التي بتر وحرّف منها هؤلاء الذين لا يُؤمنَ لهم في النقل عن المسلمين كما وسبق أن بينتُ وأثبتُّ لك بالوثائق والدلائل والبراهين. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٣].

فهل هذا التلاعب بأقوال العلماء والخيانة في النقل عنهم والتدليس عليهم بالله عليك أخي القارئ مما يُرضي الله ورسولهُ؟؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. فلا تأمن أخي المسلم ولا تثق بعد اليوم لهذا الصنف من الناس ولا تُسلِّم لهم في كُل ما ينقلونهُ عن عُلماء المسلمين والسلف الصالح إلا بعد الرجوع إلى المراجع التي ينقلون منها ما يُدلّسون بهِ على الناس واحذر واحرص وكُن فطِناً ولا تكُن إمعة.

* * *

---

١ . النساء: ٤٦

٢ . الانعام: ١٢٣

٣ . الحجرات: ٦

أدلة الاحتفال بالمولد

وأما ما يختصُ بأدلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف فهي:

أولاً: الآيات القرآنية المستفيضة بذلك.

ثانياً: دخولهُ ضمن السنة الحسنة لقولهِ عليهِ الصلاة والسلام: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فلهُ أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء..**»[١].

ثالثاً: وجودُ أصلٍ لهُ في الشرعِ.

رابعاً: إجماع علماء الأمة على استحبابهِ واستحسانهِ.

هذا إجمالاً أخي المسلم وقبل التطرق للتفصيل أود أن أُبيّن أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف إنما هو تعبيرٌ عن الفرح والسرور بقراءة سيرتهِ وشمائلهِ عليه السلام وذلك لما فيهِ من تثبيت لفؤادنا، كيف لا والمولى سبحانهُ وتعالى يُثبّت فؤاد حبيبهِ بذكرِ أنباء الرُسل السابقين عليهِ فقال تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾[٢] فبالله عليكم إخواني القُرّاء من أحوج بتثبيت الفؤاد نحنُ أم هو عليهِ الصلاة والسلام؟؟

فقد ثبّت الله فؤادهُ الشريف بذكر قصة ميلاد عددٍ من الأنبياء عليهم السلام، كقصة مولد سيدنا موسى عليه السلام في سورة القصص حيثُ تناولت القصة الأحوال قبل مولدهِ وأثناء مولدهِ وبعد مولدهِ إلى أن بعثهُ الله تعالى، في صفحات لاتقل عن السبع.

ومثل ذلك قصة مولد سيدنا يحي بن زكريا عليهما السلام في سورة مريم وسورة آل عمران، وقصة ميلاد مريم عليها السلام في آل عمران، أقول وهل يقتفي الذي يفعل

---

١. صحيح مسلم، ج٣، ص٨٧

٢. هود: ١٢٠



المولد بقراءة قصة مولد سيدنا رسول الله على الأسماع إلا المنهج القرآني الكريم؟

وعلى هذا ينبغي أن نشكُر الله تعالى على هـذه النعمـة بالإحتفـال بهـا في يـوم مولدِهِ خاصةً وفي كل وقت بصفة عامة وهذا الإحتفال والذي هـو قـراءة قـصة مولدِهِ وبعثتِهِ وجهادِهِ وشمائلِهِ هو صورة من الصور المعـبرة عـن الـشكر، ومـن أجل ذلك قال مُحدث الدنيا الإمام الحافظ ابن حجر: [**وإذا نظرنا إلى ما منّ الله بِهِ على العالم بمولده، وجدنا أن هذا الميلاد أعظم النعم المستحقة للشكر والمستوجبة للسرور والحبور.........**] انتهى كلامهُ ﵀.

فمَن هو الأولى بأخذ قولِهِ أخي المسلم؟ الحـافظ الجليـل ابـن حجـر ﵀ أم قول هؤلاء المعترضين هداهم الله؟

فهاهو تُرجمان القرآن سيدنا ابن عباس ﵄ والذي دعا لـهُ سـيدنا رسـول الله بأن يُفقههُ الله في الدين ويُعلمهُ التأويل يقول في تفسير قولِهِ تعالى: ﴿**وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللهِ**﴾[١] قال أيام الله هي أيام نعمِهِ وأيام نقمِهِ. اهـ

فوجب علينا تذكُّر أيامُ نعم الله التي منّ بها علينا والتي منها يوم ولادتهِ ﷺ والتي هي أعظم النعم كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ﵀ فـيما ينقلـهُ عنـهُ الحافظ السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوي ص١٨٩ حيثُ قال مـا نـصهُ: [وقـد سُئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولـد فأجـاب بما نصه: أصلُ عمل المولد بدعة لم تُنقل عن السلف الصالح من القرون الثلاثـة، ولكنها مع ذلك اشتملت على محاسن وضدُها، فمن تحـرى في عملهـا المحاسـن وتجنب ضدُها كانت بدعة حسنة، وقـد ظهـر لي تخريجهـا ـ أي مـشروعية عمـل المولد ـ على أصل ثابت، وهو مـا ثبـت في الـصحيحين مـن أن النبـي ﷺ قـدِم

---

١ . ابراهيم: ٥

المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم، فقالوا: هو يومٌ أغرق الله فيهِ فرعون، ونجى فيهِ موسى، فنحنُ نصومهُ شكراً لله، فيُستفاد منهُ فعل الشكرِ لله على ما مُنّ بهِ في يومٍ مُعيّن من إسداء نعمةٍ، أو دفع نقمة، إلى أن قال ـ أي ابن حجر ـ وأي نعمة أعظمُ من نعمة بروز هذا النبي ﷺ نبي الرحمة في ذلك اليوم، فهذا ما يتعلق بأصل عملهِ، وأما ما يعمل فيه ـ أي الإحتفال بالمولد ـ فينبغي أن يُقتصر فيهِ على ما يُفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة] انتهى كلامهُ ؒ.

فهذه الإستنباطات التي استنبطها الحافظ ابن حجر أخي القارئ هي التي قال عنها المعارضون هداهم الله إنها استدلال باطل وقياس فاسد، وأنكروها على مُحدث الدنيا شارح البخاري الحافظ ابن حجر العسقلاني فليت شعري من المُنكِر ومنَ المنكَرِ عليه!!

أقول: أنظر أخي القارئ إلى سلامة منهج الإمام ابن حجر في النظر والإستدلال... فلم يكن همهُ حشدُ الأدلةِ كيفما اتفق لهوىً في نفسهِ ولذلك صرح بما ظهر لهُ في حديث عاشوراء، وهو أنهُ أصلٌ يُخرّج عليهِ عمل المولد.

ولذلك كان النبي عليهِ الصلاة والسلام يُلاحظ ارتباط الزمان والمكان بالحوادث الدينية العُظمى التي مضت وانقضت، فإذا جاء الزمان الذي وقعت فيهِ كان فرصةً لتذكُرِها، وتعظيم يومها لأجلها ولأنهُ ظرفٌ لها.

بل أن الكافر قد ينتفع بسرورهِ بالمصطفى كما حصل لأبي لهب عندما أعتق الجارية ثويبة لما بشرتهُ بولادة النبي عليهِ الصلاة والسلام وهذاالخبر رواهُ البخاري[1] في كتاب النكاح مُعلقاً، ونقلهُ الحافظ ابن حجر في الفتح[1]، ورواهُ

---

١. صحيح البخاري، ج٦، ص١٢٥



الإمام عبد الرزاق الصنعاني في الـمُصنّف[٢] ورواهُ البيهقي في الدلائل[٣] وابن كثير في السيرة[٤]، والعلامة محمد بن عمر بحرق في حدائق الأنوار[٥]، والحافظ البغوي في شرح السنة[٦]، وابن هشام والسهيلي في الروض الآنف[٧]، والعامري في بهجة المحافل[٨]

وقد قال في هذا الخبر الإمام الحافظ شمسُ الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي وهو ممن تفانى في محبة شيخ الإسلام ابن تيمية حيثُ قال:

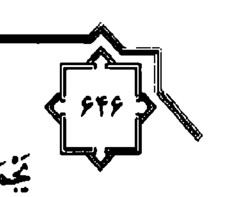
إذا كان هذا كافراً جاء ذمّهُ ... بتبت يداهُ في الجحيم مُخلّدا
أتى أنهُ في يوم الإثنين دائماً ... يُخففُ عنهُ للسرورِ بأحمدا
فما الظنُ بالعبد الذي طول عمرهِ ... بأحمد مسروراً ومات مُوحّدا

وهذهِ الرواية وإن كانت مُرسلة إلا أنها مقبولة لأجل نقل البخاري لها واعتماد العلماء من الحُفاظ لذلك ولكونها في المناقب والخصائص لا في الحلال والحرام، وطلاب العلم يعرفون الفرق في الإستدلال بالحديث بين المناقب والأحكام.

وأما التفصيل فهو على النحو التالي:

اولاً: الآيات القرآنية المستفيضة بذلك..

١ . فتح الباري، ج١١، ص٤٣١
٢ . المصنف لعبد الرزاق، ج٧، ص٤٧٧
٣ . دلائل النبوه للبيهقى، ج١، ص١٤٩
٤ . السيره النبويه لابن كثير، ج١، ص٢٢٤
٥ . حدائق الانوار، ص١٠٧
٦ . شرح السنه للبغوي، ج٩، ص٧٦
٧ . الروض الانف، ج٥، ص١٢٢
٨ . بهجه المحافل، ج٢، ص١٤٨



كقولـهِ تعـالى: ﴿قُـلْ بِفَـضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِـهِ فَبِـذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُـوا هُـوَ خَـيْرٌ مِمَّـا يَجْمَعُونَ﴾[1].

فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة، والنبي ﷺ أعظم رحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2].

فقـد جـاء في تفسير حبر الأمـة و ترجُمان القرآن الإمام عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، كما يرويه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال فضل الله العلم ورحمتهُ محمد ﷺ. وقال السيوطي أيضاً في نفس المرجع السابق: أخرج الخطيب وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انهُ قال عند شرحهِ لقولهِ تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ﴾[3] قال فضل الله هو النبي.

وجاء عنهُ ﷺ أنهُ قال: «إنما أنا رحمةٌ مهداة».

وقولهِ تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[4].

وبذلك يكون الإسلام والقرآن والنبي ﷺ كل ذلك رحمة.

ومنْ الذي جاء بالإسلام الذي هو الرحمة؟

ومنْ الذي أُنزل عليهِ القرآن الذي هو الرحمة؟

أليس هو النبي محمداً ﷺ الذي جاء لنا بهذهِ الرحمة؟

والذي نظنهُ ونعتقدهُ ونُدين الله بهِ هو أن سيدنا عبد الله بن عباس أعلم من غيرهِ بمراد الله في (الرحمة) المذكورة في الآية لاسيّما أن رسول الله عليهِ الصلاة والسلام دعا لهُ بذلك كما تقدم.

---

١ . يونس: ٥٨

٢ . الانبياء: ١٠٧

٣ . يونس: ٥٨

٤ . التوبه: ١٢٨



فلو لم يأتِ في القرآن نصٌّ صريح بإطلاق لفظ الرحمة على شخصهِ الكريم وذاته الشريفة لكفى دلالةً وإشارةً إلى أنهُ جاء بالرحمة فهو رحمة. فكيف وقد جاء التصريحُ بذلك في القرآن، فعلى مذهب صاحب أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حيثُ قال لاشك في أن الآية الكريمة تشمل النبي فهو رحمة الله التي أمرنا الله بالفرح بها.

ثانياً: دخولهُ ضمن السنة الحسنة. **وثالثاً**: وجودُ أصلٍ لهُ في الشرع.

أعود فأذكِّر بقول الإمام القرطبي كما في جامع الأحكام لهُ في المجلد (٢/ ٨٦) عند شرحهِ لقولهِ تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[1].

فقال: كُل بدْعة صدرتْ من مخلوقٍ فلا يخلو أن يكون لها أصلٌ في الشرع أولا؛ فإن كان لها أصلٌ كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليهِ وحضّ رسولهُ عليهِ؛ فهي في حيّز المدح. وإن لم يكن مثالهُ موجودا.

وقال ابن الأثير في النهاية: «البدعة بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلالة فما كان خلاف ما أمر الله بهِ ورسولهُ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عمومِ ما ندب إليهِ الشرع وحض عليهِ رسولهُ فهو في حيز المدح».

وقول الشافعي: «كُل ما لهُ مستندٌ من الشرع فليس ببدعة ولو لم يعمل بهِ السلف...».

فالإحتفال بالمولد النبوي الشريف لهُ أصلٌ كالشمسِ في رابعة النهار فإنهُ كان عليه الصلاة والسلام يُعظم يوم مولدهُ، ويشكر الله عليهِ ويصومهُ كما جاء في الحديث الصحيح عندما سُئل عن صيام يوم الإثنين فقال **«ذاك يومٌ ولدتُ فيهِ وأُنزل عليّ فيه»**[2] فإذا كان ليوم الجمعة كما في الحديث الصحيح فضلٌ لأن

---

١ . البقره: ١١٧

٢ . صحيح مسلم، ج٣، ص١٦٨

آدم عليه‌السلام خُلق فيهِ[1] وهو تشريف للزمـان فكيـف بـاليوم الـذي ولـد فيـهِ خـير الأنام صلى‌الله‌عليه‌وآله؟

وكما ذكرتُ في البند الرابع من القاعدة الأصُوليّة أن الأصوليين عرّفوا السُنة بأنها قول النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله وفعلهُ وتقريرهُ.

وقد قال عليهِ الصلاة والسلام: **«من سن في الإسلام سنة حسنة فلـهُ أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء»**[2].

فإن قيل إن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله اعتنى بمولده بالصيام وأنتم تحتفلون بالإجتماع وغيرهِ من أنواع القُربات والأعمال التي لم يفعلها صلى‌الله‌عليه‌وآله في هذا اليوم، وهذا من البدعة!

فالجواب على ذلك:

إن هذا يرجع إلى كيفية الإحتفال وهيئتهِ، وبما أنهُ ثبت أنهُ صلى‌الله‌عليه‌وآله احتفـل بـهِ في صورة الصيام فالكيفيات المطلقة مسائل اجتهادية، وهو لـيس محـل بحثنـا، لأن محل بحثنا هو مسألة الاعتناء بمولدهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله، هل ثبت انهُ صلى‌الله‌عليه‌وآله اعتنى أم لم يثبـت؟ و أما كيف اعتنى؟ وكيف اهتم؟ فهـذا أمرٌ مفتـوح للأمـة بحـسب اجتهـادهم ونظرهم وأحوالهم.

ولذلك قال ابن حجر فيما رواهُ عنهُ السيوطي كما مرّ: «وأمـا مـا يعمـل فيـهِ فينبغي أن يُقتصر فيهِ على ما يُفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقـدم مـن الـتلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شئ من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة».

بل إنّ هناك الكثير من الأمور الإجتهادية التي ثبت أصلها وتُركـت كيفيتهـا للأمة وهي عشرات بل مئات المسائل، والإحتفال بالمولد النبوي الشريف منها.

---

۱ . سنن الترمذي، ج۱، ص۳۰۵

۲ . صحيح مسلم، ج۳، ص۸۷



ويأتي في الدرجة الأولى من هذهِ المسائل القرآن الكريم الذي لا يُخالف أحدٌ في فضلهِ وفضل حفظهِ وشرف تعلمهِ وشرف حملته ومُعلميه.

لكن هل هناك كيفية أو طريقة لابد من إتباعها في سبيل نشرهِ وتعليمهِ وحفظهِ يجب علينا أن لا نحيد عنها؟؟

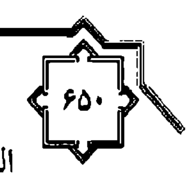
والواقع بين أيدينا ظاهرٌ واضح نرى فيهِ المدارس القرآنية والجمعيات والجوائز والشهادات والندوات والمسابقات القرآنية. ونرى التسجيلات القرآنية على الأشرطة، والأجهزة والآلآت الحديثة والمطابع والمجامع القرآنية والتفنن في إخراج المصاحف فهل هذا كلهُ كان في عهد رسول الله ﷺ؟

ومن المسائل التي أُختلفت كيفيتها ولها أصلٌ في الشرع (أسبوع العناية بالمساجد) فقد خصص إخواننا المعارضون هداهم الله أسبوعاً كاملاً لها من كل عام سمّوهُ بـ(أسبوع المساجد) وهذا شيء جيد لما فيهِ من الإعتناء والإهتمام ببيوت الله سبحانهُ وتعالى، مع العلم أنهُ لم يفعلهُ رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام ولا التابعون ولا حتى تابعو التابعين بهذه الكيفية. وإننا نقول أنهُ لايحقُ لأي إنسان أن يقول إن هذا بدعة ضلالة في النار، بل نقولُ لهُ إنها بدعةٌ حسنة لأن لها أصلاً ثابتاً في الشرع ولكن الكيفية اختلفت، فقد جاء في صحيح مسلم، أن امرأة سوداء كانت تقُم المسجد وتعتني بنظافتهِ، فلما افتقدها ذات يوم النبي عليهِ الصلاة والسلام سأل عنها فقالوا لهُ إنها ماتت فقال: «**أفلا كُنتم آذنتموني**» أي أخبرتموني فقالوا يا رسول الله إنها ماتت بليل فقال عليهِ الصلاة والسلام دُلوني على قبرها فقام عليهِ ـ أي على قبرها ـ وصلى عليها[1].

فأقول لّما كان عمل هذه المرأة ذا شأنٍ عظيم في الإسلام وهو العناية ببيوت الله، نالت هذهِ المنزلةَ العظيمة وهي أن يصلي عليها في قبرها بذاتهِ عليهِ الصلاة والسلام.

---

١ . صحيح مسلم، ج٣، ص٥٦



وهذا يؤكد ما قررة أبو نُعيم حيثُ روى عن إبراهيم الجنيد فقال: سمعتُ الشافعي يقول: البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم.

وقال بما يُقارب ذلك القول الإمام الحافظ النووي في تهذيب الأسماء واللّغات حيثُ قال: «والمحدثات، بفتح الدال جمع مُحدثة، والمراد بها: ما أُحدث وليس لهُ أصل في الشرع.. ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان لهُ أصلٌ يدل عليهِ الشرع فليس ببدعة، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللّغة، فإن كُل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محموداً أو مذموماً». اهـ

فهذا على سبيل الإيجاز لذكر اختلاف الكيفيات لكثير من الأمور التي أُستحدثت والتي لها أصل في الشرع.

رابعاً: إجماع علماء الأمة على استحبابهِ و استحسانهِ

مما لاشك فيهِ أن إجماع الأمة على شيء من الخير واستحبابهِ واستحسانهِ لهو أكبر دليل على جوازهِ أو وجوبهِ بل إن لم يكن على سُنيتهِ فالمولد أمرٌ استحسنهُ الكثير من العلماء والمسلمين في جميع بلاد العالم فهو مطلوبٌ شرعاً للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف [**ما راه المسلمون حسناً فهو عند الله حسناً وما راه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح**].

وقولهِ عليهِ الصلاة والسلام: «**مَن سَنّ في الإسلام سُنّةً حسنة كان لهُ أجرها وأجرُ من عمل بها من بعدهِ من غير أن ينقص من أجورهم شيء**»[1].

وقولهُ تعالى: ﴿**وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[2].

وقولهِ عليهِ الصلاة والسلام: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»[3].

---

١ . صحيح مسلم، ج٣، ص٨٧

٢ . الحج: ٧٧

٣ . مجمع الزوائدج٧، ص٢٢١



أقوال من قال بجواز الإحتفال من العلماء

وإنني أود الآن أن أُتحف القُرّاء بأقوال أئمة الهُدى في جواز الإحتفال بالمولد النبوي الشريف، ونقول للمعترضين هل اجتمعت أُمتهُ عليهِ الصلاة والسلام على ضلالة؟؟ وإليك أقوالهم ﷺ:

أولاً: الإمام الحُجة الحافظ السيوطي.. عقد الإمام الحافظ السيوطي في كتابهِ (الحاوي للفتاوي) باباً سمّاهُ (حُسنُ المقصَدَ في عمل المولد) ص١٨٩، قال في أولهِ: وقع السؤال عن عمل المولد النبوى في شهر ربيع الأول، ما حكمهُ من حيث الشرع؟ وهل هو محمود أم مذموم؟ وهل يثاب فاعلهُ أم لا؟

والجواب عندي (أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن، والأخبار الواردة في بداية أمر النبي ﷺ وما وقع لهُ من الآيات، ثم يُمد لهم سماط يأكلونهُ، وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يُثاب عليها صاحبها لما فيها من تعظيم قدر النبي ﷺ وإظهار الفرح بمولده الشريف) انتهى كلام السيوطي رحمه الله

وقال السيوطي أيضاً في نفس المرجع السابق:

يُستحب لنا إظهار الشكر بمولدهِ ﷺ والإجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات.

ثانياً: أمير المؤمنين في الحديث وإمام الشُرّاح الحافظ ابن حجر العسقلاني.. قال الحافظ السيوطي في نفس المرجع السابق ما نصهُ: «وقد سُئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصهُ: أصل عمل المولد بدعة لم تُنقل عن السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كانت بدعة حسنة، وقد ظهر لي تخريجها على أصلٍ ثابت، وهو ما ثبت في

الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيهِ فرعون، ونجى موسى، فنحنُ نصومهُ شكراً لله، فيُستفادُ منهُ فعل الشكر لله على ما مُنّ بهِ في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفعُ نقمة.. إلى أن قال: وأي نعمةٍ أعظمُ من نعمة بروز هذا النبي ﷺ نبي الرحمة في ذلك اليوم، فهذا ما يتعلق بأصل عملهِ، وأما ما يُعمل فيهِ فينبغي أن يُقتصر فيهِ على ما يُفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة» انتهى كلامه ﷺ.

ثالثاً: الإمام المحدث الحافظ العراقي.. فقد جاء في شرح المواهب اللدنية للزرقاني أنهُ قال: إن اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مُستحب في كل وقت، فكيف إذا انضم إلى ذلك الفرح والسرور بظهور النبي ﷺ في هذا الشهر الشريف، ولا يلزم من كونهِ بدعة أن يكون مكروهاً، فكم من بدعة مستحبة بل قد تكون واجبة. انتهى كلامهُ ﷺ. وقد ألف كاتباً كاملاً في المولد النبوي الشريف سمّاهُ (المورد الهني في المولد السني).

رابعاً: الإمام الحافظ السخاوي جاء في السيرة الحلبية (١/ ٨٣ و ٨٤) أنهُ قال: لم يفعلهُ أحدٌ من السلف في القرون الثلاثة، وإنما حدث بعد، ثم لازال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمُدن يعملون المولد ويتصدقون في لياليهِ بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولدهِ الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كلُ فضلٍ عميم. انتهى كلام الحافظ السخاوي ﷺ. وقد ألف السخاوي رسالةً في المولد النبوي الشريف سمّاها (الفخر العلوي في المولد النبوي).

خامساً: الإمام العلامة ابن عابدين.. فقد قال في شرحهِ على مولد ابن حجر ما نصهُ «اعلم أن من البدع المحمودة عمل المولد الشريف من الشهر الذي ولد



فيه ﷺ. وقال أيضاً: فالاجتماع لسماع قصة صاحب المعجزات عليهِ أفضل الصلوات وأكمل التحيات من أعظم القُربات لما يشتمل عليهِ من المعجزات وكثرة الصلوات».

سادساً: الحافظ ابن حجر الهيثمي.. قال رحمه الله: والحاصل أن البدعة الحسنة متفقٌ على ندبها، وعمل المولد واجتماع الناس لهُ كذلك.

سابعاً: الحافظ ابن الحاج.. فقد قال في المدخل (١/ ٣٦١) فكان يجب أن نزداد يوم الأثنين الثاني عشر في ربيع الأول من العبادات والخير شكراً للمولى على ما أولانا من هذه النعم العظيمة وأعظمها ميلاد المصطفى ﷺ.

ثامناً: شيخُ الإسلام ابن تيمية.. فقد قال في كتابهِ (اقتضاء الصراط المستقيم) طبعة دار الحديث ـ ص٢٦٦ السطر الخامس من الأسفل ما نصه: «وكذلك ما يُحدثهُ بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً لهُ، والله قد يُثيبهم على هذه المحبة والإجتهاد......... إلى أن قال: فإن هذا لم يفعلهُ السلف، مع قيام المقتضى لهُ، وعدم المانع منهُ».

وأقول: أما قولُ ابن تيمية سامحهُ الله وغفر لهُ عندما وضع الإحتمال السابق فقال: «إما مضاهاةٌ للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما...»، فهو قولٌ مردود لقولهِ سبحانهُ وتعالى ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾[1] فقد قال سيدنا رسول الله ﷺ لمن هو أعظم من ابن تيمية رضي الله عنه ألا وهو سيدنا أسامة بن زيد عندما قتل ذلك الرجل كما في صحيح مسلم بعد أن قال: «لا إله الا الله» قال لهُ رسول الله **أقتلتهُ بعد أن قالها يا أسامة**، قال أسامة والله ما قالها يا رسول الله إلا خوفاً من بريق السيف فقال لهُ رسول الله عبارتهُ الشهيرة: «**أفلا شققت عن**

---

١ . مريم: ٧٨

قلبهِ؟»[١] أو كما قال عليهِ الصلاة والسلام.

فهل شق ابن تيمية رحمه الله عن قُلوبهم فعلم أنهم يضاهون النصارى في ميلاد عيسى عليه السلام باحتفالهم بالمولد النبوي الشريف؟؟

وأقول: إن الذي يشفع لابن تيمية مقُولتهُ تلك واحتمالهُ السابق، هو قولهُ في نفس المرجع السابق ما نصهُ: «فتعظيم المولد واتخاذهُ موسماً قد يفعلهُ بعض الناس ويكون لهُ فيهِ أجر عظيم لحُسنِ قصدهِ وتعظيمهِ لرسول الله ﷺ».

وقال ابن تيمية أيضاً في الفتاوى (٢٣/ ١٣٢)

ما نصهُ: «وقد رُوي في الملائكة السيارين الذين يتتبعون مجالس الذكر الحديث المعروف. فلو أن قوماً اجتمعوا بعض الليالي على صلاة تطوع من غير أن يتخذوا ذلك عادةً راتبة تُشبه السنة الراتبة لم يُكره... وكذلك القول في ليلة المولد وغيرها». اهـ

وأقول: إن قول ابن تيمية هذا هو قول من ترك التعصب جانباً وتكلم بما يرضي الله و رسولُه ﷺ. أما نحنُ فلا نفعل المولد إلا كما قال شيخ الإسلام: [«محبة للنبي ﷺ وتعظيما لهُ والله قد يُثيبنا على هذهِ المحبة و الإجتهاد»].

ولله در الإمام البوصيري عندما قال:

دع ما ادعتهُ النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيهِ واحتكم
وانسب إلى ذاتهِ ما شئت من شرفٍ ... وانسب إلى قدرهِ ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس لهُ ... حدٌ فيُعرب عنهُ ناطقٌ بفم

تاسعاً: الحافظ ابن كثير.. صنف الإمام ابن كثير مولداً نبوياً كما ينقل ذلك عنهُ الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابهِ (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة). وقد طُبع أخيراً بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

---

١. صحيح مسلم، ج١، ص٦٧



عاشراً: الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر عبد الله القيسي الدمشقي المعروف بالحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي.

حيثُ ألف كُتباً في المولد الشريف سمّاها: (جامع الآثار في مولد النبي المختار) و (اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق)، وكذلك (مورد الصادي في مولد الهادي) صلوات الله وسلامهُ عليه. وهو القائل في أبي لهب:

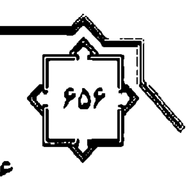
إذا كان هذا كافراً جاء ذمّهُ — بتبت يداه في الجحيم مُخلّدا
أتى أنهُ في يوم الإثنين دائماً — يُخففُ عنهُ للسرورِ بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي طول عمرهِ — بأحمد مسروراً ومات مُوحّدا

الحادي عشر: الإمام المُحدّث الحافظ الفقيه مُلا علي قاري.. فقد ألف كتاباً في المولد النبوي العطر سمّاهُ: (المورد الروي في المولد النبوي).

الثاني عشر: الإمام العالم ابن دحية.. وسمى كتابهُ: (التنوير في مولد البشير النذير) ﷺ.

الثالث عشر: شيخ الإسلام وإمام القراءآت في عصرهِ الحافظ المُحدّث الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الله الجزري.. إمام القُرّاء وصاحب التصانيف التي منها: (النشر في القراءآت العشر)، وسمى كتابهُ: (عُرف التعريف بالمولد الشريف).

فقد قال في كتابهِ عُرف التعريف بالمولد الشريف بعد ذكره قصة أبي لهب مع ثويبة ما نصهُ: «فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمهِ جوزي في النار بفرحهِ بمولد النبي ﷺ فما حالُ المسلم الموحد في أمة النبي، يُسرُ بمولدهِ، ويبذل ما تصل اليهِ قدرتهِ في محبتهِ ﷺ لَعُمري إنما يكون جزاؤهُ من الله أن يُدخلهُ بفضلهِ جنات النعيم». انتهى كلامهُ رحمه الله. ونقل أيضاً هذا القولَ عنهُ القسطلاني في المواهب اللدنية (١/ ١٤٧).



الرابع عشر: الإمام الحافظ ابن الجوزي.. فقد نقل صاحب السيرة الحلبية عن ابن الجوزي أنهُ قال عن المولد الشريف أنهُ (أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البُغية والمرام) اهـ

الخامس عشر: الإمام عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي المعروف بأبي شامة (وهو شيخ الإمام الحافظ النووي). فقد أثنى في كتابهِ (الباعث على إنكار البدع والحوادث ص١٣) على الملك المظفر، بما كان يفعلهُ من الخيرات ليلة المولد الشريف ثم قال ما نصهُ: «ومِن أحسن ما أُبتدِعَ في زماننا ما يُفعل كل عام في اليوم الموافق لمولده ﷺ من الصدقات، والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مُشعرٌ بمحبته ﷺ وتعظيمهُ في قلب فاعل ذلك وشكراً لله تعالى على ما منَّ بهِ من إيجاد رسولهِ الذي أرسلهُ رحمةً للعالمين» اهـ

السادس عشر: الإمام الشهاب القسطلاني (شارح البخاري)

حيث قال في كتابهِ: (المواهب اللدنية ١/ ١٤٨ طبعة المكتب الإسلامي) ما نصه: «فرحِم الله امرءًا اتخذ ليالي شهر مولدهِ المبارك أعيادا، ليكون أشد علةً على من في قلبهِ مرضٌ وإعياء داء» اهـ

السابع عشر: القاضي أحمد بن محمد العزفي.. وهو من تلاميذ القاضي أبي بكر بن العربي الفقيه المالكي شارح الترمذي وقد ألف مولداً سمّاهُ (الدر المنّظم بمولد النبي الأعظم) ومات قبل إكمالهِ فأكملهُ ولده القاضي محمد.

الثامن عشر: الشيخ ابن عباد القدوري. وهومن مشايخ الشيخ زروق وقد وردت فتواه بجواز الإحتفال بالمولد في (رسائلهِ الكبرى)

التاسع عشر: الإمام الحافظ المناوي.. شارح الجامع الصغير وصاحب كتاب الترغيب والترهيب لهُ مؤلف في المولد أُشتُهر بـ(مولد المناوي) في ثمانين صفحة طُبعت سنة ١٣٧٧



العشرون: العلامة ابو الوفاء الحُسيني.. والذي ألف رسالةً في المولد الشريف سمّاها (مولد البشير النذير السراج المنير) طبع عام ١٣٠٧هـ.

الواحد والعشرون: الشيخ العلامة عطية إبراهيم الشيباني الزبيدي.. وسمى كتابهُ (مولد المصطفى العدناني).

الثاني والعشرون: الإمام عبد الغني النابلسي.. وسمى كتابهُ (العلم الأحمدي في المولد المحمدي).

الثالث والعشرون: السيد العلامة جعفر البرزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة، وسمى كتابهُ (عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر).

الرابع والعشرون: العلامة الفقيه السيد علي زين العابدين السمهودي الحسني مؤرخ المدينة المنورة وسمى كتابهُ (الموارد الهنية في مولد خير البرية).

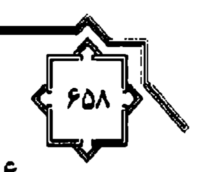
الخامس والعشرون: العلامة الحُجة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي مفتى الشافعية بمكة المكرمة وسمى كتابهُ (إتمام النعمة على العالم بمولد سيد ولد آدم).

السادس والعشرون: الإمام ابراهيم الباجوري لهُ حاشية على مولد ابن حجر وسمى كتابهُ (تحفة البشر على مولد ابن حجر).

السابع والعشرون: الإمام الحافظ الشريف محمد بن جعفر الكتاني الحسني وسمى كتابهُ (اليُمن والإسعاد بمولد خير العباد) من ٦٤ صفحة

الثامن والعشرون: الشيخ علي سليم الطنطاوي وسمى كتابهُ (نور الصفاء في مولد المصطفى).

التاسع والعشرون: الشيخ محمد المغربي دفين اللاذقية وسمى كتابهُ (التجليات الحفية في مولد خير البرية).



الثلاثون: العلامة المُفسر الكبير محمد متولي الشعراوي ﷺ.. فقال في كتابهِ على مائدة الفكر الإسلامي ص٢٩٥ «وإكراماً لهذا المولد الكريم، فإنهُ يحق لنا أن نُظهر معالم الفرح والإبتهاج بهذهِ الذكرى الحبيبة لقلوبنا كل عام، وذلك بالإحتفال بها من وقتها»اهـ

وقال ايضاً في نفس الصفحة إذا كان بنو البشر فرحون بمجيئه لهذا العالم، وكذلك المخلوقات الجامدة فرحة لمولده وكل النباتات فرحة لمولده وكل الحيوانات فرحة لمولده وكل الجن فرحة لمولده، فلماذا تمنعونا من الفرح بمولده؟.

وكذلك ممن ألّف وتكلم في المولد: **الإمام تقي الدين علي ابن عبد الكافي السبكي** صاحب طبقات الشافعية **والشيخ محمد البناني والشيخ الدرديري** في الشرح الكبير والشيخ **الدسوقي** في حاشيتهِ على الشرح الكبير، والشيخ **محمد أحمد عليش المالكي** في شرحهِ على مختصر خليل والشيخ **الصاوي** في حاشيته على الشرح الصغير.. وغيرهم الكثير والكثير ممن لا يتسع المجال لإستقصائهم. ونكتفي على ماذكرنا هنا على أن الفاضل المُنصف يكفيهِ ذلك، والجاهل المتعسف لاينفعهُ شيء وإن طولنا هنالك؛ حيث أن الذين ذكرناهم هم أئمة الإسلام وعُمد الأنام الذين يُرجع إلى أقوالهم في المهمات.

فبالله عليك أخي القارئ.. هل كل هذا الكم الهائل من علماء الأمة وفضلائها والذين يقولون بجواز عمل المولد، وألفوا فيهِ المؤلفات والكتب شعراً ونثراً هم من الزنادقة أحفاد عبد الله بن سبأ اليهودي؟ وهل هؤلاء العلماء والذين (يُدين) لهم العالم بأجمعهِ على ما صنفوهُ من الكتب النافعة في الحديث والفقه والشروحات والتفاسير وغيرها من العلوم هم من الفجار مُرتكبي الفواحش والموبقات؟ كما هي دعوى المعارض هداهُ الله وغفر لهُ فيمن يعملون



المولد وهل هم كما يزعم المعارض، يشابهون النصارى في احتفالهم بميلاد عيسى عليه السلام؟ وهل هم يقولون بأن المصطفى ﷺ لم يُبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به ؟؟؟؟؟؟؟؟

إنني أترك لك، أخي القارئ الإجابةَ على هذه التساؤلات!! وأقول سبحانك هذا بهتانٌ عظيم.

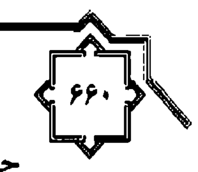
وعلى الرغم من كل ذلك أخي المسلم تجد هؤلاء المعارضين لا يُقيمون أي وزن بل أي اعتبار لأقوال هؤلاء العُمد من الأئمة الأعلام الذين ذكرتهم، متى ما خالفوهم في الرأي، ويقولون هُم بشر يُصيبون ويخطؤون، ونحنُ لانأخذ ديننا بالعاطفة بل مِن (قال الله وقال الرسول).

أقول: هل يُعقل أخي ـ بارك الله فيك ـ أن كُل هؤلاء العلماء الجهابذه اجتمعوا على خطأ واحد في مسألة واحدة؟ وهل هم قالوا بغير ما قال الله وقال رسولهُ؟ بل إننا نجد هؤلاء المُعارضين يتطاولون في الردود على هؤلاء العلماء برواية هي في الحقيقة كلمةُ حقٍ أُريد بها باطل كما بينتُ لك سابقاً وهي مقُولة مالك «كُلٌ يُؤخذُ من قولِه ويُرد» وذلك من أجل أن يردوا ويضربوا بكلام واستنباطات أئمة الإسلام وعلماء الأمة الذي لايوافق هواهم عرض الحائط!

وأقول لهم: نعم كلٌ يُؤخد من قولِه ويُرد... ولكن اعلم أخي القارئ ـ حفظك الله ـ أن أقوال هؤلاء المعارضين وآرائهم وآراء من يُقدسونهم من العلماء واجبٌ على كُل مُسلم الأخذ بها ولا يحقُ لأي كائن من كان أن يرد ولو على حرفٍ واحدٍ منها وكأنها آيات منزّلة أو أقوال المعصوم ﷺ وهذا إن دل فإنما يدل على الكبر الذي قال صاحبهُ كما في قولِه تعالى: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[1]. فافهم هداك الله!!

---

١ . غافر: ٢٩



وكفانا نحنُ قولُ الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود «ما رآهُ المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآهُ سيئاً فهو عند الله سيئ».

* * *

دعاوى مُغرضة

إدعى المعارضون ـ هداهم الله ـ زوراً وبهتاناً أن أكثر من يُحيي هذه الموالد هم من الفسقة والفجار، فنقول: إن هذا كلامٌ ساقط إن دل فإنما يدلُ على معدن قائلهِ وقلة أدبهِ مع العلماء، وهو غيضٌ من فيض، وليس لنا من جوابٍ عليهِ إلا قول المولى عز وجل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

فهل علم هؤلاء المتطاولون يقيناً بما يقولون؟ أم أنهُ نُقل إليهم هذا القول؟؟ فحسبهمُ قول المولى سبحانهُ وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[2].

وهل كُل من ذكرناهم من الإئمة الأعلام والذين يقولون بجواز عمل المولد في نظر المعارضين هم من الفسقة والفجار؟!

أخشى أن يقولوا بذلك!!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾[3]. بل إن هذا القول الجريء هو قذف لعموم الأمة يوجب حد التعزير على قائلهِ، و نقول كما قال القائل:

إذا أراد الله نشر فضيلةٌ   طويت أتاح لها لسان حسودِ

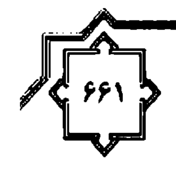
* * *

---

١ . البقره: ١١١

٢ . الحجرات: ٦

٣ . الكهف: ٥



اشكالات عند المعارضين

أولاً: إستشكل المعارضون ـ هداهم الله ـ بعض الألفاظ وادعوا أنها شركيات، ومنها قول العارف بالله الإمام البوصيري رحمه الله:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ بهِ سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهُك بي إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فصاحوا بأعلى أصواتهم مزمجرين قائلين: إذاً أين الله؟؟؟

أقول إن الهوى قد يُعمي صاحبَهُ عن رؤية الحق إذا تمكن منهُ ولله در الإمام البوصيري من أنكروا عليهِ هذه الأبيات وكأنهُ يعلم أنهُ سيأتي فيها بعد من يُنكر عليهِ لا عن علم وإنها عن هوىً وجهل فقال: «إن الهوى ما تولّى يُصمِ أو يصِمِ».

أقول ماذا قال البوصيري حتى يُشنَّع عليهِ هذا التشنيع؟ هل قال «يا أكرمُ خالق»؟ أم أنهُ قال «يا أكرم الخلق»؟ فقولهُ يا أكرم الخلق إقرار منهُ بأنهُ مخلوق وإن لهُ خالق هو المولى سبحانهُ وتعالى.

وهل قال «ولن يضيق الله»؟ أم أنهُ قال «ولن يضيق رسول الله»؟ فقولهُ أيضاً رسول الله أي أنهُ مُرسلٌ من عند الله.

ولا ندري كيف حصل لديهم هذا الإشكال والذي لا يخفى على أدنى طويلبِ علم يفقهُ اللّغة العربية فضلاً عن من يدعي العلم والإجتهاد، ولا أدري كيف لم يتمعنوا في قول الإمام البوصيري: «عند حلول الحادث العمم» وبدورنا نحنُ نسأل القارئ ونقول لهُ ما هو الحادث العمم؟!

أو بشكلٍ آخر: ما هو الحادث الذي يعمُّ الكونَ بأسرهِ من أنس وجن بل وجميع الخلائق، فلن يخطر ببال أي إنسان إلا أن يكون هذا الحدث هو يوم القيامة، وبعد إيضاح هذا الإشكال لدى المعارضين والقارئ يكون المراد من

قول الإمام البوصيري هو: طلب الشفاعة منه ﷺ يوم القيامة وذلك لأنهُ ليس لنا أحدٌ نلوذ بهِ ونتوسل بهِ ونستشفع بهِ إلى الله سوى خير البرية عليه الصلاة والسلام في ذلك المقام وذلك اليوم الذي يقول فيهِ الرُسل والأنبياء: نفسي نفسي، ويقول هو عليهِ الصلاة والسلام: أنا لها أنا لها، والذي يؤكد أيضاً أن المراد من قول البوصيري هو طلب الشفاعة، قولهُ «إذا الكريمُ تجلّى باسم منتقمِ» أقول متى يتجلى المولى سبحانهُ وتعالى باسم المنتقم والجبار والقهار؟ أليس في يوم القيامة؟ وبهذا يظهر أن ما استشكلهُ المعارضون مردود عليهم ودالٌّ على جهلهم باللّغة العربية أو ربما يكون ذلك بسبب عمى البصر والبصيرة التي تُعمي صاحبها عن رؤية الحق، نسأل الله العافية لهم من ذلك.

بل إنّ البوصيري ؒ قال بعد ذكر هذا البيت بعدة أبيات:

فمبلغُ العلمُ فيهِ أنهُ بشرٌ وأنهُ خيرُ خلق الله كلّهم

ولا ندري ماذا سيقول المعارضون في مقولة سيدنا حسان بن ثابت كما جاء في أسد الغابة عندما قال:

يا رُكن مُعتمِد وعِصمةَ لائذٍ وملاذَ مُنتجع وجار مُجاورِ

ومثالٌ آخر لمثل هذا القول المُشكل عند العامةِ من الناس، ما نقلهُ الإمام الجليل الكمال بن الهمام الحنفي صاحب فتح القدير في مناسك الفارسي، وشرح المختار من السادة الأحناف. إنهُ قال لما زار الإمام أبو حنيفة المدينة وقف أمام القبر الشريف وقال:

يا أكرم الثقلين ياكنز الورى جُد لي بجودك وارضني برضاك

أنا طامعٌ في الجودِ منك ولم يكن لأبي حنيفة في الأنام سواك

* * *



وأما استشكال المعارضين قول البوصيري: «ومن علومك علم اللوح والقلم» والذي استعظمهُ واستنكرهُ وشنع عليه أحد المتعالمين قائلاً: [(ومن) هذه للتبعيض ولا أدري ماذا يبقى لله تعالى من العلم إذا خاطبنا الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الخطاب ما بقي لله شئٌ من الممكن لا في الدنيا ولا في الآخرة]. اهـ كلام المتعالم.

نستغفر الله من هذا التصور الخطير الذي يمس العقيدة لأن الله تعالى لا يُحدُ علمُهُ ولا يُحاطُ بهِ، ولا أدري كيف يتصور عاقل فطِن أن اللوح والقلم، وهما مخلوقان من خلق الله يستوعبان كلَ علمِ الله تعالى، فيُحصر بهذا التصور العلم والقدرة الإلهيان فيهما.

وقبل أن أخوض في الرد التفصيلي على تلك الشبهات والإثارات نتساءل: ـ

هل علم الله تعالى محدود؟ هل جودهِ وكرمهُ محدودان؟ هل كُل ما في اللوح المحفوظ هو كُل مافي علم الله تعالى؟

وهنا يتبادر إلى عقل المسلم السؤال التالي:

إن كان علم الله كُلهُ محصور باللوح والقلم كما هي دعوى المعترض فأين كان علم الله قبل خلقهما؟ وهل الله سبحانهُ وتعالى لم يكن يعلم شيء قبل خلقهما؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا. فهو سبحانهُ وتعالى لا يُوصف بأين ولا يُنعت بكيف. ثم ألم يتفطن إلى أن حصر العلم في المتناهي من صفات علم المخلوقين وهذا تشبيه للباري بخلقهِ؟ وهو يعلم خطورة التشبيه في العقيدة الإسلامية وموقف علماء الإسلام من المشبهة.

تساؤلات يجب على كل منصف الأجابة عليها. وإنني لا أريد من القارئ المنصف إلا التمعن في هذه الأحاديث: ـ



١) فقد جاء في الحديث [إن أول ما خلق الله القلم فقال لهُ: أُكتب فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة][1].

٢) جاء في الصحيحين واللفظ لمسلم عن أنس ﷺ أن الناس سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال: [سلوني، لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم، فلما سمع القوم أرموا ورهبوا أن يكون بين يدي أمر قد حضر، قال أنس: فجعلت ألتفت يميناً وشمالاً فإذا كل رجل لافٌ رأسه في ثوبه يبكي، فأنشأ رجل من المسجد، كان يلاحى فيُدعى لغير أبيه، فقال: يا نبي الله من أبي؟ قال: أبوك حذافة ثم أنشأ عمر بن الخطاب ﷺ فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، عائذاً بالله من سوء الفتن ثم قال ﷺ: «**لم أر كاليوم قط في الخير والشر، إني صورت لي الجنة والنار فرأيتهما دون هذا الحائط**».][2]

٣) وروى أبو داود عن حذيفة ﷺ قال:[والله ما أدري أنسيَ أصحابي أم تناسوا، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معهُ ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا بإسمهِ واسم أبيهِ واسم قبيلته][3]

وفي حديث اختصام الملأ الأعلى المذكور آنفاً والذي خرّجهُ الإمام أحمد في مسندهِ[4] والدارمي[5] والترمذي[6] والطبراني[7] ـ ومما جاء فيه... فعلمتُ ما في

---

١ . سنن ابي داود، ج٢، ص٤١٣
٢ . صحيح مسلم، ج٧، ص٩٤
٣ . سنن ابي داود، ج٢، ص٣٠٠
٤ . مسند احمد، ج١، ص٣٦٨
٥ . سنن الدارمي، ج٢، ص١٢٦
٦ . سنن الترمذي، ج٥، ص٤٥
٧ . مسند الشاميين، ج١، ص٣٤٠



السمواتِ والأرض وتلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[١] وفي رواية: فتجلى لي كُل شيء وعرفت[٢]، وفي رواية الطبراني: فعلمني كُل شيء... إلخ.

ومن الواضح أن الله سبحانه وتعالى أفاض على نبيهِ ﷺ من العلوم والمعارف مالا يعلمهُ إلا الله تعالى القائل لهُ: ﴿وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[٣]. وما في الآية يدل على العموم والشمول، أي لتعم جميع العلوم التي علمها الله تعالى لرُسلهِ وأنبيائهِ صلوات الله وسلامهُ عليهم، ولتشمل غيرها من العلوم التي أفاضها الله سبحانه وتعالى عليهِ ﷺ.

فلقد روى البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظهُ ونسيهُ من نسيهُ[٤].

فما هو وجه الإشكال إن قال قائل: إن الله علّمهُ ﷺ علمَ اللوح والقلم. ألست ترى النص النبوي الشريف يقول لك: فعلمني كُل شيء، أو فتجلى لي كُل شيء وعرفت. الخ. وأليس اللوح والقلم شيئين من هذه الأشياء؟ يا سبحان الله كم من عقول تبادر إلى إنكار مالا تعرف فتقع في محاذير؟!

كان من الأولى لها أن تصون نفوسها عنها، ثم أليس معرفة الجنة والنار والإخبار عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة الجنة... الخ مما يزيد عما في اللوح

---

١ . الانعام: ٧٥

٢ . المعجم الكبير، ج٢٠، ص١٠٩

٣ . النساء: ١١٣

٤ . صحيح البخارى، ج٤، ص٧٣

والقلم؟، الذي لم يكتب إلا ما سيكون إلى يوم القيامة، أما ما بعد يوم القيامة فإن العلم بهِ علمٌ بما ليس في اللوح والقلم....

وما أجمل ما قالهُ محمد بن علاّن في شرح البردة حيثُ قال: ـ

والخمسُ التي استأثر الله تعالى بعلمها ليست بمكتوبة في اللوح المحفوظ إذ لو كان ما كُتب فيهِ لاطلع عليها بعضُ الملائكة الذين هُم من شأنهم الاطلاع عليها على ما فيه. وقد جاء في وصفهن «لا يعلمهن إلا الله» فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: [أوتيت مفاتيح كُل شيء إلا الخمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير][1] وحينئذٍ فلا يُشكل على قول الناظم ومن علومك علم اللوح. اهـ كلامهُ رحمه الله

وهذا يصطدم مع قول المتحذلق [ولا أدري ماذا يبقى لله تعالى من العلم إذا خاطبنا الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الخطاب ما بقي لله شئٌ من الممكن لا في الدنيا ولا في الآخرة].

وأقول: هل الملائكة المُطّلعون على مافي اللوح هم أعلى منزلةً وقدراً من خير خلق الله ﷺ؟

فإذا كان شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله والذي ليس ثم مُقارنة بينهُ وبين صحابة رسول الله فضلاً عن سيدنا رسول الله ﷺ قد اكرمهُ المولى بمثل هذا المقام من النظر الى اللوح المحفوظ كما يرويهُ عنهُ تلميذهُ ابن القيم كما في مدارج السالكين ج٢ ص٤٨٩ حيثُ قال: [لقد شاهدتُ من فراسة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله أموراً عجيبة ومالم أشاهدهُ منها أعظم وأعظم ووقائع فراستهُ تستدعي سفراً ضخماً، أخبر أصحابهُ بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين

---

١ . مسند احمد، ج٢، ص٨٦



وستمائة وأن جيوش المسلمين تُكسر وأن دمشق لايكون بها قتل عام ولا سبي عام وأن كلب الجيش وحدتهُ في الأموال وهذا قبل ان يهم التتار بالحركة ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين وأقسم على ذلك اكثر من سبعين يميناً فيُقال لهُ قُل إن شاء الله فيقول إن شاء الله تحقيقاً لاتعليقاً وسمعتهُ يقول ذلك، فلما أكثروا علي قُلتُ لاتُكثروا كتب اللهُ في اللوح المحفوظ أنهم سيهزمون في هذهِ الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام، قال واُطعمتُ بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم الى لقاء العدو وكانت فراستهُ الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر]. اهـ كلام ابن القيم

أقول: هب فرضاً أن ما كُتب في اللوح يشمل ما سيأتي بعد يوم القيامة وهو إحتمالٌ فرضي لمخالفتهُ لصريح الحديث، ألا يدخل علم ما كتب فيهِ في قولَه ﷺ: [فتجلى لي كل شيء، وعلمت ما في السموات والأرض... الخ.]

فغدا من الجلي الواضح أن ما أعطاهُ الله لرسولهِ ﷺ من العلوم يفوقُ ما كُتب في اللوح مما خطهُ القلم.

ثانياً: يستشكل الكثير من المعارضين ـ هداهم الله قضيةَ القيام في المولد عندما يصلُ القارئ إلى ذكر ولادتهِ عليهِ الصلاةُ والسلام وهي أكثر ما يستشكلهُ العامة من الناس عند حضور المولد الشريف.

أقول: يظن بعض الناس ممن لا يُجيز الاحتفال ظناً باطلاً لا أصل لهُ عند أهل العلم فيما نعلم، بل عند أجهل الناس ممن يحضر المولد ويقوم مع القائمين عند ذكر ولادتهِ، وذلك الظن السئ هو أن الناس يقومون معتقدين أن النبي ﷺ يدخل إلى المجلس في تلك اللحظة بجسده الشريف، ويزيد سوء الظن ببعضهم فيرى أن البخور والطيب لهُ، وكل هذهِ الظنون لاتخطر ببال عاقل من المسلمين،

وأننا نبرأ إلى الله من كُل ذلك لما في ذلك من الجراءة على مقام رسول الله ﷺ والحُكمُ على جسدِهِ الشريف بما لا يعتقدهُ إلا ضالٌ مُفترٍ، وأمور البرزخ لا يعلمها إلا الله سبحانهُ وتعالى، والنبي ﷺ أعلى من ذلك وأكمل وأجل من أن يُقال في حقهِ أنهُ يخرج من قبره ويحضر بجسدهِ في مجلس كذا وكذا... في ساعة كذا و كذا.

أقول: هذا افتراء محض وفيهِ من الجهالةِ والجراءة والقباحة وسوء الأدب مع رسول الله ما لا يصدر إلا من مُبغضٍ حاقدٍ أو جاهلٍ مُعاند ليس لهُ غرضٌ إلا التشويش، فحسبهُ الله ونعم الوكيل (وعند الله تجتمعُ الخصومُ).

نعم؛ إننا نعتقد أنه ﷺ حيٌّ حياةً برزخية كاملة لائقة بمقامهِ، وبمقتضى تلك الحياة الكاملة العُليا تكون روحهُ جوالةً سيّاحة في ملكوت الله سبحانهُ وتعالى، ولا يمتنع عليها أن تحضر مجالس الخير ومشاهد النور والعلم، وكذا أرواح خُلّص المؤمنين من أتباعهِ.

وقد قال مالك: بلغني أن الروح مُرسلة تذهب حيثُ شاءت.

وقال سلمان الفارسي: أرواح المؤمنين في برزخٍ من الأرض تذهبُ حيثُ شاءت (كذا في الروح لإبن القيم ص١٤٤) بل أن المعاند المتطاول بغير علم لو أنهُ تصفح كتاب الروح لإبن القيم في باب انطلاق الروح لوجد فيهِ العجب العُجاب.

بل إن الأعجب من ذلك ما ذكرهُ الحافظ الذهبي في سير أعلام النُبلاء عند ترجمة سيدنا جعفر بن أبي طالب (**جعفر الطيار**). قال الذهبي: [حدثنا سعدان بن الوليد، عن عطاء، عن ابن عباس بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنتُ عُميس قريبتهُ إذ قال ﷺ: **«يا أسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مرّ، فأخبرني أنهُ لقي المشركين يوم كذا وكذا فسلّم، فرُدي عليه السلام، وقال إنهُ لقي**



المشركين، فأصابهُ في مقادميه ثلاث وسبعون، فأخذ اللواء بيده اليمنى فقطعت ثم أخذهُ باليسرى فقطعت قال فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنة آكل من ثمارها»][1]. انتهى كلام الذهبي

قال أهل المعرفةِ بالله: لما كانت روح سيدنا جعفر وهو شهيد من أعظم الشهداء قد أعطاها الله حُرية الإنطلاق فذهبت إلى الأماكن التي فيها من تُحبهم وتستأنس بهم كسيدنا رسول الله وزوجتهُ أسماء بنتُ عُميس، فمن بابِ أولى أن تُعطى هذهِ المزية لسيدنا رسول الله والذي هو أفضل من سيدنا جعفر بلا شكٍ ولا ريب، بل هو ﷺ صاحبُ الفضل بعد الله عليهِ في أن ينال جعفر هذهِ المنزلة العظيمة.

وما أجمل ما نقلهُ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي في سيرته (١/ ٨٣ ـ ٨٤) فيما يرويهِ عن الإمام تقي الدين السُبكي حيثُ قال: [حكى بعَضهم أن الإمام السُبكي اجتمع عندهُ كثير من علماء عصرهِ فأنشد منشدٌ قول الإمام الصرصري في مدحهِ ﷺ يقول فيها:

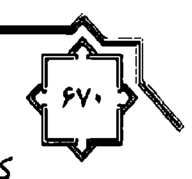
قليلٌ لمدح المصطفى الخطُ بالذهب ... على ورقٍ من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعهِ ... قياماً صفوفاً أو جُثياً على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكي وقام جميع من بالمجلس فحصل أنس كبير في ذلك المجلس]. انتهى من السيرة الحلبية.

فإذا علمت هذا فاعلم أن القيام في المولد أولاً ليس بواجب ولا سُنة وإنما هو حركة يُعبّر بها الناس عن فرحهم وسرورهم، فإذا جاء الفصلُ الذي فيه ذكرِ أنهُ ﷺ ولد وخرج إلى الدنيا يتصور السامع في تلك اللحظة أن الكون كُلّهُ يهتز فرحاً وسروراً بهذهِ النعمة فيقوم مُظهراً لذلك الفرح والسرور ببروزهِ عليهِ الصلاة والسلام.

---

١ . سير اعلام النبلاء، ج١، ص٢١١



فهي مسألة إجتهادية محضة لا دينية، وإنما ليست عبادة ولا شريعة ولا سنة كما يفتري البعض، وما هي إلا أن جرت عادة الناس بها فجعلوها من باب التعظيم لهُ ﷺ عند ذكر ولادتِهِ.

* * *

ثالثاً: الغلو في مدح النبي عليه الصلاة والسلام

أقول وقبل أن أشرع في الإيضاح أُريد ممن يستطيع أن يأتينا بمدحٍ أرقى وأجلُ وأسمى وأعظم من قولهِ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] فليأتنا.

فإن استطاع أن يأتينا فنحن على استعداد بأن نقول لهُ قف ولا تتجاوز فإنك غلوت في مدحهِ عليهِ الصلاة والسلام. وصدق القائل:

يقولون هلا ابتهجت بمدحهِ ... فإنك ذو فَهم كفهم الأوائل
أقولُ لهم وهل بعد مِدحتِ ربنا ... وخدمة جبريل مقالٌ لقائل

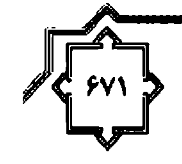
بل وأجلُ من ذلك كلهِ قولُ شاعر النبي ﷺ حسان بن ثابت:

وأحسنُ منك لم ترَ قطُ عينٌ ... وأجمل منك لم تلدِ النساءُ
خُلقت مُبرأً من كل عيبٍ ... كأنك قد خُلقت كما تشاءُ

نعم إن كل متنطع جاهل لايعلم قدر رسول الله فإنهُ يستكثر مدح المادحين لهُ عليه الصلاة والسلام، ويرى أنهم قد تجاوزوا مدح مولاهُ سبحانهُ لهُ في مئات الآيات القرآنية، ولا يقول بذلك إلا من لا يعرف قدر نبيهُ محمد ﷺ والذى لم يخاطبهُ مولاه قط قط قط في آيةٍ واحدة باسمهِ الـمُجرّد، بل كان يخاطبهُ بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ أو ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾.

---

١ . القلم: ٤



بل حتى في عتابهِ لهُ ﷺ كان مولاهُ سبحانهُ وتعالى يُقدم لـهُ العفـو فيقـول: ﴿عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[1].

وما أجمل ما قالهُ البوصيري رحمه الله:

وانسب إلى ذاتهِ ما شئت من شرف　　　وانسب إلى قدرهِ ما شئت من عظم
فـإن فـضل رسـول الله لـيس لـهُ　　　حـدٌ فيُعـربَ عنـهُ نـاطقٌ بفـم

فهذهِ الأبيات ـ والله ـ إنها لكافية لدحض كل جاهل متطاول يـشمئز عنـدما يسمع مدح المادحين لهُ عليهِ الصلاة والسلام، بل ولكـلِ مـن يقـول للمادحـين: [كفوا عن مدح النبي لأنه قال عليهِ الصلاة والسلام: «**لا تطـروني كـما أطـرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسولهُ**»[2]].

أقول: ليت هذا الجاهل سكت حتى لا ينكشف جهلهُ المُخزي أمام الناس لأنني سوف أُعيد طرح السؤال عليهِ قائلاً لهُ كيف أطرت النصارى عيسى بـن مريم عليه السلام ؟؟ ألم يجعلوهُ إلهاً وعبدوهُ من دون الله؟؟

فهل يوجد يا أمة التوحيد من يقول من أمة محمدٍ ﷺ أن محمـداً هـو إلـهٌ أو عَبَدهُ من دون الله؟ إننا نتحدى من يثبت ذلك.

وأقول: إن المراد من قول الرسول عليهِ الـصلاة والـسلام: «**لا تطـروني كـما أطـرت النـصارى عيـسى**» أي لا تـألهونني وتعبـدونني كـما فعلـت النـصارى بعيسى عليه السلام، ولذلك أتبع عليهِ الصلاة والسلام عبارتَـهُ تلـك بقولـهِ: «**ولكـن قولوا عبد الله ورسولهُ**».

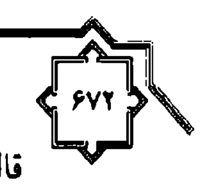
ومن أجل ذلك قال البوصيري:

دع مـا ادعتـه النـصارى في نبـيهم　　　واحكم بما شئت مدحاً فيهِ واحتكم

---

١ . التوبه: ٤٣

٢ . صحيح البخاري، ج٤، ص١٤٢، مع اختلاف يسير



أي قُل ماشئت من المدح فيهِ مُحتكماً للضوابط الشرعية واحذر أن تقول فيهِ ما قالهُ النصارى في عيسى عليه السلام.

وقال أيضاً:

فمبلغُ العلم فيهِ أنهُ بشرٌ وأنهُ خيرُ خلق الله كلّهم

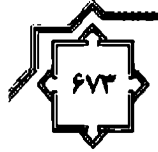
* * *

نوايا سيئة

يقول المعارضون: إنه يحصل في المولد إختلاط الرجال بالنساء، واستعمال الأغاني والمعازف وشرب المسكرات وقد كذبوا والله.

حضرنا مئات الموالد فلم نر اختلاطاً ولم نسمع معازف، أما شُرب المسكراتِ فنعم شربنا سُكراً ولكن ليس كسكرِ أهل الدنيا، شربنا سُكر المحبة لرسول الله ﷺ، ذلك السُكر الذي يغلب حتى على سكرات الموت، كما حصل لسيدنا بلال عندما حضرتهُ المنية فامتزجت حلاوة المحبة لرسول الله ﷺ مع سكرات الموت حتى غلبت عليها سكرات المحبة، فكانت زوجته تقول واكرباه واكرباه وكان يقول وهو في تلك السكرات بل واطرباه واطرباه «غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبَه».

ثم إنني لا أريد أن أغادر هذه النقطة قبل أن أُدلي بشهادة حق وهي: أن الكثرة الكاثرة ممن يحتفل بالمولد هم على النقيض تماماً مما افتراهُ المفترون وتشدق بهِ المتشدقون، وإن لم يكن كلامهم هذا كذباً وافتراءً، كيف سيثبتون أن احتفالات الموالد فيها اختلاط الرجال بالنساء، واستعمال الأغاني والمعازف وشُرب المسكرات، والنظر إلى المردان، والغلو في الأولياء، وحصول الكثير من المنكرات ووووووو الخ.



أقول: لا أدري كيف سيثبتون أن ذلك يحصل في بلد الحرمين الشريفين، وهذه مراكز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مُنتشرة - بفضل الله - في طول البلد وعرضها، ومع ذلك لم يشهدوا على مر السنين ولو لمرة واحدة أن هذهِ الإحتفالات فيها ما ذكروهُ من اختلاط وشرب وعزف وغناء وفساد. هذا أمر واضح لاينكرهُ إلا أعمى أو متعامي.

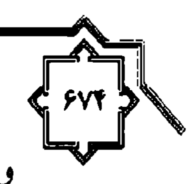
فإذا قال الـمُتجني: لكن ذلك إنما يحصل في بعض البلدان الخارجية! قلتُ لهُ: **إذاً لماذا عممت؟** وكان الصواب والأجدر بك أن تقول أنهُ يقع في بعض البلدان كذا وكذا، إن كنت قد تبينت أن الذي نقل إليك الخبر ليس بفاسق، أو كنت قد شاهدت ذلك بعيني رأسك، ومع ذلك لو أنك أنصفت لقلتَ إنهُ يقع في بعض البلدان من الجهلة الغوغاء وعامة السفهاء، الذين لاوزن لهم ولا قيمة لهم في ميزان الحق ولا اعتبار بهم في دليل ولا تعليل.

فإذا علمت هذا أيها الأخ الكريم فاعلم أن التعميم في مثل هذهِ الحالة مسلك ذميم، في مناهج العلم والعلماء والمتعلمين، وما زال العلماء يوبخون تلاميذهم على التعميم.

فلو سلمنا لمثل هذا المعمم قولهُ، لأبطلنا الكثير من أمور الشرع التي حث عليها وندب إليها.

فإن في كثير من البلدان الإسلامية يحصل الإختلاط بين الرجال والنساء في مناسبات الزواج والعيدين والكثير من الأمور التي ندب إليها الشرع، فهل يقول هذا الُمعمم يجب أن تُعطل هذهِ السنن النبوية وتُترك لما ترتب عليها من أمور تتنافى مع الشرع كالإختلاط، أم أنهُ يذمُ المنكر الذي طرأ عليها مع بقاء الأصل؟.

* * *



ومن الجهل المُخزي.. قولُ المعارضين: إن يوم ولادته ﷺ هو نفس يوم وفاتهِ، فالفرحُ فيهِ ليس بأولى من الحزن، ولو كان الدين بالرأي لكان اتخاذ هذا اليوم مأتماً ويوم حزن.

ونقول: ما شاء الله على هذه الفصاحة العرجاء والتي سيُجيبكم عليها الإمام العلامة جلال الدين السيوطي كما في (الحاوي للفتاوى ص١٩٣ طبعة دار الكتب العلمية) حيث قال ما نصهُ: [إن ولادته ﷺ أعظم النعم، ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعة حثت على إظهار شُكر النعم، والصبر والسكون عند المصائب، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة وهي إظهار شكر وفرح بالمولود، ولم يأمر عند الموت بذبح (عقيقة) أو بغيره، بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع، فدلت قواعد الشريعة على أنهُ يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ دون إظهار الحزن فيهِ بوفاته، وقد قال ابن رجب في كتابهِ (اللطائف) في ذم الرافضة حيثُ اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لأجل مقتل الحسين [عليه السلام]، ولم يأمر الله ورسوله ﷺ باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً فكيف ممن هو دونهم].

خُلاصة القول

ما قالهُ مُحدث الدنيا شارح البخاري الحافظ ابن حجر العسقلاني: [أصلُ عمل المولد بدعة لم تُنقل عن السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كانت بدعة حسنة، وقد ظهر لي تخريجها (أي بدعة المولد) على أصلٍ ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيهِ فرعون، ونجى موسى، فنحنُ



نصومهُ شكرا لله، فيستفاد منهُ فعلُ الشكرِ لله على ما من بهِ في يوم مُعين من إسداء نعمةٍ، أو دفع نقمة.. إلى أن قال: وأيُ نعمةٍ أعظمُ من نعمة بروز هذا النبي ﷺ.. نبي الرحمة في ذلك اليوم، فهذا ما يتعلق بأصل عملِهِ، وأما ما يُعمل فيهِ: فينبغي أن يُقتصر فيهِ على ما يُفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة] انتهى كلامهُ رحمه الله.

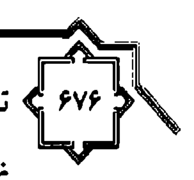
وكذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما قال: «فإن هذا لم يفعلهُ السلف، مع قيام المُقتضى لهُ، وعدم المانع منهُ».اهـ

وقول ابن تيمية أيضاً: «فتعظيم المولد واتخاذهُ موسماً قد يفعلهُ بعض الناس ويكون لهُ فيهِ أجراً عظيم لحُسن قصدهِ وتعظيمهِ لرسول الله ﷺ».

ورحم الله الإمام النووي حيثُ قال في شرحهِ على صحيح مسلم: [**ليس للمفتي ولا للقاضي أن يفرض رأيهُ على من خالفهُ إذا لم يخالف نصاً ولا إجماعاً أو قياساً جليّاً**].

وفي الختام

فإنني أدعو لإخواننا المانعين والمعارضين بأن يهديهم الله ويرُدهم إلى الحق والصواب وأن يشفيهم من داء التبديع والتفسيق والتكفير لعلماء المسلمين وعامتهم، وعلى كُل مُعارض ومُخالفٍ لايزالُ مُصراً على رأيهُ بعد هذا البيان الجليّ، وفي الوقت الذي يوجد فيهِ من يُخالفهُ في الرأي من فحول علماء الأمة وفضلائها، والذي نعلم يقيناً بأن هذا المُعارض لم يبلغ عُشر معشارهم في الإستنباط والعلم والورع والتقوى والخشية من الله، والذين هم أشدُ حرصاً من أنَ يُوقعوا المسلمين في البدع والزيغ والضلال، ونقولُ للمُعارض تأدب ثم

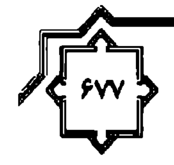


تأدب ثم تأدب، واعلم أنهم (معرفة) وأنت (نكِرة) ولاتزال أنت ومن سار على نهجك ممن يتطفلون على موائدهم وينهلون من معين عُلومهم ليلاً ونهاراً، وإنني أُذكِّرهم بحديث المصطفى ﷺ الذي أخرجهُ أبو يعلى عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ:

«مما أخاف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت بهجتهُ عليهِ وكان رداءهُ الإسلام إنسلخ منهُ ونبذهُ وراء ظهرهِ وسعى على جارهِ بالسيف ورماهُ بالشرك. قال: قلتُ: يا نبي الله! أيهما أولى بالشرك المرمى أو الرامي؟؟ قال: بل الرامي»[1]

قال الحافظ ابن كثير: إسنادهُ جيد (٢/ ٣٥٣).

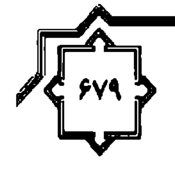
١ . صحيح ابن حبان، ج١، ص٢٨٢



المصادر

صحيح الإمام البخاري
صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووي
فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني
تهذيب الأسماء واللغات للإمام الحافظ النووي
مسند الإمام أحمد بن حنبل
مسند الإمام الدارمي
سنن الإمام الحافظ الترمذي
سنن الإمام الحافظ البيهقي
موطأ الإمام مالك
المستدرك للحاكم
التمهيد لابن عبد البر
المدخل لابن الحاج
جامع الأحكام للحافظ القرطبي
مُعجم الإمام الطبراني الصغير والأوسط والكبير
النهاية لابن الأثير
شرح ابن رجب
مناقب الشافعي للإمام الحافظ البيهقي
الترغيب والترهيب للحافظ المنذري
الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني
فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية
اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية
مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية
كتاب الروح للإمام ابن قيم الجوزية
الإعتصام للإمام الشاطبي
حلية الأولياء لأبي نُعيم

كتاب القواعد لسلطان العلماء العز بن عبد السلام
تهذيب الآثار لابن جرير
أخبار علي بن أبي طالب ليعقوب بن أبي شيبة
مُجمع الزوائد للحافظ الهيثمي
مُعجم الشيوخ للحافظ الذهبي
سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي
المصنّف لابن أبي شيبة
البداية والنهاية لابن كثير
السيرة لإبن كثير
شرح السنة للحافظ البغوي
كتاب الأذكار للإمام الحافظ النووي
تفسير ابن عباس ﵄
الحاوي للفتاوي للحافظ السيوطي
الدر المنثور للحافظ السيوطي
المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني
دلائل النبوة للبيهقي
حدائق الأنوار لعمر بحرق
الروض الآنف للسهيلي
بهجة المحافل للعامري
البردة للإمام البوصيري
الباعث على إنكار البدع والحوادث لعبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي المعروف بأبي شامة
الرسائل الكبري لابن عباد
مائدة الفكر الإسلامي للمفسر الكبير محمد متولي الشعراوي
الذُخر والعدة في شرح البردة لمحمد علي بن علاّن الصديقي المكيّ
حول الإحتفال بالمولد النبوي الشريف للسيد محمد بن علوي المالكي الحسني
الموسوعة اليوسفية للعلامة يوسف خطار محمد
رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة للعلامة محمود سعيد ممدوح
السُنة والبدعة للسيد عبد الله محفوظ محمد الحداد
إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة للسيد عبد الله بن الصديق الغماري



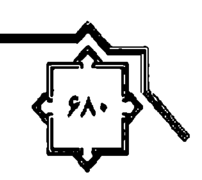
المواهب اللدنية للحافظ القسطلاني
شرح المواهب اللدنية للإمام الزرقاني
السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي
شرح ابن عابدين
شرح البردة للشيخ عيسى المانع
الرسائل الكبرى لابن عباد القدوري
المورد الهني في المولد السني للحافظ العراقي
الفخر العلوي في المولد النبوي للحافظ السخاوي
جامع الآثار في مولد النبي المختار و اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي
المورد الروي في المولد النبوي للحافظ الفقيه مُلا علي قاري
التنوير في مولد البشير النذير للإمام ابن دحية
عُرف التعريف بالمولد الشريف للحافظ ابن الجزري
الدر المنظم بمولد النبي الأعظم للقاضي أحمد العزفي
مولد المناوي للإمام الحافظ المناوي
مولد البشير النذير السراج المنير لأبي الوفاء الحُسيني
مولد المصطفى العدناني لعطية الشيباني الزبيدي
العلم الأحمدي في المولد المحمدي للإمام عبد الغني النابلسي
عقد الجوهر في مولد النبي الأزهر للإمام جعفر البرزنجي
الموارد الهنية في مولد خير البرية للإمام علي السمهودي
إتمام النعمة على العالم بمولد سيد ولد آدم للإمام ابن حجر الهيتمي
تحفة البشر على مولد ابن حجر للإمام الباجوري (صاحب جوهرة التوحيد)
اليُمن والإسعاد بمولد خير العباد للحافظ جعفر الكتاني
نور الصفاء في مولد المصطفى للشيخ علي سليم الطنطاوي
التجليات الحفية في مولد خير البرية للشيخ محمد المغربي دفين اللاذقية.

* * *

تم بحمد الله

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *



ملحق الوثائق

وقلنا: إنه بدعة لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه العبيديون الباطنيون المتسمون بالفاطميين ـ زعموا ـ.

قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله: أما بعد، فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد، هل له أصل في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا والإيضاح عنه معينا، فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً. . مثل اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدًا مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كان محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان[2]. . . انتهى ببعض اختصار.

وقد ألف في إنكار هذه البدعة كتب ورسائل قديمة وجديدة[3]، وهو علاوة على كونه بدعة وتشبهاً فإنه يجر إلى إقامة موالد كموالد الأولياء، والمشائخ والزعماء، فيفتح أبواب شر كثيرة.

٢ ـ التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياءً وأمواتًا:

من البدع المحدثة التبرك بالمخلوقين، وهو لون من ألوان الوثنية وشبكة يصطاد بها المرتزقة أموال السذج من الناس.

والتبرك: طلب البركة وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته، وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله سبحانه، فهو الذي ينزل البركة ويثبتها، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها ولا على إبقائها وتثبيتها.

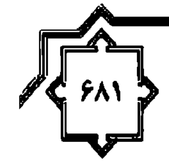
(١) رسالة المورد في عمل المولد. (٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٥) بتحقيق الدكتور ناصر العقل

(٣) مثل: ١ ـ التحذير من البدع للشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله. ٢ ـ الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع لمحمد بن سعد بن شقير. ٣ ـ المورد في عمل المولد لتاج الدين الفاكهاني رحمه الله. ٤ ـ حكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على من أجازه للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.



الوثيقة (١)

صفحة ١٢٧ من كتاب التوحيد للصف الثالث الثانوي (قسم العلوم الشرعية) ويظهر فيها مكان البتر (قارنها بالوثيقة رقم (٢) السطر الثاني من الأسفل)



يوجب ذلك جعله موسما ، ولا كان السلف يعظمونه ، كثامن عشر ذى الحجة الذى خطب فيه النبى ﷺ بغدير خَمٍّ مَرْجِعَه من حَجَّة الوداع . فإنه ﷺ خطب فيه خطبة ، وصى فيها باتباع كتاب الله ، ووصى فيها بأهل بيته . كما روى مسلم فى صحيحه عن زيد بن أرقم رضى الله عنه .

فزاد بعض أهل الأهواء فى ذلك ، حتى زعموا : أنه عهد إلى على رضى الله عنه بالخلافة بالنص الجلى بعد أن فرش له وأقعده على فرش عالية . وذكروا كلاما باطلا وعملا قد علم بالاضطرار أنه لم يكن من ذلك شيء . وزعموا أن الصحابة تمالئوا على كتمان هذا النص ، وغصبوا الوصى حقه ، وفسقوا وكفروا ، إلا نفراً قليلا .

والعادة التى جبل عليها بنى آدم ، ثم ما كان عليها القوم من الأمانة والديانة وما أوجبته شريعتهم من بيان الحق يوجب العلم اليقينى بأن مثل هذا يمتنع كتمانه .

وليس الغرض من الكلام فى مسألة الإمامة وإنما الغرض : أن اتخاذ هذا اليوم عيداً محدث لا أصل له . فلم يكن فى السلف لا من أهل البيت ، ولا من غيرهم من اتخذ ذلك عيدا ، حتى يحدث فيه أعمالا . إذ الأعياد شريعة من الشرائع . فيجب فيها الاتباع ، لا الابتداع . وللنبى ﷺ خُطَب وعهود ووقائع فى أيام متعددة ، مثل يوم بدر ، وحنين ، والخندق ، وفتح مكة ، ووقت هجرته ، ودخوله المدينة ، وخطب له متعددة ، يذكر فيها قواعد الدين . ثم لم يوجب ذلك أن يتخذ مثال تلك الأيام أعياداً . وإنما يفعل مثل هذا النصارى الذين يتخذون أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعياداً ، أو اليهود . وإنما العيد شريعة . فما شرعه الله اتبع ، وإلا لم يحدث فى الدين ما ليس منه .

[وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى فى ميلاد عيسى عليه السلام ، وإما محبة للنبى ﷺ وتعظيما له . والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع : من اتخاذ مولد النبى ﷺ عيدا ، مع اختلاف الناس فى مولده ، فإن هذا لم يفعله السلف ، مع قيام المقتضى له ، وعدم المانع منه] ولو كان هذا خيراً محضاً ، أو راجحاً : لكان السلف رضى الله عنهم

الوثيقة (٢)

من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم طبعة دار الحديث

ويظهر فيها نص ابن تيمية الذي أخفا المعارضون جزءا منهُ وبتروا الجزء الآخر



فالتاركون أيضاً للسنن مذمومون ، فإن منها ما يكون واجباً على الإطلاق ، ومنها ما يكون واجباً على التقييد ، كما أن الصلاة النافلة لا تجب ، ولكن من أراد أن يصليها يجب عليه أن يأتي بأركانها ، وكما يجب على من أتى الذنوب : أن يأتي بالكفّارات والقضاء والتوبة والحسنات الماحية ، وما يجب على من كان إماما ، أو قاضيا ، أو مفتيا ، أو واليا من الحقوق ، وما يجب على طالبى العلم ، أو نوافل العبادة من الحقوق .

ومنها : ما يكره تركه أو يجب فعله على الأئمة دون غيرهم . وعامتها يجب تعليمها والحض عليها والدعاء إليها .

وكثير من المنكرين لبدع العبادات تجدهم مقصّرين فى فعل السنن من ذلك ، أو الأمر به .

ولعل حال كثير منهم يكون أسوأ من حال من يأتى بتلك العبادات المشتملة على نوع من الكراهة ، بل الدين : هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا قوام لأحدهما إلّا بصاحبه ، فلا ينهى عن منكر ، ولا يؤمر بمعروف يغنى عنه ، كما يؤمر بعبادة الله وينهى عن عبادة ما سواه .

إذ رأس الأمر : شهادة أن لا إله إلا الله . والنفوس قد خُلقت لتعمل لا لتترك ، وإنما رأوا التّرك مقصوداً لغيره ، فإن لم يشتغل بعمل صالح وإلا لم تترك العمل السيئ أو الناقص ، لكن لما كان من الأعمال السيئة ما يفسد عليها العمل الصالح نهيت عنه حفظا للعمل الصالح .

[فتعظيم المولد واتخاذه موسما : قد يفعله بعض الناس ، ويكون له فيه أجر عظيم ، لحسن قصده ، وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس : ما يستقبح من المؤمن المسدد ، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء : إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك ، فقال : دعه ، فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب ، أو كما قال .]

مع أن مذهبه : أن زخرفة المصاحف مكروهة . وقد تأوّل بعض الأصحاب أنه أنفقها فى تجديد الورق والخط .

الوثيقة (٣)

ويظهر فيها ما أخفاه المعارضون من تصريح جلي واضح لشيخ الإسلام بأن من حسُن قصدهُ في عمل المولد يكون لهُ فيه أجر عظيم



كل انواع البدع دون استثناء .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه « اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم».

أخي المؤ .... إذا تقرر لديك ماسبق وسلمت لهذا المفهوم الإعتقادي تسليماً صادقاً أمكنك أن تعرض كل قول أو عمل تعبدى على هذا الميزان هل هو مشروع أم محدث ؟ هل هو سنة أو بدعة ؟ ولنأخذ مثالاً على ذلك الاحتفال بذكرى مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حبيبنا وإمامنا ، وقدوتنا وقائدنا إلى صراط الله المستقيم ، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، وقائد الغر المحجلين المبعوث إماماً ورحمة للعالمين . وسنناقش هذه القضية بعدل وإنصاف وتجرد عن كل هوى ومقررات بشرية سابقة ونزنها بميزان الشرع ونعرضها على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، القائل: « إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » والذى أوصانا بخيره أن نستمسك بهدي خير الناس وأزكاهم حين قال « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين » متفق عليه .

والله المسؤول أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .

نشأة الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١١ / ١٧٢) أن الدولة الفاطمية ـ العبيدية المنتسبة الى عبيد الله بن ميمون القداح اليهودي ـ والتى حكمت مصر من [٣٥٧ هـ ـ ٥٦٧ هـ] أحدثوا إحتفالات بأيام كثيرة ، ومنها الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم .

ونص عليه المقريزي فى كتاب المواعظ والاعتبار [١ / ٤٩٠] والشيخ محمد بخيت المطيعي مفتى الديار المصرية فى كتاب (أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام) [ص ٤٤ ـ ٤٥] .

ووافقهم الشيخ على محفوظ فى كتابه الجيد (الإبداع فى مضار الإبتداع) [ص ٢٥١] وغيرهم كثير .

إذن فإن أول من شرع هذا الإحتفال هم الزنادقة العبيديون الرافضة ، أحفاد عبد الله بن سبأ اليهودي . ولا يمكن أن يفعلوا ذلك محبة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لغرض آخر خفي.

الوثيقة (٤)

صورة من المطوية التي نشروها بين العوام.. وكذبوا فيها على الحافظ ابن كثير



الوثيقة (٥)

نصُّ براءة الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط من تحريف كتاب الأذكار للإمام النووي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

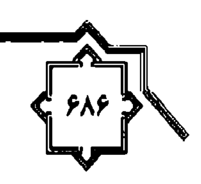
فإن هذا الكتاب الذي بين أيدينا (الأذكار) للإمام النووي رحمه الله قد طبع بتحقيقي في مطبعة الملاح بدمشق سنة (١٣٩١)هـ، الموافق (١٩٧١) م، ثم قمت بتحقيقه مرة أخرى وقام بطبعهِ صاحب دار الهدى بالرياض الأستاذ أحمد النحاس، وكان قد قدمهُ للإدارة العامة لشؤون المصاحف ومراقبة المطبوعات برئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد في الرياض، وسلّم الكتاب إلى هيئة مراقبة المطبوعات، وقرأهُ أحد الأساتذة فتصرف فيه في (فصل في زيارة قبر رسول الله ﷺ) وجعلهُ (فصل في زيارة مسجد رسول الله ﷺ) مع تغيير بعض العبارات في هذا الفصل صفحة (٢٩٥)، وحذف قصة العتبي، وهو محمد ابن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن ابي سفيان صخر بن حرب بن امية الأموي العتبي الشاعر، الذي ذكر قصة الأعرابي الذي جاء قبر النبي ﷺ وقال لهُ: جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي.

وأن العتبي رأى النبي ﷺ في المنام وقال له: يا عتبي إلحق الأعرابي فبشرهُ بأن الله قد غفر لهُ وحذف التعليق الذي ذكرتهُ حول القصة، وقد ذكرت أنها غير صحيحة، ومع ذلك كُلهُ حذفها، وحذف التعليق الذي علقتهُ عليها.

وهذا التصرف الذي حصل في هذا الكتاب لم يكن مني أنا العبد الفقير إلى الله تعالى العلى القدير (عبدالقادر الأرناؤوط) وكذلك لم يكن من صاحب دار



الهدى الأستاذ أحمد النحاس، وإنما حصل من هيئة مراقبة المطبوعات، وصاحب دار الهدى ومحقق الكتاب لا يحملان تبعة ذلك، إنما الذي يحمل تبعة ذلـك هيئـة مراقبة المطبوعات، ولا شك أن التصرف في عبارات المؤلفين لايجوز، وهي أمانة علمية، و إنما على المحقق والمدقق أن يترك عبارة المؤلف كما هي، وأن يُعلـق عـلى ما يراهُ مخالفاً للشرع والسُنة في نظرهِ، دون تغيـير لعبارة المؤلـف.............. الخ.



المصادر:

بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ

سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت

سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤١٠هـ

سنن الترمذي، أبو عبد الله، محمد بن علي بن الحسن بن بشر الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعه: الثانية،١٤٠٣هـ

سنن الدارمي، عبد الله بن بهرام الدارمي، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩هـ

السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دارالمعرفه، بيروت، ١٣٩٦هـ

حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الشهير بـ (بَحْرَق)، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ

شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرنوؤط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ

صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد الدارمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، موسسه الرساله، بيروت، الطبعه الثانية، ١٤١٤هـ

صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ

صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ



كتاب الموطأ، الإمام انس بن مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ

كنز العمال، المتقي الهندي، تحقيق: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ

مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ

مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ

مسند الشاميين، ابو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعه الثانيه، ١٤١٧هـ

المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ